أبي طيب و أسماه

الجزءان الأول والثاني

النشر

مكتبة الإفتاء بالقاهرة
فهرس الكتاب

" رسالة الكتاب

5 - عرض الكتاب

سبب جمع الكتاب وطبعه (7) من هو ؛ سكيف ؛ الذي أهدى إليه يلوليد " (8) يلوليد ؛ كتاب يستخرج الضحك (8) على هامش الغفران ؛ وما يرفع منها (10) التغير بالشباب كيف يكون (12) الأيدي التي تحرك أمثال لويس عوض ؛ وأنه ليس مقصوداً لذاته (13) ؛

6 - ليس خصًا ؛ (1) كلام لويس عوض عن ؛ المنهج ؛ (8) ؛ المنهج ؛ كلمة مفهومها غامض حتى اليوم (19) ما هو ؛ المنهج ؛ على وجه التحقيق ؛ (19) مثال تطبيقه على ؛ المنهج ؛ (20) ارتباط الآداب بتاريخ الأمة وأحلالها ودينا (21) نظرات في ؛ المنهج ؛ لويس عوض ؛ (21) دعوها أن أبا الأعلاق تعلم في أنطاكية واللاذقية (22) تعلق عن الدكتور طه حسين ؛ وما فيه من خيانة الأمانة (23) ذكر لقاء أبا العلاق أسامة بن منقذ ؛ لم يرد إلا في كتاب واحد (24) نقد ابن العديم لخبير رحلة أبا العلاق إلى أنطاكية (24) دعوى تعليم أبا العلاق في اللاذقية ؛ مقول من كتاب الدكتور طه (25) ذكر ترجم أبا العلاق في الكتب ؛ مرتة على تاريخ مؤلفيه (26) خبر راهب دير الفاروس باللاذقية ؛ لم يذكره سوى القبطي ؛ وله نقلة الناقلون (28) اضطراب الخير ؛ ودراسة ألفاظ من نقل عن القبطي (28) نظرات مقارنة بين نصوص المؤرخين لأبي العلاق (29) خبر غريب لا يسلم ؛ وتغير ألفاظه عمل لا ينبغي لدرس جامعي (31) ؛
نقد خبر الراهب من قبل روايته غير مستند إلى راو ولا إلى كتاب
وإنفراد القطبلي به (٣٦) يقوت معاصر للفقيه مصاحب له، ومع ذلك
اغلب ذكره في ترجمة أبي العلاء (٣٧) حرص يقوت على جمع الأخبار
وبعدها (٣٨) نقد يقوت لخبر آخر رواه ابن الهارية (٣٨) دلالة النقد على
أن خبر الراهب غريب منكر لا إسناد له (٣٩) نقد ما في خبر الراهب بعد
مقارنة ما فيه بما في كتاب أبي العلاء (٤٠) تصنيف أبي العلاء في
المنظم (٤١) خلول «سنق الزنن» من شهر يدأ على إلحاد أبي العلاء
(٤٢) رأى أبي العلاء نفسه في «سنق الزنن» (٤٣) جميل صاحب الخبر
بشعر أبي العلاء (٤٤) دليل قاطع على أن صاحب الخبر غير معاصر لأبي
العلاه (٤٤) ما ذكره الطائعون في دبائه، ليس من شعر صيائه، بل من
شعره فيما بعد الثلاثين (٤٥) التعاليمي، أول من ترجم لأبي العلاء، ومات
قبله بعشرين سنة (٤٥) تحليل خبر أبي الحسن المصيصي الذي رأى
أبي العلاء في المعره، ووصفه، ولم يتهمه في دبائه (٤٦) دلالة خبر
المصيصي (٤٧) شيخ المعره لم يكن معمورًا ولا منهما في دبائه وهو في
الخامسة والعشرين (٤٧) المؤرخون الثلاثة الأول المعاصرون له، تدل
أعمامهم على بطلان خبر الراهب (٤٨) حاشية: أن يقوت الحموي
صاحب، كان طولية الإقامة بالشام، وإن كان يعادي الدار (٤٩).

وصف صاحب خبر الراهب (٥٠) مدارسة خبر الراهب على منهج
صحيح (٥١) أسرة أبي العلاء ونسبه ونزيلهم (٥١) قول أبي العلاء إنه
فارق العشرين من عمره، فما حديث نفسه باجتياز علم من عراق أو شام
(٥٢) شيوخ أبي العلاء في المعره، ونقض دعواه أنه لا يعرف شيء عن
تعليمه الرسمي (٥٣) حتى العشرين (٥٣) دراسة أبي العلاء في أول عمره
شناعة التدريس بالألقاب العلمية (11) ما لقي أبو العلاء في حياته وبعد مماته، وعبث لويس عوض في مقالاته وتحمله بذلك "المنهج" خياله للأمانة في القلم (12) الأسباب الداعية إلى الحكم عليه بأن سلوك ليس ملوك أستاذ جامعي (17) شهادة لويس عوض في الأدب العربي والأدب غير العربية، وزدلت به أنه لا يستحق حمل "الدكتوره" (18) طرح لفظ "دكتور"، لأنه لا يستحقه (19) شهادة لويس عوض على نفسه بأنه وهو في الثانية والثلاثين من عمره: أن إحساسه باللغة ضعيف بالفظة! وأجنب! جدا! (80) عينه مع ذلك بكلام العرب، وتخليته في تفسير "ورة كالدهان" (11) جريدة الأهرام ونشرها عند العرب والمسلمين، وتركها هذا العبث ينشر في صفحاتها (84).

87 - لا تقضيِهُم

دمية يحركها أصحابها لأغراض مستورة (89) عودة إلى راهب دير الفاروس، وتحليل معنى "إجتاز بالمكان" (91) معنى "نزل بالمكان" (92) دلالة هذه اللقطين في خبر القفظ وفي غيره من الأخبار (93) دلالة لفظ "الدير" في العربية، ومرور ابن بطوطة بدير الفاروس (94) العهد بينا وبين أصحاب الأديرة من النصارى (95) شأن الأديرة في أول
اللغة العربية لغة ثمانمائة مليون، ثم حصرها الاستعمار ومرفقاً (107) مهمة الصحافة في توحيد الأمم العربية والإسلامية (108) التقصير في هذه المهام وآثره (109) التذوق هو لب كل حضارة (109) واجب الصحافة في أيواب الأدب والفن والطب واحد (110) أثر المقالات الأدبية الفاسدة في تكون الأمة (110) الأسباب التي دعتي إلى إسقاط صفة لويس عوض ودرجاته العلمية (111) ليس له قيمة أدبية، وما يكبه ضرب من الداء معد (115) ما هي الإجازات التي نالها وما قيمتها (115) مجلة الكاتب المصري، يهودية، وأثر سلامة موسى في توجيهه (116) حقيقة لويس عوض، كم كتبها، وهي قيامه للدعوة إلى العلامة (117) علاقته بالبيشمرق (119) أعده المبشرون ليكون خليفة سلامة موسى، واستنباط ذلك مما كتبه (119) سلامة موسى ودعوه للعامة أيضًا، وسوء أدبه (120) ظاهرة في جريدة الأهرام، جاءت مع لويس عوض (120) قضية اللغة العربية (121).

وهذا هو تاريخها (7)

كتاب 5 تاريخ الدعوة إلى اللغة العربية وأثرها في مصر، للدكتورة
نفوسة زكريا (125) لويس داعية للعامة، وبعض الأدلة على ذلك (126) ما كتبه لا يخرج عما كتبه من سبعة من المبشرين (128) تاريخ الدعوة إلى العامة وأسباب ذلك (128) سياسة الغزو الأوروبي موجهة إلى مصر (129) رفاعة الطهطاوئ أول من كتب بالعربية يدعو إلى شيء من العامة، وكيف جاء ذلك (130) حركة إحياء العربية، وسيطرة الفنواصل على التعليم في عهد محمد علي (131) فزع التبشير والاستعمار من ذلك، وبدء حركة مضادة للدعوة إلى العامة (131) سبيتا ودعوته (132) كل من كتب بعد ذلك، مثل سلامة موسى ولويس عوض، يرددون ما قاله (133) دور المفتوح في ترديد دعوة سبيتا إلى العامة (133) كارل فولس، ثم وليككس وتزويج كلهم مع حركة الإحياء (134) استيلاء دنلوب على التعليم (135) حق ناقش نظام دنلوب في التعليم (136) ولمر وقضية العامة (137) المفتوح مرة أخرى يظهر العامة، ورأيه ترضيها على الناس، وتزويجها مع الحركة الوطنية والبحث الثقافي (138) مجلة الهلال وسبب معارضتها لهذه القضية، ثم إفساح صدرها لدعاية العامة وسلامة موسى (138) ارتباط الدعوة إلى العامة بالأحداث السياسية الكبرى (138).

141 - وهذه هي أثاثها 

الدعوة إلى العامة ليس لها شيء في أمده من الأعم - اشتداد هذه الدعوة بعد العدوان الثلاثي (143) حقيقة لويس عوض عندي (143) كشف الزيف في الآثار الأدبية عصر (145) خطر هذه الدعوة ووسائلها الخبيثة (147) تاريخ هذه الدعوة (147) العالم العربي والإسلامي في عصر النهضة الأوروبية (148) تطبيق العالم الإسلامي وغير أطرافه (149) أدوات الاستعمار: التجارة، و الحج، وتزويج التبشير، و التبشير أفقه أدوات الاستعمار (149) التبشير لا يرد بدعوة إلى الدين، بل
hoe أعمق من ذلك (150) "النبيذ" مقترن بدعوة الإصلاح في بلاد العرب والإسلام (150) الاستيلاء على التعليم، هو أكبر أهداف النبيذ
(151) كتاب "تاريخ التعليم العربي في مصر"، للأستاذ جرجس
سلامة (152) صلة النبيذ بالدعوة إلى العلوم (153) ترجمة كتاب العلم
الأوروبية إلى العربية في عهد محمد علي، وتأثر القناة في حيز هذه
الكتب عن الناس (153) النهضة العربية بعد محمد علي، ثم الاحتلال
الإنجليزي (189) بدء تأسيس الجمعيات الكبرى للنبيذ في مصر وسوريا
بين سنة 1863 وسنة 1882 (155) ظهور كتاب سبيتا سنة 1880
(155) إنشاء "المجلة السروية الإنجليزية" وهي "المجلة الأمريكية"
التي تعود إلى سنة 1875 (155) العلاقة بين كونت سبتا ومقالة المصطبة
سنة 1881 (155) طلب نكتين متنقلين من عدد واحد من أعداد
المصطلح، وهو أمر عجيب! (156) تتم في علاقة النبيذ بالدعوة
للعلمية والحركات السياسية (157) زويمر المبهير يعد مؤسسًا لنبيذ
سنة 1906 في بيت أحمد عرابي (158).

159 - وهذ هؤلاء 9 »

كلمة الدكتور محمد مندور في مجلة "روز اليوسف" ردا على
ما كتب (161) الاستهانة بالأخلاق الجارية على المسلمين (162) مندور لم
يقرأ ما كتب (162) لا يثبت من الإحالة بما يكتب فيه (164) ادعاء
مندور أن أبا العلاء منهم أنهما أكبر بألفاح والزنفة! (164) دراسة
معنى الألفاظ الأربعة: "الخطية" و "الخلاق" و "الفداء" و "الصلب" (166) هل يصح أن تكون جميع الديانات السماوية جزء
من تراثا روحي؟ (167) معاني هذه الألفاظ الأربعة عند النصارى،
واستحالة أن يعدهها مسلم (169) استخدام الشعراء لهذه الألفاظ الأربعة
التي هي أص العقيدة المسيحية (172) المغالطات في تسمية هذه الأربعة
مراجعات العربية والأدب

التعريف بالثقافة والتاريخ بين مذهب وبين الشعر العربي الذي يحمل هذه الألفاظ (176).

177 - وهذه هي أخطارها (10)

شروط هذه الألفاظ النصرانية الأربعة، والدعوة إلى العامية، قضية

واحدة (176) الاستمرار، في كتاب الحجاج، والبعد (181) تطوير

العالم الإسلامي والعرب، وكتب المؤرخ تونيسي: العالم والغرب

(181) أفق العالم العربي أنه لا يرى في الدنيا سوى نفسه (184) تحليل

تونيسي لموقف تركيا من الحضارة الغربية (184) داء الحضارة الغربية:

الفرقة بين الأجانب، لذلك عند تونيسي الترك بمطلع عن "القومية العربية"

(186) العرب وغير العرب من المسلمين أمة واحد (186) لماذا لم

تشكل تركيا والهند والفرس إلى العربية (187) جريمة مصطنع، كمال

أتاتورك (188) تركيا لم تكسب شيئا بعد مصطنع، كمال

تونيسي يرى أن تقسيم العالم إلى عشرين دولة مستقلة داع إلى الأسف

(189) تنبه تونيسي إلى أن "اللغة الفصحى" هي رابطة الأمم العربية

والإسلامية (189) خطا تونيسي وغيره في عد "اللغة الفصحى" لغة دينية

(190) صورة "لغة القرآن" و "لغة الحديث" عند العرب والmuslimين

جميعا (190) السبب في غموض هذه الصورة عند أهل الكتاب

(191) شبهة "لغة الدينية" وكيف جاءت؟ (192) القرآن

و الحديث، وما أولاً فائحين فتحاً بلاد الإسلام (193) إعادة فتح بلاد

الإسلام يمكن حتى تصبح العربية هي لسان جميع الأمم الإسلامية

(193) هل كان يخطئ لإنجليزى واحد في القرن السابع عشر أن تصبح

الإنجليزية لغة عالمية (193) معركة الدعوة إلى العامية، لا يمكن أن تعدد

معركة أدبية مجرد من العوامل السياسية والدينية (194).
و ما أدرك ما هي؟

الاستعمار و التبشير و الاستشراق ثلاثة أسماء لحقيقة واحة (215) ما كتبه صبي المبشرين عن أبي العلاء، تم على أسس تبشيرية متنكرة في ثياب دراسة أدبية (215) أسلوب ليس عوض في اختيار مسلم يعبر عن رأيه، كما قال ذلك سنة 1947 (216) نشر مقالات لبث المعلومات التاريخية أو الأدبية، مضمنة عقائد العالم المسيحى (217) حيلة المبشرين في توزيع كتب صغيرة فيها شيء من عقائد المسيحية (217) دائرة المعارف في الأهرام - واختيار أسم نسمى دائرة المعارف الجمهرة (218) اتخاذ صحيحة الأهرام لنشر هذه العقائد (219) محمد خلف الله أحمد، يكتب عن عقوب عليه السلام، كما يراه أهل الكتاب، لا كما يراه أهل القرآن (220) مشابهة ما كتب لمبشرات في الأزمة والحارات (221) تخلط هذا الكاتب، في معيتي «الكاهن و النبي» (222) فرق ما بيننا ونفهم في أمر عقوب (224) التنقل عن أهل الكتاب، وضوابط هذا التنقل في دين الإسلام (227).

التخلط في سير الأنباء كعقول (231) تخلط كتكليفات وليس عوض، آخر يشبهه، هو الدكتور زاهر يريض في كتابه الإسلام في إثيوبيا في العصور الوسطى، مع الاهتمام بعلاقة المسلمين والمسيحيين (232) بطلان دعوى من يقول إن قريش أنكرت دعوة رسول الله، معافاة أن يفرض سلطانهم ويجوز بينهم وبين ذائتم (232) تحريم الخمر والبيسر، لم ينزل إلا بعد الهجرة إلى المدينة (233) تاريخ دعوة رسول الله قومه من قريش (233) خروجه لعرض نفسه على القبائل لم يكن إلا بعد سنة عشر من البعثة (234) قيمة ما كتبه المستشرين في
تاريخ الإسلام (235) دعوى المؤلف أن اسم "أصححة" ملك الحبشة، غير موجود فيما يسمى "كرانجست" (235) ذكر "أصححة" في الأحاديث الصحاح أوثق من "كرانجست" (235). إلغاء ذكره في "كرانجست" إذا كان لإسلامه (236) ما أسند إليه "المصدر العربي" من أن "أصححة" أرسل رده على رسول الله مع ابنه "أريحا".

كذب وখيانة (247) سخريته من المؤرخين المسلمين، بيان حقيقة ما روى كتب المؤرخين المسلمين (237) أدعه المؤلف أن صلاة رسول الله على النجاشي، هي الأصل في صلاة الجنازة على الغائب، وهذا عجب (239).

أسلوب المؤلف في تكذيب الأحاديث الصحاح باللغة الطويل في السرايدب (240) كلام المؤلف في شأن الهجرة إلى الحبشة إلى ملك لا يظلم عنه أحد، كما جاء في الحديث (244) كلامه في أمر معرفته رسول الله بأمر ملك الحبشة، يدخل منه إلى النبي كان يعاشر أهل الكتاب، عازفًا عن معاشرته لداتة من العرب، فكان يسمع منهم ويتعلم (241) إطالة الخبر الذي كان يستدل به زويم وأشباها، وليبا عن ضعف إسناده (242) منطق المشيرين والمستشارين في الاستباط مختلف للعقل (243) أدعه المؤلف أنه كان يخلط "الفسواحة" بيعة (244) عبد المسيح القديم ومقاتل أنه رسول الله تلميذ سرجيوس الراهب (244) ما جاء في القرآن من أنه كان يعلمه بشره: سابق لكل هؤلاء (245) حيث هذا المؤلف في استدلاله أن المؤرخين المسلمين لم يعنوا بأمر أم يمن حاضنة رسول الله، ولا يتأثراً عليه (246).

تحقيق في شأن أم يمن (247) مسالة المؤلف معي، وأن مؤلفي المسلمين كانت لهم عقول غير عقول من ألقوا "كرانجست" (249) حاشية في قصة هذا الأسنان في الجامعة (250).
253 - أم على قلوب أفغائها

ثرثرة أحلام المقهاري المظلمة من «المثقفين» (255) صعوبة فهم غير المسلمين لمعنى كلمة «دين» عند المسلمين (256). دوران لويس عوض على الآذان بأن يأدت «التجريح الشخص» و«التجريح العصبي»، وبحث فيثة دينية كما قال مندور أيضا (257) أنه «تجريح شخصي» أن أبين أخطاءه وجهاته في العربية (259) التعبير و«الفتنة الدينية» هو عمل لويس عوض (260) أصعب شيء تحليل السخيف وردته إلى منابعه (262) أثره في صحيفة الأهرام (262) مؤسسات التقييم جهاز واحد (263) عمل الاستعمار و«التيشير» بعد عدوان سنة 1956 (263) من تاريخ التغيير وعمله في إقناع الناس، بأن نبهة العرب عامة على «نصاري لبنان» (264) كتاب مهندس آثار، يدعى أن الأقاويل حافظوا على تقاليدهم رغم وقوعهم تحت الحكم الإسلامي ثلاثة عشر قرنا! (265) عامة القبط لا يبالون بما يكتب هؤلاء المثقفين.

267 - وأقولْ: ۳۰۵

بشارة تقول، يبحث في وجه عراقي وهو مسجون (269) لويس عوض يكتب في بتقلا (269) طرائف مما ينشر المستشار في الأهرام (270) مقالاته عن نشر شاكر السياسة وما فيها من الألفاظ والمعاني المكررة (271) استهرؤه بنهج البردة لشوقى! (272) استهرؤه بشر أبه تمام الذي قاله في فتح عمورية في بلاد الروم، وتكريم نمو قالمه التالف سلاما موسى (273) أخطاؤه في فهم شعر السبائ (274) ما فيها من محاولة تحقيق فضايا العالم العربي (275).
وصفت شعر جديمة الأبرش الملك (193) وشعر سلمي بن ربيعة

الضيء (194) مقالة محيى الدين محمد في مجلة العلوم، مظاهرة لويسب عوض (195) مقالته هي ما قاله محمد مندور (194) وهو ومندود لم يقرأ مقالاتي في الرسالة (194) لويسب عوض لم يستح من نشر جهله بشعر أبي العلاء، ولا من عشته في تفسير آية من القرآن، ولا من تخيلته في شعر السياح (202) ووصف عمل لويسب عوض (202).

شرح أبيات جديمة الأبرش (205) شرح أبيات سلمي بن ربيعة (208).

كلمة في تأبين محمد مندود، وأول لقائنا في الجامعة (313) مقالة

ماهر سامي يوسف، في ردًّا على الحمزة دعس المطالب بإعادة حكم

الله في قطع يد السارق (317) ادعاء الكاتب أن القوانين ليست من وضع المستعمرين، وإنما جاءت نتيجة «التطور» (319) ادعاء أن التشريع الجنائي أصبح يميل إلى استهداف عنصر القسوة في العقوبات (319).
لا يمكنني قراءة النص العربي من الصورة.
وصف الحوادث العظام التي كانت تحيط بنا في عالمنا 1965، وغفلة قادة الرأي يوممذ من النذر المتتابعة (1251) في عشرين سنة كنت أراك، وفيها قطيعًا يساق إلى المجازرة (1252) دلب الجيل المثقفين الذين نشأوا في ظل نظام التعليم (1253) الصراع بين مثقفي دلب وقطرة الشعب، صراع بين أرض العرب والإسلام، وبين أوربة المسيحية وتعليمها (1254) عمل دلب أو القنبر وانستعمار، هو أن يحوز المتعلمين إلى صفه عن طريق الثقافة، وأن يشق الأم أمشقين، وصفة كل فريق منها (1255) لم يكن يوممذ هوى أن أنشق القيادة التي جمعها لويز عوض من كتب الأوربيين في الحروب الصليبية (1256) ما في مقالته الرابعة عن أبي العلاء في ذكر الباسيل فوكاس، واستهلاله بالعالم الإسلامي (1257) وضع أجاكس عوض في موضعه في الحرب الصليبية التي تدور في بلادنا (1258) تحليل روموزه في تأبين مندوري أجاكس بن نلامون، كما يدل عليه شعر هيميروس (1259) مختصر تاريخ أجاكس عوض إلى أن كان في المجلة اليهودية الكاتب المصري (1260) طرفا مجدولة هي مصر العربية الإسلامية، وما بعد سنة 1952 أجاكس عوض صورة أخرى للعيشرين في ثيابهم المختلفة (1261) ما قاله في تأبين مندوري، يدل على علمه بأمر الأمم الغربية المسيحية علينا سنة 1965 وما بعدها (1262) زمن الملك ميداس، وخبره عند اليونان (1263) تحقيق الرمز يكشف عن خبائ نفس الرمز (1264) الأحقاق الكاملة في نفسه تظهر في رمز وفية كلامه قديماً وحديثاً (1265) خلاصة ما يكتب أجاكس عوض، 1266.

٣٤٩ - تبَّهْ أُفْحِص عن أُمَرْ دُمَّةٍ

قصة براقش (1266) برافقش الأول هي لويز عوض (1267)
كهوف التبشير التي بُلغت إليها صبيان المبشرين (270) صفرة السفهاء الذين يعملون للأهداف التبشير والاستعمار (270) العالم العربي والإسلامي كان في سنة 1925 هدلًا، وقد هذا الوقت كتب لويس عوض وغيره ما كتبوا (271) تكذيب لويس عوض وخيالاته ورموزه (271) مقالة لويس عوض ممن من نشرها، وهي هذه تجربيتها من الأهرام لي숑ها على الناس (273) كانت تتضمن حادثة قديمة: أراد أحد كبار المسيحيين أن يسلم حتى يتمكن من طلاق أمته، وترودد مندور، فكتب يومنها وطلب بوضع تشريع شامل للأحوال الشخصية، لا مكان فيه للدين، أي الإسلام (274) كتاب زاهر رياض عن الحبشة، الذي سلف تحليله في المقالة الثالثة عشر (275) صبي آخر للمبشرين هو ماهر سامي يوسف المذكور في المقالة الثامنة عشر (276) صبي آخر يقال له سامي داود يهتيل موت محمد مندور، يذكر حادثة كانت في الجامعة سنة 1939 (277) دعاها أنها كانت حركة من حركات الرجعية، خبر هذه الحادثة، وأنها جاءت من كتابين كانا يدرسان في الجامعة، كلاهما في سبيل لرسول الله ﷺ، أحدهما هو جان درك لبراند شو (278) والآخر محاربات في الخيل بلوثير سافيج لاندور، فيه فصل عن محمد وسبرجوسي (279) وفصل آخر من الكتاب نفسه فيه مقدم (279) الذي فرض هذين الكتبين هو كروستر سكيف، الجاموس المبشر، ومنشئ جماعة إخوان الحرية، وأستاذ لويس عوض وسامي داوود (280) سكيف، وفرنس، ودافيس الأعرج، وفي الجامعة (279) تجاهل سامي داوود، كل هذا التاريخ القديم (281) بعد مقالة سامي داوود، نشر أسد حليم كلمة أيضًا في تنزه، كمشتر. وفضله على مصر والسودان (281) أيام سياسية عصيبة سنة 1925 ينشر فيها هذا العبد المتلائم (282) الرابط الذي يجمع هؤلاء (282).
الأمانة التي يحملها الكاتب (387) نهج هذه المقالات (387) الكتابية مادة تتضمن شيئين: هدف الكاتب، وصورة الكاتب عند القارئ والنافذ (388) كلام الناقد في، المادة، و الصورة، كلام الموضوعي؛ (388) تحليل الناقد للمادة، و تكوين الصورة، و (388) إعداد تكوين معارفنا، (388). ما يبقى الناقد من الاستنكار أو الإعجاب، في تكوين الصورة، لكاتب ميت ولكاتب حي (389) تكوين صورة لكاتب حي، ربما أدى إلى أن يرى بأنه «غير موضوعي» (390) الضابط الذي يجعل تحليل الصورة، و إعداد تكوينها، موضوعياً، أو شخصياً (390). وصف الناقد، صورة الكاتب، ضرورة، ولكننا قد نؤذى، إننا نقله شخصي، لا موضوعي، على الناقد بأنه «غير موضوعي»، موجه إلى انتهاك الكاتب، في عصابة معينة (392). علاج الناقد المنصف، صورة الكاتب، موضوعي، لا شخصي ولا ذاتي، وليس تجريحاً، إذا اعتمد على تحليل الكلام والأهداف (394) كان اعتماد في شأن لويس عوض، على تحليل ما كتب، وتكوين صورة جامع (393) وصف الصديق القديم، الأساتذة محمد عودة (394) الأساتذة عودة، يقول إلى أهاليه، الثقافة الغريبة، لأنهم أنوهم، أنها كتبات المبشرين المعادين للإسلام والعرب، لا غير، وأنا سجلت، لويس عوض، فائق الأمور إلى، هجوم، (395) أنا عدو للثقافة الغربية، وبيان حقيقة ذلك، (396) مفهوم الثقافة فيه، خلط كبير، وبيان ذلك (396) الثقافة الغربية، ناتجة في بيئة وثيقة مسيحية، (397) الإسلام جاء يعلم، العقل، أولاً (397) معين، المحادثة، في اللغة، وقول عودة أنها، سجلت أن، المحادثة، وضع للأفكار، في غير مواضيعها (398). هدفي هو الدفاع عن، كيان أمة برمتها، وأن الثقافة الغربية الوثيقة المسيحية تريد أن تكون لها الغلبة على

407 - ثمّ... ليس الطريق مثالك 23

اللغة أداة التفكير والبيان (2004) أصبح أن أفلام اللغة
محدودة المعاني حدا قاطعاً (409) للغةً أداة التفكير والبيان، قضية
غامضة غير مطابقة للواقع (409) للنفاذ، وما يقع من
الاختلاف في تفسير النافذ والجمل المركبة (410) محنة البيان
وقدرة الإنسان على اجتيازها (411) نشأت المجاز في اللغات، ونشأة
كانت اختلاف في اللغة وفي الفهم وفي التفكير (411) افترق أهل الملأ
راجع إلى القصور عن بلغتهما النافذ (412) الألفاظ التي تعرضت
للمباني عنها في مقالاتي (412) من هذه النافذ لفظ الدين، وما يقوله
الله تعالى في قصيدة أهل الإسلام، وعبد وهم (413) لفظ الدين له في
الأثرن جمعة على لغة العرب في الجاهلية واتخاذ فاعلها (414) لفظ الدين ومعانيه المختلفة في
القرآن العظيم (415) لفظ الدين عند المسلمين لفظ جامع يدل
على ما هدى الله إليه بالقرآن، وما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالسنة (415) إنقسام ما نزل به القرآن وبيته السنة إلى أربع فضائيات:
قضاء الشريعة، وقضاء الآداب، وقضاء العبادة ثم قضاء
أصول النافذ والاستدلال (416) قضاء أصول النافذ، قضاء الدين، مما
سمي بالمنطق (417) معلومات نافذ، نشأ اختلاف
أعلى رياض، وأعلى الاظهار (418) تأويل النافذ، واستدلال معانيه.
بعض الألفاظ داء قديم، ولكنه أكثر تفصيلًا في آسيا (418) استخدام
لفظ الدين للدلالة على بعض ما ينافذ الإسلام، شيوخ معانيه الذي
يفهمه أهل الكتبين، اليهود والنصارى (418) وجهود إظهار الفرق بين
معاني الدين عنه أهل الكتبين، ومعناها عند أهل الإسلام (419).

ما يجد الكاتب عندما يهيئه لكتابة، ثم عندما يجعل العام للكتابة
(427) صاحب من أصحابي هو النحاسين عبد الله وأثره في كتابة
هذه المقالة (424) معنى «الدين» عند أهل زماننا (425) معنى «الدين»
 عند أهل كل ملة معنى مركب (425) من أدعى أن معنى «الدين» واحد
 في مفهوم كل ملة، فقد أطلق (426) هؤلاء أعمال المسلمين أن يسموا
 ما عليه أهل كل ملة «ديانة»، سؤال يجاب عنه بوضوح (426) المراحل
 التي مر بها نظف «الدين» في اللغة، قبل أن ينتهي إلى معنى العبادة ثم إلى
 المعنى المركب (426) الذي يطلقه أصحاب الملل على مملؤهم (426).
 معاني نظف «الدين» في اللغة وانتهاؤه إلى معنى الخضوع لمعبد معظم
 الخضوع للمعبد محتاج إلى رسوم من العبادات والتكليفات
 والعقائد (428) المعنى المركب للفظ «الدين» عند أهل كل ملة
 مخالف لمعناه عند أهل الملل الأخرى (428) نظف والتعدد نسبة
 إلى شيء، يعني معنى معبد يتغير المنسوب إليه (430) مدارس لنظف «الدين»
 في القرآن، وبعثة رسول الله عليه حين فترة من الس风雨، وما كان عليه
 أصحاب الملل يومئذ (430) كانت العرب يومئذ على إرث مبدئ من
 الحنيفية ملة أهلهم إبراهيم عليه السلام (431) نظف معان لنظف «الدين»
 في القرآن العظيم، مع ذكر مواضعها من القرآن (431) لنظف «الدين» في
 القرآن لا يجعل غير هذه المعاني النسعة، وأنه لم يسم «الإسلام» نفسه
 دينًا في القرآن الذي نزل بمكة، ترك الله لسمية «ديانة» بالمسلم الجامع
 (435) لا يسم الله تعالى شيئًا مما عليه أهل الملل «ديانة» بل بسماه
 ملة، حتى ما كان عليه إبراهيم عليه السلام (436) القرآن الذي نزل
 بالمدينة، وما نزل فيه من نظف «الدين»، معنى الحساس، ومعنى
 الطاعة والخضوع وإفراد الله بالألوهة (437) القرآن الذي نزل بالمدينة
 ولفظ «الدين» فيه (438) ليس لنا أن نسمى شيئًا من الملل «ديانة»
 سوى ملة إبراهيم، وهي الإسلام (439) وجهب تصحيح الأصول التي
 ننظر بها إلى ما حولنا (441).
الضفادع لأسطوان - فترة من عمرى في التعليم تحت سلطان المستعمرین (445) صوت جرس المدرسة وما فيه من الأذى للنشر
(446) درس اللغة الإنجليزية أول درس على الريق، وأثرى في طفولي كيف وقعت على أنغام الشعر العربي في أغوار نفسي (447) مكر
(448) دنوب في جعل الدرس الأول للغة الإنجليزية، وأثرى في طفولتي المدارس الثانوية، ثم الجامعة، وتمزق النفس بين قطري ونظام دنوب
(449) كتاب في سبيله يدل على أن اللغة هي الوجه الآخر للرياضيات العليا (450) محتمل بالمستعمرين والمبشرين يوحّد جعلتني
(451) عدنوا للغزاة اللثام الفجرة (452) نظام دنوب لم يكن يراد به تخريج موظفينً، كما يقول أكثر الناس، بل هو نظام لضمان أمان عن طريقها وتدمير نفسها (453) هدف دنوب أن يجعل الإنجليزية هي صاحبة السيادة على لغة القرآن (454) الحضارة، والثقافة، والعلوم، والآداب، والفلسفة، كلها علة على الكلمة في جميع الأمم (455) العبث بالكلمة، عبث بأعظم النعم، وهي كلمة الناس (456) الكلمة هي كل ما حرص الإنسان على تجربته (457) لويس عوض وعبه بكلام العرب واليونان والإنجليز (458) ترجمته الضفادع لأسطوان عبث، والعصى التي نتعذب بأنها موجزة اللغة العربية!! (459) سبب كتابي لهذه المقالة، أني أسطوان يونان ينسب إلى الكلمة، لويس مسيح
(460) ترجم أسطوان في الإنجليزية (461) ترجمة لويس مسيح لضفادع أسطوان (462) فاتحة مسرحية أسطوان بترجمة لويس عوض
(463) نكبة أسطوان بهذه الترجمة - رثاء لأسطوان (464) التعلم في أول أسرار المشهد الأول، وأني لويس عوض لم يفهم مراد أسطوان بكلماته (465) حوار أسطوان في الترجمة، وحقائق ما أراد أسطوان، لم يفهمها هذا الناسح لمسره، بل عبث بها كما خيلت له سماديه (466) أخطاء في الترجمة دالة على فساد التصور والجهل بآداب البيان
(467)
(461) جهله بأكثاث ألفاظ اللغة الإنجليزية (461) جهله بمقاصد أرسلفان في حوار «الضفادع» (462) إحدى عجائب الشرلتان في مسخه للضفادع، وهي مشابهة لما فعله في شعر أبي العلاء (463) إحدى بلايا مسخه للضفادع، وجهله بأرسلفان (464) كلمة إلى حضارات المفرطين الذين أشادوا بهذا المسخ للضفادع (464) عبده وعث العصابة التي تشيد به، ينذكر أرسلفان لساحة عصره، ثم وضع الشرلتان في مسخه معاني من أحيانه (464) استهيز بالتراث الأدبي لرجل من عظماء اليونان (464) الدكتور على الراهي الذي أثر بأن تكلف الدولة مالا كثيرا، دون أن يعني بمراجعة هذا المسخ لتراث وقع في أيدي الأفلاطون والتصابين (465).

467 - نُثم عُلْقب الأبواب
471 - فهرس الأعلام
482 - فهرس الأماكن
486 - فهرس الكتب
488 - فهرس الشعر
491 - فهرس الكتاب
يبتسم إلهنا الرحمن الرحيم
اختلفنا وحدها لاشرك لنا، لم تفَّت صاحبنا ولا ولدنا، تعالى عن ذكَّر
علَّها كِتَابًا، وصَلَّى الله عليه ورسوله ﷺ ﷺ، وعلى آبائه إبراهيم وإسماعيل
وعلى سُلَيْمَانَ ﷺ وَروُسُفَدَ ﷺ، و 스스로 شهدنا كثيرًا.
رسالہ اکثرا بہ
الشيخ محمد عودة

حين عشقت في كتابة هذا الدُّلُوم (سنة 1384 هـ، سنة 1964 مـ)، كنت قد قدرت لها مقامها، وتهجعّت لها نهجاً مشابهاً، ظلنتُ آمي، يعود الله، قادرًا على أن أمضي فيدي في دروبه أهدافه، لا يُدعَن شؤْنِي حتى أبلغ نهائِه. ولكن شاء الله غير ما شئت، وقُشر غير ما قدرت، وخَانَت طلوعي، واستطاعت عن الشّهر في أورائِه، قَبْعَ عنكِ بلوعٌ نهائِه....

ثم كان ما كان....

ولهذه الفصول غرّض واحد، وإن تشعّب إلى الطُّراق. وهذا الغرض هو ما قلتُ للأخ الصديق الأساتذة محمد عودة [ص 398] : هو الدفاع عن أمِّي مُرّشِتها، هي أميَّة العربية الإسلاميَّة. وجعلت طريقي أن أُهلِّي الأساتذة المُستَدَة التي غيمل من ورائها رجالُ فيهما حَنَالًا من الزمان، ورجال آخرون قد ورثُهم في زمانهما. وهمهم جميعًا كأن يحققوا للثقافة العربية الوثائِيّة كل مُنِبَلِة على عقولنا، وعلى مجتمعنا، وعلى حياتنا، وعلى ثقافتنا، وهذه الثقافة يتمّ أحيانًا الكيان العظيم الذي بناءً على ما في قرون مطولة، وصيحوا به فساعة الحياة البشرية في نواحيها الإنسانيَّة، والأدبيَّة، الأخلاقية، العلميَّة، والفكرية، وردّوها إلى طريق مُستَقِيمٍ.

وكان مما قدر الله أن أفتح عيني على ثورة مصر سنة 1919، وعلى دارٍ تِموج

(0) في مئتي استنكار، وزجر، وأمر بالسكت، وأنا بحسبون، ويا إنس، يا إنس.
فصار خالٍ على واجبٍ أن لا أنتلجل، أو أabetic، أو أُضحى، أو أدارى، ما دمت قد نصبت نفسى للدفاع عن أثمي ما استلحت إلى ذلك سبيلًا = وصار حقًا، على واجبٍ أن أستخلاص تجارب حمصيّة من عجمي، فقضيتها قلبًا حائرًا، أصرع في نفسى آثار عدوين جعل بطش الفكرة، لم يتبين عن قول صراعه شيء، منذ استحكمت قوتي، واستناشت تصويرتي، ومنذ استلحت أن أهلكِ الدهر عن هذا العدو المأكك الحبيث = لمص حِقال على واجبٍ أن لا أعرج على نُبّات الطريق، إلا بعد أن أجعل الطريق الأعظم الذي تضحكت منه، واضحة لأنيّ نشبيتي = ثم مصار حقًا على واجبٍ أن لا ألو حيًا في الكشف عن حقيقة هذا العدو، وعن حقيقة الصراع الذي عانيته واستدى على وجهِ مِن الوجوه، والذى عانيته مع أمي العربية والإسلامية على وجهٍ أخر.

وقد سيرت في هذه الفصول المشتبكة المعاني سبيبة واحدة، ففتحت جميعها نابًا أو أبوايًا من النظر إلى حقيقة الصراع الذي دار، ولم يزل بدوره على أرضنا، وفي عقولنا، وفي ضمير أبنينا. وأشرت في مواضع كثيرة إلى أن هذا الصراع صراع بين حضارات مختلفتين في جذورهما أشد اختلافًا: حضارة طالًا عليها الزمنُ فقدت غرفةً أمِن مستريح لا يفرّعي شيئًا = وحضارة واتها الزمن فقدت قمةً متفتحة جريئة، لا تأمل أحدًا ولا تطمئن إليه، فلم يدرُت بواذ الصراع، قامت «العافية» تنمطى...
وتطرد الفتور عن أعضائها ومقاصدها، وتستشع النعاس اللذيذ عن وجهها، غافلةً، لا يباركها شعورها القديم بالأمان والطمأنين = أما ظاهرةٌ فهيئة خائرةً تراقب، وتبرك، وتُنظف تتأهلً للسفر على هذه الظاهرة، باقيةً لا يباركها شعورها الجديد اللذيذ بالقوة والبطش والضُّراوة، وبحسة الفشل وشيط الطاغيين. وبدأ الصراع جماً بأطراف الأسئلة، و çıktاً بأسباب التجارة، وشيئًا فشيئًا جاءت الجيوش واستعففت التجارة، ووجه معهما أو سيءهما طوالاء النبيين.

لم يكونوا طالقًا من الدعاء إلى الدينية فحسب، بل كانوا طوالًا لكليها صفةً ووجودًا عمليًا فيه في الناس، وأخذهم من غفلتهم قال أن يفهموا، وأطلق على رقعة العالم العربي والعالم الإسلامي ضياءً كثيّفاً، وسلط عليها تاريخ طويل يحقق القوى ويسهمها نصفًا ... وكانت قصّة طويلة متمادّية تطرق دقًا واعترًا وحِيقان، وترسّح مكّراً وشقيًا وحِيقًا وبقائمة ......

***

فهذه الفصول التي كنتها، ترفع اللَّيام عن شيء من هذه القصّة التي تجري أحداثها في أخطر ميدان من ميادين هذه الصراع، وهو ميدان الثقافة والأدب، والفكر، جميعًا. ويريد هذه خطوى أن الذين تولوا كثيرًا هذا الصراع، والذين ورثوا من خلفهم، إنما هم رجال متانة، من بني جلدتنا، من أحفاننا، نطقهم بلساناً، ويتظرون بأعيننا، ويسهرون بيناً آمنين، بميثاق الأُخوة في الأرض أو في الذين، أو في اللغة أو في الجنس.

ويزداد الأمر بشاعةً: أن الذين هم هدف للتدبير والتمرير والتفش، لا يكادون يتوجب أنَّ ميدان الثقافة والأدب، الفكر، هو أخطر ميادين هذه الحرب الخسيسة الدائرة على أرضنا من مشرق الشمس إلى غربها = ولا أنَّ معارك الثقافة والأدب الفكر مواجهة لا تحدُّ حسبًا = ولا أنَّ أكثرها يأتي موقفًا توقُّعيًا دقيقًا: إذاً قبيل حركات النهوض والحياة، وإنما معها، وإنما في أعقابها = ولا أنَّ الأمر صار أخطر مما كان منذ سبعين سنة، ولا أنَّ هذه المعارك ليست في حقيقةً أدبية أو ثقافية أو فكرية، بل هي معارك سياسية، تنحدر
الثقافة و الأدب و الفكر سلاحاً ناصفاً لقوى متجمعة، أو لتؤدي هي في طريقها إلى التجمع - ولا أُفضِّلَ سلاحي في يد عدونا هو سلاح الكلمة - الذي يحمل رجلاً من أنفسنا، يعيش في كلّ ناحية، ويعملون في كلّ ميدان، وينفوذون شموهم بكلّ سبيل - ولا أُفضِّلَ بعض هؤلاء الرجال يأتون ما يأتون عن علم، وبعضهم قد أتخذ من غفائه، فهو ماض في طريقه على غير بيئة.

وقد أفتق أفئداً أن يكون أكثر ما طويت عليه هذه الفصول، كشفاً عن حقيقة الإنسان من أهل زماننا، مكنّه يأتي ما يأتي عن علم وعلى بيئة، وقد مهدت له الطريق قوّى من وراء ستار، ظلّت تحوطه وترعاه، حتى انتهى إلى أن تصنف فجأة، وأصبح قادرًا على أداء مهمته في هذه الحرب الدائرة، آمنًا من كلّ بيت، معاً على تحقيق أهداف عدونا في أوسع صفحنا انتشارًا وأعظمها أثرًا، وبين أعظم عوامل الأمة، وهي شباب هذه الأمة، فخُذًّوا به من جهد، وقد انْخَذَ شيخ المعرفة في بعض ما يكتب، وسيلةً لبث أفكار كثيرة تحت عجّاج من التعليم والتفقّه بالمنهج وغير المنهج، فأعادنا ما كتبه على الكشف عن حقيقة الصراع الدائر بين حضارتنا وحضارة عدونا، وأعادنا أيضًا على الكشف عن جهل هذه العرقية التي يكتب الآن بها، وقد كان لها كارهًا، وعلى حربا حريصا فيما سلف من أيامه. ثم أعادنا مرة أخرى على الكشف عن كلّ ما يبشر به من معرفة بالإنجليزية واليونانية، قاتب في البربر، فلم يقبل للتحسن الأدنى، في ترجمة الصفادس، لآرسوّفان، (1) وأنه يدّرس على الناس، على مذهب جماعة المتشين الذين حاولوه ورغواً من وراء ستار حتى بلغ ما بلغ، مستعينين على ذلك بعقولنا عن حقيقة الصراع في ميدان الثقافة و الأدب و الفكر.

وقد مّن هذه الفصول، قد تخلىّها كشف عن جماعة آخرين ممن اتخذوا الصباحة أو التأليف في زمننا، ستاراً لبث ما يريده عدونا في MIDAN الثقافة و الأدب و الفكر، ولكن كنت قد عقدت النتيجة على أن أتباع الشيء، بعد أن

(1) انظر الفصل رقم : 25 من هذه الفصول ص : 445 - 446.
أقوى من هذا الصدى، فأكشف الستار عن رجال كان لههم أثر في تحطيم قوّة الأمة العربية الإسلامية وتشبعها، ومنزلة كُل منهم في إحدى الفتيان: فئة من يأتي ما يأتي عن علم، وقفة من أخذ من عقله ومضى في الطريق على غير نبيذ، ولكن خلّل بي ما فتح هذه النتيجة، وأننا غير مريد لتشبعها. ولكن هكذا كان، والله أمر من قبل ومن بعد!

وعمّى أن يأذن الله فيما بقي من الغفلة، أن تأتي كتابة تلك الفصول التي فتحها الفقه ببي في كتابها، فإن الأمر لن يستقمنا، حتى يعيد دراسة الفتى جميعًا، والكشف عن حقيقة أرائهم: كيف كانت؟ ولم جاءت؟ ومن أثبت ذلك؟ وإن كان مكان التنبؤ، فإننا نتولى هذه الدراسة قليلاً، إذا جرى عن مواطن أقدامنا، ما يذكرن به في الناس من استمرار وثنا، أو ما نأتون في حياتهم من تغري وتعظيم، أو ما بلغوا فيها من منزلة القيادة الفكرية والثقافية، فإن أكثر ذلك كله تدليش دُلسته على جماهيرنا عفّالها حيّاً، وجعلها حيّاً آخر. وسأل الله أن لا تضع بين الغفلة والجهل، وأن نستدّد خطانا وخطيأ أمتنا إلى غاية مرموقة، يعين على بلوغها تراث من الثقافة والأدب والفكر، لو كان نعدوا يغْلبه، لاحمّنا إلى أحبب وسائل التدبير والتشهف، حتى يركّبنا أمة عاجزة جاهزة تخرّ على آثار قدمه خاضعة، تصف نفسها بأفادة كبيرة تدار على أسماع صغارنا وكبارنا بالليل والنهار، كالنخلف، والتعتسط، والرجعة.

اللهُمَّ أهدنا فيمن قدّيت، وتولّينا فيمن توليت، وقتنا شروت ما قضيت، إلّا تقدّم ولا تقدّم عليك، لذا تذل من وألّيت، ولا تزول من عاديت، شحنانك لشريكت لك.

محمود شريف

 مصر الجديدة

 شارع الشيخ حسن المصرى رقم 3

 17 من ذي القعدة سنة 1391

 4 يناير سنة 1972
أبطيل واسماء
هل صنّفت قول من إنسان في فضيله؟
أم كان راكٍ بأيدي وأعال؟
أما الفقول فالتسأل أدرك؟
والقول عرّس لا يصدق إلاmars
"ستيج" المرة
عَرَضُ اكِتِنَابٍ

السبت 12 صفر 1385
وَبَعْدَهُ فَقَدْ قَضَىَّ دُهْرًا أَحَمْلَ الْقُلَمَ وَأَكَبْبَ، لَكِنَّ طَلِيَّةَ أَكَرِهَ أَنْ أَنْشِرَ عَلَى
النَّاسِ شَيْئًا قَدْ قَبْرَهُ مِنْ قِبَلِ فِي صَحِيْحَةٍ أَوْ مَجْلِسٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ مَا كَتَبَهُ فِي مَجْلِسٍ
الرسَالَةِ مِنْذُ يَوْمِ الخَمِيسِ 2٢ رَجِبِ 1٣٨٤ هـ، وَجَدَتُ إِلَى غَايَةٍ شَدِيدًا عَلَى جَمِيع
مَا نُشِرَ وَإِخْرَاجِهِ فِي كَتَابٍ. وَكَانَتْ طَلِيَّةُ أَصْحَابُاهَا قَاهِرَةً لَا حَكيَّةٍ، وَخِفِّيَةٌ لَمَا
ُأَصْبَرَتْ عَلَيْهِ مِنْ أَلَذِيْ. وَعَضُنَّ أَنْ أَكَمْ أَحِطَّةَ الطِّيْقِ حِينَ أَقَدَّمَهُ مَا أَقَدَّمْتُهُ،
وَخِفَّتْ أَنْ أَكَمْ كَتَبْ عَلَيْهِ اِلْلَّهُ لِيَمَعَنِّي عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ، فَفَلَيْتُ كَبِيرًا فِي
النَّاسِ طَالِبِ الْعِلْمِ لَمْ يُذْرِكْ زِمَانِهِ مَا كَتَبْ، وَخَمْسَةُ عَلَيْهِ أَنْ يَتْبَغُّهُ وَيَنْثَبُهُ فِي
الصحَّفِ وَالْمَجَلَّاتِ. فَمَنْ أَجَلَ ذَلِكَ لَمْ أَجْدَ بَدْنًا مِنَ الْأَسْتِبِجَاءِ لأَصْحَابِنا، رَاضِيَةً
عَنْهُمْ، لَائِئَمَا لَفَنْسِي، مَعْتَدِراً عَلَّيْ فَرِضَتْ مِنْي، مُسْتَعَيْنَا بِحَوْلِ اللَّهِ وَقَوْلِهِ عَلَى تَحْقِيقِ
ظُنُّهُمْ فِيَّ، بَارَى إِلَيْهِ سَبَحَانَهُ مِنْ كُلِّ حُيْوٍ وَقَوْنٍ.
وَقَدْ بَدَأَ أَكَبْبُ هَذِهِ الْكِلَاَمَاتِ بِعَطْلَةٍ أَرْتِضَيْنَهَا لَفَنْسِي مِنْذِ سَنِينِ، لَأَنَّ
خَشَيْتُ أَنْ لا أَقُومَ بِحْكَ الْقُلَمَ عَلَيّ، وَبِحْكَ النَّاسِ عَلَيْهِ، فَفَجْرَتُ بِأَنْبَاءِ كَبْيَ أَرَاها
هَيْثَةً لَا حَيْثً أَحْيَا، فَاسْتَبَانَ لَيْنَا بِعَدَّ مِنْ مَنْذُ كَرْحُابِ أَصْحَابِي أَنَّ الْأَمْرَ أَهْوَلْ مَثَلًا
ظَنْتُ، فَمَنْ أَجَلَ ذَلِكَ فَأَقُولُ عَطْلَتُ، وَبَدَأَتُ حِريَّةٌ عَلَى أَنْ لا أَخْرُجُ حَكَ الْقُلَمَ
عَلَيّ، وَلا حَكَ النَّاسِ عَلَيْهِ.
وَنَعْمَ لَمْ أَكَمْ غَافِلًا عَنْ أَنْ أَحْجَرُ مِنْ حَوْلِي، وَلَكِنْ مُصَوَّرًا عَنْ نَمَاتِ بَعْض
الَّهَادِثَاتِ وَالْتَوَاثِبَ، وَعَنْ تَعْلِيْمَهَا بِأَسْبَابِهَا، وَعَنْ إِنْتَاءَهَا بِنَتَالِجَهَا، إِذْ كَنْتُ أَمُرْتُهَا
فَلُؤَا، وَهِوَ مَا ضَقَّى الْلَّهُ أَنْ أَكَمْهُ، يُشَرِّعُ إِلَى الْمَلِّ أَفْتَخَّرَ شَيْئًا كَبِيرًا أَعْلَمُ عَن
أَصْحَابِهِ مَا أَعْلَمُ، فَلا أَفْرَأُهُ وَلَا أَلْتِي إِلَيْهِ. فَمَنْ ذَلِكَ مَا كَانَ يَكْتَبِهِ
«أَجَاكِس عَوْضٌ»، الَّذِي كَانَ يُؤْقَفُ فِي بَعْضٍ، وَيَفْصِلُ، بِعَنْمَا غَيْرٌ، بَاسِمٌ «لُوِيس عَوْضٌ».
كان من مسائل الأفقيت أن كتب الله على يومًا ما: "أن أقرأ له شيءًا سماه بلوتونرد، وقصائد أخرى«، وكتب تحته "من شعر الخاصة"، وأهداه إلى كريستوفر سكيف، وذلك في عام 1947 من الميلاد. ولما كنت أعلم خبر سكيف هذا، وأنه كان أستاذًا في كلية الآداب بجامعة القاهرة، وأنه كان جاموًا محترفًا في وزارة الاستعمار البريطانية، وأنه أيضًا مبشرًا ثقافيًا شديدًا الصفاقة ستبي الأدب، وأنه كان ماكرًا خبيثًا خبيثًا الطبع، وأنه كان يفرق بين طيلة القسم الإنجليزى في الجامعة: "مalyzed إى إلى هذا، لأنه تابع له حافظ في هواء، وينفغصٍ يده من ذلك، لأنه يستمتع بعض ما يستمتع به المخلصون لديهم ووطنهم، خبيثة وأنفة، واستنكرها أن يصبع في عقله علا للسياحة البريطانية، وللقائحة التبشيرية المسيحية. وكمث أعلم فسوف ذلك، أن هرسلان "وعيض الدغوى" لا يستحق أن يكون أستاذًا في جامعة، ولكن سياحة بريطانيا كانت بومثى هي اللغة، وكانت كلمتيها بين النافذة، فأصبح ميزة "أجاكس عوض" مفضيًا عنها، بإدخال "بلوتونرد، وقصائد أخرى، إلى هذا الجاموس المحرف، والمستثقف الصفيق، والشرمان الذي صار أستاذًا في الجامعة، كريستوفر سكيف"!

لم يعنى ذلك من الإقلاع على قراءة الكتاب، فإذا أوط هذة العونان: "خُطِموا عمود الشعر"! وتحتيه مباشرة هذا الكلام: "لقد مات الشعر العربي، مات عام 1933، مات بموت أحمد شوقي، مات بمتة الأبد، مات!" فتوفقت دهشة، ولم يخامرني شك في أن كتب هذا داخل فيما يسميه الأطباء: "مانا هنو سياناتوريا", وهو الهنديان والهوسوسية واحتلال العقل. وقتئ: "حالة لُقيَ"! وميضت أقرأ هذه المقدمة مشتاقًا، لكن أشيئ عن نفسني، وكانت أياماً يوميًا جالية للغث. وصدقت ظتي، فضحتك، ولم أبال بما وجدت فيه من تغيير شديد للعرب، وعند جُلُد آخر على دينهم وكتابهم، ومن عروب جاف وسوء أدب. ولم أعلم بالرائحة الخبيثة التي تفوطن من تحت ألقافه، فقد كنت أُلقيُ أن أجد ذُوقها حين أنقى جماعات المبشرين في ثوابهم المختلفة (1)، حين يستخفون فيها وحين

(1) "الذَّكَرُ" حيث الراحنة وتنبها.
يستلعون، وقعت بما شأى عني الهُمٍّ من هذينه وَوُسوسته وَإِختلائه، وأَنْزلت أَقواَلْه وأَحِقَاده حيث نزل، إذ كان يوْمَيْن شيء مَغْمُورًا لَا يُؤْثِبُهُ لِهِ.

فَرَغَتِ من المقدمة، وَأَنْ تَأَدَّى تَحَفَّةٍ مِن النَّفْح، لِانْسَحَرْجَا الصَّحْبَة مِن قَضِيَّة التَّنْطِبِ والْعَلوِس، فَلَمْ تَأْفِكْهَا إِلَى مَا سَتَوَهُ ۙ مِن شَرِّ النَّفُسِ ۙ اِسْتَفَرَّتْ بَعْضَهَا لِللهُم يَعْجِبُ ۚ فُمِين رَيْشَتْ خَفْفُ ۙ أَجاَكِس عُرُوب. ۚ عَلَى قَلِبِي جَدًا، وَرَأَيْتَ ذُجَّبُوُّ تِضَانٍ، وَطُرُفَة عَيْبَة لَا تَطَهَّرُتُ كَنَا إِذَا ما اجْتَمَعَ شُفْلُ الإِخوَان، وَأَطْبَقَ عَلِيْهَا مَحَبَّة مِن الدُّكر، أوِ صَرَبت عَلَيْهَا أَشِدَّادَ مِن الطَّرْفِ، وَإِنْ تَخْرِجَنا الْكِتَابِ مِن مَعْيِحِه، فَقَضَيْتُ أُوقَاتًا في قَرَاءَتِهِ، وَإِذَا المَجْلِسُ قد انْتَلَبَ مسْرَحًا لَا مَكَانٍ فِيهِ لِلْهُمُومِ، وَالْأَهْزَانِ، لَا شَيْءٍ سُوّى الصَّحْبَة، وَمَا الصَّحْبَة مِنْهُ كَلِّهَا عَنْ الكِتَابِ مِن سُوءِ، وَصَارَ اسْمُ صَاحِبِهِ، بِمُجَرَّد ذِكْرُه، اسْتَمِعَ جَانِبًا لِلْتَفْرِشَة، كَمَا تَقُولَ العَالِمَةُ فِي مَصْرَ.

هَكَذَا كَانَ ذَٔلِكُ بَعْضُ أمَرٍّ إِنَّهُ كان عَجْبًا لِنَأَرْ ي اسْتُنِى في بَعْضِ الْمَجَالِط، وَالصَّحَبَة، فَرَيْمَا هُمْ مُحِيَّتُ أن أَقَا له الَّذِي، بَعْضُهُ لَأَسْرَى الْهُمُّ عَن نَفْسِي، فَأَضْحِكُهُ، وَلَا أَكَلُهُ إِلَّا الصَّحَبَة، حَيْنَ أَرْأَيْنَ أَفْتَقَعُ اسْحَابًا قَبْضًا مِن الْإِرَاذَةِ، وَالْجِدَّةِ، وَبِرْكَتُ أَحْيَانًا أُخْرَى مَزَكًا مِن الْيَبِّي وَالْعَالِمُ. وَانْطُوَتِ الْقِلَّوْنَ عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى إِذَا كَانَ يوْمُ الْجَمِيعَةِ العَالِمَةُ مِن جُمَالِ الآخِرَةِ سُنَّة‌ۙۙ (۱۶ سِبْتِمْرِ ۱۳۸٤ ۱ ۴٩۴)، أَخْتَذَتْ عَيْنَهُ تعْبَرًا مَفْرَازًا بَيْنِهِمْ رِسَاَلَةِ الْغَفْرَانِ، فِي الصَّحِيحَةِ الْأَدَبِّيَةِ لِجُرِيدَةِ الأَهْرَامِ، فَاوْمَضَنَّ عَيْنِي، وَدَوْمَتْ خَدْفَتِهَا فِي مَخْجُورِهَا، وَكَمَا دَوْمَتْ فِي الأرضِ فُلكْتَهُ مَغْزُولٌ، هَكَذَا وَدُوِّرَتْ مِن فُرُطَ الْعَجَبِ، وَغَلَّبَهَا الصَّحَبَة، لَوْلَا ضَرَائِرَ شَيْخِ الْمَعِيزَةِ، فَإِنَّها كَفْتَى، وَمَضَتْ أَقْرَأُهُ، فَإِذَا هُوَ قد جَزَى وَطَافَ بِئِنَّ أَطْلَالِ مَوْجَشَةِ خَلْفَهَا المَاضِيَّونَ مِن الْيَوْمَانِ، وَلَكِنَّهُ عَلَى غَيْرِ الْعَيْدِ بِهِ، كَانَ تَقْبَلُ جَدًا، وَبارَدًا جَدًا، وَحُدْنَانِي، وَإِنَا يوْمَيْنِ مِن أَحْجُمِ النَّاسِ إِلَى التَّرْفِهِ عَن نَفْسِى بِبَعْضِ الصَّحَبَة، وَجَائَتِ جَمِيعَ أُخْرَى، فَجَاوَانِي بَعْضُهَا وَالْغَيْثُانِ فِي صَوْرَةِ تَلْحِيظِ، لِلْهُمُورُ فِي أَوْدِمَةٍ، فَنَدْمَثُ، حَيْنَ خَانَ الْعَهْدِ فِي إِضْحَاكِي، وَعَزْمَتْ عَلَى أَسْمَحْتُ مِن حَسَنِي، فَمَا الَّذِي يَحْمَلُنَّ عَلَى هَذَا الْبَلَاءِ الْكَرِيِّ، وَقَلَتْ لِنَفْسِي، جَزَأُهُ عَادٌ مَجْبُلٌ لِلْغَمَّ، لَا حَاجَةٌ لَنَا فِي هٰٓا.
وأصبح الصباح وجاءت صحفية الأهرام في يوم الجمعة الثاني من رجب سنة 1384، فتبنيت أنا أقلاعها لخديعتي عيني، وقرأت هذا العدد: على هامش الغفران، شيء من التاريخ، وإلى جوارها ما نصه: مكتبتي بالخط النسبي، محفوراً على الزنكن، مطبوخاً على الورق! (وستقلنه مضموناً مما نُثر، بخته:)

ضحية جميرة الهجر نهاراً، ثم باخت تغمر بالطلاب

"سحق الزنكن": في وصف حلب

أغنية الصبيح يَحَفُّ شخيصى ونَحَنُ عيد من حلق الصبيحة?

"سحق الزنكن": في الحروب الصليبية

فمن فرّقى أبلغت أن المسكيين قد عاودته! "المانا هَلْوُ ميكتوري" وأط_md на
عليه، وخُف على قبلي جمّة أخرى تغدَّق القلق، وأعاودت ذكرى "بودولندا،
وقصائد أخرى":، انغذر صردى بالضحك وأنا وحدى، وأُلفتة الصحيفة،
وتركنت نفسى على سجيتها غير محتجش، وإذا: "أَمْ فَهْرُ" على رأسى، نظرت إلى
منعمجية، وندعو لِلسلامة، وتعودُي بَرَب الفلَق، من شر ما خلق، وبرَبِ الناس،
ملك الناس، إله الناس، من شر الوسواس الخناس، فكُفُّت ما استشيرى من
ضحكى على عجل، مخافة أن ننظر إلى غير العين التي أبلغت أن تتأمل بها.

ولكِن كنت امرأة تهُنئه للكلام المكتوب شغراً، فتناولت الصحيفة،
وبدأَت أقرأ صرداً بعد صرداً، وكاذ البضحك يَبِشِرح عن يَلْقى، وتبادى بين فكاه،
حتى فوجئت بشيء أملست عليه ضحكي، وكتبتها في بلغومنى، شئى سمحت جمل
دببة من تحت الألفاظ، فجعلت أتشممعه، فإذا هو:

«كيفيش أَقْطَعُ أَجَمَعْتَ لغَضٌفً؟
فوَهَنْ تَخَكَّ بُغْضَبِها يَبغضٌ»

وإذا أسود سالِح، (وهو أقول ما يكون من الحيات) يَحْشى بين الألفاظ،
فمشح نجمة حبِيج، ولأنيا حجوص، فما زالت أنحدر مع الأسطر والصوت يعلو،
يخلطه فحصى، ثم صباح، ثم صفر، ثم نباه، (وكلها من أصوات الأفاعى)،
فألقت الصحفية مقتنا لهذا الصوت البغيض، الذي انتهى فجأة تدريجياً، وعُطْت بيد
تشاعته خالقَوْه ضُحكُك! (عَطَّ تَخلقَه، خِلقه وعَضَرَه عَصَرًا شَديداً). فورَجَ الله
على ما لقيته من الكرب بصلاة الجمعة، وعَطَّ كُل شخِص في بُحر السماو.

فلما جاء أصحابنا مع العشيق، ودرج با الحديث مُذَرَّجة في فنون من الشعر،
عرض ذكر ما نشرته صحيفة الأهرام، فذكرت ما كان مني في صباح اليوم.
وكيف كان، وكيف يصير إلى أن لم أهد أحدًا من إخوتي وفقي على هذا
العذاب الشعبي الذي أحدثته هذا النشران المتقف في شعر شيخ المعزة، ولكن
انطلقت أضحك قلبي، وحاول أن لا أخطئ مجلس الشعر من الفرقة، وقُمت
أبحث عن "بلوتوشن، وقصائد أخرى". فلمَّا لم أجدته ولم أجد عند أحد خلاً
لهذا اللغز المضحك الذي أدخلته "العاكب هو سين سوريا" على شعر الشيخ، ضاق
صدرني، وعُدت لأقرأ مقالة في الأهرام لمثقا وحقيقًا، وبدأت أضحك لعمت جاى
فهي من الهذيان، وهو ليس وسوع الأدب، وعندئذ أقبل على إخوتي يدخلوني على
الكتابة، فقلت لهم، "أنا لا أرى عاقلاً يؤخد من قول وربًّه عليه! إنه شرطنا
يضحكني، لا مفكر يحزنني"، وكرهت أن أشرَّن الصوام عن الكتابة ثلاثة عشر
عامًا، ثم أجعل قطري على بصلة حبب الرأيتة!! وأصررت على موالاة الصوام،
وتطوع الأخ الأستاذ عبد الهوى أن يولي هو كتابة بعض ما وقفت عليه من غزره
(أي، مساوئه ومعانيه)، فجعل مشكورًا موقفًا.

وكاذا الأمر يقف عند هذا الحد، ولكنني سمعت يومًا أشياء حملتني على
تقصي أخبار هذا الذي كان عيني "مُرفْقًا للكوروب، مابيا للهموم"، فاجئني ما
أذهلاني! وعلمت أنه قد انتهى إلى أن يكون "مستقبلًا ثقافياً" لمؤسسة الأهرام.
وأنا قد صار له شأن وسلطان، وأنه قد استوى على كرسين الأستاذية في أوسط
الصحافة، وأن له أشياء استَتَرَّه من كتاب وشعراء، كان بعضهم قليل المعمرة،
иكان بعضهم حائر الطريق، وكان بعضهم مستَرَّه في نساته إلى "ثقافة
قديمة"، أو "رجعية متخلفة"! فدخلت عليهم "العاكب هو سين سوريا" في أيّها
لفظ "الدكتوراه"، وفي "حيلاء الثقافة الحديثة"، وقاموا متصببة القوارم، محتصفة
الجيد، سامحة الهالة، تُرْكُ زجاجتها من الغربة، (أي تحرّكها) فتمضيَّ أفلاظها
من فنّانة اليونان ثم تتلمّضت، ولتُولُّك كلمات من كنّاسة الثقافة الحديثة ثم تتمتدّ
(أي: تُلقّب السّمان بأعلى الفم وتحرّكها، فيفسّم له صوت)، وذلك عند استطاعة
طعام لذيذ! :). فتُفّن بها هؤلاء الأخبار، وتبعث، وقد زاغت نفوذهم،
بُذِّلال كُليّساناته الجامعّة، (والِّذّلال): ما دنا من الأرض من أئمتهم الهميم
أو الطِّلْسان). فمضّي بهم يبسطْنُ، وهو يجهّزهم في أذاليه، حتى يدخل بهم خروج
المحاكاة، فأقام (مُناطقك) شرقي والشعر والأدب والكتابة، ولكن أكثر الشباب لم يذر
أنّه (مُناطقك)، لما ألقوا من توقيع الكلمة المكتوبة في الصحفة، أو في صحيفة
الآثار على الأقلّ!

ووبمثذ أهْبِئته أن الأمر لم يأت أثantages ولا مصادفة، فالحقّة التي كنت آشتها
من هُضوم القسم زميزم، ومن أشمال التأليف سلامة موسى، هي الرائحة التي
وجدتها في (بولندا)، وقصائد أخرى، ثم في (على هامش الغنائم)، وإنما
أكلتها عليها حبي الصّدّيق، واجتتى إلى تسريره الدّيم عن قبلي في سنوات من
عشرى. وأعدت النظر، فانكشف لي من وراء هذا الهذيان والاختلاط، تدبيَّز
خيوطه في يد الجاموس المحترف (كريستوفر سكيف)، وفي يد أشباح له يقومون
اليوم في بعض المعاهد والأدِّر، وفي أين بعددٍ مُنتَقى من وراء (الثور) الغريبة
المنشورة على حدية مسّر، حيث الحِلْوِة المذهوبة بين أشجار الدردار عند
الشَّلال بكايمورج،. فعند ذكرّ عاذ الأمر جدًا لا يُهزل فيه، وعرفت على أن أمثال اللّأم
عن هذه النّسُمَة التي تنطلق في كُليّسانات جامعيَّة كان، وتنطق قبّة مستشار
ثقافي في مؤسسة الأهرام، (الْقَبَاء: كمساء كالعناء من نفس الّئام، ونثاب: 
دخل فيه وليسه)، فإذا ما فعّلت ذلك فقد جردّتها، ولم يبقّ سوى النّسُمَة ظاهرة
علاقًا، وبسين الخيوط المماثلة التي كانت تحرّكها.

أما الدّيمَة، وهي (أناجك عوض)، فليس لها في ذاتها قيمة تذّكر، وما دمَّية
يحرّكها مُحرّك؟ والدّيمَة كاسَمها دُمَّي ثم لا تزيد! وانْشأن كلّ الشَّأن لحن في يده
خيوطها التي تحرّكها. ولم تَغنى الأسماء، أسماء المدنين، وإنما عناني الذي
يبقى حين تَزَوَّرُ الشعراء، وذلك هو "هيئة التبشير" و"دوائر الاستعمار". من أجل ذلك كان أكبر همّ أن أكشف عن هذه الجوانب الخفية غطاء سراديبها التي فيها نشأت، وأًفصّ عنها غشاءًا تبترق فيه حتى تستمكن من فرائسها.

وإذا كان الأغريقي القديم، وعلى رأسهم "أخيل" صاحب حرب "طودة".

قد أخذوا الهوتة الإغريقي "أجاكاس بن تلاموًن"، وكل كره المنظر مما يهولك ويزعجك فهو "هولا**"، أتخذوه ثورًا يدير لهم رحى الحرب، أو ساقية الوعي، فإن الجاشون البريطاني المحترف "كرستوفر سكيف"، وأصحاب الخلوة المشهودة تحت أشجار الدردار عند الشلال بكمبادنج، وطواجيت برنستون، وما أدرك ما برنستون، والخيّات المفتوحة في السراديب المظلمة وراء أديرة "التبشير"، وذاتين الخلاء التي تجوهر بين مخارج الجبال لتختنق بفلكها على ديار العرب والمسلمين.

كل هؤلاء قد تطوعوا، بغفلتهم وسوء اختيارهم، فأخذهمون "أجاكاس عوص"، على تفاهته وختالة سمايديه، لكي يُدير لي رحى الأحاديث، فاستنبط لأهلٍ وعشيرتي وأبناء أبي وأمّي، أباطيل وأسمرًا فيها بيان لما خفي عليهم من مكر غدو شديد الحر، يسكن وهو يرتضى بهم الدوائر، حتى يزيل عن الأرض سلطانهم المرتقب المخفى، وتصر على "طودة الحديدة" ويدرها ناصيًا، وينال بخليال قلب "الملك مياداس"، الذي استنكر كلمة "الغريب"، من فم كل "أجاكاس" صمّى أثنيًا، شديد الضغط والخفيطة على الإسلام وأباه.

فالأقباط الذين لم يحسوا اختيار الدُمّي من الناس الشكر، وللمشي التي ذكرتها في كلماتي، ولما ذكروا في هذه الكلمات "أجاكاس عوص"، فضل يذكر ولا يذكر، فإنها من "الأباطيل والأسمر" شهي، فإن ذلك متعلق في أعناق من التخذونهم دمي تتحركة بلا عقل ولا إرادة، ولا يستحق الرثاء، من تعرض للبلاء، والسعي من وعظٍ ينوه. ورحم الله شيخ العزة كأنه كان تَزَى يومنا هذا حيث يقول ليبي:

"يا آلل يغَعَب، ما تؤذّنكم تَزَى بين وزي زيد، ولكن وَزَى أَكَباد"

[ ورى الأكبات: الفيح الذي يفره من الحقد والضغينة ]
إن كان لم يدّ للاعتقاد ببركم فإنَّهُ ليَ فِي أَكْثَانِي نَبَيَّ
فقد أَكْتَبْتُ بأَنْ يَكُونِّكُمْ كَيْبَتْ عَلَى تْقَادِمِ أَزْمَانِ وَايِنَاد
وُزْرَاتِي أَنْ أَحْيَآ أَنْكُمْ رَسُحْكُمْ فِي الْعَلَمِ ، لِيَشْكُوا عَلَى حَالِ بَعْدَاء
وصدِق الشَّيْخ رَحْمَة الله مِن كُلِّ وِجْدٍ . وَقَدْ قَضَسَتِ القِصَة ، فَلا يَحَسِّنُ أَحَدٌ
أَنَّ تَرَدا ذَكَرُهُ « أجَاكِس عوْض » صبيّ المبشرين ، مِقْصُووْدٌ لِذَاتِهِ ، إِنَّهُ هٰوِيِّ رَمَزٌ ،
كَرِمْزَ الْيُوْنِانِ وَالرُّومِ وَمَا تَوَالَّدَ عَنْهُمَا !! رَمَزٌ هذَا الدَّمْيُ الَّذِي اتْخَذَهَا « الْبَشِيرْهِ»
وَالْاستِعْمَارُ قَدْ يَكُنْ وَجْدًا ، كَيْلَدْيِهِ مَا يَرَادُ مِنْهَا . إِذَا نِ ادَّ فِي هَذِهِ الدِّينَةِ
أَقْصِدُ ، فَهُوَ مِنَ الْهُوَانِ عَلَى الْمَنِزَلةِ الَّتِي عَلِمَتُ ، بَلْ قَضِيَّةُ إِلَى مِنْ يَحْرُكُهُ هُوَ
وَأَشْباَقُهُ وَأَعْوَاهُ وَشَيْعَتِهِ الْيَوْمِ ، وَمِنْ كَانِ بَلْ أَمْسِ يَحْرُكُ طَائْفَةٌ أَخْرَى مِنَ الدِّينِ
هُلْكُتُ ، بَعْدَ أَنْ أَحْدِثْتُ فِي حَيَاةِ أَنْثَا بَعْدَةَ الْعَوْى .
ولكن لولا » أَجَاكِس عوْض » ، فَكَانَ الْجَدُّ الْمَحْضُ أَغْلَبُ عَلَى مَا أَكْتَبَ ،
وَالْجَدُ إِذَا طَال فِرْقَةَ نَقْلٍ ، فَكَانَ مِنْ رَحْمَةِ الله بِنَا وَبَلْ نَاسُ أَنْ سَحَرَ لَنَا » أَجَاكِس
عوْض » ، حَتِّى يُحْدِثْ لَنَا وَجْدَ اسْمِهِ وَنَكُرِّهِهِ طَرْقَ عَنْ الْإِسْتِسْعَأَةِ وَ» الْفَرْقَةَ 
يَتَخْلِلُ مَا ثَعَانِي مِنْ جَدِّ الْحَيَاةِ ، وَمَا يَنْبُعُ أَنْ نَحْمُلَ مِنْ أَلْتَقَالِهَا .
" "
وَهَذَا أَوَّلُ كَشْفِ المَثْمَارِ عَنِ » سَبْرُ أَجَاكِس عوْض » ، إِذَا أَكْتَبَ مَا فِيهِ مِنَ الْجَدِّ
وَأَنْتَلُقُ كَسَاتِ عِنْدِهِ ، فَأَقُلْت وَاجْدُ مَا يَرْجِعُ عَنْ نَفْسِك مَسَاءَةٌ أَوْ بَعْضِ السَّاعَةِ . وَلا تَكْنِ
مُثْقَّفًا » يَعْبِدُ عَلَى أَنْ يَلْمِسُ كَيْبَتٌ ؛ اعْتِرَاضٌ ! فَهَذَا اعْتِرَاضٌ عَلَى ، اعْتِرَاضٌ
مُثْقَّفًا » مِنْ جَنْسِ » أَجَاكِس عوْض » ، الْشَّقاَقُ عَنْدَهُ أَلْفَاظٌ يُبْسَغُهُ وَيُبْلِكُهُ فِي
سَاحَةِ الْمَشْرُوقِ » فَإِنَّهُ لِكُنَّا حَلَتْ خَلَّلَ بَعْدَهُ ، لَوْ أَنَّ غَرَّضَهُ لَآَذَىً لَمْ يَلْقَ أَنْهُ كَلِهِ
ولكن المَقَاذِرَ وَضَعُطِهُ بِحِبَّ يُخْلَى مَا يَقُولُهُ مَحْمُولُ الْجَدِّ ، فَهَذَّهُ كَيْفَ أَسْتَطِيعُ
أَلْتَقَالُ ما لا مَيْوَ مِنْهُ ، مِنَ الْهُوَالِ النَّاِشِبِ فِي خَلْقِ الْجَدِّ ؟
ليْسَ حُسَيْنًا

الرسالة
الجميس 22 رجب 1384
ليس حسبًا أن يرحل كاتب قلمه! ولكن هكذا قدّر الله عليه أن أفعل، فخليته عن أنامله، لكي أُفرِج للقراءة والتذكير، حتى تصرّم على ذلك أكثر من ثلاث عشرة سنة، فلم يُعِدُّ إلى أحلامه، ثقل مخمله، وقد ضَرَّب مبته، ورَسَفَ في قيود الإهمال خُطوة، وإذا هُوَّا سحيقة القرار قد انحسفت بيني وبينه، كهُوَّا بين حبيبين تمازقًا بينهما جفافًا مُستَخْلَصٌ من ملاله. ولكني على ذلك كله اليوم مُزَغَّم: مُزَغَّم على حمله، ومُزَغَّم على استحياء ما كان بني وبينه من حُبّ متضرر، ومُزَغَّم على أن يكون اعتداؤًا عليه صادقًا، مهما تكَّبدت في سبيل ذلك من مشقة وعَنْتَى. ويشاء الله الذي قدّر وقضى أن يكون الرجل الذي جعله كلمة مُخْجِّب على من لَأَملني، يوم زُعمت على تعطيل هذا القلم، هو نفسه الرجل الذي أحمل القلم من أجله، وخُبر ذلك أنى كنت أقول يومًا لمعن يلومي: 

إذا كان عَلَّم الناس ليس يتفاقع ولا ذائف، فالخُشر للعلماء
قصة الله فينا بالذي هو كائِن فقَّم، وضاعت حكاية الحكماء!
يقوله شيخ المعزة، أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سبيلمان المعززي، رحمة الله عليه.

***

فمنذ أسابيع نشرت صحيفة الأهرام مقالة ضارية تبَشر بجديد في رسالة شيخ المعزة، المعروفة برسالة الغفران، كاتب هذه المقالة هو الدكتور لويسي عوض، فإذا به يحملني إلى ماض سحيق البعد مكْفَوف بالظلامات، فهو يريد أن يجلُوه ليعلَى مشيرًا مُشرفًا في الإشراق. ثم تتابع ذلك من فعله، حتى انتهى منذ أسبوعين أو ثلاثة، إلى الكلام في صيغة رسالة الغفران، وإن كان هو قد أثر أن ينسى فعله هذا: «على هامش الغفران: شيء من التاريخ»، فقال بعد مقدمة قصيرة:
ولعل أصل منهج في الانتقال إلى المعنى، والحديث عن رسالة الغفران، هو أن نبدأ بعرض الخلفية التاريخية لهذا العمل العظيم، فتوضح طبيعة العصر الذي كان يعيش فيه المعنى، فتوضح بذلك أهم مشاركاه، وأهم معتقداته، ومحاور الصراع المادي والفكري فيه، عنى أن يبقى كل ذلك ضرورياً على مرأى المعنى وعالياته من رسالة الغفران، وعسي أن نجد بعض المفاهيم التي تساعدنا على معرفة موقف هذا الرجل العظيم، كما تجلت في أديب، من أفكار عصره، ومن أحداثه، ومن رجالاته، ومن أحواله بوجه عام.

فهذا كلام حسن جدًا، ليس فيه ما يعترض، وليس بمثابة صدوره عن الدكتور لويس عوض، لأنه كان أولاً، طالبًا قديمًا لآداب اللغة الإنجليزية، درسها حتى نال، فيما أظن، إجازة اليسانس، ثم الماجستير، ثم الدكتوراه، ومعنى ذلك أنه بلا شك يحسن أن يقوم الدراسة على المنهج، وأنه ثانوي، لا بد، كان، فيما أظن أيضًا، مبتدأ بالجامعة، ثم مدرستا، ثم أستاذًا يشترك منافذة رسائل الماجستير والدكتوراه، والإشراف على أصحابها قبل ذلك. ولأن ثانويًا، خرج على الناس كاتبًا، فمارس الكتابة زمنًا، فهو خليط أن يعالج دراسة رسالة الغفران على منهج محكم الأصول، وأسلوب يرضى عنه أستاذ الجامعة، ولا يجهد على قارئ الصحيفة، ممن لم يُقدر له أن يتحلى دراسة الآداب على المنهج.

هكذا كانطلق، وإن كان ما أعبره عن قراءة كتب الدكتور لويس عوض ومقالاته وغيرها، قد يحملنى على الشك في قدرته على تحقيق هذا الظل، فما كنت أقول من مقالته التي افتتحها بذكر منهجه هذا، ثم مقالته الذي يطلبه بعنوان:

"كلمة عن ابن القران" (الأهرام: يوم الجمعة 9 رجب سنة 1382 / 13 نوفمبر سنة 1961) حتى عجبت وتخطفت، وإذا كانت كلمة "المنهج" لم تزل محفوفة بكل هذا القدر العجيب من العموض والظلمة في عيني الدكتور لويس عوض أستاذ الآداب الإنجليزية، وهو من هو، فهنا بلا ريب في أعين سائر الناس أشده حموضاه وإبهامًا! وعندئذ عجبت. ثم إن الدكتور لويس عوض أستاذ قديم يُقنن به في دراسة الآداب، فيما أرجح، فمنها تخطفت على مصير دراسة الآداب مع كثرة
ما يُعَتْبَرَ بهذه الدراسة من المخاوف، من جرأة ما استنكره أُمَّهُ من أبحاث تنشر في الصحف والمجلات، والكتب أيضًا.

وعادتِ إِبَّ عُدُودٍ إلى ماضٍ بعيدٍ، إذ كنت طالبة في كلية الآداب بجامعة القاهرة، منذ نحو من تسعة وثلاثين سنة، يوم وقع الصراع بيني وبين أستاذنا الكبير الدكتور طه حسين، على مفهوم كلمة «المنهج»، وعلى الأدوات التي يمارس بها هذا «المنهج».

ثم ظل هذا الصراع قائماً على أشدُّه في نفسِي منذ خَرَقتُ الجامعَة حتى أخرجت كتابي عن «المنهج»، في يناير سنة 1936، ثم أخرج أستاذنا بعد ذلك بعامٍ أو أكثر، كتابه «مع المنهج»، فكتبت يومنيُّ مقالات طوالًا، مع الأسف، في نقد كتاب الدكتور طه حسين، زادت معالجة نقده بقيّة على يقين، في أن الغموض إذا أحاط بلغة «المنهج»، أدى إلى خلط كبير في فهم الآداب، وفي تفسيرها وفي شرحها، ثم في تصوير أحداث العصر وأفكاره وجماله وأحواله، بوجه عام، كما يقول الدكتور لويس عوض، واليوم، وبعد هذا الدهر المطابق، أجدُ هذا اللغة قد أزداد إيهامًا وغموضًا، وزداد تطبيقُ ما يقتضيه تخليفًا على يد الدكتور لويس عوض.

فَمَن أَجْلَ ذلِك، أَجَدْنِي مَضْطَرًا لِالتَّعْمَيْنَة وتَحَمُّلُ الْقَارِئِ المَتَجَّهِ، لأَنْ أَنْتَ أَجَدْنِي مُضْطَرًا لِلتأمِس معذرة القارئ المتجه، لأنّي إنما أخطب بهذه الكلمة أُسْتَادًا جامعيًا، أو هذا هو المفروض، وإن كان ما كتبه لا يحيل طابع الأستاذية، بل طابع المقالة الصحفية، إذا كان من المفروض أيضًا أن المقالة الصحفية لا تزال إلى اليوم قائمةً على الاستماع المبهمة عند بعض الناس، وскّنت أنّهم أن هذا أصلب قد اقتضى عهدوه وباد أهلّه، أو كان هذا هو المفروض عندى أنا على الأقل.

ولغة «المنهج» يحتاج مني هذا إلى بعض الإبانة، وإن كنت لا أريد به الآن ما أصطلح عليه المتكلمون في مثل هذا الشأن، بل أريد به «ما قبل المنهج»، أي الأساس الذي لا يقوم المنهج إلا عليه. فهذا الذي سُمِّيت بها «منهج» يتضمّن إلى سَعْرين: شُرُط في تناول المادة، وشُرُط في معالجة التطبيق. ويسعى أن أكتب هذا في مخاطبة أستاذٍ جامعيًّ.
فَشَطَّرُ المادة ينطلق ب، قبل كل شيء، جمعها من مطالبه على وجه الاستيعاب المتبخر، ثم تصنيف هذا المجموع، ثم ملخص مفرداته تمحيضاً دقيقاً، وذلك
بتحليل أجزائها بدقه منتهية، وبمهارة وحذر، حتى يسير للدروس أن برى ما هو
لا يندفع جلالي واضحاً، وما هو صحيح مستندًا ظاهرًا، بلا غفلة، ولا هوى، ولا
تسرع. أما شتر التطبيق فبتفصيل إعادة تركيب المادة بعد تقي رغمها وتمكح
جيداً، باستيعاب أيضًا لكل احتمال للخطأ أو الهوى أو التسرع، ثم على النارس
أن يتحرى لكل حقيقة من الحقائق وضعها هو حق وضعها، لأن أحقى إساءة في
وضع إحدى الحقائق في غير وضعها، خليق أن يشدو عقوبة الصورة تشويهًا بالغ
الفيض والشاعة.

وهذا شيء واضح، فيما أظهر، ما كان أغناة عن ترداده على مساعم أستاذ
جامعة، ولكن يبقى شيء هو مفروض ابتداء، لا يفصل شيء مما قالته إلا، يقول
أن الناس قد يخدعون عنه أو يتجاهلون لهؤلؤ عن عليه النفس، ألا وهو النارس
الذي يقال له: "المهنج" بشطره. فالدارس ينبغي أن يكون قد رأى الأسباب التي
تجعله أهلًا لمعاناة "المهنج". وهذا شيء يحسن ضرب المثل عليه لوضوحه.

إذا اتخاذنا شيخ المعرة مثلاً موضحاً، فدارس ينبغي أن يكون مطابقًا لقراءة
نصوصه جميعًا من نثر وشعر، ولا م aşağıdنا إلفا ل ئالابن عامر : "نثر"
أو "شعر"، بل من حيث تضمنهما انطلاقًا دالًا على المعيائ، وانطلاقًا قد اختزن
على مر الأزهار في استعمالها وتطورها قدرًا كبيرًا من تنبيب اللغة ونمائها الدوائي
والفكري والعقلى، إلى كثير من النسلات التي يعرفها الدارسون، ثم من حيث هي
انطلاقًا قد حملت مبناة مميزة من ضمير قائلها بالضرورة المازمة، لأنه إن كان
عن تحقيق في هذه اللغة بما يسمى "شعرًا" أو بما يسمى "نثرًا"، ووضوح جدًا بعد
ذلك، لمن يحسن أن يتأمل بعض التأمل، أن هذا كله يقتضى أن يكون الدارس قد
رحل رحلة طويلة في أدب اللغة السابقة لعهد شيخ المعرة، فدارس فيها الماضيين من
شعراء هذه اللغة وكتابها، فدارس فيها مدارسًا متعلقة جادةً غير هائلة، مصدوبةً بالذكاء والتنبه،
ومصدوبةً بحسن التميز والتدبير، ليكون في مأمن من اختلاط شيء منها بشيء
ما مخالف له أو منافض. وذلك لأن ثاث كلّ لغة من اللغات، وإن كان وحدة لا تكاد تتجزأ، إلا أن اختلاف الأوزمة والأمكنة يمنح كلّ نطق وشمّا باتنا من سواه، ويُفضّل عليه لوّا مُنفردة من غيره، فهذا أمر كما ترى شديد الدراس لمن لعمال فاضله، فلا يهم عليه باد أداة، ولا رويّة، ولا استعداد، ولا فهم، إلا كلّ من ظنّ في نفسه الطموح، إنّا جهالة وأنا رغونة.

وليت الأمر في دراسة الآداب يقف بنا عند هذا الحدّ! فإنه لا لأصول من ذلك في كلّ زمن ومكان، وفي كلّ لغة ذات بيان، إنه لأمر مزروع منه، أمر ارتباط الآداب بتاريخ الأمة وعاداتها وأحكامها ودياناتها، وما شئت من شيء تُنْدُع به الأمة ذات كيان قائم تمثيلي، فندرس الآداب إذا لم يكن معطينا بذلك كله، بصيرته، حين النصيري في جملته ودققيته، جنّد الفهم لغوضضته ومهمتاه، فهو خير أن يشوه الصورة عند تركيبها تشوبيها في الشناعة ما يجعلّ دراسته ممّة بمن يدرسه، كما يمّل المجرب المحترق بجثة عدوه، وقد أطّرته له حادُة العداء والحنف، وإنّما دراسة هذه المادة كلاها، تعّدّ دراسة أدبية محضة، فلا يستطيع دارس أن يقول للناس: إنها ليست من صميم اختصاصي! فإذا قالها، فذلك إذان بهنّ بأنه فقد التميز، وجهل أساس كل منهج، واستحقّ أن يطرح الناس ما يقوله، إذا هو لم يجد عند نفسه القدرة على أن يستجي فيستمّ ما يكتب، ويعجّبه في الباب عن أعين الناس.

وظني أن هذا الذي قلّبه عن "المنهج" كاف في تمّكّل النّية التي يتحتمّها دارس الآداب، وفي إدراك النّعة التي يحملها القارئ، حين يعبر عليه دارس ما درس. فأمر من أيّ نواحي أخذته إذن جدّ لا هزّ فيها! وما دام الدكتور لويس عوض قد تختر لنا "أسلم منهج" في دراسة رسالة الغربان، فقد رأيت به حسنًا أن أبدأ بالنظر في منهجه، لا من حيث أراد هو أن يبدأ، بل من حيث انتهى به الحديث في مقاله: "كلمته عن ابن القارئ" لأنّ وجدت الدكتور لويس عوض، قد أخفى عنا "مادة الدراسة"، وهو شيخ المعزة نفسه، على اعتداد خمس مقالات طوال، فلم يذكرها إلا في ختام الخامسة منهن. و "شيخ المعزة" هو مادة الدراسة، لأنه
صاحب "رسالة الغفران" ولأنها أثر من آثاره. ولا أستطيع أن أكتم إعجابي بقدره على كبحه دخان نفسه خمسة أسابيع من أسباب الكتابة، مخطئًا مادة دراسته، فلا يكد يعرفها لأني نقلتها إلا في كتاب خاصتي، ولن أكتب إليها بلمحة خاطفة، توجه بأن هذه المادة المعلقة قد فرع من تمحيضها على يده، أو على يده غيره، حتى صارت إحدى المسلمات التي لا تملك البذاء إلا الإذعان لها، كما يقول القائل: "رجل وجال " رجلان "، بل فريق بينهما! فانظر إذن كيف ساقها، ولم أسفب من كلامه شيئًا غير طرح التاريخ الميلادي المعوق.

هذا هو الجزء السياسي المعقد الذي عاش فيه المعزز حتى اعتكف في معركة العثمان حول (402 هـ) ومنذ أن اعتكف فيها حتى مات عام (449 هـ). فحلب، وهي على بعد أميات قليلة من المعزز، بيتادلها أولًا الحمدانيون تظاهراً عسكري الروم والفاتحون. ثم بيتادلها ثانياً البدرسون تظاهراً عسكري الروم والفاتحون، ولم تكن أنطاكية أحسن حالًا، فقد ظلت مثبعة وعشرة سنة كاملة في يد الروم، من سنة 353 إلى 374 هـ، ولد وهي لهما، ومات وهي لهما، وتغلب بها وهو جيب، وهي لهم، فقد كان يختلف إلى مكتبة مع أسامة بن مندق، فيما روت كتب القدماء، وكانت فيها يومد حضارة زاهرة، حسب ما روى باقرت الحموي.

وقد كان حكم اللاذقية حكم أنطاكية، كانت في يد الروم زمن المعزز، وقد تعلم المعزز في اللاذقية، كما تعلم أنطاكية. ففيما روى الفقير والدهم أنه نزل بديع فيها: "ولقي بهذا الدير راهباً قد درس الفلسفة وعلوم الأوذى"، بلغه طه حسين، أو باختصار: أخذ عنه اليونانيون، فما علمهم الأوذى التي كانت تقرأ في الأديرة تحت حكم الروم، إلا أن أدب اليونان وفلسفتهم في لغتها الأصلية. والحق أنه لا يُعرف شيء عن تعلمه الرسوم حتى سن العشرين، وهي سن التكوين، إلا أنه تعلم في حلب، ثم في أنطاكية، ثم في اللاذقية، ثم في طرابلس، وجميع هذا الغموض الذي أحاط بتكوينه العقل حتى سن العشرين، حيث يقول أيضًا بحبيته كُلها، فيما بين العشرين والخمسة والثلاثين، حين نجده يقيم في المعزز خمس عشرة سنة بين (438 هـ و 498 هـ)، وبها عاش تحت الحمدانية والفاطمية والمرداسية والروم.
نذلت كل هذا مضطرًا، على ما فيه من الركاكة والسق، ولكنها لا يحولان دون إدراك حقائق ظاهرة، هي أن الأخبار المذكورة كلهها حقائق مفترض عن دراستها! وظاهر أن الدكتور لويس عوض لم يقطع على شيء فقط مما كتب عن المعزي، إلا على كتاب الدكتور قاسم ووده، لا في العربية ولا في غيرها من الألسنة التي يقول عن نفسه إنه درسها. وسادع خلطًا كبيرًا معقدًا كتعقيد الجو السياسي، الذي أعاع فيه شيخ المعزي، لأكتشف عن هذه الحقائق التي أراد أن يجعلها من البدائيات المسلمة، فهو يزعم أن المعزي تعلم بأنطاكية وهو صبي، وأنه كان يكتب إلى مكتبته مع أسامة بن منقذ، وهذه هي القصة كما ذكرها الدكتور في كتابه: ذكرى بني العلاء، في شأن رحلة إلى أنطاكية، قال:

«نعم إن التاريخ لا يوقن لنا هذه الرحلة، ولكن رواية توفر عن أسامة بن منقذ، فيهما أنه أنهى بأنطاكية صبياً يجده أزهب النص، يردُّد على مكتبتهم، ففتحته، فهيئة وعظة واستفزازه، ثم سأل عنه قبل: هو أبو العلاء أبنته بن عبد الله بن سليمان المعزي، ولا شك في أن هذه الرواية، إذا أن تكون منطوبة، فإنه أن يكون اسم أسامة قد وقع فيها خطأ موقع اسم أحد أبناءه من أبناء منقذ، فإن أسامة ولد سنة 488، أي بعد موت أبو العلاء بنحو أربعين سنة.»

وهذه ياليلة من البلايا! فأستغاث جامعين، ينقل من كتاب يعرف هو بلسانه أن صاحب كان هو منفخاه الأول، ويا للعجب، إلى أدب المعزي في حداثته، وفي شبابه، وفي كهفته (أى هو مشغول بالمعزي طويل حياته!!!)، ثم لا يقرأ إلا أسطراً، ثم يقرأ فلا يرى ما قاله صاحب الكتاب في تقد هذا الخبر! أي بلائة أكبر من هذه البلاية على صاحب المنهج؟ وليته أقصر على هذه البلاية، بل زادها بلية أخرى، فقص الخبر كما ذكره الدكتور، يطول: إن أسامة بن منقذ لقي صبياً مجنذ، يردُّد على مكتبة أنطاكية، فأمر هو فيزعم أنه كان يختلف إلى مكتبته مع أسامة بن منقذ، حتى قومه أنbers قريان أو صديقان، ثم يفتح البلايا بإدعاء وتظاهر، يقول: فيما روت كتب القدماء، كأنه عرف ما هذه الكتب، وكان يذهب على الدكتور، فاطلع على ما لم يطلع عليه!»
وهذا بالطبع تنفعُ غثً يؤذى كُلّ دارص، لا سيما إذا عرفت أن ذكرٌ «ASAAMEE BAN MANQUD» لم يرد إلا في كتاب واحد هو كتاب الـ "الصريح المنسى «، وهو كتاب مطبوع للشيخ يوسف الابني، في سنة 1320 من الهجرة، والابنين نفسه يذكر القصة في كتاب له آخر، وهو مطبوع، اسمه "أوج التحرير"، يقول: "نقل عن ابن منتقد بإستفهام ASAAMEE BAN MANQUD، في سنين متأخر جدًا، وهو، وإن لم يصرح، فقد نقل ذلك عن ابن العديم (580 - 660 هـ)، وهو من أعيان حلب، في كتابه "الإنساف والتحري، في دفع الظلم والتجري، عن أبي العلاء المعري «، وهو كتاب مطبوع أيضًا، وفيه الخبر مسندًا إلى صاحبه الأول: "... حدثي والد رضي الله عنه وأرضاء، يرفعه إلى ابن منتقد قال: كان بانتافاكية... وسائر الخير بطوله، فلما فرغ منه قال: "وهذه الحكاية فيها من الوهم ما لا يخفى، وذلك أنه قال: كان بانتافاكية خزانة كتب، إلى آخر ما ذكره. وهذا شيء لا يصغي، فإن أنطاكية أخذها الزوم من أبى المسلمين في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وثلاثمئة، وولد أبو العلاء بعد ذلك بأربع سنين وثلاثة أشهر، في شهر ربيع الأول من سنة ثلاث وستين وثلاثمئة، وبيت أنطاكية في أبى المسلمين، إلى أن فتحها سليمان بن قطلمش، في سنة سبع وسبعين وأربعمئة، وكان أبو العلاء قد مات قبل ذلك في سنة سبع وأربعين وأربعمئة، وأخلاقه الزوم من المسلمين حين استولوا عليها، فلا يصغي أن يكون بها خزيان كتب، وخزاء، وتُقَصَد للاشتغال بالعلم. وبحترم عندى أن يكون هذا بكرطاط، فقد كانت كفرطاط مشحونة بأهل العلم، وكان بها من يقرأ الأدب ويشغله به قبل أن يهجوها الفرنج، وهجموا الفرنج في سنة اثنتين وستين وأربعمئة، وكانت لأبي المتنى مقدّد ابن نصر بن منتقد في أيام أبي العلاء، فلهما تصعيد كفرطاط بأنطاكية، وتصحيحها غير مستبعد، فإن كان كذلك، فإن منتقد الحاكي لهذه الحكاية هو أبو المنجى مقدّد ابن نصر بن منتقد، أو أبوه نصر، وكفرطاط قريب من مجزرة التهامان، ثم ذكر احتمالًا آخر: أن يكون ذلك بحلب، واستدل عليه.

وقد أثانى نقل هذا، لئن أي منهج كان يسيء عليه علماً في نقد الأخبار، منذ أكثر من سبعة قرون ونصف، على عهد ابن العديم: أقول: لم يعرفه هذا، فأتت بالأخبار في وصف عمل الدكتور لويس عوض وقوله: أن تفتق بأنه تنفع غثً، أو بأبيه علم مشتخدات!!
هذا، وابن العديم يستنكر أن تقصد أنطاكية للاشتغال بالعلم، والدكتور لويس عوض، يريد الناس على أن يسملوا له أن أبا العلاء "تعلم بها وهو صغير"، وهذا لا يصح بالطبع، ولو أدعى أنه ممن كَذَّبه عنه الحجاب، فعلم علم الماضي والحاضر والمستقبل، وصدر "دكرين" بأنه من القداميين. لأن هذا شيء لا يعرف إلا بالخبر المحتسب، لا بالتكهن والتبت. ولو اطلع الدكتور على ما كتبه بعض المحدثين في نقد هذا الخبر وأشبهه في شأن رحلة أبي العلاء، لم يعرف، إن كان يبقى له شيء من خشية الكفاح على الأمانة، أن يقرأ هذا التقول، بهذه الصورة، أمر مستمتع. ومع ذلك، فإني لم أتناول نقد هذا الكلام إلا من وجه واحد، أما الوجه الأخرى فسأدعها إلى حينها.

ثم نجي إلى أشياء أخرى أكبر من أحياتها، إذ يقول: "... وقد تعَلَّم المعرَّى في اللاذقية، كما تعلم في أنطاكية، ففيما روى القبطي والذهبية أنه نزل بديرب فيها..." إلى آخر ما نقلته أنيا، وهو بلا شك أيضا لم يعرف هذا إلا في كتاب الدكتور طه حسين. وكتاب الدكتور طه لَفَ منذ أكثر من خمسين سنة، أي في نحو سنة 1913، ونشرت بعد ذلك كتب كثيرة من أصول المراجع لترجمة أبي العلاء، لم يطبع عليها الدكتور يوما. هذا فضلاً عن أنه كتب كتابه وهو دون الخامسة والعشرين من عمره، أطلال الله بقاه، وعُين أن يكون الدكتور اليوم ليرتضى عن كثير مما كتب يوما، ويزى، وهذا هو العهد به، أن لمطلق لأعد كتاباته ما ضَلّ على الوجه الذي يرتضيه، بعد أن استحكمت قوته، واتسع علمه. وسَقَض فصة ذلك بإيجاز:

في سن أيدينا اليوم من الكتب التي ترجمت لأبي العلاء، أكثر من ثلاثين كتاباً، من بينهم القبطي والذهبية اللذان ذكرهما الدكتور طه، وأتَّركا عليهما الدكتور لويس عوض، وأتَّرك دارس جامعى مبتدئ، مفروض في أن يضع هذه التراجم جميعاً بين يديه، ويرتيبه ترتيباً تاريخياً، لعرف مصادر الأخبار التي جاءت فيها. وإليك بيانها مختصراً:
1 - التعالي (۳۵۰ – ۴۲۹ هـ)
2 - الخطيب البغدادي (۳۹۲ – ۴۳۳ هـ)
3 - البخاري (۳۶۷ – ۴٤۷ هـ)

وهؤلاء الثلاثة معاصرون لأبي العلاء.
4 - ثم الشمعاني (۵۰۶ – ۵۶۲ هـ)
5 - وابن الأباري (۵١٣ – ۵٧٧ هـ)
6 - وابن الجوزي (۵١٠ – ۵٩٧ هـ)
7 - والطفي (۵٥٨ – ۶٤٦ هـ)
8 - ويقوت الحموي (۵٧٤ – ۶٢٦ هـ)
9 - وابن الأثير (۵٥٥ – ۵٣٠ هـ)
10 - وسيبط ابن الجوزي (۵٨١ – ۶٥٤ هـ)
11 - وابن العايم (۵٨٨ – ۶٦٠ هـ)
12 - وابن خلكان (۶٠٨ – ۶٨١ هـ)
13 - وأبو الفداء (۶٧٢ – ۷٣٢ هـ)
14 - والذهبي (۶٧٣ – ۷٤٨ هـ)
15 - وابن الوردي (۶۴٩ – ۷٤٩ هـ)
16 - وابن فضل الله العمري (۷٠٠ – ۷٤٩ هـ)
17 - والصفي (۶٧٦ – ٧٦٤ هـ)
18 - واليافعي (۷٠٠ – ۷٨٨ هـ)
19 - وابن كثير (۷٠١ – ۷٧٤ هـ)
لأيّ أساتذة جامعي، حقًّا بأن يسعى أسلوبياً مثلك، يستطيع أن يغفل الإطلاع على هذا كله، ويتصرّب على نقل من كتاب مُعدّ به على شكل مختلف منذ أكثر من خمسين سنة، ويتجاهل كل ما كتبه المسعدون بعد هذا الكتاب! إلاّ أن يكون في دراسته ملحوظًا متعلقاً بًأولًا لا يعرّف له شيء علميّة، وإنّا لا استعمل هذه الكلمات إلاّ لأن الأمر خرج عن طوره، وعهد مستقبل الفكر الأدبي تهدّيده مخزناً لا يتم عواقبه إلاّ الله، وسأريك مكان هذه القصة التي ألفها الدكتور لويس عوض ملحق البدايات من فروع:

فالثلاثة الأولَين عاصروا شيخ المعزّة، ومنهم الخطيب البغدادي الحافظ
المؤرخ = لم يذكروا هذه القصة، مع أنهم أشاروا إلى مقالة بعض الناس في إحدى
ثم الثلاثة الذين يقولونهم، ( 4 ، 6 )، فقد أشاروا القالة في حين أبي العلاء
بتحال وشديد، ومع ذلك لم يذكروا هذه القصة، وأُخرهم عبد الجبرى المتوفى سنة
597، وبين وفاته ووفاة المعزّة 148 سنة = ثم بجيء سبعهم، وهو القفطى،
الذي ذكره الدكتور لويس تقول عن الدكتور طه بلا ريب، وبين مولده ووفاة أبي
العلاه سنة وعشرون سنة، فهو أصل من يعتقد في كتابه إثبات الرواة ( 1 : 46 -
38)، فصلًا طويلًا في ترجمة أبي العلاء، وأكثر أخباره فيها مسندًا إلى قاتل
أو راو، إلا هذا الخبر الذي أسقه بقصة:

«وَلِمَا كَبَرَ أُبُو الْعَلَاءَ، وُقِيلَ إِلَى سَنِّ الطَّلَبِ، أَخِذَ الْعَرَبِيَّةَ عَنْ قُوْمٍ مِنْ بَلْدَةٍ،
كَبِنَى كُوْثَرٍ، وَمِنْ يُجْرِى مُجَرَّاءِهِ مِنْ أَصِحَابِ أَبِي خَالِدٍ وَطِيْبَةٍ، وَقَدَّرَ اللَّغَةَ عَن
أَصِحَابِ أَبِي خَالِدٍ أَيْضاً، وَطَمَحتْ نَفْسَهُ إِلَى الْأَسْتِكْتَارِ مِنْ ذَلِكَ، فَرَحِلَ إِلَى
طَرَابِلَسِ الشَّامِ، وَكَانَتْ بِهَا خُزَائِنٌ كَثِيرَةٌ فَقَدَ وَقَفَّتْ دُوَّارُ الْيَتَّارِ مِنْ أَهْلِهَا، فَاجْتَازَ
الْبَلَادَةِ، وَنُزِلَ دُوْرُ الْفَارْوُسِ، وَكَانَ بِهَا رَاهِبٌ يَشْتَدُّو شَيْثَةٌ مِنْ عَلَمِ الأُوْلَى، فَسَسَمَع
مِنْ أَبِي الْعَلَاءِ كَلَامًا مِنْ أَوْلَى أَوْلَى الأَفْلَامِ، فَحَصَّلَ لَهُ بِهَا شَكْوَةً لَا يُكَنَّ عَنْهَ
مَا يَذَاعُهُ بِهَا، فَظَلَّ بِخَايَرِهِ مَا حَصَّلَ بِهَا بِخَبَأٍ الْأَنْتَهَالِ، وَضَافَّ غَطْيَةٍ عَنْ كُسَانٍ
مَا حَتَّاهُ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى فَتَاهُ بِهَا فِي أَوْلَى عَمْرِهِ، وَأَوْدَعَهُ أَحَضَرَهُ، ثُمَّ أَعْرَى
وَرَجَعَ، وَاسْتِغْفَرَ وَأَعْتَدَرَ، وُجِّهَ الْأُوْلَى وَجَوْهَا اسْتِحْمَلَهَا الْتَأْمِيلِ.»

فَهَذَا خَبِيرٌ فِي خَلَالِهِ تَكْذِيِبًا، وَسَيَّأَةٌ مَّضْطَرِبُ مَثْقُولُ الْوَلَاقِ، كَمَا
سَأَبَى ذَلِكَ فِي بَعْضٍ. وَقَدْ إِنْفُذَ بِهَا الْقَطْفُ، وَهُوَ مَصِيرُ، وَبِينَ مَوْلُدِهِ وَفَاتَ أَبِي
الْعَلَاءِ مَثَّةٌ وَعَشْرُونَ سَنَةً، وَلَمْ يَذْكَرْهُ أَحَدٌ مِنْ مَعَاصِرِ شَيْخِ الْعَلَاءِ
مَثَّا مَلْوَثًا (١) (١٨٢ - ١٢٦ هـ)، وَذَكَرَهُ إِلَى مَجَالِدٍ، وَلَا أَحَدُ مِنْ جَافٍ بَعْدَهُ إِلَى وَفَاتَ الْقَطْفُ سَنَةٌ ١٤٦ هـ.

وُلِّيَتْ مَعَ الْقَطْفِ الْمَصِيرِ، بَاقِعُ الْحَمْوِيَّ مَعَاصرًا لِهَ (٦٤٤ - ٦٢٦ هـ)،
وَهُوَ مَؤْرِخُ مَتَمَكِّنُ شَدْيدُ الْتَحْرِيِّ، وَهُوَ شَامِيُّ حَمْوِيُّ قَرْبُ مِنْ دِبَارِ شَيْخِ
المَعْرِةِ (١)، حُبْرُ أَخْبَارِ أَهْلِ الشَّامِ، فَيَقَدَّرُ فِي كَتَابِهِ إِرِشَادُ الأَرْبِيَّ تَرَجِمَةً لَّيْلِ الْعَلَاءِ
مَطْوَلًا جَدًٌّ (١٨٢ - ١٢٦ هـ)، فَلاَ يَذْكَرُ هَذَا الْخَبِيرُ، ثُمَّ أَعْرَى أَوْلِي الْعَلَاءِ، وَبِمَعْرِيُّ الزَّمَنِ
بَالْمُؤْرِخِينِ لِشَيْخِ المَعْرِةِ، وَهُمْ مِنْ كَبْرٍ الْمَشْتَغِلِينِ بِالْتَّارِيخِ، مِنْ أَبِي الأُثِيرِ الْمَتَوْفِي
سَنَةٌ ٣٥ هـ، إِلَى سَبْطِ أَبِي الْجَوْزِيَّ، إِلَى أَبِي حَلْكُو، إِلَى أَبِي الْفَدَاةِ الْمَتَوْفِي
سَنَةٌ ٧٦ هـ، فِي ذَكْرُهُ بِالْبَلَوِّ، حَتَّى رَابِعَ بَضَعُضُمَّهُ الْكَافِرِ، ثُمَّ لاَ يَذْكَرُ أَحَدٌ مِنْهُمْ هَذِه
الْحَكاِيَةُ.

(١) انْظُرُ التَّعْلِيقَ عَلَى وَصْفِ يَوْمِ بَلْوَاتِهِ بِنَاسِ٢٠٩، فِي حَاشِيَةِ أَنْثِيَةٍ فِي أَخْرُ المَتَوْقِيَّاتِ.»
حتى إذا جاء الذهبى، وهو من كبار مؤرخى الإسلام فيذكر ترجمة أبى العلاء في كتابه تاريخ الإسلام، ويسوقها بهذا النحو:

«أخذ العربية عن أهل بلده كتب كثيرة، وصاحب ابن خاليه، ثم رحل إلى طرابلس، وكانت بها خزائن كتب مؤＳة، فاجتاز باللاذقية ونزل ديراً بها كان به راهبٌ لعلم بأقاويل الفلسفة، وسمع أبو العلاء كلامه، فحصل له به شكوك، ولم يكن عنه ما يدفع به ذلك، فحصل له بعض انحلال، وأودع ذلك بعض شعره، وتمكن من يقول: ارجع وتأكد واستغفِر».

وواضح جدًا أن «الذهبى» إنما نقل عن «القفطي» الذي انفرد إلى سنة 446 هـ برواية هذا الخبر، ولكن اختصره وغير بعض ألفاظه، ومهمّد للدارس الجامعي، بل لكل ذي عقل لم تقلله زعمة أو إيمان، أن ينظر فيما فعله الذهبى، فإن «القفطي» يقول: «وكان به راهب يشدو شيئًا من علوم الأوائل، فسمع منه أبو العلاء كلامًا من أوائل أقوال الفلسفة»، وفي هذا بيان واضح على أنه راهب مبتدئ قليل البضاعة، قد تختصف كلمات من أوائل (أو من مبادئ) أقوال الفلسفة. فقال: «الذهبى» فقال في صفحة هذا الراهب: «كان به راهب لعلم بأقاويل الفلسفة»، فرفع باختصاره شأن هذا الراهب المبتدئ الشاذى، بما يوهم أن له علمًا بأقاويل الفلسفة. وهذا عملٌ غير مرضي، وإساءة من الذهبى.

وخبر القفطي مبين أشد الإبانة عن أن أبي العلاء كان يبعث في سن الطلب، وأنه حصل له به شكوك لم يكن عنه ما يدفعه، فوقع بخطره لم حصل له به بعض الانحلال، وضاقت عطشه عن كم كان ما تحققه من ذلك، حتى فاه به في أول عمره وأودعه أشعارًا له، فذبح الذهبى ذكر السن، وأنه فاه به في أول عمره، فأزحم أن ذلك كان في وقت متاخر، وهذه إساءة أخرى من جراء الاقتصار، سيظهر أثرها فيما بعد.

إذن يتأنّي ابن الوردى، وهو مؤرخ معاصر للذهبى، ومن معرفة العمران نفسها، فلا
يذكر هذه القصة، وكذلك لم يذكرها ابن فضل الله الغزيري، وهو معاصر لهما، ولكن يذكرها ابن الصنف إلى اللغة، وهو معاصر لهما، فيذكرها باختصارًا، يقول في كتابه «الوافي بالوفيات»، وكتبه «كتاب التهذيبان» (ص: 103):

"كان رجل أطلق إلى طرابلس، وكانت بها خزانة كتب موقوفة، فأخذ منها ما أخذ من العلم، وأجتاز باللذقية، ونزل ديرًا كان به راهب له علم بأقوال الفلاسفة، سمع كلامه، فحصل له بذلك شكوك، فاختصر كلام الذهبان، كما هو واضح، ونقل عنه بلا ريب.

ويجيء الباقعي، وهو معاصر لههم، فلا يذكر شيئًا، ويذكره معاصر لهم آخر، هو ابن كثير، فيسوق العبارة هكذا:

"وقد إنّ الاجتماع يراهب في بعض الصواعق، في مجيئه من بعض السواحل، أواه الليل عندى، فشككه في دين الإسلام.

فجاء بلطف آخر خالق، وأغلب ذكر علم الراهب بأقوال الفلاسفة، وجعل نزوله بالراهب ليلة واحدة، وذكر ذلك كله بلطف المرض والآرتاب. ويقال: "؟ وينقض الزمن منذ ابن كثير المتوفي سنة 774، حتى يأتي ابن الشجاعة وابن حجر، فلا يذكرون شيئًا، إلا الذي وهو معاصر لهما، فينقل ما قاله ابن كثير بلطفة، أي إلى سنة 855. ثم يغلبه ابن نجري بردي، وذكره السوطي المتوفى سنة 911. نقل عن الصنف، ثم عبد الرحيم العباسي (توفي 963)، فيردد كلام الصنف، ثم يغلبه ابن العماد الحنبلي (توفي 1089) ولا يذكره إلا العباسي الخوجلي (المتوفي في القرن الثاني عشر).

..."
حتى إذا جاء القطفى ( 568 هـ - 1174 م) انفرد وحده برواية الخبر بلا إسناد
إلى آخرها، وله جلّ قادحة في صدقة، سأأتيها فيما بعد هذه المقالة. ومن أشدّ
ما يشکّك فيها بعد ذلك أن ابن العبد، المعاصر للفقطى المصري ( 588 -
1160 م)، وهو مؤرخ شامعي مستوطب لأخبار الشام وأهله، يؤلف كتاباً في "دفع
الظلم والتجرب، عن أبي العلاء المزني"، ويشتكي فيه كله قُدح قبل في الرجل أشدً
من هذا الخبر، فلا يكون له علم به ولا معرفة.

فتأتي وجهه بعد ذلك، يأتي أسداد جامع، يتبجح بذكر الأسماء ويحشدها من
كل أوّل وصوّب، ليهوم أنه قد قرأ ودرس واستوعب ومضى واستخلص، فيعتمد
إلى خبر انفرد برواية القطفى، والثمانية الباقون نقلوا عنه قنالاً مع بعض التصريف؟
وإذن فهو خبر غريب لا يسلم، فتأتي هو بالخبر ملقى على ما يوجب التسليم به،
وهو مع كل ذلك منقول من كتاب معتدٍ ألوه صاحبه منذ أكثر من خمسين سنة،
وهو في نحو الخمسة والعشرين من عمره، قبل أن تطبع الكتب التي ذكرناها آنفًا،
فلم يطبع على شيء منها ومع كل ذلك أيضاً، فهو ينكره باهتمام موفى مفسّد،
لأن صاحب "ذكرى أبي العلاء" يقول:

"قال القطفى والذهبي: فمرّ في طريقه باللادقية، فنزل بدير فيها، ولقي بهذا
الدبر راحباً قد درس الفلسفة وعلوم الأوائل، فأخذه عنه ما شكّك في دينه وفي غيره
من الدينات. قال: ونُم عليه بذلك شعر العئة، ثم استغرق وتاب، والتنسّم كلامه
وجوهاً من التأويل قيلت منه، ولكنهما لم يروايا شيء من هذا الشعر". هذّن نصّ
كلامه، ووضوح أنه لا القطفى ولا الذهبي. قال ذلك، بل وصف القطفى الراهب بما
يشير بأنه شاد مبتدئ، يتفخت بئسًا من علوم الأوائل، أي من مبادئ أقوال
الفلاسفة، وأنه لا درس ولا فقه ولا علم، كما قال الدكتور طه، حين غير لفظ
القطفي، ولفظ الذهبي إلى لفظ هو. وهذا أمر غير حسن، لا أظهر الدكتور طه يرضى
عنبه اليوم، لعله بما هو عليه من حب الأوّلية إلى مقالة الحق.

أما فعل الدكتور لويس عوض فليس فعل دارس جامع، لأنه نقل صدر كلام
الدكتور طه فقال: "ولقي بهذا الدبر راحباً قد درس الفلسفة وعلوم الأوائل"،
واقتصر على هذا ، وأتبعه تفسيرًا جدًا ، وكان منفكر لغة الدكتور الله ليقدمها وعوضوها وطُولها فقال : " أو باختصار أخذ عنه اليونانيات ، فما علوم الأوائل هذه التي كانت تقرأ في الأدبية تحت حكم الروم ، إلا أدب اليونان وفلسفتهم في لغتها الأصلية " ، هكذا " خيطًا لفقًا " يادكتور لويس !! ما أجرك على تاريخ الروم واليونان وتاريخ الأدبية ! وإذا كنت على هذه جريئا كله هذه الجريء ، فليس بمستغرب أن تكون على تاريخ أهل الإسلام أجرأ .

وإذن ، باختصار ، كما يقول الدكتور لويس ، فهو في هذه الأسرار الفلسفة التي كتبها ، لم يفعل فُعلُ أستاذ جامعي ، بل ذكر " المنهج " في أول كلامه إيهامًا ، إن لم أقل ترديدا لشيء سمعه قديما أيام كان يشدو آداب اللغة الإنجليزية ، ولكنه بقى إلى اليوم لا يدرك ما هو ، ولا كيف يكون ؟ [ سأأتي عليه فيما بعد ، لأن العرض مستمر ] .
... بل تعجبًا
ليس حسنًا، بل معيتًا أن يتخذه كاتب قلمه آداةً لخداع الفارئ عن عقله والتغيير به، ولكن هكذا كان! فإن الدكتور لويس عوض انتحل لفظ «المهنج» وأجرى به قلمه، ليخدعنا، فيما يتوهم هو، عن عقولنا. فمنذ بدأ مقامه عن رسالة الغفران، لم نزل نسمع للمعالج في الأحجار الصمّ صلبلًا ورجلًا (أي طبيب وجلب) عظيمًا على ذلك حتى أقام سنينًا كثيرةً من عثار القرون الخوالي منذ عهد هوميروس، يحجب شخصه عن عقولنا. وفعل ذلك، كما عرفنا بعد، لكي يتسنى له أن يخرج عن شيخ المعرفة، وعن رسالة الغفران، وعن ابن القارئ، فلمًا» مثيرًا متلاحق لفظ القراي، مثل أفلام «كيفداس» و«المصرعون» و«الرداء»، ثم إذا بنا نراه يخرج من وراء الحجاب ليعرض علينا أفلاهنا في تبيث مظلمة (أي بناء مظلم) لنا، فأفلامه ومغاشها «منهجًا»، اصطفاها واختارها ليعينها، رحمً، على معرفة موقف هذا الرجل العظيم من أفكار عصره، ومن أهدافه، ومن رجلاته، ومن أحواله بوجه عام. والحقيقة هي أنه طلع علينا بسلامة طوله، وبالمعروف من إحلاسه وتنزره عن الهوى، فجعلنا، ويُشَي المعرفة، ورسالة الغفران، وباين القارئ، ثم بصرفهم جميعاً، وبرجلاته، وبأعماله، وبأحاديثه، وبأحواله بوجه عام! أُبِشَغَ مما دل عليه ظاهر كلامه أنه فاعل. وذلك حين عرض علينا شيئًا سماه، «الخلفية التاريخية لهذا العمل العظيم» وتعوذ بالله وحده من سوء تракب الألفاظ، ومن سوء اختيارها، ولأمر ما قال القائل قديمًا:

قد عزفناك يا يحيى稽ك إذا كان دليلًا على الليث البديهية.

وإذا بيني، كاتب أرى شيخ المعرفة قد هبّ من تحت أطباق زمامه يففض عن أكفانه، تراب القرون، وكاتب أرى مائلاً مضيء القسمات في حدان هذه البيئة المظلمة، وكاتب أسمعه يقول للناس، مستنكنًا ساخراً لاذعًا كعادته: ما هذا؟ هل هو إلا.
كما قالت الكاهنة: أهّن ونفِّك، وجُوز وخفَّك. قبل: وما جربت وخفك؟ قالت: واديان في جهنم!! (رسالة الغفران: 42) وحسنُك من شرٍّ سماعه!

وأنصرف الآن إلى تنمية الكلام في الخير الذي رواه الفاضلي الأكرم جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد الشباني، المعروف بالقطنط، وهو خبر لقاء شيخ المعرّاة في صباهراما بدير الفاروس، باللاذقية. وقد قلت قبل إنه خبر يضمّ على عقل قادحة في صدقه، وأنه يحمل في خلقه البيئة على تكذيبه، وأنه مياء مضطرب منفّض للواقع [ص: 28] وأستغرق الله مما قال بل هو خبر خشوع.

ألفاظه كوان! (القوانين، هي المصائب، والدوائي، والبواق). ومصدر هذه الكوانين، أنه خبر لم يعرفه أحدّ في خلال مئة وعشرين سنة على الأقل، منذ وفاة شيخ المعرّاة في سنة 449 هـ، إلى مولد القطنط سنة 568 هـ، وليلة الأمين يجهد كل ذلك. فلو افترضنا أن أول ترجمة كتبها معاصر لشيخ المعرّة، كتب سنة 420 هـ، وأن القطنط كتب كتابة إناء الرواة، وهو في الثانية والثلاثين من عمره، أي سنة 600 هـ، وهذا بعد جدًا، لأنه كتب بعد ذلك بلا شك)، فهذه مئة وثمانون سنة على الأقل، تراكمت أيتها وليالها سُورًا فاصلاً بين صاحب الخير والمحترم عنه. وقد أسفلت طرفًا من ذلك في كلمتي الماضية، ولكن أخـَّر اليوم أن أجعل علمك ذلك واضحاً جليلًا لعـِيني أسبتًا جامعًا. كان هو الدكتور لويز عوض، فإن رؤية العلم نشره وإذاعته وإيابه عنه، وهي عليه فرضية ممّكتة كفرضية رؤية الأموال، توحيها لوجه الله لجاء ملك ملك، لا شكّ ولا شكّ، لأننا نعتقد بلا ارتباك، أن من شيل علمًا فكتمته، جاء يوم القيامة مُفتيًا، يجلب من نارًا وصلى رسول الله محمد ﷺ.

فإذا أقرنا أن هذا الخبر المكتوب في نحو سنة 600 هـ، انفرد به القطنط في مئة وعشرين سنة، ونعلم أيضًا أننا نحن نعلم أن الخبر غير معروف لأحد من المؤرخين بعد، إلى أن توقي المؤرخ الحموى الشامى الكبير أبو الفداء في سنة 725 هـ، فهذه مئة وثلاثون سنة أخرى تخلو من ذكره، فجميع ذلك عشر سنوات وثلاثمئة سنة. ولكن يعاصر أبا الفداء رجل آخر، وهو مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي
خلاصة:

(148 - 748 هـ) ؛ أطلع على كتاب القطع (كما ذكر ذلك في ترجمة Sheikh
المعرة) ؛ فرأى يذكر هذا الخبر مختصراً له، ومسأل لبعض أهلته. وإذا ذكر
الذهبي له لا يضيف القطيع، لأنه نقل عنه. وهذا واضح بالطبع، لكل من
جامعه. ناهيك بجامعة القطيع! ف ينبغي إذن حيث كنا، إنه حرف انفرد به القطيع على
تطاوي ثلاثة قرون وعشر سنوات. وهذا واضح أيضًا لمن ذكرنا! ولو كنت أحايله
غير ستاذ جامعه لقلت: حسبى، وأبطلت الخبر من هذا الوجه وحدته، ولكن لا بد
منا ليس منتهي بقدّ.

وإذن فلا بد من أن أعود القطيع (أي، إلى تحليل)؛ وإن كنت لا أحب
ذلك، فالقطط المصري (568 - 1446 هـ) ؛ له معاصر لا يقل عن قدرة وحرصًا
ومعرفة، هو يورث الباحثي الشامي (746 - 626 هـ) ؛ وهو سبسطة (أي مقارن
له في السن) ؛ فما أعمله الأساتذة الجامعيين في المبدلين الجوكل، فيما أعمل، أن
لا يغفلوا عن مقارنة أقوال المتعاصرين، ومصادر أخبارهم، لأنه أساس تهيده إليه
بديهة المطل، ولكن كثيراً ما يغفل الماء عن البلاذة! فالقطط المصري لم يطل مُفاقمه
بالنام، ولا يوجد مقيم بدير بحث الشعراء. فهو إذن أعلم بأخبار الشعراء، وإن لم
يكن هذا ضرورة ملحة، ولكن كل الدلائل تدل على ذلك من مدارسة كتب
الرجلين. هذه واحدة.

ثم أخرى، فهى ترجمة يورث لشيخ المعرفة بعض أخبار تدل على أن الرجلين
كانا يتنازعان أطراف الحديث في أخبار شيخ المعرفة. وفق ذلك، فإن يورثًا روى
عن القطط أخبارًا كبيرة في كتابه وترجم له في نجاح الأدباء، وفرج
القطط حتى بعد، وذكر فيها كتاب أخبار الاحترام للقطط (وهو إنشاء الرؤية)،
وبرى على الرجل تباً كبيرًا، وبلغ له جنّ أنه توفي له كتابه نجاح البلدان. وقال
في مقدمته: وأهدى هذه النسخة بخطى إلى خرارة مؤسّة الصاحب الكبير، العالم
الخطير علامة الفاضل جمال الدين الأكريم. أتى جمعه على ابن وليام بن إبراهيم بن
عبد الواحد الشهائبي. إذا كان آدم الله عليه السلام العلم في زماننا، وعين أعيان
أهله عصرونا وأوّنا، وأعهد إلى ما استفيضت مثونه، وروى عن ما رويت عنه، فأضحى
الله جزاه، وأدام غزوه وعلاه، بمحمد وآلة الكرام. فضّر به حوارته عنه.
فيسأل السائل نفسه: ألم يشوم ياقوت هذا الخبر من القفطى، مع مراجعته ومذكروته له في شأن شيخ المعرة؟ ألم يقرأ في كتاب إفتاء الرواة؟ وقد ذكره في ترجمة القفطى؟ فإذا كان قد سمعه أو قرأه، فلم يعتقد ولم يذكره؟ لأنه أراد أن يدفع عن شيخ المعرة مَثْعَة هذا الخبر (أي عاره وشائر وقيقه)؟ ألم لأنه سأل القفطى عن مخرج الخبر، فأمسكته وعده قِمَامَة تقدمها من شُكْرٍ الناس (أي أرادلهم وحماهم، والقِمَامَة، الكِناَسَة) فطرقوه لحيث مخرجه؟ ثم أينَ أن يذكره في كتابه وبردا علينا، إجلالاً للقَفْطِي؟ هذه أثْلَة يجب على الجامع المبدئون أن يُخْتَصِرُها بين يديه، ناهيك بِأَسْتَثْرَاءِ جَامِعٍ، زعموا.

ولكي يجد الجواب عنها، ينبغي أن يعرف من يَا ياقوت هذا الذي ترجم شيخ المعرة، فأتقأ هذا الخبر، ولا يشك قارئ شاذ عرف كتب الرجل، أن كان جماعًا للأخبار، حريصًا عليها، مفتتحًا لها بالباح لا يمل من الكتب والصحف، والأوراق وأقوام الرجال، وكان مع ذلك نقاءً بصيراً، وأضرب لك مثلًا على نقصه وبصره من ترجمة شيخ المعرة نفسه، فإنه أخبرنا أنها قرأ خيرا في كتاب فلكل المعاين (١٠٠-٥٠) ، فيه يتناول نسيمثا لشيخ المعرة، ووصفه بعدها بأنه متحذئ عريض الوعي طويلها، وأنهما من كلام مجنون معروفة. ثم زعم ابن الهبارية أن الله سلك على شيخ المعرة أبا نصر هبة الله بن موسى ابن أبي عمران داعي الدعاء الفاطمياً، فقوته بين الرجال، مكانته، ثم أمر داعي الدعاء بإحضار الشيخ إلى حلب: فلم أعلم أن يخيل الله للقتل أو الإسلام، سُمِّي نفسه وثبات، فقال ياقوت بعد ذلك: «فلمما وقعت هذه القصة، أستنثت أن أقف على صورها ما دار بينهما على وجه، حتى ظفرت بمجلد لطيف، وفيه عدة رسائل من أبي نصر إلى المعرة، انقطع الخطاب بينهما إلى المسافة، ولم يذكر فيها ما يدل على ما ذهب إليه ابن الهبارية من شِعْرٍ المعرة نفسه، ونقولها على الوجه بطول، فلم خصته منها الغرض، دون نافع كبير، ونشدته، ثم ذكر قدرًا كبيرًا من هذه الرسائل، وهي موجودة في معجم الأدباء (وهُو مطبوع بالطبع). ويستطيع أي مبتدئ أن يقترب حرصًا ياقوت على تمثيل كل شيء، ولا سيما ما خص شيخ المعرة، ثم يقترب مقدار ما عنيده من الشهوة إلى المعرفة، ثم يقترب
أنه لا يتلقَّى الأخبار بالتسليم مجرد بل ينقذها ويخصوصها، ثم يقدّر مع ذلك أي تحالي يكتبه ويدبره على شيخ المعرفة. ومن عن نفسه، (أي أنفعها) في قراءة ترجمة بَاقِوت لشيخ المعرفة، واحذئاً، وجدائناً ظاهرًا أن الرجل شديد الوطأة على الشيخ، تموّذٍ للوقعة فيه وفي دينه، يجمع الشوارد والأفكار من أخبار العلم فيه، وهو في ذلك شديد الضراوة في عداوه، لا يقف عند استقبال الرجل، واستنكار تفاصيله وتشذبه، بل يعلق على الأخبار والشعر باليقين مستنشعة حتى يقول في بعض تعلقه: "كنَّا المعرفة حمارًا لا يفقّهُ شيخًا"، ثم يزيد ما شئت.

فإذا قد عرفنا شرَّه بَاقِوت إلى مجرد العلم، ثم ضرأته بأخبار شيخ المعرفة، ثم قرَّمه لحم الشيخ يهشته (والقرم، شدة شهوة اللحم) فأنّ يسمع بِبَاقِوت من القفقظي أو غيره خير راهب دير الفاروس الذي ضلّ عنه، ثم يغفل فلا يذكره، فذلك عجب! وأن يريده إغفله دفع المعرفة عن شيخ المعرفة، فذلك فوق العجب! وأن يسمع من القفقظي، فيسأله عن مخبره، فيجده قدّمَهُ تقمهما من شقيقين الناس وآذائهما، فتطحم بحبش مخبره، ثم ينفّذ أن يعيد ذكره في كتابه وينقده، كما نقد ابن الهبارية، إجلالًا لصاحبه القاضي الأكرم القفقظي، فذلك جائز قريب. ويوكون معنى ذلك أن بَاقِوتُ فوجع بخير لم يسبقه من قبل مع طول مُقامه بالشام في ديار شيخ المعرفة، وهو يقتات متدنسن (والنقد، العالم بالإشارة، الكبير البحث عنها والتقليد عليها)، فسمّعه من رجل غريب لم يُطلق بالشام مُقامه، وسمّعه الغريب من مغدور تأليف فاستطرفه فحازه، وظن أن وقف على ما سأله من الشوارد، ثم حَدثته بشامليًّا عريقة هو أشدُّه جمعًا وتنبٌّيًا، ليُثيره هذه الجريمة النفيسة النادرة كما تفعل الضرائر («المغارة»: استثارة القصّرة غيرة ضرِّتها)، وهذا أمرٍ مألوفٍ في بعض أهل العلم، وفي كل زمان ومكان، فإن كرامًا للقفقظي أعقل بَاقِوتُ خير ولم يذكره، واستنكر أن يذكره فتقذه، فسورة صاحبه ويكشف عن غوره، وخُرج بالصمتم عن (لا) و (نعم)، هذا تفسير ما غمض!

فلن يدري إذا كان يسأّل المسائل، إلا أن يكون بَاقِوت حين ذكر كتاب (إباء الرواة)، لم يطلع عليه، بل سمع من القفقظي أن ألف كتابًا في أخبار النحوين...
فأتت ذلك في ترجمته، وهذا ممكنٌ قريب، ولا أن ياقوتًا حين كان يذاكره في شأن الشيخ المعزة، لم يستع من هذا الخبر، على غزواته وذُكرته، وهذا جائز أيضًا وقريبًا، ولكن لعل الشيخ القفطان قد عليه الحياة أن يحدث به شامخًا خبيرًا بأحبار أهل الشام، لعله هو نفسه أن جرب تلقته ليتباطئ به في كتاب طلابًا للإثنان بالغرائب، على عادة بعض أهل العلم في كل زمان ومكان، والدكتور لويس عوض جعيم بذلك عن خبرة وتجربة! فتكون العلة في ترك القفطان إسانت هذا الخبر النادر الغريب المنفرد، إلى كتاب وجدته فيه، أو إلى رجلٍ من شيوخه أو علماء عصره الذين لقيهم بالشام أو مصر، فعل ذلك على غير عادته في تراجم من ترجم لهم = هي أن مصدر الخبر كان عنه مبكرًا خبيثًا، فترك التصريح به، والقفطان عالم خبير، كانت له خرائطًا كتب، كما ذكر ياقوتًا أنًا، وهو لم يترجم لشيء المعزة إلا بعد أطلاع واسع على نوازير الكتب قبله، وقد انقضت مئة وثمانون عامًا بينه وبين أبيه العلماء، ألقت فيها كتب كثيرة، وترجم للشيخ قيل له عدة من العلماء، فهو يعلم أن الخبر غير معروف منهم ولا مشهور، كيف استجز أن يُатур إسانته إلى كتاب أو قول؟ كان أول ما يفعل أن يبتاهلي بإسانته إلى كتاب سبقه لم يقف عليه غيره، أو إلى الشيخ حديثه به، هو عند الناس عليكم حافظ كثير السماح من شيوخ قيله، وهذه أشياء تهدى إليها بديعة العقل، آثرت الدكتور لويس عوض باستخراجها له ليجذب فيها متباع الأستاذ الجامعي بطرائف تقد الأخبار والأقوال.

ويقبح بالمبتدئ الجامعي عند هذا الموضوع، إذا كانت له شقةً من فطنة، ( أي قليل لا يكاد يذكر )، أن ينتبه قيله ياقوت في البحث والتحقيق، وطول مدارسته للكتب، وكثرته حذائه للأخبار من الكتب والأوراق وأفواه الرجال، كما ذكرت قبل من صفته، فلا يعجب أن يكون ياقوت لم يقف على الخبر في كتب الماضين، ويقدر للقفطان وحده أن يقف عليه. فهذا أعجب العجب عند أهل المعرفة بال أجلين، وما كنيا.

وإذن، وأنت سيد العارفين، فقد انفردت القفطان بهذا الخبر الغريب المنكر، والذي جاء به يغير إسانته إلى كتاب أو شيخ، مع العلم المتضاربة على وجوه.
إسناده، على امتداد ثلاثة قرون وعشر سنوات! ولم يفعله ذكره في كتاب مؤرخ الإسلام الذهبي، لأنه عن القطط ثم. ثم يتابع بعد الذهبية ثمانية كبار من المؤرخين، يذكرون الخبر أيضًا منقولاً عن الذهبية، مختصراً بعد اختصار الذهبية له، وقد غيروا بعض ألفاظهم طلباً للاختصار، حتى كان زماناً الذي كان فيه الدكتور لويس عوض، وهو سنة 1384 من الهجرة، فلا يعقل خبر القطط شيء من ذلك الغباء كله ولا يفعه، لأنهم جميعاً لم يعرفوها إلا عن طريق القطط وحده، فرددهم للخبر نافعين عنه، لا يجدوا ولا يفع. وهذا أمر، أظهره، معلوم بالحداثة! أليس كذلك؟ وإذا كان كذلك، فالقطط يقف وحده منذ كتب أول تجме لشيخ المعرة فيما افترضنآ أثناً، سنة 420 هـ، إلى سنة 1384 هـ، فهى بحسب المعلم، وبالشروط أيضًا: تسعون سنة وخمس وستون وفقر الناس خلالها، قبل القطط وعند القطط على الآلاف المعلومة من الكتب، فلم يدفع عليها مفصول بذكر هذا الخبر عن أحد رواه عن شيخ، أو رأى في كتاب! أليس هذا عجبًا؟ أظهر ذلك، ولكن هل يوافقن الدكتور لويس عوض على هذا الظن؟ هذا والله أحب شيء إلى أن أعلمه.

ووهنا حسبنا وحسبه في دراسة مصدر الكواكب، وهي المصادر، والدواهي، وال произведен، التي أحظى بهذا الخبر المفرد عن قيل روئيه. وكان لنا حسبنا في إبلاط هذا الخبر وإ البراجة، أن نبتين تبكيه مخرجه من قيل أنفده، ولكن أحسى أنه يقع الدكتور لويس عوض بذلك، حتى أستجر الشيء الكواكب التي انطلت عليها أفاظه، فاتصال المستعان وحسن هنا أن نريد أفاظه، كما ذكرها القطط، لا أفاظه بعد النوع الذي فعلها الذهبي، ولا أفاظه بعد التدابير الجديد الذي أدخله الدكتور لويس عوض! فالقطط يذكر رحلة الفتي الذي صار شيخ المعرة، وقد كبر وبلغ سن الطلب، إلى طرابلس الشام ثم يقول:ً

"فاجتاه باللاذقية، ونزل دير الفاروس، وكان به راهب يبدو شيءًا من علوم الأوائل (أي، تعلم منها قليلاً، ولم يعرفها معرفة جيدة) فسمع منه أبو العلاء كلامًا من أوائل كلام الفلسفية (أي مبادئ كلام الفلسفة). حصل له به شكوك لم يكن عنه ما يدفعها به، فلبع بخطره ما حصل به بعض الأحلام، ووضاع عظيم عن،
كتبان ما تحمله من ذلك، حتى فإنه في أول عمره، وأودعه أش عزًا له، ثم ارتعى ورجع، واستغفر واعتذر، ووجه الأقوال وقُلَ، يحتملها التأويل.

وسأعمال هذا الخبر معاملة الدكتور لويس عوض، فأدعى "الخلفية التاريخية"، والعيذ بإله، وهي صدر الخبر، وآخذ القضية التي أُفضي إليها. فصاحب هذا الخبر، ولا أدرى أي الطيل هو؟ ( أي، أي الناس هو؟ ) يقرر أن أبا العلاء ضاق صده بشكوك لم يُيقظ كتمانًا، فأودعها أشَّعًا قالا في أول عمره، ثم ارتعي ووُجَّها وجهًا يتحملها التأويل. فإن تلك الخلفية التاريخية، والله نصير، محتاجة إلى براهين على سعادها يختلف الناس عليها، وهذا عبيد وغير صادق، فإن القضية ممكنة عرضها على شيء حاضر بين أبيدينا، لا يمكن الاختلاف عليه.

قال كيلة لدمهنا: كيف كان ذلك؟ قال دمئة:

زعم القبطي في ترجمة شيخ المعرفة، أن بعض البغداديين بالبلاد الشامية أحضر له أوراقًا تبعت على ذاته تصانيف أبي العلاء وتفاقيده أكثرها. وزعم باقوت الحريش على تنبيه كُل شيء أنه وقف على فهست كتاب شيخ المعرفة. نقله من خط أحد متشقيلك الشيطان ( أت كُتيبه )، إملاة أبو العلاء نفسه، وأنه قرأ نسخة أخرى منها، فلم يقطع بواحدة! فمن طريق القبطي وياقوت وغيرهم، تجد نشخ الشعر خمسة

كتب في المنظوم ( وهو الشعر )، وهذه صفحها تتفاقيها ملخصة:

(1) "مقط حزن"، يشم على شيء نَظَّم قديمًا، تزيد الأية المنظومة فيه.

(2) "لَو لَو ما لا يَلزَم"، أربعة أجزاء، مئة وعشرون كرامة، فيه أحد عشر ألف بيت ( وهو مطبوع).

(3) "ملقي السبيل"، وهو أربع كرايس، ( وهو مطبوع).

(4) "استغفر واستغفر" يشم على نحو عشرة آلاف بيت ( بلغني أنه وجد)، ثم عرفت أن ذلك باطل.

(5) "جامع الأزور والبحور" ستون كرامة، تسعًا آلاف بيت ( لم يوجد بعد).
معلومٌ عند أهل الأسئلة ، (ولا مؤخذة ولا تصريحة) ، أن الأربعة الأخيرة كتبها
شيخ المعرّة وهو زعيم المحسنين ، أي بعد عزؤه في سنة 400 ، وقد جاورت سابعه
والثالوثين من عمره بكثير ، فهذا لا تدخل في نص صاحب الخبر إذ قال : فإنه في
أول عمره ، فلم نحنصل مما ذكرنا إلا على "سحق الزند" ، الذي نص الشيخ المعرّة
في فهرست كتابه على أنه "شيء نظم قدما" ، ونص الشيخ الإمام أبو زكريا التبريزي
(421 - 502 هـ) على مثل ذلك إذ قال : "قرأت عليه كتب كثيرة من كتب اللغة
وشبيه من تصنفه ، فرأيت بكره أن يقرأ عليه شعر صفاء ، الملقب بسحق الزند ، وكان
يغتفر الكلمة إذا قرأته عليه ، ويقول معتذرًا من نأتني وامتناعه من سماع هذا الديوان
محدث نسيفي فيه ، فأنا أكره سماوعه ، وكان يحبني على الاشتيال بغيره من كتبه
كبارون ما يلزوم وجاعم الأوزان ... 9 . ثم جئي بشيخ المعرّة في مقدمته "سحق
الزند" ، فذكر أن هذا كان منه إذ كان في "زمنا الحداثة (أي أيوان الشباب)
ماثلاً في ضوء الفضتين" (أي ناحية الشعر) ، ثم ذكر أنه كره شعر صفاء : "لما فيه
من غلوب في مدح الأديب" ، بالفعل ربما كان فيها صفات تحملها صفات الله عز
وجل ، فهو يقرأ منها ويجعلها مصنوعًا إلى الله سبحانه ، ثم يستغفر مما فعل
وعلى قليل من الأناة يتجمل به المبتدين الجامعين ، إنه عيانًا مثالًا أن شيخ
المعرّة لم يعترض مثا زعيمه التاليف صاحب خير القفطان ، بل اعتذر ، كما قال
التبريزي ، من مدح نفسه في شعر العين ، وحسبك برهانًا على ذلك ، ما كنا نعلمه
من شعره ونحن أطفال في سحق الزند ، 
وإلى وإن كتب الأخير زمانه ، آتى بما لم تستطعه الأولٌ
وعايزن أيضًا من الغلوب في مدح الأديب بصفات لا يستحقها ، وهذا كثير من أول
شعر السحق إلى أواخره ، فإذا علمنا أن الشيخ إسماعيل عادل من هذا وأعجبه ، ولم نجده
اعتذر من شيء غيره كان في "سحق الزند" ، فذكرنا وحده كاف في الدلالة على
جعل صاحب الخبر بشأن المعرّة وشعره . ونعلم ، قد وجد الناس ، بعد أن ساءت
القائة في الشيخ ، كما سأني ، في "سحق الزند" شعراً استحرحوه لفيدحوا به في
دياته ، ولكن المبتدي الجامع الشاذ يستطيع أن يعلم أنه محصور في ضرب
واحد هو ما جاء في بعض مراتبه من ذكر جزؤه الموت واستبشاعه ، وأن الموتى يُفْضَعون إلى غيب مجهول ، لا يأتينا عن أحد منهم خبر ، وأشباه ذلك . ولا أظن ، ولا أظن الدكتور لويس عوض يبطل !، أن شيء من ذلك كان ممكنًا أن يجلب على الرجل الوثيقة في دينه ، وإساءة النظر في اعتقاده ، لأنه لم يُبْرِغ فيها إلا على مدارج الشعراء قبله وبعدة ، مما لم يلزمهم أحداً يمثل هذه النقيصة . وإذن فالأمل أن يكون محتملاً إلى الاعتبار منه ، وتوجيه وجه وحي يحتملها التأويل ، كما قال الراوي .

وكلّ شاء جامعٌ مبتديئ ، يستطيع إذا عرف لغة العرب ، أن يقرأ « سقط الزند ».

كَلّهُ ، فيجدَهُ يُجْلَو ( أي خالِقًا خُلْوًا ثامنًا ) من شكوكه يُمكن أن يقال إنها أنشدته في صدر القلبي المعرق ، من جراء أقوال من أوقات أقوال الفلاسفة ، سمعها من راهب يُقَدِّمُهُ شَيْئًا من علوم الأوائل » ، فإذا فعل هذا ، وهو صحيح بلا شك ، فحسبه به تكذيبًا لقِضَّة هذا الخبر ، وناهيك به دليلًا على جهل قائله جهلكًا ثامنًا ثامنًا ، مكَّنَكُهُ بشرح أبى العلاء في صيام ، ومع ذلك ، فأنى أُحْبُث أن أريد هذا الشادى المبتديئ شيئًا من المعرفة ، أو أوقر عليه بعض الجهاد أو أعطيه مفتاحًا صغيرًا لدراسة شيء من تاريخ شيخ المعرق ، بأن أدله على شيء حققه بنفسه مثليًا شعر « سقط الزند » ، وهو أن جعل ما استنخره الطالعون في الشيخ من شعر « سقط الزند » ، مما نسوا إلى سواء اعتقاده بعد تأويله ، ليس البئة مما قاله في أول عمره وصياحه ، بل مثا قائله وهو في الثلاثين وما بعدها بقليل . وهذه فائدة لطيفة !

وصاحب هذا الخبر ، بل أدنى ريب ، بعد الذي قدمنه : ليس معاصرا لأبي العلاء ، لأنه لو كان له معاصرا ، لسارع القفزات المنفردة بالخبر إلى ذكر اسمه ، كما توجب بذة العقل ، ومأسفة أننا في شكل من شكل وجود بذة العقل في أيّانا هذه ! . فإذا ليس معاصرا ، وهذا أمر استغرق عناية بعد قليل ) ، فإننا هو إنسان قال ما قال بعد أن ساءت القالة في عقيدة أبي العلاء بعد سنة 400 ، أي بعد أن عاد من بغداد ، ولزم بنيه ، وترك أكبر اللحيم ، وكتب ما كتب من شعره ، مثل : « لا يزال و » « استغفر واستغفر لي » ، وغيرهما مما كان سيّبا في التشبيه عليه والنقية من دينه .
قال كليلة لدمنة: وكيف كان ذلك؟ قال دمنة:

زعموا أنّ أحد من كتب الشيخ المعززة ترجمة من معاصريه هو التميمي، في
تتمة بيتهم فدا (350 - 429 هـ)، وتوقيع قبل أئمة العلاة بعشرين سنة،
وكتابه مطبوع. فمن الخير، بل من أجل النعم التي تحترمها جاءامع، شادي كان
أو أستاذاً كالدكتور لويس، أن يعرف نص هذه الترجمة، قال:

كان حدثي أبو الحسن الدلفي، المعصيسي الشاعر، وصاحبها التي ينسب
إليها بلاد الشام، وهو ممن لقيته قدماً وتحديداً في مدة ثلاثين سنة، قال لي بيت
المعززة: جرى من العجب، رأيت أعمى، شاعراً، ظريفاً، يكنى أبا العلاء، بلعب
بالشطرنج والترزق، ودخل في كل فن من الفن والهزل، سمعته يقول: أنا أحمد
الله على العمي، كما يحمد عليه على البصر، فقد صنعت لي وأحسن بي، إذ
كنا رؤية النقلاء البغضاء. قال: وحضرته يوماً وهو يغلي في جواب كتاب ورد
عليه من بعض الروساء، ثم ذكر ثلاثة أيات أمثالاً الشاعر الأعمى، ولم يرد على
ذلك شيء، وهو جلّ في خال خلوا ثماً، من كل إشارة إلى أهتمام الرجل في دينه.
وينبغي من فئته الجامعات، وأخيراً أعذر لأساتذتنا كلامنا لأنّي لا أعني بهذه
الرسالة، يستطيع الشادى أن يعلم علمه، يقول أنني في قول أبي الحسن المعصيسي،
لقيت معاصره، جرى من العجب، أعمى، شاعراً، ظريفاً، يكنى أبا العلاء، فلما
سأله عن معجزاته،غلي عليه أنليبه قبل آخر سنة 398 هـ، لأن المعززة فارغة داره المعززة
في هذه السنة، ورحل إلى بغداد، وأقام بها إلى سنة 540 هـ، ثم فارقته إلى المعززة، وألزم بيته، وطلبت الأفقاً من يومه، شهدته، وهو في ذلك
السنوات الستة والثلاثين من عمره. ومجالل أن يكون كان ذلك بعد الغزاة، إذ لم
 يكن يجلس الناس يوماً، فأصل في أن بلعب بالشطرنج والترزق، ويدخل في كل
فن من الفن والهزل، كما قال أبو الحسن.

هذه واحدة، وأخرى أن في قول المعصيسي في آخر الخير: وحضرته يوماً
وهو يعمر في جواب كتاب ورد عليه من بعض الروساء، بلعب في كل شيء مهم
جداً، ويزيل كثيراً من الغموض الذي زعم الدكتور لويس عوض أنه يحيط بتاريخ أبى
العلاج إلى أن بلغ الخامسة والثلاثين من عمره، والدكتور بالطبع قد ذكر كل شيء وأحاط بما لدينا علمًا، وهذا شيء ينبغي الإقرار له به والتصدي عليه. إن الرؤساء لا يكتبون في قصص المؤلفات. إنما ما كان الدكتور لويس عوض، فإن الرؤساء لا يكتبون إلى رجولته وعرفته الناس وذكراه، فراسله الرئيس بعد الرئاسة وراسلهم، وبدايته المنطقة، إن كان بنى للمنطقة بداعه، بعد مقالات الدكتور لويس عوض عن شيخ المعرة، والتي لا تزال تنشر إلى يوم الناس هذا: الجمعة 33، رجب سنة 1384 هـ، وبدايته المنطقة، والأمر للله، توجب أن يكون أبو العلاء كان يوقف في حدود الخامسة والعشرين من عمره على الأقل، أي في نحو سنة 388 من الهجرة، على الأقل مرة أخرى.

وثائدة ورائعة، وخصم، وما شئت، فنُصّ كلام أبي الحسن المعصم، دالًا أو زواج الدلايلة على أنه نقي أبا العلاء بالصراحة مرات، إذ لا يتفق أن يرى منه كل هذه العجب في مجلس واحد، إلا أن يكون الفتى المعزى قد لحق به وراه الفارس أيضًا، ففي التمثيل، نقلًا عن يونان الدكتور لويس عوض، قف على مسرح يعرض أعماءه فعًا واحدًا، ليستخرج بها العجب من عيون الناس، والفلوس من جيوبهم! ودليل آخر على تكرار هذا اللقاء، أن أبا الحسن يقول: وحضرت يومًا وهو يعلم، فإذا يوم غير الأيام التي ذكرنا، وبدل تكبحه: يومًا، على تكرر ذلك في أيام متعددة، وهذا صعب على الدكتور فيه، فأقذف، وإذا كان ذلك استنباطًا صحيحًا، وهو صحيح بلا شك، ولكن هذا الأعمى الشاعر، الطريف الذي يلعب بالشطرنج والبندق، ويدخل في كل فن من المجد والنهز (أه!! كأنه يعني بذلك التراجيديا والكوميديا، وتلقاها أبو العلاء أيضًا عن الرهبان بلا شك)!

وكان أبا الحسن يتقاء خلال إقامته بمجرة النعمان معاذًا لقاءه، وبراء عجياً من العجب، ألم يكن من حق هذه الطريقة العجيبة على أبي الحسن أن يقتضى أخبارها ونشأتها، وكيف بلغت هذا المبلغ؟ وإذا قُدر، وكان هذا الأعمى مثهًا في دينه، لبما استوحى شعره بصباه من الشكوك (اليونانية)، حتى احتضن إلى الأعزاز منها، والنمس لها ووجهًا من التأويل، ألم يجد مثةً مثقه بمعجزة النعمان من يقول له: كان
وكان من خبر الفتى وانحلال دينه؟ وإذا كان قد علم ذلك، فلم أخفاه، ولم لم
يضايقه إلى عجائب الفتى ليطير بها صاحبه التقليدي؟

واجابة هذه الأسئلة بايجاز، واستنادا إلى ما سلف، هو أن هذا شيء لم يكن
فقط، وهذا يبين إن شاء الله تعالى، ومع كل ذلك، فشيخ المورة وهو في الخامسة
والعشترين من عمره، لم يكن مغمورا ولا مجهولا، وقد تأزرت الأخبار على ذلك.
ووجدنا شيخ المورة بالمعهود من صدقه، على أنه كان يومئذ قد بلغ الغاية في
تحصيل العلم، فهو يقول في رسالته إلى خاله أبي القاسم على بن سبكي، والتي
أرسلها إليه عند طولته من العراق سنة ٤٠٠، وهو يومئذ في السابعة والثمانين.
«وقد فارق العشرين من العمر، ما حذلت تعليمه باحترام علم (أي طلبه) من
عراقي أو شام، من يهله الله فهو المحدث ومن يفصل في هذا، ليسجع له ولا يبشره».

إذن، فإن كانت سنة ٣٩٨ من الهجرة على الأقل، لم يكن ابن أبي العلاء
موضع تهاجر، ولا كانت مقالة الشوء قد سارت عنه في الناس، وهو يومئذ في
الخامسة والعشترين، أيما ملء شبابه ووجوهه، وفي أواخر الطريق الأعظم إلى الشهرة,
التي سوف تزداد في جنبات بلاد الإسلام، وتحلى خبر التعاليمي المعاصر الأول له,
مستندا إلى أبي الحسن الذي رأى بعينه في معركة العامر مرارا، قد ذل دلالة قاطة
على أن هذه القالة لم تكن إلا بعد عودته من العراق، واعتزازه، وتأليف ما كتب عليه
فيه المأخوذ، كازورما لا يلزم، واستغراب واستغراب، بعد سنة ٤٠٠ من الهجرة.

ولو كان ذلك معرفة عنه في صباح، ثم اعتذر منه، لما قال الخطيب البغدادي
المعاصر الثاني (٤٣٦ - ٤٤٤) بعد شهرة أبي العلاء، ودخوله العراق،
والخطيب عند ذلك في الثامنة من عمره، لم يufacturer أمر أبي العلاء إلا بعد ذلك بدهر
«وخارج شورا من القرآن» ( يعني في كتاب الفصول والغيات، وهذا باطل
بالطبع)، وحكي عنه حكيات مختلفة في اعتقده، حتى رماه بعض الناس
بالإلحاح، فهذا لا يقول مثل الخطيب لشيء كان في الصبا الأول، اعتذر منه
صاحبه ونبرأ ووجوهه وجوهها يجعلها التواصل. وأيضًا لماتم عقلانا (والمؤذن)،
إن يقول المعاصر الثالث، وهو الباحثي (.... - ٤٣٧) «وكذو فال في ظلال
في زمن العظورة والجهل، على أن الباحثين يأتوا بقايا ظهور، يقول بعد ذلك في شعر صباه: "رأيت ديوان شعره الذي سماها سطح الندى، وهتف فيه كالحمام على قَتِنٍ غَضَب النبات من الرَّيْد"، فلا ينكر من هذا الشعر شيء، بل يثبت عليه.

فهولاء الثلاثة المعاصرون، يقطع حديثهم عن شيخ المعرفة، بأن ما جاء في "خبير الراهب" بأطلال، لا يقوله إلا جاهل بشرع أبى العلاء، وبالرغم الذي ظهرت فيه سُيَّرته في ديبه، ولا يقوله إلا أطين (أي مّثّهم في نفسه أو عقله)، يحسب أن الناس كأنهم مثله جَهَالٌ بلا عقول. ولا يقوله إلا مختلف العقول من سماك التوهى والإدمان، (والشمادير، ما يرى للحموم إذا دار رأيه من شكر الشراب).

وكان به مسمع ما يقول الناس عن ذي شيخ المعرفة فقال، يتهابي بطرفة من الطرائف كأنها عائلة تحيث على غيره، وكأنه مسمع قول أبى السعدى في طلب العيش:

وأما طالب المعيشة بالنمشبي، ولكن أي ذُلك في النذلاء.

تُجَلُّكُ يا ثُمَّاً، ويا مَمَّا تُجِّغُكَ بخِشَايَةً وِقَلِيلِيُهَا

(والحماة، السلم الأسود المتن) ولهذا يخدم من مثله، لأننا وجدنا في زماننا أيّة ذلك ومُضايقة! في كل فت من فنون القول، شعر، نزرة، وروياية، وترجمة للرجال، وتحليلاً لروائع الفن، وتأريخًا للعصور، إلى آخر هذه السلسلة المنظمة! وكُل ما أسلفت ذالك أوضح الدلالات على أن قائل الخبر الذي واه القطفاء ليس معاصرًا لأبى العلاء، لأنه لو كان معاصرًا قال كما قال معاصروه، ولم تظهر في قوله البيته على كذبه. إذ لم يكن معاصرًا، فلا يؤخذ منه شيء إلا بالحججة، وإن كتب لا تقبل شيئًا إلا بالحججة التي يقبلها العقل السليم من الآفاق، من معاصر وغير معاصر.

وأما "الخليفة التاريخية"، وبها تستثمر البلادا، وهي صدر خبير الراهب، فله حديث هو أحق به إن شاء الله، (والعرض مستمر).
حاشية: أرسل إلى أخي الأمين أحمد راتب النفاخ، من دمشق رسالة يذكرني
بما أن أكثر من وصف "ياقوت الحموي"، بأنه "شامبي"، مع أن ابن خلكان،
ذكر في أول ترجمته له أنه "رومي الجنس، خموئي المولد، بغدادئ الدين"، لأن
مولاه عسكر بن إبراهيم الحموي، كان تاجرًا يسكن بغداد. وهذا حقيق، ولكنه حقٌّ
أيضاً أن ياقوتي بعد أن تلقى من العلم ما شاء الله بيغداد، شغله مولاه في ملاحة، قال
ابن خلكان: "كان يرتد إلى كيش، وعمان، وتلك النواحي، وعود إلى الشام"،
ووقد واضح دال على أن ياقوتي كان كثير الأوّة إلى الشام يقيم بها، ليقوم بتجارة
مولاه عسكر الحموي في الشام، دون بغداد. فمن أجل هذا، ومن أجل مولده في
حماة، ومن أجل سعة علمه بأمر الشام، جعلته "شامبي" بهذا المعنى. وعند أن
أكون أصبه الاستدلال، وأنا أحمد فضل لا يُنكّر، وشكرني لا يُتقدّر.
بل قليًا

الرسالة
الخميس 9 شعبان 1384
وأيضًا، ليس حسناً، بل قبيحًا أن ينتقد كاتب على قراء صحفه أو مجلته (تُنقذ، على وزن تكلم بكلام، وتحزم بحزام)، فشَّل الرُّؤى على خضره، أو يقبيه على منكبه (والرُّؤى، القرية)، أو يضع مزمارة في فمه، ثم يمشيه به مختلًا، بيض قامة، يصقر خلد، ويشيئ عنقه (أي يرميها إلى الزّواة مرفوعة)، ويُخرَج صدره، ويخطو على بساط من الزهر والتعاطم نافخًا شذقيه، ثم يلِيسُه هواء جوفه إلى جوف قريته، ليسمح الناس، شاءوا أو أبى، فوميتي القرب (الأسكندانية) العالية الضجيج، المتشابهة النغم، وظلُّ يفعل بهم ذلك أسبوعاً بعد أسبوع إلى ثمانية أسابيع، لا بل منذ كتب. ولكن هكذا كان، فإن الدكتور لويس عوض، ظلى ينزل بنا تلك الأنغام، بلا رحمة ولا تجنُّي على البائسين الضارعين فَتُوها صحيفة الأهرام صبيحة كل جمعة. اليوم الجماعة عندنا نحن مبارك الساعات: «في ساعة لا يوافقها عبد مسلم قائدّ يُضَّل بسأله خيراً إلا أعطتها إياه»، كما جاء في الحديث الصحيح. بيد أننا قضينا زمنًا طويلاً نصيح يوم الجمعة، لنجد فيه ساعة معكوسة الحظ منكوسة، كالذي قال أبو غياث البيهري في إيوان كسرى:

َعَكِنَّتْ خُطْهُ اللَّبَالِيَّةِ، وَبَاتِ المُشَهَّرِيَّ، فإِنَّهُ كَوْكُبٌ نَخْسٍ
فُهُوْ تَنْدَيْ نُجُلًا، وَغَلْيَهُ كَلَكِلُّ مِن كَلَكِلِّ النَّشَرِ مُؤْسِيَ

وَنَحْنُهُ، والله، كذلك، يُبَيِّن مَعِ يوم الجماعة هذا التجلدٌ! و (بالمرة)، ليس حسناً أيضًا، بل قبيحًا أن ينتقد بالله كاتبًا يواجه أعين الناس بما يكتب، فيخترج عليهم كأنه بطل بذاخ عليه أنه ماهر المصابيح العائش، ليقرأ الناس في كتابه رايتًا جماً، أشبه (فيه ياص، وعليه لأنه المصابح، أي ساحة)، على رأبه الخوذة، وعلى بدن، من فوق رأسه إلى نصف ساقه، سابعة رغفة، أي درعَ.
ضافية لينة ) تلالاً، وفي قدميه زرُّوُنل ( وهو الحذاء باليونانية )، وفي بُيُتاً قطارة ( وهي الزمح النقيب، باليونانية أيضاً )، ويبراء الزمرق الأعمال ( وهو الزمرق، أي العلم )، ثم بتحيرت جهوداً وذكاءً بالغريج والضيلف، ولا يقين حتى يرى نفسه قد تولى إمارة اليونان، والروم، ثم ما تولّد عنهما منذ القرون الوسطى إلى اليوم. ويوجد مع هذا الوهم شموخاً ونحوه، حتى لا يكاد يرى في الكون، فلم كان، شيئاً غير هذه الثلاثة، منها المبدأ وإليها المعاد. إنه نفيذ تعيش في ورحمة الله عبد الصمد بن المعذل، إذ قال لصديق له تولى إمارة القنطنات ( وهي عيون القنطن، أي البرول )، فأظهرته بنفسه وعجياً:

لَعَمِرُي، لقد أظهرت تبيها! كأنما توأمت للقفل من مزارع عُكُروًا، دع الجبر، واتبعت الشواطع، إنه قبيح باليال القنطن إن يبتكرًا لحفظ عيون القنطن أخذت نُحْوَه! فكيف به لو كان مشكاً وعجراً!

وصدق والله، كيف به لو كان مسناً وعديباً? ونسال الله أن يجيئنا شرّ كل شُرْتَنْان كَانَ أو هو كائِنَ ( وأرشتنان، يُهْيِج الشنين ومسكون الرئة، معروف في لغات العجم، وهو في العربية سبعون اسمًا على الأقل، أو كما قال شيخ المعرفة)، وأن بصعين لنا ويحفظنا من تياء يونانيين، أو زموم، أو قُوَّوين! ( نسبة إلى القرون الوسطى)، والله وحده نستدفع البلاء.

٠٠٠٠

وأعود الآن إلى ما كنت فيه من حديث راهب دير الفاروس باللذاقية، وما كان

في رواية الخبر من الكواين، والله المستعان.

وأظني، والله أعلم، قد فرغت، إكرامًا للدكتور لويس عوض، من إثبات انفراد القنطن بالخبر، بما إسند إلى أحمد، وأنه حسب مجهول لم يعلمه أحد، ولم يسمع به سامعاً، ولم يذكره ذاك العثماني أو في كتاب، منذ كان شيخ المعرفة، إلى أن كتبه القنطن، وذلك في خلال مئة وثمانين سنة على الأقل، وأنه لم يقف عليه أحد بعد ذلك، إلى ساحة قراءة الدكتور هذه الكلمة، في شهر شعبان 1384 من الهجرة، في كتاب كان قبل كتاب القنطن، ولا في كتاب جاء بعده تقلّ ذلك.
الخبر عن أحد غير القفطين!، وإذا فهؤ خيرٌ مجهولٌ المخرج دهورًا متطاولًا،
خسناها بحساب العلماء، وألمراثعًا البونية، فإذًا هي ستتمسة سنة وخمس
وسنتاً سنة!! هذه كائنة الكوائف، وكانت خشبةً وزيادة في إسفاط الخبر
وإطراءه، ولنبيحةً أحيث، إكراما للدكتور لويس، أن أكثف له عن كائنة أخرى بل
كوائف، فإن الخبر مخوموم بقضيّة قابلة للعرض على واثق ثابتة حاضرة عيدة,
لا ينطوي فيها غزتان، كما في العمل!! وقضيّة الخبر: أن شيخ المعركة حدثت له
شكوك وانحلال!! أنهما من قبل راهب دير الفاروس!!، فلم يطم كمالها، فأوصها
أشعارًا قائلًاها في صيحة، ثم نائب وارعى، واعتدت منها، وجهها وجهها بحملها
التاجر، فأثبتت بالبرهان المعتمد على الوثائق الأولّا، وعلى العقل ثانياً (إن كان للعقل
هنا فائدة)، أن هذا شيء لا حقية له، ومناقض للفقه، وباطل دبلً على بطلانه
ما عندنا من شعر الرجل في صيحة، وبدلً على بطلانه أيضًا ما تضمنه تراجم الثلاثة
المعاصرين للشيخ = وتبين أيضًا أن الذي حديث القفطان بالخبر ليس معاصرًا لأبي
العلاوة البديعة، وأنه لا يمكن أن تكون منقولًا عن معاصر بالبديعة أيضًا، واحدًا =
وهو جاهل بشعر أبي العلاء، وبالرغم الذي بدأته فيه تهامة الرجل في دينة، ثانيةً =
وهو فوق ذلك ظنن في عقده، يحبس أن الناس كُلهم جهلاء مثله بل عقوله,
ثالثة = ومخلط العقل من سماعيد الهوى والإدمان، رابعة = وشربان قد يكون مغرقً في
الرهاونة والطيش، خامسة = وكماب لا يحسن يकذب، سادسة = وإن شئت فذّ
ولا خرج. فهذا ما كان، ونرجع إلى ما سيكون أ

فإكراما للدكتور لويس عوض، مرة ثالثة، نشر في مدرسة «الخلفية التاريخية
لهذا الخبر العظيم!! »، أكرام الله وأجراكم، والتي هي عند أصحاب هذا الد(doc).
فهذا نص مكتوب بالعربية (مع الاعتذار للدكتور)، سندرسه على منهجنا نحن。
في المدارسة، وهو البديهة والعقل، لا على منهج الدكتور لويس عوض. فقد بأن، فيما كتبته، ما في منهجه هو من التسرع ومن الخطأ، ومن قلة الأحتفال بدلالة الألفاظ في اللغات، ومن طرح المبالة بمحيط التاريخ، ومن إغفال بعض الحقائق لحاجة في النفس، ومن الاستهالة بالوثائق التي يطلب الشاذداب المبتدئ أن يتألمها من قريب، ومن عدم التمييز بين الزيف والصحيح، ثم من اعتناقه بعد ذلك كله على وسائل بعيدة من دراسة الآداب، وهي وسائل إخراج الأفكار، حيث يعمد المخرج إلى الحقائق فيفرّها ويعدّلها، ثم ينفّذها من مكانها إلى مكان آخر، ثم يحشّو ما بين ذلك بالأوهام والأخيلة والسمادر. وهذا منهج لا يزال يزيل يزيله إلى آخر المقالة الثامنة، لم يعفو عنه، كما أرى شيخ المعركة في صيامه! وسأكشف ما ينطوي عليه منهجه هذا حين يحين وقته.


واقريّ مثل هذا الخبر ودار شيء، لا يجوز له أن يغفل عن أشياء، بعضها يتعلق بأبي العلاء في ذات نفسه، ثم بأمرته، ثم بتاريخ زمانه، وبعضها يتعلق بمن ورد ذكره في الخبر، وبحاله وحال قومه، وبأمور كثيره مستظهر عن قريب إن شاء الله.


فأول أمر أن يقول به كاهل الدكتور لويس عوض، أن أدرك له طرقا من شأن أسرة أبي العلاء، فهو أبّ العلاء: أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن داود بن المطهر، فيتهبه نسبه إلى تُوّه أو تُوّه، وهي قبيلة قديمة ذات شرف في عرقכול، الجاهلية قبل الإسلام بعهد طوال، إذا جاءنا الله بالإسلام، وفُتحت الشام، وأسلم من أسلم من تُوّه، كان منهم أجداد أبي العلاء. فصار لهم أمرّ ظاهر في الإسلام في عزة الأنبهان، حتى كان أكثر قضاها المعركة وفقها، وعلامتها وكتابها وشعرائها من هذا البيت، بيت: بني سليمان بن داود بن المطهر، جدّهم الأعلى. وصار أمر قضاء المعركة إليهم، فكان أول من ولى قضاها جدّ جدّ الشيخ أبي العلاء: سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود في سنة
0 690 هـ ، ثم ولده محمد بن سليمان بن أحمد ، بعد موت أبيه في حدود سنة 630 هـ ، ثم ولده سليمان بن محمد بن سليمان سنة 631 هـ ، بعد موت أبيه ، ثم ولده عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان وأنى الدولة المعلمة في سنة 637 هـ ، إلى أن توفي بعمرة الراي سنة 695 هـ ، أبو الدولة يومث في الثانية والثلاثين من عمره.

أوامر ثانٍ ، أن شيخ الستة قد حدثنا عن نفسه حديث الصادق الذي لا يكذب ، وهي خليقة ثابتة له يعرفها كل من هو أن ظريف الله أن يدريس ما كتب الشيخ ، بلا شك في ذلك ، فكان مما حثنا به في رسالته إلى خاله أبي القاسم علي بن سبيكة ، والتي مرت ذكرها أنفًا أنه قال : وقد فارقت العشرين من العمر ، ما حثت نفسها بابتداء علم ( أي طلبه ) من عراقه ولا شام ، فهذا تحدثت بلا كذب ، ولا ادعاء ، ولا توهم ، يقطع بأنه لم يقرأ على أحد من الشيوخ بعد هذه السن في بلده ولا في غير بلده ، وقاله : وقد فارقت العشرين من العمر ، يدل على أن ذلك كان إلى حدود الثلاثية والعشرين أو الثالثة والعشرين من عمره ، أي في نحو سنة 386 تقريباً.

وأوامر ثالث ، وهو ما حصله أبو العلاء من العلوم في هذه الفترة ( أى إلى سنة 686 هـ ) منذ نشأته إلى أن فارق العشرين . فقد حدثنا الحافظ أبو طاهر السفيق ( 476 - 576 هـ ) ، وقد لقي كثيرًا ممن أخذ عن شيخ المعرفة ، فقال : وقد قرأ القرآن بكثير من الروايات ، على شيوخ ينتمون إليهم في القراءات . هذه واحده وأخرى ، أنه قرأ النحو ، واللغة بمعرفة النقوم وأوالده القاضي أبي محمد عبد الله بن سليمان ، وهو من تلاميذ إمام اللغة ابن خالوية [ ... 370 هـ ]

1) وعلى أبي بكر محمد بن مسعود بن محمد النحوي.
2) وعلى زاوية أبي الطيب المعتبري محمد بن عبد الله بن شغف النحوي.
3) وعلى القاضي أبي عمرو عثمان بن عبد الله الكَرْجَي د. الطُرِبُوشِي فاضي معرفة النقام في سنة 385 هـ.
4) ثم أخذ الحديث عن أبيه ، وعن جده سليمان بن محمد [ 377 - 385 هـ ].
(5) وعن أخيه محمد بن عبد الله بن سليمان [350 - 430 هـ]، وهو أستاذ
من أبي العلاء بثمان سنوات.
(6) وعن جدته أم سلمة بنت الحسن بن إسحاق بن بلبل.
(7) وعن أبي زكريا بحبي بن مشر.
(8) وعن أبي الفتح محمد بن الحسن بن روح.
(9) وعن أبي الفرج عبد الصمد بن أحمد بن عبد الرحمن.
(10) وعن أبي بكر محمد بن عبد الرحمن الراوي.
(11) وعن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن كراكي الزقق.

[التحفة]، هذا ما أوقفت عليه ابن العبد وغيره من شيوخه وقراءاته بمعزة
النعمان بالنص عليه، وهذا كله بلا شك، كان إلى أن فارق الشيخ العشرين من
عمره = فأنا أحب أن تحذثني بأي وجه يستطيع عامي موضع في فضلك عن شاهد مبتدع،
فضلاً عن أستاذ جامعي، زعموا، أن يقول ما قاله الدكتور لويس عوض في مقاله
الخامس: "الدَّرجَة* أنه لا يعرف شيء عن تعليمه الربم (يا سلام، ما أضحك !!).
الرسمي مرة واحدة) حتى سن العشرين، وهي سن التكوين (خذ بالثمن
فضلك !) إلا أنه تعلم في حلب، ثم في أنطاكية، ثم في اللاذقية (بالطبع
بالطبع) ثم طرابلس. ومثل هذا الغموض الذي أاحت تكوينه العقلي (يا أستاذ !)
حتى سن العشرين، يحيط أيضًا بحياته كلهًا فيما بين العشرين والخامسة والثلاثين
(مهًا يا موسيقى القرب، وحنانك يا ريكاردس قلب الأسد !!). [انتهى
التحفة].

وتعود إلى المجدد مرة أخرى، بعد قراءة القرآن على شيوخ القراءات، وبعد
اللغة، وال نحو، والصرف، تبقى علوم كثيرة لم يتعلموا على شيوخه فيها، وإن كانت
بذاهة العقل (وبذاة العقل مشكلة عند بعضهم بالطبع !!) توجب أن يكون
أجتهما من جماعة ممن ذكرناهم من أهل، ومن شيوخ بلدههم، ومنع عن أن يكون نزل
بها من العلماء في طريق رحلتهم. على أن المعزة نفسها كانت يومًا معروفة بكثرة
العلماء والشعراء من أهلها. فمن هذه العلوم: علم تفسير القرآن، وعلم الفقه، وعلم أصول الفقه، وعلم التوحيد والكلام، وعلم الفرق الإسلامية وغير الإسلامية، وعلم التاريخ، وعلم الشعر، وعلم الفلك، وعلم الفلسفة، ثم علم الأدب كعلم البيان، وعلم العروض والقوافي، وعلم أخبار أهل الجاهلية والإسلام وأيامهم، ووفق ذلك كُلّه علم الشعر جاهلي وإسلامي إلى سنة 3 هـ من الهجرة رواية ودراية. وأنا لا أفترض ذكر هذه العلوم افتراضًا، بل يوجب الإجابة بها إملاءًا تأثيمًا مجزوءًا دراسته شعر صباه الذي ضمته الشيخ ديوان "سقط الزند"، وما تبع هذا الديوان مباشرة من رسائله وكتبه، ولا سيما لزوم ما لا يلزم، الذي ابتداه بعد عزلته في سنة 440 من الهجرة. ويجب الإجابة بها على وجه اللزوم، ما نعرفه نحن بالنشأة والمدارس (ومعذور، من نشأ على غير ذلك إذا لم يعرفه)، من أن ذلك كان شأن هذه الأمة في دراستها منذ كان الإسلام في كل حاضرة من حضاراته، فما ظلم بمن نشأ بيبتر كبيت الشيخ المعرفة، يُضحى العلم من نواحيه نساءة ورجالًا؟ [وقد مضى خبر تأثيم الحديث عن جدته].

• • •

أمر رابع: أن أبا العلاء أصبه البُجَرَّة وهو في الرابعة من عمره، فعمي.

ومن فتى له أن يفتق من سكر الأوهام لحظة، يعرف يرفقًا لا يخلطه شكل، مقدار ما ينبعث في قلب الأب من رحمة على ولده الذي عمى، وما تطوري عليه حنين جوانه من الخطاب عليه والإفلاش. فكذلك كان ما وجد عبد الله بن سليمان القاضي لولده أحمد الصغير الأعمى، حتى وجد الصبي عند القرارات وسكون الاطمئنن، فلما دُعي أبوه فأجاب، وذلك في سنة 395 هـ، قال أبوه الثانية والثلاثين من العمر، أبو العلاء في رئاه:

"لقد مَّثِّتَ قَلْبَيْكَ وَقلْبٌ طَارِئًا فَأَمُنِّنَّكَ أنَّ لا تَسْتَقْبَ قَلْبًا وتَنِعُيَّضَ قَلْبًا غَيْبَيْهَا، وَجُنَّاحُهَا، حَيْثُ الدُّوَّارُ في الإقامة والطَّغْنَعَ.

ومن عرف معاني الشعر = ( لا أُعنى شعر بلولود)، ولا شعر حوار، فهذا شيء خارج عن طاقة ذوي العقول! = أدرك أن هذا الضَّرَّر كان يعيش في كنيف أبيه"
وأشدُ مما وجد أبوه لعماه، وذلك أنه على ضريره الصغير الضعيف العاجز القادر بغيره لا نفسه، القصير النحل الرقيق الغضام، وهذه صفة الشيخ إلى آخر عمره، فكانت عليه أشد حذى من أبيه، وولدت أمه نفسي، تقوم شأن هذا العاجز الشديد الحيا، المفرغ الجبين، الذي يصر على أن يأكل وحده حتى لا يرى مولاه منه ما يكره أو يسعى أو يضحكه، وقد دَلَّ شعره في رؤيتها بعد موتها في سنة 398 هـ، وهي في السابعة والثلاثين من عمره على كل ذلك إذ يقول:

"دعَّا الله أَنْثَأَ لِيُوَالدَّ أمِّي، دَعِيَتُ، وَأَوْلَى النَّجَاحِ إِصْلَالٌ، مَضْتَ، وَكَانَ مُرْضَعُ، وَقد ارْتَقَتُ بِهِ السَّيِّمُ حَتَّى شَكْلٌ فُؤَدِّي أَشْكَالُ، وَيَكْرُرُ هَذَا المَعْنَى مِنَ رُؤْيَتِهَا مَرَةً أَخْرَى فِي قَولُ:

"مَضْتَ، وَقَدِ اكْتَهَلَتُ قَبْلُتُ أَنْيَ زَضِيعُ ما بَلَغَتْ مِنْذِ الْفِطْامِ، وَيُقُولُ فِيهَا أَيْضًا:

كَفَائَاتٌ رَيْحًا مِنْ كُلّ رَيْحٍ إِلَى أَنْ كَتَبَ أَخْتَبَى فِي الْتَعْمَ، فَهُوَ يَتَمْعَى أَوْلَى أن يَكُونُ أَجْلَهُ كَانَ سَابِقًا أَجْلَاهُ، إِنَّ كَانَ فِي أَهْنَا عَيْشٍ وَأَرْغَدُهُ، وَيُرَى أَنْهُ عَلَى ما بَلَغَ مِنَ السَّيْمِ قَدِ صَارَ رَضِيَّ عَاجِزًا هَلْكَتُ عَنَّهُ حَاضِئِهِ الْتَيْنَ تَكْفِلُ وَتَرْعَاهُ، فَهُوَ فِي الْضَبَاعِ إِلَى الْضَبَاعِ، وَكَذَلِكَ يُقُولُ فِي النَّهمِيَةٍ، وَيُزِيدُ أَنَّهُ كَانَ فِي حَيَاتِهَا غَيْبًا عِنْ كُلّ أَحْدٍ، فَهُوَ الَّذِي تَطَعَمْهُ وَثَقَفِيَ فِي خَلْوَةٍ بَعْدًا.
عن أعين أقرب الناس إليه، فلا يراه أحدًا شاربيًا أو أكلاً، كما لم ير أحدًا نعماً يشرح ماءً، لأن الطعام يجنيه بالرطب عن الماء طول حياته [ والرطب ]، بضم الراء وسكون الطاء، العشب الأخضر.

فلما راعه ما راعه من موت أبيه، ونقره بعد قرر مطمئن قد ألقه، أتسفته فزعه القلق أنه وحيدته عليه، ورأى نفسه قد استوى رجلاً في الخامسة والثلاثين من عمره (أي سنة 98 هـ) فأأخذ ما أخذ حتى عزم على الرحلة إلى بغداد، فركب رأسه ورحل مفارقاً أمه، وأقام في بغداد حتى سنة 184 هـ، فعاذ راجعًا إلى معرة النعمان، وإلى أمه، فإن هي قد دعت فأجابته، فكتب إلى خاله أخاه أبي القاسم على ابن سيكية رسالة تضخ صدرها فجيعة، حتى يقول: لا لم تكن الآجال زرعاً [ أي مكنوبة ]، لوجب أن أظل صبراً، [ الصبر، حبس الرجل على القتال حتى يقتل ]. على أنى والله قد أعطىها أتي مرتحل، وأن عزم على ذلك جاداً مرجع، فأذن في، وأحسسها طيبة مقدمة الشراب [ المذقة، الكذبة، الشارب، الكاذب ]، ووضع الخالق [ برق السحاب بلا مطر ]، ولكن أجل كتاب، وحرص على نفدها كتعميم أهل الجنة، كننا تفيد جدد].

فأثر فجيعة يبحثها العربي ( وأين العربي؟ ) وهو يقرأ هذه الأحرف الممزوجة بالمعن المتحدر على وجوه الشيخ، بلا نسيج أو ضحك!! [ واتسغفر الله، كيف أفتقر هذا لأساتذة جامع قموموس ]، [ أي قدم من ]!! وندع هذا لما نحن فيه، وذلك أن أبي العدل وهو في الخامسة والثلاثين من عمره، لست عزم على الرحلة إلى بغداد، أعلم أنه أنه مرتحل عنها، وأنه قد جمع عزمته على ذلك جاداً غير هازل، واستأذنها فاذنت له، ولكنه لم يكن منها إذًا على الحقيقة، بل كان ضرف لى عن إبدائتها بسماع ما يقول من ذلك ويزعم، وإسكاتا لهذا الشعاع لطلب الإذن بالإلحاح متبين، وظن أن، حين صرفه عنها بالإذن له الإذن أنه لن يفعل ما يقول، لعلهما بعجرة عن أن يحفظ أمر نفسه، في مطعمة ومشريه لأول مرة بين العرباء، وهو الذي يرى في حضانتها إلى أن بلغ الكهولة وارتقت به السلم، هي تطعمه وتستفيه في حلوة، وتقوم بكل شأن من شؤونه، وتصرف عن أعين الناس وما عرنى.
أن تقع عليه مما يسوءهم أو يضحكهم منه، فحسبت إلحاحه في الطلب وإصراره مذقة شاربة، وميض خاليء، وبقية مما تركه خمره على أبيه في نفسه من القلق والنفور.

***

فهذه أمور أربعة، أحببت أن أقولها بعض حقها من البيان مختصراً غير مطول، وإن كنت قد أطلعت على الدكتور لويس عوض وأطلعت عليه الشقة، ( والشقة، يضم الشين، السفر الطويل).

***

وتعود من هذا السفر البعيد إلى خبر راهب دير الفاروس! وقيل أن أتناول أنظار الخبر من الوجه الذي أردد، أحب أن أذكر كلمةً لما بأ حدث الكلام بطليفة جاءت في هذا الخبر، دالةً على أن محدث القطب في وضاع كذاك ملتق، فإنه يقول: «فреح، يعني أبا العلاء، إلى طرابلس الشام، وكانت بها خرائن كتب قد وقعتها ذؤوب اليسار من أهلها، فأجتاز باللاذقية...» وليس الأمر كذلك، فإن هذا الوضاع الملتق ( والنس متسابعون في كل زمان!!) قد سمع أو قرأ خبرًا آخر لا يقول صاحبه: «وكان بها خرائن كتب قد وقعتها ذؤوب اليسار من أهلها» بل يقول، كما حدثنا ابن العديم (580 - 660 هـ)، وهو معاصر للقطب في 564 - 465 هـ، ولم يطلع على كتاب القطب في بلا أدنى ريب في ذلك، وعلى الأقل، لأنه لم يذكره في كتابه، يقول: «وقد ذكر بعض المصنفين أن أبا العلاء رحل إلى دار العلم بطرابلس للنظر في كتابها». فقال: «دار العلم»، ولم يقل «خرائن كتب».

فانظر ماذا قال ابن العديم في نقض لفظ هذا الخبر، فأمسك بتلألب: «دار العلم»، كما نفعل نحن الآن بلفظ أخيه الآخر، قال ابن العديم:

» اشتهي عليه ذلك بدار العلم في بغداد، ولم يكن طرابلس دار علم في أيام أبي العلماء، وإنما جاءد دار العلم بها، القاضي جلال الملك أبو الحسن على بن محمد بن أحمد بن عمر، في سنة الثمانية وأربعين وأربعين (472 هـ)، وكان
أبو العلاء قد مات قبل جلال الملك في سنة تسع وأربعين وأربعمئة (449 هـ) ، وقف ابن عمّار بها من تصنيف أبى العلاء : "الصاهل والشاحيج" ، "السجع السلطاني" ، "الفصول والمغایثات" و "الساندن" و "إقالة الغايات" و "رسالة الإغريض" و. وهذه الدار هي التي ذكر ابن الأثير في حوادث سنة 305 هـ أن الصليبينين، على رأسهم قُمَش، حين أخذوا طرابلس، "نهبوا ما فيها، وأسروا الرجال وبنين النساء والأطفال، ونهبوا الأموال، وغنموا من أهلها من الأموال والأثاث وكتب دور العلم الموقوفة، ما لا يجد ولا يُحصى". وبقال إنه كان في "دار العلم" بطرابلس يومئذ، ثلاثة آلاف ألف كتاب، وأي ثلاثة ملايين، فاستقر ما فعل مناحيس الروم وأعْتَه الصليبينين يومئذ!! فهذه كذبة على الباجلس، ملفقة، أنبت بُطلانها ابن العدائم، وذلكل طلعت رحلة إلى العلاء إلى طرابلس من أساسها، ولإيطال هذه الرحلة ووجه أخرى غير ما قاله ابن العدائم، ولما لا تعالج الأمر من هذا الوجه:

بل نسأل أولاً: ماذا يزيد صاحب الخبر يقوله: "لما كبر أبو العلاء وبلغ سن الطلب؟ عشرة أعوام، أحد عشر عامًا، ثم عشر عامًا، ونحن نقول إنه لم يكن قبل الثانية عشرة، لقول أبي زكريا التبريزي تلميذه، فيما وجد مخطوطة على آخر سقط الزندة: "والشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة أو الثاني عشرة سنة". ولا يمكن أيضًا أن يكون بعد العدائم، لقول أبي العلاء الصادق عن نفسه كما أسففت: "وقد قフレت العشرين من العمر،ما حدثت نفسي باجتياز علم من عراق أو شام"، فذلك إذن بين سنة 375، وسنة 385 هـ، وإذا كان قد بلغ إبانسن أن يقول ما قال أبو العلاء من أنه في الثانية والعشرين من عمره لم يحت إلى أن يتعلم من أخذ من أخذ، فيهم الأئمة في كل فن وعلم، ففي كم نظله حصل ذلك؟ إن في سنة؟ إن في سنين؟ في ثلاثة؟ أظن لا، ولا بل إنما يعاقب أن يفترض أن ذلك كان في أقل عدد من سنوات، أي تسع سنوات، أو ثمان سنوات، وترضي بالأدنى والأثقل، فهي ثماني سنوات إذن، أي في سنة 377، وإذا فهو في الرابع عشرة من عمره، حين رحل إلى طرابلس، ودير الفاروس، وظل يكون عدئان قد قال الشعر منذ سنين، فصيح إليه لخبر الراهب معنى غير منتقض، إذ قال فيه إنه قال شعرًا ضمته شكوكه في صيحة.
أليس كذلك؟ ونعود مرة أخرى فنسأل: هذا الذي يبلغ قمة العلم في ثمان سنوات حتى لا يحتاج إلى عراقي أو شام من علماء أثأر، يكون بدلاً من العلم في أول هذه السنوات الثمان؟ ولا أظن أحداً يقول نعم، وهو يعقل معنى ما يقول وما يقال له. إن الذي مات أن يكون قضى في حفظ القرآن بقراءاته، وفي حفظ أصول اللغة، وأصول النحو والصرف، وفي تعلم مبادئ الفقه، وأصول الفقه، ومبادئ علم التوحيد والكلام، والشعر، وعلوم الأدب، من بيان وغروض، وألم بأن يكون أهل الجاهلية والإسلام وأتباعهم، ثم الشعر جاهلته وإسلامه، لا بد من أن يكون قضى في ذلك كل ما حفظاً ودراسة وتعلماً مهما خمس سنوات أو ست سنوات على الأقل، فيكون جميع دراسته منذ عقله. ثمان سنوات وخمس سنوات، فالله ثلاث عشرة سنة، فطرح هذا من سنة 385، ففيه ذلك سنة 372، وفي الناسبة من عمره، لأنه ولد سنة 373 هـ، فإذا شئت أن تتحدث في هذا التاريخ فوجهت تصحح لتصحيح تصوير خبر الراهب، افترضنا أنه بدأ حفظ القرآن ومبادئ العلوم، وهو في السادسة من عمره، فضفف إليها خمس سنوات، فهو إذن في الحادية عشرة من عُمره سنة 374 هـ.

فمن هؤلاء السؤالين، نخرج بأنه لا بد أن يكون رحل إلى طرابلس ما بين سنة 375 و 377. ولا يمكن أن يكون غير ذلك كأن، ليتحقق أيضًا مع خبر خضرة الراهب في أنه «سمع منه كلامًا من أوائل كلام الفلسفة، حصل به شكوك لم يكن عنه ما يدفعه به، فطق ببخاره ما حصل به بعض الاحوالات»، أليس كذلك؟ بل، لأنه لا يمكن هذا الراهب الشاذ أن يفظ شام قد فارق الصبا فينا العلم، وأخذ في مُحفزته الذي يبلغ به بعد ثمان سنوات أن لا يحتاج إلى عراقي أو شام.

فإذا أقرننا لصاحبه هذا الخبر بهذا كان بلا مناقشة في حقه ما يمكن عندنا (أمثلًا) ما هو وما هي مبادئه؟ فلا مناص من أن سأله سؤال آخر: أخرج هذا الغفي إلى طرابلس، واجتاز باللاذقية، ونزل في فاروس، وهو أعمى ضرير قادر بغيره عاجز بنفسه، خرج يطوى الأرض المنحوتة التي بهددها: «بُطلُ الروم»، كم يقول الدكتور لويس عوض، وهو حجة في مثل هذه الأمور!! متفردًا بلا قائد ولا دليل ولا رفيق؟
فإذا قال: «بلا رفق »، فذلك يُعلن خالِبٌ (أي جنون مطبق) = وإذا قال:
بِرَفق ودليل وقائد فسأل: أهذا الرفق من أهلٍ أم من غير أهلٍ؟ فإذا قال: من أهلٍ، فنلتَ أهُم مثلي براوة وبحوثه ونزدهرته وعجرته، أت عاقلٍ مدرك؟ فأنا مدرك من أهلٍ، فنلتَ مثلي براوة وبحوثه ونزدهرته وعجرته. وإن قال: مدرك. فقلنا: أهو مسلم أم نصارى؟ فإن قال: نصارى، فهو معروفة لا يخطب، وإن قال: مسلم، فقلنا: أفقعل عاقل أن رجلًا من أهل بيت يمي سليمان علماء المعرفة وفقهائها وقضائهما، وهو مع ذلك عاقل مدرك مسلم، ينزلُ ديرًا فيه راهب شاذ، فيدع لهُ غلامًا يُعيّن عليهُ أوقالًا من أوائل كلام الفلاسفة، ليس عند الفتى الصغير ما يدفعها به، وهوجالس إلى جواره يدفعهم دمَّره يرحته، ينظر ويتبسم كأنه لا يبالي؟ أنا أنشد أن يجيبني على هذا السؤال عاقلًا، لأني قد سمعت إجابةً من لا يعقل، منذ عائلا ما عانيث من عشرة عشرة بعض الناس، وسماع أقوالهم، وقراءة ما يكتبون، وما ينشرون.

ومع ذلك فأنا أسهل الأمر على من يريد أن يجيب، فإني لم أقطع هذه الساعات في كتابة الأمور الأربعة، لنستاها من أسئلة، فأضيع له ملخصًا مفيدًا لما قاله أو قرأته عليه دُكرٌ:

ففي الأمر الأول، ذكرت وبيّنت من هم آباء أبناء العلماء ومنزلتهم من العلم والفقه والديانة.

وفي الأمر الثاني، بنيت أن شيخ المعرفة قد فارق العشرين، فلم يحدث نفسه باجتذاب علم من عرائفي أو شام، من أمة علماؤها هم من هم (ومعذور الدكتور لويس عوض، إذا لم يعرف عنهم شيءٌ). وهذا لا يناله أخذ في مثل هذه المدينة القصيرة، وهو ملتئم العقل في الثالثة عشرة من عمره، يستطيع راهب شاذ أن يضللُه عن دينه وكتابه.

وفي الأمر الثالث، بنيت أعداد شيوخه شيخًا بأسمانهم، وكنفهم عالمٌ فقيه، أو لغويّ نحوي، وأنه نشأ في بيت يقيق فيه العلم من رجال ونساء.

وفي الأمر الرابع، بنيت أن أبا العلماء عمٌ في طفولته، وأن ذلك ابتعث خذب
أبي الذي يقبل برعه إلى سنة 395 هـ، كما يبين هو في شعره، بأشد حيازة وإشفاق، وكانت أمه أخذت حذية على ضرير عارم بوجه نفسه قادر، فظلت تقوم على خاصح شأنه حتى لا تراها عين من صميم أهله، فتكبر من مطموعها أو مشيرها شيئاً، فستخفف به أو تهرب، وأنه ظل في كفانتها كان رضيعاً حتى ركب رأسه بعد وفاة أبيه، فجعل يبلغ عليها مستأذناً في الرحل إلى بغداد، ويندأ لها أنه عازم، وهي تحببته كاذباً فيما يقول، لعلمها بضعها وحياته جد أن يستمر خاصم أمه عن كل عين قريحة، فما ظلوك بالعين العربية؟

فلا أسأل مرة أخرى سؤالاً جامعاً: هل يمكن أن يكون أبو العلاء قد رحل منفرداً إلى راهب دير الفاروس، أو مع رفيق، في حياة أبيه القاضي، وفي حياة أمه، في نحو سنة 375 - 377 هـ، وهذا كله حاضر في ذهن من يريد أن يجيب بنعم أولاً؟ وأقول أنا الإجابه، فأقول: لا، هذا أمرٌ فوض الممطوع بِاستحالة عند من يعقل، فأبو العلاء إذن لم يرحلُ فقط إلى طرابلس، لا في صيحة، ولا في شجاعة، ولا في كهولته، ولم يجعل بدير الفاروس، ولم ينزل به البلدة، ولم يلبظ راهبًا يشدو شيئًا من علوم الأواخ، فيسمع منه أبو العلاء كلاماً من أواخ كلام الفلاسفة. وقد أسلفت في الكلمة الماضية، أنه لم يقل شعرًا في صيحة يضمن شكوكًا توجب عليه الاعتدار منها والبراءة.

***

وتبقي طريقة من الطريقة إلى هذا الخبر، لا أكّل الدكتور لويس عوض عبده استنبطاتها، فأستنبطها أنا له، والأمر الله. فأنا أقرأ كلام القطبى وغير القطبى، وأنا أزعم أنى أعرف هذه العربية التي ارتدناها من أثناء أهلها من تلميذ أبا إسماعيل عليه السلام، ففي في دمائلها من تبُّض لا يكفي خططه بعده الذريعة والممارسة. ففي هذا الخبر جملة تدل على واضح الخبر من أيّ الطائل هو؟ (أي، أي الناس هو، مرة أخرى)، فنحن نقرأ كتاب القطبى جميعه، ولا نكاد نجد فيها ميّلاً في الركاكة والشتم في كتابه كله. وإذا كان القطبى لم يستند الخبر إلى كتاب، ولا نسبه إلى رجل معروف من أهل العلم والرواية، فإننا أراه نكره، كما أسلفت، لحبيب مخرجه
عندى، وأزعج أن يأوى سمعه منه فأنكر أيضًا لفظه وخبث مخرجته. فليت شعرى من يكون محدث القفطان بهذا الخبر؟ ولا سببًا بعد ما أثبت أنه كان سمع ما وجد عينه العديم في كتاب لأحد المصنفين، زعم فيه أن أبا العلاء رحيل إلى دار العلم بطرابلس للنظر في كتبه، فأخذ هذا الخبر الواقع، الخفيف الظل، الذي أعطى معه!، هذه الكلمة، فبنى عليها قسطًا من سمادين الفذرين (والسماد، ما يراه لمحمور)، ركزها بجهله وخطره كما يشتهى، وأحدث لها شخصًا لا وجود له البينة في هذا الزمن ببئبه، وغيرها دار العلم بطرابلس، إلى خارج كتب: ...، ثم حدث القفطان به بعد أن سمع وقعته في دين شيخ المعرفة، فأراد أن يطرده بذلك أو يسليه. ففاجئ القفطان فأتى في كتابه ضغينة على الشيخ وطرفًا، ولم يظن أن الأمر سيتهى بها إلى ما نحن فيه.

قال محدث القفطان في حديثه عن الذي كان من أمر أبى العلاء بعد لقاء الراهب.

ومعاه كلمةٌ لى زعم: «وحصل له به شكوك لم يكن عنيه ما يدفعها به»، فقال بخاطره ما حصل به بعض الانحلال، فقوله: «وحصل له به شكوك» ثم «وخلص به بعض الانحلال»، كما لا غريبة له، إنما هو من نهجه تعلوج الشأم، وزوايا الجزيرة، ولا شيء غير ذلك، (والعلوج، بقايا عجم الشأم، والزوايا، بقايا عجم الجزيرة)، لا يكتب القفطان ولا من كان في مثل علمه وقفوته ومنزلته.

وإذن فلم يبق إلا علوج هذا الخبر من ناحية أخرى، يجب علينا استخدام الدكتور لويس عوض إياه، أن نعالج هذه الناحية (والعرض مستمر).
... بل شنيعًا
إذن، فليس حسنًا، بل شنيعًا أن ينصب امرؤً له بقاءً عقلًا، فقوم قائمًا لي팩ون جهيرة وعلمانية أمانة البيان وأمانة الكلم، لأنه عندئذ إنما يعجز بأحق عهد عهده الله إلى بنى آدم، حيث علمهم البيان وعلمهم بالكلم، وكان ناطقًا بلسان أو كتبٍ، وإنما هو معلم ليس يتلقى عنه. فإذا احتالَ وغشَّ، وخدعَ، وكذبَ، واجترا على ما لا يعيش، والعُتَ ما لم يكن، وحُرَّ الكلم عن مواضعه، وبدلت لفظاً بالظاهر ليؤثر بالطاعة، فروع وحشي، وأخفى عالم العقل في الطلب، وسرت غواره وذمته بالمعرفة والتمويه، والمعرفة، احتثال الدجاجة بالحيل الخفية، فقد خرج بفعل ذلك عن أن يكون مهيناً وقائعاً، إلى أن يكون دجالاً يجعل الصدق إطالة لما عفَّ النفوذ من كذبه. وخرج من أن يكون معلماً ليس يتلقى عنه، إلى أن يكون نهاراً لغفلات السامعين والقارئين، بريءاً الغدر بهم وعيقلهم ليفسدوها بأفظة من آفاته. وإنما هو مخالِّل يتخذ ثقة المتعلم بمن يظنُ أنه يعلم، شبكَة وجاهلة بالإنقاع به هذا كله شنيع، فإذا جاء وقد ناط إلى اسمه لما يتيلى كان وفاسي شاهدُهُ مسماً لظلاله هذا المتعلم فيه، فذلك من فعله أشع، فإذا أحسن مكره للقارئ فقاعة يقال له «المهنج»، يبتغي بذلك أن يأتيه من مأتمه فإن تحاربه الهواجس والشكوك فيما يقال له، فذلك أعلَّه في الشيعة، فإذا صار على المتعلم صولة الشروط المدرَّب، (والشرائح، معروف معاه في كلام الأعاجم) فانهاء عليه (أي فعل فعل الذئب في المهاجمة)، فأنه من عن بعين وشمال، فاستكركر بذكر أسماء العلماء والكتب، ليتاح له أن يلقي إليه أقوالًا مؤكدة إلقاء الحقائق المسنود من صدقها و hoạchها، فذلك أحببت الشيعة، وهو بالقارئ المخدوع أضرَّ من الوباء المفتنى، ومن الطاعون المشتهر، فإذا كان على ذلك كله، معنَّنائم على كريستي أستاذية، أو على صحيفة سيارة في الناس عالمتهم وتعليمهم وشأنهم، فارتكب هذا
الطريق علائية وجهة، وبلا خياء يخرج، أو يردع، أو يكفّ من غرب تحوّله على
نشر ما يطوي من الخليعة (وغرب كل شيء، جدّته ومضادّه) فقد جمع الخمسة
المهلكة، ليتجزّىها آلافُ آمنٍ غافلون، ثُمّ فشّته مهدٍ غلولهم بما يكتب.
لا، بل زاد، فأتأتٍ بسادسة الأنافيت، ولم تكن الأنافية قبله سوى ثلاثة، وذلك
بالقائه على من اتنمه على الكرسي أو الصحيفة جرَّيةٍ، لأنه مكنّه له أن يفعل
ما فعل، وأصحاب العقل يقولون:
إِنَّ العفيف إذا استعان بخانٍ كان العفيف شريكَه في الفاتم.
ويقولون في أمثالهم: «فِنْ اسْتَرِعَ الْذَّبْجُ ظُلَمَ». 

***

فمن أجل هذا حملت القلم بعد طول التمادي في هجراته ثلاثة عشر عامًا،
لأهتك أقعة المترجمة على عقول الناس بالبطل المحمو، وأكشف غاية اليواء
المتسرع بل رقيق يدفعه أو طبيب يعالج، وأزرع الغطاء، إن شاء الله، عن مسارب
الهلاك الخفيق الذي بدأ بتدخّس إلى أبناء أثني، وهم في غفلتهم آمنون. ثم حملتة
بعد لأذوة عن شيخ المعرفة، رحمه الله! وارتحلته للمستخدم! ما حاصل به من البلاد منذ
كان نابيًا طرًا في الراية من نصره، فاغتاله الجُذرُ فتانه في وَجْهه وحُرُه،
وذهب يبرئ عينيه فغوارت وانطلت، وضغط على اليمن فأتت، (أي برت)،
ولابسة غاروة بضاء، فصار مؤذّن للناس شفعة، حتى يقول رأياه في صفته: وهو
صبيًّ دمهم الخفالة، مجدور الوجه. ولم يكتب ثمّ ذكره في الناس، حتى أخذته
مقارنة الألسنة (وهي الكلام القبيح والفحش)، فرّم بالإلحاح وسوء الاعتقاد حسناً
وإنكاء، إلى أن توفي سنة 449 هـ. إثلان وثمانون سنة، لقي فيها الضرب المفرع،
والبلاد المشتكي. وكان الشيخ لم يكتبه إلا من هذا كله، وهو حتى يصح ويتألم،
حتى يخرج عليه، بعد دهور من مماته، (تركبولي) متحقق، (والتركيز، هو
أبي رأس رمث الإفريقي باليونانية)، ليعتبر هو أيضًا في رئة الشيخ، وفي أده، وفي
علومه، لا يردع شيء عن الضرب المشني بقطرته، وهو الروح الثقيل باليونانية،
وكل الألفاظ اليونانية التي استعملها كانت معروفة للمسلمين زمن الصليبية.)
ليشطب صورته ويزيدها تشويقاً، (يشطبه) يقطعه ويعرقه، وهو الذي يقال بعامية:

مصر: يشطببه). ثم لا يقع بهذا حتى يتناول العمر كلله، جباله، وأفكاره،
وأحداثه، وأحواله بوجه عام، كما يقول الدكتور، يشطببتشويقا، ضرباً وطعناً،
imiaً وشمالاً، بيد قاسية، كأن فيها ضغينة ثلاثية عشرة قرنا، ظلت دفينة مستكشنة، ثم
هاجت فجأة هياج الهياء السوداء، (و «الهيئة السوداء»، بكسر الميم، مراج من
أمزجة البدن، يسأل عنه الأطباء).

ومع علمي بكُل ذلك وصقيبه، لم أحاول بعد أن أخذ الدكتور لويس عوض من
هذا الجانب، بل أخذته من الجانب الذي يزيد هو أن يعرضه لأعين الناس، من
جانب العلم والأدب والكتابة والأستاذية الجامعية، وسائر هذه المرافق التي يتكفّجكم
فيها، يلوهم أنها طياسان: أستاذ جامعي، (يتكمكم)، يتلفف فيها ويتختفي.
والطبلسان»، الروب الجامعي،) وتحت هذه المرافق البلاط المجاني لوقع
الشباب المتحمسين إلى العلم والمعرفة، لأنها تستقل من فلنهم الشك والريبة في
حديث الرجل المتدرّب بشارة العلم والمعرفة. فكان من حبيبه أن عرّض للناس بذكر
«المهج»، لجودة الغالب الطفولاني لأستاذته، فمن أجل ذلك بثت معيّن «المهج»
في الكلمة الأولى، وله شطران، والشطر الأول يتناول مادة الدراسة، وذلك
بجمعهما وتصنيفها وتمحّيس مفرداتها وتحليل أجزاها بدقه وحذرة، ليتنين رغفتها من
صديقها، فيليت شعري ماذا فعل هذا الأستاذ الجامعي، زعم؟ وما مادة دراسته
لشيخ المعرفة ورسالة الغفران؟

آثار الغيب القاتل منذ عهد هوميروس إلى أن انتهى إلى زمن الصليبية في المقالة
الرابعة من مقالاته النصية، وهو في خلال ذلك يعلم ويبحث، ويجري تجنّبً ثم يركض
شخبة، وينشر نويًا أزرق، ثم بهبه، فينجر آخر أبيض وأحمر وأحمر، ويوقد نورًا
ثم يطفوه ثم بيئة، كأنه ساحر عشق، حتى إذا انتهى إلى آخر المقالة الرابعة،
تلاعب وضرب وتبغّر، وأخذت ضواب وأسلع آخر، ليهملك أنه عمد إلى تاريخ شيخ
المعرفة، صاحب رسالة الغفران فقفه نصفاً، فلم يجد في هذا التاريخ كله خبرًا
يُهدى إلى حقيقة «هذا الرجل العظيم» سوى خبر واحد، هو حديث راهب دير
الفروس ! (أي دجل هذا؟) ، ثم ماذا ؟ ثم لم يكن هذا الخبر سوى خبر وقع إليه
غرضاً في كتاب واحد ، أبلغه الدكتور طه حسين منذ أكثر من خمسة سنوات ، ثم
ماذا ؟ ثم تجد الدليل القاطع على أنه لم يقرأ كتاب الدكتور كله ، وإذا كان قرأ فإنه
لم يفهمه . ثم ماذا ؟ ثم تفسّر حين نقل الخبر بذكرين ، أقطع أنّه لا يعرف
منهما ، ولا أين كانا ، ولا أي شيء كتبنا ، وهما القطط والدحبي ، فأرسل إليهما
الخبر كأنه مقبول عن كتابهما ، وهذا غشٌ فاضح .

ثم ماذا ؟ ثم لم يقتصر على هذا التفوق الغبٌ حتى خان الأمة ، فقراً أربعة أسطر
من كتاب الدكتور طه ، وأغلق ما جاء بعدها مباشرةً من نقد لهذا الخبر . وهذا أشد
شيء غلطان . ثم كان ماذا ؟ ثم استخرج من هذه الأسطر الأربعة نتيجةً ألقاها كأنها
حقيقة وافية ، إذ جمع بين أبا البلاء الذي توفي سنة ٤٤٩ هـ ، وأسامة بن منقذ
الذي ولد سنة ٤٨٨ هـ ، فجعلهما صبيين يتعلمان معًا بأناطليكا ، ويختلطان إلى
مكتبتهما ، في عهد غلبة نصارى الروم على هذه المدينة !! ثم ماذا ؟ ثم زعم أن
بأناطليكا يوجد « حضارة زاهية » ، حسب ما روى ياقوت الحموي ؛ أو كما قال !
فقول ياقوت ما لم يقل ، فدلّت تدليتي فبيهم ظاهرًا ، لم أتناوله فيما مضى ، وسيأتي
بعدٌ في مكانه .

ثم لم يكن أنيتا ولا صادقًا ، فجرفت الكلم عن مواضعه ، لأن الدكتور طه
يقول : ١ ولفي بهذا الدُّور راهباً درس الفلسفة وعلوم الأحوال ، فأخذت عنه ما شككت في
ديه وفي غيره من الدُّينات ». فمسّف كلام الدكتور طه وحذف منه ما فيه ذكرٌ فين
أبى العلماء وغيره من الدُّينات !! ، ليسوق الخبر في غيره من زِكاة التعبير والتصوّر
فيقول : ٢ وقد علم المُعرَّف في اللاذقية ، كما تعلم في أناطليكا ، فمنها روى القطط
والدحبي أنه نزل بدير فيها : فلفي بهذا الدُّور راهباً درس الفلسفة وعلوم الأحوال
بلغه طه حسين ، أو باختصار أخذ عنه اليونانيين ، فما علم الأحوال هذه التي كانت
تقرأ في الأدبيات تحت حكم الروم ، إلا أدب اليونان وفلسفتهم في لغتها الأصلية » ،
فوضع جزءًا من كلام الدكتور طه بين ضرباتين من الغطاسة ، وزاد فجعله لقاء الراهب
والأخذ عنه ٣ : « تعلّموا في اللاذقية » بلا حياة ولا حرج ، ثم ماذا ؟ ثم غش القارئ
وخدعه وزور عليه، حين ساق هذا الغناء كل شعبي الحقيقة المسلمة التي فرغ هو
من دراستها وتحقيقها على "أسلم مهتي" كما قال! فصارت بديهية لا تحتمل
المناقشة، ليس إلا التسليم. ثم ماذا؟ ثم ختم هذه البلايا برسوم حاسم أصدره
البسّكر (الفينكومي) الدكتور لوبس عوض هذا نصه: "والحقيقة لا يُعرف شيء
عن تعلمه الرسوم!! (بمعنى تعليم أي العلاج الرسوم!! وهذا أحد شرته أو أطرفة
وأظلمه) حتى سن العشرين، وهي سن التكوين، إلا أنه تعلم في حلب، ثم
أنطاكية، ثم في اللاذقية، ثم في طرابلس (بها الترتيب المدروس، البداي،
المدهش!!) ومثل هذا الغموض الذي أحاد كثير بتكوينه العقلي حتى سن العشرين،
يحيط أيضا جهات كثيرة، فيما بين العشرين والخمسة والثلاثين). [التوقف:
البسّكر، الدكتور لوبس عوض، المستشار الثقافي لمؤسسة الأهرام، وعلى
الدعاية]، فأقر جرّد على صبّ الغناء على الوقى!! (فأنا: البسّكر، هكذا عزبة
المسلمون أمام التحالف avec les libres). 

فهذا أساتذة جامعي ينتج بذكر "أسلم مهتي"، ثم لا يكون من فعله إلا أن
يأخذ خيالاً، وقع عليه عرضًا، بلا قراءة، وبالذات غبّ للقراءة، في كتاب ألف،
صاحب صغير، زعيم أكثر من خمسين سنة، ثم لم يملك في مدارسته مسلك مبتدئ
جامعي، فضلاً عن أساتذة جامعي، ثم لم يسأل نفسه سألً واحداً يدل على أدبي
ذكاء، فضلاً عن أساتذة. ثم لم يبال، إبراء للذمة، أن يراجع المسchts الذين
انطق بذرهما إيهامًا وتصاولًا بالاطلاع، وتذللا على القراء.

وهذا أساتذة جامعي صاحب "منهج"، لم يَظْلَم بالله قطً أن على المبتدئ في
دراسة الأدب أن يتتبع أيّ خبر وجد، ليستم من أين جاء، ومتي جاء، ومن؟ قائل؟
وفي أي زمن كان؟ وعَمَّى أن يجذف فائدة، ولا إبراء للذمة!!، والذين يصبح
فجأةُ الخبر عند الناس موجودًا في عشرة كتب مطبوعة، ويعتبر صيغ مختلفة!
ليس منها الصيغة التي ذكرها الدكتور طه في كتابه، وتسبحها إلى القطيع والذيبين!
وقليل من الحويج يُصلح العقل!!

وهذا أساتذة جامعي، بعد ذلك كلّه، يعتمد إلى كلام الدكتور طه فيحوزه
ويُدُّه، ويستخرج منه ما لا يعقله إنسان عاقل، فضلاً عن أستاذ جامعي. ثم يزود
فَهُمَّرجه إلى لغة رايكية سبقية، بلا حذر ولا خطة ولا تذكير، أه، هذا أستاذ جامعي
مجترىء، لم يُتَّهم فقط أن الآدب والفلسفات إنما تقوم بالآلفاظ ودراستها
وتخليلها، وهذا فعله في ألفاظ خير، فما ذلك به في الشعر مثلًا!!

وهذا أستاذ جامعي يأتي متفحّصًا مثبّسطًا، ليكتب عن آخر أديب، لرجل لا مغمو
ولا محجول، له ترجمة في أكثر من ثلاثين كتابًا، وكتب الناس عنه شرقًا وغربًا،
قديما وحديثًا، والكتب بين عينيه مطروحة على الأرصفة وفي الطرقات، ثم لا يُعْتَن
نفسه عناية في البحث ليعرف من شيوخ أبي العلاء الذين تلقّى عليهم حتى بين
العشرين، ولا ما كان من أمه وحده حتى بلغ الخامسة والثلاثين، ليكتب على
الناس ويدعى ويزور، فقوله إنه لا يُعْلَم شيء عن تعليمه الرسمي!! حتى بلغ هذا
العمر.

وهذا أستاذ جامعي ينتهي، بعد هذا الغناء كله إلى أنه لا يصح شيء في
القول ولا في الكتب، سوى أن آبا العلاء تعلم في أطعمة التي كتب على القدماء
فَزعم أنهم قالوا: إنه كانت بها حضارة زاهية!! وذلك حين دخلت في حزمة الروم
فَأُجْلِبَ عنها المسلمون من سنة 353 قبل مولد أبي العلاء، إلى سنة 477 بعد وفاته،
ثم في الخلافة التي لم تكن أحسن حالًا من أطعمة، حيث تعلم من راحب دير
الفاروس، يقول ذلك غير عابئ بعقول ولا فكر ولا نظر.

وهذا أستاذ جامعي يدخل في الشطر الثاني من "أسلمة مهتنء"، فيحيط خبر
الراهب، قبل أن يظلع القراءة على هذه النفسية العجيبة، بصورة ضخمة لغة أهل
الصليب على أهل الإسلام، لم تناقشها بعد، ولكنها كاذبة، ومن ممادير
المدونين، ولا أصلي لها إلا فيما ينرائي له من الأخيلة، ويسعفها "الخليفة التاريخية
لهذا الرجل العظيم!!"، ثم يأتي بالفتي الضرير فيفحمه في ألوانها وطلالها، وراعب
دير الفاروس يقوده بيده، أو يرمى مطروحة في عقته!!

وهذا أستاذ جامعي، لا أدرى من أي شيء مسؤول أدم وجهه، يقول علانية أنه
جاء يعلم الناس "الإنسانيات"، يغنى الآدب، ثم يعزل صاحب إثارة أدبية فريدة في
تاريخ البشر، عن أهل، وعن منزلتهم في الناس، وعن أهل وعواطفهم نحوه، وعن
أهل دينه وعاداتهم وأخلاقيهم وآرائهم ومعتقداتهم، ثم عن أبيه وأمة الذين كانا يحبتون ضرباته وعجبوها، فرعياه ويكففاه، ويقومون بذكر أمره، خذلًا عليه وإشفاقًا، لما أصاب غيرهم من الضرب والعمى والبلاء، فينزعن من هذا الله، فلا غفلة ولا تدبر، ولا إنسانية، ولا شهر، ليعامله في مقاله معاملة مقاطع ونقطعه من عيان السيد البدو وسانت تريرا، فَفِي خرجهم من بين هؤلاء جميعًا فإنهم صغيرًا أعظم عجزًا وهو في نحو الثانية عشرة من عمره، ليدم به ويستمتع بين حلب، وأنطاكية، واللاذقية، وطرابلس، وحيدها منفركًا إلا راع ولا رفيق ولا قائد، ثم يطرسه في أبدى الرهبان بثقةونه باليونانيين من أدب وفلسفة!! ولا قيمة عند هذا الرجل لما يقال في كتب القراءة!! من أن هذا الأعمى الصغير ولد لأبوين مسلمين، وهي قرية مسلمة، وأنه مَأْتَبًا بعد التشكيك بين الرهبان والأديرة، مَأْتَ إلى ديار أهل الإسلام!! كَلُّ هذا لا قيمة له ولا خطر عند أسدات جامع، يبتغي بأن جاء يعلم الناس » الإنسانيات «!!.

ووهذا أسدات جامع، بعد ذلك كله، يأتي بلا خيال ويكتب تسع مقالات متتابعات عن شيخ المعرفة ورسالة الغفران، وهو لم يقرأ حرفًا واحدًا من شعر أبي العلاء، وإن كان قرأ منه شيئًا أو قرأ عليه، فإنه لم يفهم منه حرفًا على الوجه الذي يفهم به الشعر، وهو لم يقرأ » رسالة الغفران « التي يكتب عنها، لا قراءةً صحيحة ولا قراءة غير صحيحة، بلا ريب عندي في ذلك، كما سيأتي ذللك لكل ذي مسمع، ويُصَرَّ، أديان كان أو غير أديب.

فأنا أريد أن أسأل بعد هذا كله سؤال واحد: أن هذا سلك أسدات جامع يحمل لقبًا يدُلُّ عليه على صغر الناس وكيارهم، ويغلبُ عقلانيهم عن غواه، ثقةً منهم بكراة هذا القلب وكرامة من يحمله؟ وجواب كل ذي عقل، وكل ذي خصبة من عقل: لا، ولا كرامة، فإذا لم يكن هذا السلك سلك أسدات جامع، ولا متقبل جامع، ولا طلاب ثانوية، ولا أحد من غُرُوض الناس يشدو دراسة الأدب، أبداً كانت، وفي أي لغة شنت، كيف استحلَّ بعد ذلك لنفسه أثرٍ باسمه لفظ: » الدكتور «؟
لا ولا كرامته، لا تستحق هذا اللقب عن الضياع، وحماية للبنفس من التغريب، واستركارًا أن أغمس مداً قليلاً في كتب مفتوحة يعين على تغفيض القراء. وكبّ أظنه وأجياء قديماً على جامعتنا أن تعيد النظر في هذه الإجازات التي تمنحها بعض جامعات الدول الكبرى اليوم، لبعض من يثبت الامتياز أنهم دخلاء: ما هي هذه الإجازات؟ كيف منحت؟ ولمن تمثل؟ وعلى أي أساس؟

وأنا لا أسأل الجامعات هذه الأسئلة، ولا أزمها بهذا الواجب، مقتصرًا على ما كتبه لويس عوض، عن رسالة الغفران وشيخ المعرفة، ولا عن ابن خلدون من قبله، ولا عن المؤلفات الأجنبية في الأدب العربي، ولا عن ما في بلوتود من شعر ونثر، ولا عن سائر ما كتب في الصحف والمجلات في شأن العربي وشعره وأدباه، وبسبب تبيان ذلك كله في حينه. لا، بل أريد أيضًا ما يدلّس بكتابات من آداب الروم واليونان والإنجليز، فإنّ فعله في ذلك لا يقلّ مجازًا، كما يكتب في أدب العرب، وهو تهويل كله بأنسلوب فج غليظ، أقطع بأنه لو ترجم إلى أي لغة من اللغات، لاستلقي القارئون على أقفاطهم من الدهشة والضحك. وليس من همّ أن أكشف هذا التدليس الداعي بالناس، لأنّي، منذ رفضت أن أضع على وجهي بسّم البدوي لهذا اللوم والروم وما تولّده عنهم من الأجل إلى هذا اليوم، لا في أدب ولا في غير أدب، فإذا رفضت أيضًا أن أغمس قلبي في مداد العبودية لهم. ودارسو آداب الأمم، وهم كثر متلقين، عليهم أن يكشفوا بأكلامهم تزييف هذا الرجل فيما يكتب من الآداب الأوروبية واليونانية. وهذا واجب يلزمهم إياه الحفاظ على صحة عقول الناس، منذ غضارة الصبا، أن يصيحوا من هذا الرواء المفتقدي دأبه يعجزها عن الاستقلال بحريتها، في هذا الزمن السريع المختلط المتضارب الأهواء والمواقع والمكائد الخفية. وتخلى من يطلق ذلك عن هذا الواجب، لأيّ مسبب من الأسباب، غُون على نشر المفتشدة، فضلاً عن مناقضته للأمانة التي يحملها كل أستاذ جامعي دارس.

---

(1) الدكتوراه المسموحة لليوس عوض، من جامعة برنستون، وهي مركز من مراكز المشرين الكبار، فأمر لا يحتاج إلى تأمل!
والآن وقد فرغت من طرح جيب، تقبل جدًا كانت أحميه وأن أكتب قبل اسم لويس عوض لفظ "دكتور"، ويزيده "قليل" ما كنت أجدته من الغضب من في ذلك. 
لأنى كنت أجدني كأنى أصنع الأمانة أيضًا بالمشاركة في ترجم أوهام ضارة بالبشر، وتثبتها بكثرة الاستعمال، مع صحة علمي بأن الشباب الغضب مريح إلى الوقوع في شرك الألفاظ التي تحمل ثراءًا من المهمة والتبجيل، وبعضًا حيًا من الأمانة والدقة والصدق، وبعد عن الهوى، وخصادة النية في حمل العالم ونشر بين الناس. الآن، فقد طرحت على هذا النقل، أعود إلى لويس عوض مجردًا عاريًا من طبلسان الأسئطاذية المتخيلة أداءً للمخدع.

"مكتسب " (بالرومية)، أم معاذ الله! معاذ الله! أعتذر، الله أظم لأمث الحسن كاتب
 من كان، من أجل ذلك عاملت لويس عوض في المقالات الثلاث السالفة برغي وتوعد وأناق، فلم أقل له مثلًا: " إنك جاهل مع تلك الجهل "، مخافة أن يحلمه على الحقيقة بمراعًا لها حريصًا عليها 
، لا بهذا المعنى الغريب المألوف، بل بالمفهوم الآخر، الذي يقال فيه: " صبي جاهل "، أي غريب طبيعي الطفل، مريح إلى المتالف 
يجلب الشور على نفسه من حيث يدرى ولا يدرى. وكندًا حريصًا عليها، لأنها تؤدي ما أريد من صنعها، لأنه استمرأ للعب بال العرب وكلهم منذ "بتوتن "، ولم يكن في يدٍ لتفرغ حتَّى أوقع نفسه في المهامات المثيرة، وكان، غنيًا عنها.
يونان، وروبه وقرون الوسطى والمطهرة، يتطلع بهم كما يحلو له، وكما يشاء 
ولاحق.

أما الآن، وقد استجاب الله سيحاته دعاء الضارع، إيه في يوم الجمعه المبارك
الساعة، فنشر لويس عوض مقاله التاسع، وكتب في ذيله "انتهى البحث "، ثم
يشرح لي سيحاته أن أجمع الأسباب الداعية إلى إلغاء العبء النقل عن كاهل، فقد
جعلت مكافأة لويس عوض على مسارعته إلى إلغاء الناس من غفالة ما يقول
وما ينشر، أن أدع له حديث رابه دير الفاروس جنابًا، ومؤقتًا، وإن كانت له بقية
تعذب تحفة من التحفظ، وأخذ في طريق آخر، هو أخف مؤونة على القراء، وأعون
له على فهم حقيقة هذا الكاتب الذين كان يقال في مثله قديماً:
فَعَدُ غَيْرِ الكِتَابَةِ، نَسْتَمِعْ مِنْهَا وَلَنَلْتَخَّصُّ تَؤْنِيكَ بالِمَدَادَ
فَأَنَا أُعْقَبُ، علَى صوْرَةِ مَا، أنْ يَكَبَّرُ لوَيْسِ عَوْشُ عِنْ أَداَبِ الْيُوْنِانِ والرَّومِ
وَالقُروَنِ الْوُطْسِئِيَّةِ وَشَعْرُ الإِنْجِلِيِّزِيَّ وَاشْتَيْأَةِ ذلِكَ، مَدْعَى أَنْهَا قَدْ تُوَلِّىَ الإِمَارَةَ علَىْهُمْ
وَعَلَى لِغَاتِهِمْ، فهَذَا مَمْكِنُ هَهَأْ! وَمَعْقُولُ هَهَأْ! ولَكِنْ شَيْءٌ لَا يُنَبِّيْحُ وَلَا أَحَاشِيْهُ عَلَيْهِ. وَلَكِنْ الْشَّيْءُ الَّذِي لَا أَكَادُ أُعْقَبُ، حَلَّ لِكَأْنَ مَعْقُولُ عَقَيْلُ صَحِيحُ الْعَقْلُ مِنْ
الأَفَاتِ، وَهُوَ أَنْ يُمَدْدِعُ لوَيْسِ عَوْشُ سُلُطَانَ إِمَارَتِهِ عَلَى لِغَةِ الْعَرَبِ، فِي شَرِّبَ أَفْلَافُهَا
وَيُفْيِرُهَا وَيُسْتَبْعِطُ مِنْهَا، وَلَمْ يَأْتِيْ مَتْعِرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. فَقَدْ كَبَّرُ لوَيْسِ عَوْشَ
تَرَجُمَةُ لحَيَاةِ لوَيْسِ عَوْشَ عَوْشَ!! وَجِلَّهَا مَقْدِمَةُ لَشَيْءٍ، استَغْفَرَ اللَّهُ لِلْسَّفَاهِ;
« بِلَوْتَنْدَ، وَقَصَائِدَ أَخَرَّ.» وَفِي (الْتَجْرِيَةَ رَقْمٌ: ۹) مِنْ تَجَارِبِهِ الْخَالِدَةِ. وَهِيَ
تجْرِيَةٌ كَسْرُ رَقْبَةِ الْبْلَاغَةِ!! قَالَ، [ لاَزَالَ سُلْطَانَهُ عَلَى الْيُوْنِانِيَّةَ مِسْبُوقًا، وَوَقَعَ
الرُّومِيَّةَ مَحْطُوتًا،] يَصِفُ نَفْسِهَا العَزْيَةَ: { إِذَا أَوْضَفَ إِلَيْهِ ذَلِكَ أَنْ إِسْحَامُهُ بِالْلُّغَةِ
(أَيْ، إِسْحَامُ لَوَيْسِ عَوْشَ) ضَعِيفُ بالفَطَرَةٍ (فَرِغْيةٍ) هَذَا صَحِيحٌ!} عَلَمْنَا
كَيْفُ تَأْتَيْهِ لَهُ أَنْ كَسْرُ رَقْبَةِ الْبْلَاغَةِ (وَهَلْ فِي ذَلِكَ شَكْ، يُزَوَّلُ). وَقَدْ اعْتَرَفَ لِي
(يَعْنِي أَنْ لَوَيْسِ عَوْشَ، اعْتَرَفَ لِلْوَيْسِ عَوْشَ!!) بِلْيَلْغَيْهَا حَرَفًا واحْدًا بِالْعَرَبِيَّةِ
بِئْنِ سَنَّ العَشَرِينِ وَالثَّلَاثِينِ (أَيِّ إِثْنَانِ عَشَرَةَ سَنَةَهَا،) إِلَّا فَعَلَانِيِّ الأَخْبَارِ قَدْ
الصَّحِيفَ السَّيَأَةَ، وِبِعَضَ الْمَقَالَاتِ الْشَّارِدَةِ، أَرْوَاهُ الْضَّرْوُةَ الْسِيَاسَةَ بِقَرَاءَتِهَا،
فِي إِسْحَامُهُ بِالْلُّغَةِ أَنْجَيْتُ جَدًّا، عَلَى كُلّ حَالِ،}، وَبَالْطِبْعِ، هَذِهِ كَلَّامٌ إِنْسَانٌ عَقَيْلٌ
جَدًّا، وِمَتَمَّلَك لِجُمِعِ قُوَّاتِ العَقْلِيَّةِ، فَمَنْ أَجْلِ ذَلِكَ نَخْطَبِه، وَلَا كَانَ مَخَاطِبَهُ
ضَرِيًا مِنْ الْعَبْثِ وَالجَنُونِ!!
إِذَا كَانَتِ هَذِهِ صَفَتُكِ لَفُسْكِ، وَأَنتُ فِي الْثَّلَاثِينِ مِنْ عَمْرِكَ، يا لَوْيْسِ
عَوْشَ، فَبُلْغُ وَعْلِيَ بَعْدَ ذَلِكَ تَأْتِي فَتْلِعْبَ فِي آثَارِ شَيْخَ الْمَعْرِفةِ، وَفِي كُومُيديَّةِ دَانَتِي
أيْضًا، وَلَا مَوَاحِظَةٌ، ثُمَّ لا تَقْتَصُرُ عَلَى هَذِهِ الْلُّغَةِ فِي فَيْهَا، يُلِّثُبُ أَيْضًا فِيْهَا تَسْمِيْهُ
{ أَحَادِيثِ المَعْرِجِ}، {وَهَذِهِ لَهَا ذِوَلُ طَوْيْلَةٌ لَمْ يِحْنَ حِينَ بِهَا}، وَلَا تَقْتَصُرُ عَلَى
هذَا، فَقَمَّدَ سُلْطَانُ بِلَاغَتِهِ الْمَكْسُورَةِ الْرَّقَبَةِ عَلَى لِغَةِ الْطَّلَيْبِيَّةِ الْعَرَبِيَّةَ، وَفِي آثَارٍ واحْدِ.
وَفِي قَرْنِ واحِدٍ، أَيْ مَثَلٌ واحِدٌ؟ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ؟ نَرَكُ تَقُولُ أَنْ دَانَتِي بِيْقُولُ.
وأن الله أعلم بترجمتك المكسورة رقية بلاغتها : قالت بياتريس : لم تلدِ نت في عشق وجىء، حتى أتى النصر على الجح، إلى الحقيقة الفاتنة التي أنيعت تحت ضياء المسيح؟ هي من ذى الوردة التي فيها أصبحت الكلمة الإلهية جملة ثم قلت : وبأتي الوردة هي مرية العذراء : روزا مستنبتاً، كما يسمونها. ودل كلامك في ذلك على أن الوردة، هي الزهرة التي تتلمش بالأنف، (أي بالزور) بالإنجليزية، ليكون أوضح لك. أليس هذا صحيحًا يا لويس عوض؟ بالطبع نعم.

فانالن ننظر ماذا كانت عقبة لبيك و (أعلوني) في كلام العرب. يقول بعد الذكاء المفرط، والشرح النفيسة، والمقارنات الأدبية الخارقة للعادة، والغفالوجيا المدهشة (أي قوة اللغة)، ما نصفها أنها السادة واستعينا بالله واحملوا معنا رقبة بلاغتك المكسورة، وأمرنا وأمرك إلى الله! يقول:

١٠٩

غير أن بعض التفاصيل الوردة في فردوس دانتي، توفي بأنه أقتبس أيضًا من القرآن الكريم، ومن رسالة الغفران، وربما من غير ذلك من المصادر الإسلامية.

فتصوره للوردة السماوية (وهي مرية العذراء، روزا مستنبتاً) يوجي بأن له صلة بما جاء في سورة الرحمن، فإن أنتِ أثلبَكُمْ لَنِعْمَاءَ فَأَنتُمْ وَرَدَّتُكُمْ كَالْزَهْرَا. وقد اتخذ دانتي من وردة الفردوس رمزًا لمريم العذراء، ووصف الوردة بأن أوراقها من الملائكة. وقد كان للوردة أدب غزير في العصور الوسطى الأدبية، مثل قصة الوردة الشهيرة، وهو كله قصة نادرة ذهبية، وباطنه بحث بالخيل في الإلهيات على طريق دانتي، ومنه ما هو سابق لدانتي، وليس له في التراث الكلاسيكي الأوربي أصول معروفة.

فليس بعد أن تكون أوربا المسيحية في العصور الوسطى قد أخذته من العالم الإسلامي على طريق أسباني وصقلية، وترجمت رمزها بما يلتمس مع ديانتها، والمعرى نفسه، ينسج على صورة الوردة في سيفه الزرد، ويجعلها في الأرض لا في السماء:

فإذا الأرض، وَهُنِ الرَّيْهُ، سُبُحَتٌ يِنُمُّ الطِّفْلُ وَرَدَّةً كَالْزَهْرَا.
ولكن الوردة السماوية في القرآن الكريم وتفاسيرها، هي المقابل الأصلي الذي خرجت منه كل هذه الاجهادات في أدب الوردة. ثم، انتهت الفرقة.

وبالطبع هذا كلام إنسان عاقل جدًا، عاقل من صنف مدهش جدًا، وسأولى ترجمة كلمته لطول خبرتي بالترجمة: "داني، اقتبس من القرآن، من رسالة الغفران، ربما من غير ذلك من المصادر الإسلامية، أنا لويس عوض مسلم، جدًا. أنا مفرط الذكاء ! الوردة السماوية ", "مردعي العذراء، في سورة الرحمن ، وردة كالشهان ينزف ، إنها روزا مستيقنا هنا. على أن، أنا واسع، أنا لويس عوض، أدب، غزير في الوردة، يقصص، أطلع، أنا لويس عوض عليها، العسور الوسطى، يقصص له ظاهر وباطن، بحث في الإلهيات، التراث الكلاسيكي ليس فيه وردة، أوربا أخذته من العالم الإسلامي، أنا ذكي، نعم أنا لويس عوض، ترجمات عن إسبانيا وصفية، لم لا؟ رموز! المعنى عندنا وردة أيضًا، في سطح الزيت، أنا قرأ في شعر المعنى، لكن وردة أرضية لا سماوية، الوردة السماوية في القرآن، وجدتها أنا، وحده، أنا لويس عوض. لا، أنا أطلع على تفسير القرآن، أنا لويس عوض، الاجهادات أدب الوردة عرفها كلها، أنا لويس عوض.

وحسب حسني فقد مللت هذا البشران الدعوة المجردة، أي خيل داخل جمالان هذا الرجل حتى استولى على جميع أعضائه؟ ما الوردة السماوية ( مردام العذراء، روزا مستيقنا ) ؟ وما وردة كالدهان؟ أي مجنون يطير أنيك تكلم بهذا في كتاب يقرؤه العاملين من البشر، فيأتي هذا التالف فيلعب بالألقاط لغته، كما يشتهي علانية، بلا حيا ولا حجال، ويدعى أنه قرأ تفسير وردة كالدهان. أي خيايل من سماء الإدماج تخيل له أن السماء إذا أنشقت وانثرت نجومها يوم القيامة صارت كالوردة التي تشم بالأنف في شكلها؟ أهو إنسان مفيق؟ هذا جليل يتكلم في الأدب، وفي الشعر؟ أهو تصور يلب بمن يحمل رأسا فيه ذرة من عقلي؟ هذا معتوه لا يخاطب.

ولكني أخاطب الآن من ضغب عليهم هذا الوردة المحرق، من شباب وصغار وعامة، يتحيزهم اللقب الذي ينطق باسمه، يتحيزهم نشر خيائه في أعظم
صحيفة في بلاد العرب والإسلام، فتحملهم المهمة لألقاب العلماء، والثقة بصحيفة الأهرام، على شرعة التسليف بأن لهذا الصديق المنشئ من كلامه منعّ يفهم، ومغنى ذلك بلا إطالة، هو أن الله سبحانه وتعالى ينذر عباده ويخوفهم بما سيكون يوم القيامة من الهول والفسق الأكبر: «يوم يبدؤ الأرز غزر الأرض والسموت» فتبدؤ النجوم، وتنثر الكواكب، وتنشق السماء وتتفنّن، يبدؤ لونها حمراء صافية مشروقة من شدة اللمب يومذ، فلن تكون الله سبحانه في صفح يوم القيامة: «إذا أنشئ أنها فيها وردة كالزهور فعلى ملائمين زوجين كفبان» فنّذروه لا ينفلت عن ذينههم إحس ولا جبان، فعلي ملائمين زوجين كفبان يعفون المجرمون، يسهمهم يغُشُط بالوعي والألقاب، ف علي ملائمين زوجين كفبان».

فمعنى وردة: أي حمبراء، وهي صفة. أما السورة التي تسمى، فهي اسم لا صفة. يتلألأ المعنى: «أمُّ وردة»، و «فَوْسُ وَرْدَة»، أي أحمّر اللون، ولقائي: «فَوْسُ وَرْدَة»، أي حمبراء. فنظف وردة نظف مشترك بين الأسم، والصفة. فما لهذا المعنى المعنوي يظلّ أنه كشف كشفًا بذكر وردة التي هي عند دائني (روزا مستمكا)، فيسارع إلى إفهامه في آيات عداب يوم القيامة لمجرد اشتكاك في النظف بين الاسم والصفة، وتعاليم غث يذكر «تفاحير الآية»، كأنه يحقق قرأها وراجها، وعرف معناها!! ومرة أخرى: من أيّ أمّ دمّ شقّ وجه هذا الرجل؟ وتبلغ به ثقافة وجهه، أن بعده مرات أخرى إلى قصيدة سقط الزيت، التي أخذ منها نبأًا من خلال أيات يذكر فيها شيخ المدينة الإبل، ويصف ما لا يلبث نظرًا في البلاط من هجر وطما، وما زعّث ليلًا من صلبان (وهو نبت له جذور ضخمة في الأرض)، تجدها الإبل بأوقاتها فأكملها من شدة حبها لها، فإذا كانت رطبة، أمرها وأداها، وإذا كانت بابسة غضبت بها، أي شرفت، قبل أن يذهل بها خليل به إلا الصلبان جمع صليب تغص به حلب فكتب البيت هكذا:

ضليت جُثِرة الهَجِجِ يُهْرَا تُمْ بَنَتْ تْعَصُّ بالصدْلِان

وكتب تحته: «سَقْطُ الزيْتُ، فِي وَقِفَ حَلب»، فلم تنهي بعض الناس، لورد إلا ثمانية وحريق فيما كتب من صحيح، فقال: «إن صحته الصلبان بالله، وهو...»
نوع من الشكوك ترعاه الإبل، وأن البيت السابق له هو المتصل بحلب .. وأنه قد رجع على الأصل، فلمه التوبيه، !!! ونرى أنه كتب بيتي آخر وقال: سقط الزند، في الحروب الصليبية، وأن المقاطعة تحت البيتين هُما في بيان غليبة نصارى الروم على أهل الإسلام! فهذا الأديم أَلْتَحِنَ شئًا وَجَها، حين عاد إلى هذه القصيدة نفسها، ليأخذ منها بيتي أُخر هو هذا البيت:

إِفَادَا الأَرْضُ، وَهَيْ عَيْراً، صارْتُ من دم الطَّغِين وَرذَةٌ كَالدَّخَان
وأيَبَ العلَاء يقول: إن الطعام والقال استحر، فسالت الدماء حتى غنت الأرض، فصارت أرض العدان بالدماء حمراء كالأديم الأحمر المشرق = فَيَايُي المكسورة رقبة بلغته، فتحمل الصفة هنا اسمًا، وهو الوردة المشمومة، ويزيد فيقول كلامًا لا يفهم: والمعرى نفسه ينسج على صورة الوردة في سقط الزند، ويجعلها في الأرض لا في السماء، يعني كما في «سورة الرحمن»، وكم في دانتي الذي أخذ عنهما «الوردة السماوية» (روزا مسكيكا)، يا مُغيث يا مُغيث! لقد قاست الغثاءة، وبلغ السائل الزئتي، وجاوز الحزام الغليظين، ومن يصدق أن هذا الإنسان الحق يمكن أن يقرأ شعرًا أو يفهمه، ولو كان بالعامة!!

بقيت مسألة بعد هذا التزود الباءرد كلاً، هي أن لويس عوض في ذاته، لا يهمى البَتَّة مهما قُبِل ومهما قال، فان أُرفه وأعرف ما كتبه، ومن يكون، منذ كان ونطق وصُب على الناس تَلْحِج وغثائه، وسأَكْشِفه للناس من الوجه التي لا يملكُ معها حيلة أبدًا. وقد مارستُ أشباه من المستغِنين والمستشرفين جميعًا، بِما تطوى عليه قلوبهم من السخيمة الآكلة، وعقولهم من الغواة والجهل.

لكن الذي يهمي هو صحيفة الأهرام، أَنْ أَرَاها لا تُعْرَف منزلتها في كُل بلد من بلاد العرب، وهم مئة وعشرون مليونًا، ثم في رواح بلاد العرب، وهي بلاد الإسلام، وهم مئة مليون أو يزيدون، وكلهم عربهم وعجمهم برى القرآن كتبه، ویرى أدب العرب أَدَبه ویرى صحيفة الأهرام صحیته، فكيف يقولون إذا
رأوا أكبر منبر فيها قد أُشْهِدَ إلى رجل لا يحسن يقرأ شيئاً من العربية، ولا يحسن يفهم شيئاً في أدبيها، ولا يحسن مدارسة شيء على منهج، ولا يحسن يكتنف كلاماً يربط بين جمله عقلً؟ ومع كُل ذلك تطالعهم صحيفة الأدب فيها صبيحة كل جمعة، بأعمة سود قد حشاها خلطًا وخيطًا وعبقًا، ولعباً بالتاريخ، وجرأة على الآداب، وتخليطًا في الجمل، وبلاء لا يحسى، وآفاق لا تعد. وبعد ذلك كله ينتح له أن يلعب بأحاديث المعرج، ثم لا يكف، فيندب غروة الملهب فيلعب بأصابع عقله (!!) في لغة العرب، ثم لا يكف، لفما أطلق جنونه إلى آية من القرآن فيفشراها. ثم لا يكف، فيتبين هذا إلى تفسير القرآن... كل ذلك أتاحته له صحيفة الأهرام أن يفعله، بما أوتي من صفة وغنى وكدب وإدعاء وتحرير، ولا رادع من عقل أو حياه. كيف يكون هذا؟ أنبى صحيفة الأهرام مسئولة عن كرامتها، عن منزلها عند الناس، عن أدب الكلمة العربية، عن عقولناشئة وما عمن يجرؤ بها من هذا الوباء، مما يشربه هذا الكاتب وشيعه في صحيفة الأدب؟ وإذا لم تكن مسئولة، فعن المسؤول إذن عن عربة هذا الطليق الذي يفعل ما يشاء، ويقول ما يشاء، ويتعزى كما يشاء! أنبرع عن شرطة النجدة، حتى لا تصبح هذه الأمة فضيحة في الأمم، حيث أسلمت منبرها العالى إلى طليق من الفقود، مُقَلِّب من الأسوار! والله الأمر من قبل ومن بعد.
لا يُنفَض

الرسالة
الجمعة 20 رجب 1384
الآن نظره جانبي، أعني لويس عوض، فإنه لا يخير فيه. لا، لا، فأنا أكره الظلم، ولا أحب أن أظلم الرجل، فإن له فضيلة وفضلًا. أما فضيلته، فإنه مريح جدًا لمن يحب أن يستخدمه. أرى أن الوعي الذي يدير مفاهيمه تعملياً، فإذا هي تحركيدها وتمشي برجليها، وتترشح أحياناً وتعتدل، وتختال أحياناً وتستقيم! وتبسم حديثًا، وتلمع تلمع حديثًا آخر، وتتحفز عينيها تارة، وتغمض عينيها تارة أخرى، ولولا قضاء الله على الجماد لنطقت، ولولا قضاءه لطلبت تأتي من ذلك ما تأتي إلى غير انتقال؟ ومحركها في خلائه ذلك، ساكنٌ قاز لا بالي، ولا عليه أن لا يتدني في أعمالها، لأنها قلنا تخطيط في عملٍ؟

إن تكن هذه عجيبة، فلويس عوض أعجب منها! فقد ماتا ماهية منذ ذهور تراك، وضبته إلى أهداف بعينها ثم أطلته. فمنطلق يجوع خلالة الادب عاماء، ثم الآداب العربية خاصة، وهو لا يكاد يرى إلا ما زُقَّ لألجاه: لا يكاد يرى إلا البونان، والروم، والقرآن الوسطى، والمقفون والحضارمة الحديثة، والحروب الصليبية والطلبان، والخلاص، والذبابة، والغزوات، والهباية، وكسر رقبة البلاغة، وكسر عمود الشعر العربي، واللغة العامية، والفنج الإنجليزي لمصر سنة 1882، وما شتت من أمثال ذلك مما ضمه كتبه ومقالاته قديماً وحديثاً. فهذا التركيب الموتى (إلا)! لا يكاد يرى ابن خلدون إلا مقرورًا بأورسوس ولا المعزى إلا مقرورًا، براهب دير الفاروس والحدود الصليبية وبلاصبة التي غضب بها حلب (إلا)! ولا تردة عاداء، وهي من أيات الجدال يوم القيامة، إلا مقرورًا برؤز مسبكاً (رُemyl العذراء) ومعاذ الله، وربماً مثا في عقله من المسراد! ولا يكاد يرى عمر مكرم، وعراية، وجمال عبد الناصر إلا مقرورين بالمعلم يعقوم رئيس الخويفة المظاهرة للفرنسيس الغزاة أيام نابليون = ولا توافق الحكم ونجب محفوظ
وصلاح عبد الصبور، إلا مقررين بعقائد الخلاص والقداء والخطيئة. ثم تأتي الظاهرة الكبرى، فلا يكاد يرى القرآن العظيم إلا مقررًا بترجمته إلى اللغة العامية، كما تترجم الإنجيل إلى اللغات الحديثة، وهي عامة اللاتينية، ولا مقررًا بكسر رقة البلاغة، وكسر عمود الشعر العربي. وهنا وهنا، تراها طائفة، زائع العينين، خفيف العقل، سلطان اللسان، قد استرخت مفاصل عقله، وانحلت تلافيفه. هذا، والذي أطلقه وافق من بعيد ينظر، وفي عينيه الدهشة، ويحقق ذفته بيده، ويفتار ثغرة عن أبسام، إعجابًا باختراعه المدهش الذي ركبه وأطلقه، ولم يكن يظن أنفقًا أن قادرًا على أن يتجهك في عمود واحد من إحدى الصحف السريعة!! فإذا به (يرفع) في ثمانية أعمدة، في أكبر صحيفة في العالم العربي والإسلامي، هي الأهرام، وعلى أشرف منصة في معهد الدراسات العليا التابع للجامعة العربية، وينتأ في جباله ببطنه (وهي البتلة بالفصيح) بالعجب التي لا تتقضى، وقد ارتدى طبلسان أستاذ جامعي، بلا حبيب ولا ربيب.

ووهذا نجاح مدهش ولا شك، وحک لماله أن يقيد به الزور ومستحقه الخيلة باختراعه هذا العجيب! فهذه هي الفضيلة التي لا تنكر للاختراق المستجل (لويس عوض)!

وأما فضل هذا الاختراق المذهل (لويس عوض)، فإنه جمع في كل ما كتب عامة، وفي مقالاته النسب عن شيخ المعرفة ورسالة الغفران خاصة، ضرونا من الخلل، والثغرات، والسماد، والألمع، والتزق، والبذاعة، والهوى، والخطاب (بضم الحاء، وهو النخط بلا عقل)، ما يعجز أن تجمعيه من كلام المستشرقين والمستعربين بسمتهم، من أقصى الشمالي إلى أقصى الجنوب، فما في ذلك أمثال لامنس (المعروف بالأب لامنس)، وليام شيكو (المعروف بالأب لويسي شيكو)، وإن كان في الحقيقة بذئ منه ظاهراً على كل حال، وأعقل ولا أدرى هل يجوز هنا أن يأتي أفعه التفضيل من العقل، ولكن هكذا كتبته ولا حرج. فبهذا الحشد الهائل مما ذكرت آنفة، أتاح لي لويس عوض أن أجعله محور المقالات التي أردت أن أكشف بها الغطاء عن ضروب من الهؤوس والمغزية،
لم تزل منتشرة في كلام من سبقة ولحقه من قديم الآباء. فهذا أيضًا فضل له لأجله، ولا ظلمه ظلماً ميّزاً، وإننا أكِرى الظلم، ولا أرضاه، ولا أعين عليه.

أما وقد ربت من ظلم المطروح جانبياً، لويس عوض، فإن أعود إلى ما قطعني عنه انتهاهَت مثلاً سنة (بحثاً)!! وهذه إحدى الأعاجيب: لا أدرى كيف تطبق اللغات أحياناً أن تخادع عقول الناس؟ فاللعبة ربما شتى «اختراقًا»، والجنون ربما شتى «كأنه»، والفجور ربما شتى «جرأة»، والبعث ربما شتى «حثًا»، 

بغض ما يجريني في أمر اللغات اليوم. نعم، قد كان قديماً شيء يقال له «العقل»، يتحول بين الناس وإساءة استخدام اللغة، أما وقد ذهب «العقل»، فمنا لنا باختراع جديد يحمى لغات البشر من إساءة استعمالها؟ هذا ما يجريني! (ولمن النبوء، كما قال لويس عوض).


وبعد، فاهلًا وسهلاً براهب دير الفاروس، فهذيه كله نافرّاج، ولكن أحب أن لا أغادر هذا الحديث حتى أنسخت قبل مكانته، وأجعله مثالاً لم يريد أن يمارس الآباء على وجه صحيح، لا تشكوه إليه حماقة أو نسءة. فعلى أن خبر الفطين عن راهب دير الفاروس ليس سوى خبر لفظية فقط في كتابه لغير رشدٍ (أي، كلاود البذل) ليس له أبت ينتمي إليه)، مع تناقض أجزائه، واضطراب سياقه، ومايته للمعلوم بالضرورة من حياة شيخ المعرفة، ومن شعره أيضًا، ومع تبن بتلبانه من وجهة كبيرة ذكرتها أنفساً، فهو أيضًا خبر على توقع ظاهر لمخمور تأتيه من عوام الشام، وزوايا الجزيرة، (وهما دفاعاً أبدت الروم بالصمت بعد الإسلام)، وذلك التوقع هو ما في بعض عبارته من رقاقة، وطُرُغمًا، غير عرينة. ومع كل ذلك، فنص الخير يحمل الدليل الفاعل، على أن هذا المخمور التالف أدى عقلاً، وأشبَّت فطنة، وأحسن حلقة بمعنى جعل هذا الخير برهانا على تعلم شيخ المعرفة من راهب دير الفاروس.

فهذا التالف يذكر أن أبا العلاء لما كبر وخرج من معركة النعمان فصد طرابلس فاجتاح باللاذقية، ونزل دير الفاروس. فهذا ألقاً قليلاً واضحة، من أخذهما بغير حقّها غمضت عليه، ووقعته في الدهاريس (وهي الدواهي)!!
فiola تقول: "جُزٌّت الطريق"، إذا سرت في جَزْهْه، أي وسطه، وسلكه نافذًا إلى غايةك. ثم تقول: "أجزت الموضع"، إذا سرت في جَزْهْه، وقطعته وخلعته ورايك. وزيادة الألف زادت في معناها شيئًا. فإذا زدت في بناء الكلمة فقلت: "خرجت من دارى فاجترفت بدار فلان"، فمعنى ذلك أنك مرت بها وخلعتها وراها غير متوقف. ولا يكون معناها أبدًا أنك نزلت داره وأقامت فيها، لأنه مناقض لاشتقاق اللغة، فإذا جرت إلى مسافٍ طويل الرحلة فقلت: "اجتز بالبلدة". فيأت بالخيار في استعمالها، أن تريد: مر بها وخطاكها غير متوقف، أو تريد: مر بها ثم توقف ساعة أو ساعتين أو ليلة أو ليتين، فقول: "اجتز بالبلدة فنزل دار فلان". ولكن لا بد من هذه الإضافة: "نزل بدار فلان". ولكن هذه الزيادة في معنى "اجتز"، لا تأتي من أصل الاشتقاق، ولكن من شيء خارج، وهي أن المسافر الطويل الرحلة، لا بد له من وقُعٍ ونُزُول عن راحلته، ليستجم هو، وبريح راحلته، ويصلح رحلته وإدارته، ويتربد سفره بطعام وفميء، ثم ينطاق. فهذا فترة استجمام، لا فترة إقامة، وهي قليلة محدودة الساعات أو الليلاء، لا تريد عن ليتين أو ثلاث. وهذا صريح استعمالها، كالذي يجيء في العهد بيننا وبين أهل الذمة، ففي كتاب حبيب بن مشلحة الفهري في فتح أرمينيا، على عهد عثمان رضي الله عنه يقول:
(الأحوال : 209، فتح البلدان : 209).
ولنا نصبححكم وضُعْهكم (أي الميل والمعونة) على عدو الله ورسوله والذين آمنوا فيما استطعتم، وقري المسلم المجتز ليلة بالمعرف من خلال طعام أهل الكتاب وخلال شرابهم.
فالجتز، في هذا الخبر، هو المسافر الذي يقطع طريقًا طويلًا إلى غايته، فيجتز ومكان، فيحتاج إلى الراحة والنزد، فينزل ساعة أو ساعتين، أو ليلة إلى ثلاث ليلات، ثم يرحل عنه مخلقًا وراء ذلك المكان. فقول صاحب خبر الراهب حين قال: "فاجرط باللاذقية"، لم يعن سوى أنه مر بها وخلعتها وراها غير متوقف. وسنرى أنه لا يمكن أن يكون دخل اللذقية أو أقام بها. هذه واحدة.
أما قوله: "نزل بدير الفاروس"، فمعنى "نزل بالمكان"، هو أنه أقام به قليًا.
ثم رحل، فإنّ أصل "النزول" في لغة العرب هو الهبوط والانحدار من عالٍ إلى عالٍ، تقول: "نزل الراكب عن دابته"، و"نزل المطر"، و"نزل في بحر".

ومثال ذلك: لما كان المسافر البعيد الشاطئ أكثر ما يكون راكباً، قالوا له إذا مر بمكان، فأراد أن يريح دابته ويزود لرحلته، فحَّطْ به ساعة أو ليلة أو ثلاث ليلات على الأكبر: "نزل بالمكان"، أي نزل عن دابته لم يرحتها، ثم قوم الراحة قليلًا، ثم يرتحل. ولهذا الموضع الذي نزل به هو "النزول".

وفي ذلك سبّعوا الصيف الذي يمر بك ثم يرحل عنك غير مقيم: "النزول"، وسمعوا ما تهبط له من القرى: "النزول" (بضم النون، وضم الزاي أو سكونها)، لأنه يقدر لمن ينزل بهم.

والذي نسميه اليوم "النزول"، حيث نقيم نحن، فإنما هو في العربية: "البيت" و"المدار".

وهذه ثانى.

فهذان اللفظان: "اجتاز" و"نزل"، مجتمعين في جملة بالعطف، أو منفردان: لا يدلان البناء على إقامة طويلة بمكان، إلا كفاحلة الطائر في مسافة السفر، فهي إقامة ساعة أو ساعات، أو ليلة إلى ثلاث ليلات على الأكبر. هذا كل ما تستطيع أن تطبعه اللغة، وما يؤديه أصل الاشتقة. فمن فهم منهما غير ذل ذلك فقد أسأء وأهدى معاني الألفاظ، وجهل حدود الكلام، وخلط خصائص المفردات.

وجعلها متادات لا خير فيها، ولا حَدّ لها.

فمنقرأ كلام القبطي والدهي وقوله: "فاجتاز باللاذقية، ونزل دير الفاروس"، فقال بما قال الدكتور طه حسين: "فرّي يطريقة باللاذقية، فنزل بديرها، ولقي بهذا الدير راهبًا قد درس الفلسفة وعلوم الأوائل، فأخبره بما شึกه في دهيه وفي غيره من الديانات"، ثم قله بعد ذلك: "فلا شك أنه درس هذين الديانين ( يعني اليهودية والنصرانية) في أسفاره الأولى، فإنما أن يكون ذلك في أنطاكية، وإنما أن يكون في اللاذقية". فما قال ذلك، فقد جاور الحد وآسيا غابة الإساءة، لأن صدر الكلام عن الرحلة بدلاً على اجتياز مسار في اللاذقية ونزوله بدير، ولا يوجد ذلك عن ساعات أو أيام ثلاثة. وأما ثلاثة ليست تعيش على معرفة نبذة بسيطة، فضلًا عن دراسة.

ومن قرأ ذلك فقال كما قال لويس عوض: "وقد تعلم المعنى في اللاذقية".
فقد بالغ في الإساءة، وخرج أيضًا عن حد المعقول. وكلا الرجلين، طه وليوس، أهدر معيًا «اجتاز» و«نزل». وأصبح، منهم، إدراكًا للفهول الأفلاطون وما توجه من المعاني، اختصار ابن كثير لخصر الراهب، فإنه تصرف في لفظ الفظفظ كل التصرح، ولكنه أصاب حقيقة المعنى فقال: ونقال إنه اجتمع براهب في بعض الصوامع، في مجيئه من بعض السواحل، أوه الليل عند ه، فشكك في دين الإسلام، فاستخرج من لفظ الفظفظ أنه نزل عند الراهب ليلة واحدة! فهذا اختصار فاهم ومبين أيضًا، مع دقة في الاستنباط. وفي حديث الفظفظ نفسه ما يدل دلالة قاطعة على أن الأمر لم يكن دراسة ولا تعلماً، لأنه قال: فسمع منه أبو العلاء بن تيمور الراهن، من أوائل كلام الفلاسفة، وهو الشهاب، لا يكون دراسة ولا تعليمًا بل هي كلمات قلائل سمعها لا غير. وإذا، فالاجتهاد باللادقية، ثم النزول بالدير، ثم سماع كلمات قلائل مشككًا، كلام متسبس متسبس، ومطالب لمفهوم اللغة. ولا يعقل أن يجعل هذا المعنى الواضح: إقامة باللادقية والدير، ودرسا أو تعلماً إلا إذا فهمتها اللغة على أسلوب وردت كالدهان، أنها هي روزا مستيكيما!! وسائر العجائب التي لا نتفنن!!

وفي هذه الجملة لفظ آخر هو دير الفاروس»، ففظ الدير في العربية يدل على بيت النصارى الذي يعتمد فيه بزانيهم، قال ياقوت: والدير لا يكاد يكون في البيت (أي المدينة)، إنما هو في الصحراء وروئوس الجبال، فإن كان في المسجد، كانت كنيسة أو بئرة، وربما فُوق بينهما، فجعلوا الكنيسة للهود، والبيعة للنصارى (والتبريغ، بكسر الباء)، وإذا فذر الفاروس، كما تدل عليه اللغة وكما هو معروف إلى اليوم، ليس في مدينة اللاذقية نفسها، بل هو بعيد عنها في ظاهره (ظهر المدينة، خارجها). وهذا يباطن صفة هذا الدير، فإن ابن بطوطة (703-779 هـ)، مرت به في رحلته ووصفه فقال: وبخرج اللاذقية، الدير المعروف بدير الفاروس، وهو أعظم دير بالمسلم ومصر، يسكنه الراهب، ويقصده النصارى من الأفق، وكل من نزل به من المسلمين، فالنصارى يضحكونه. ومثل ذلك قال ابن
فضل الله العمرى (700 هـ - 749 هـ) : «دير الفاروس، على جانب اللاذقية من شمالها، في أرض مستوية وبناؤه مرتفع، وهو حصن البقعة».

إذ كان «دير الفاروس» يقيّم خارج مدينة اللاذقية، فمعنى قول صاحب الخبر: «فاجتز باللادغية، ونزل دير الفاروس»، أي هم باللادغية وخلفها وراءه ولم يدخلها، حتى بلغ دير الفاروس خارج اللاذقية، فنزل به ضيفاً، على ما جرى عليه أمرهم، وهم مأهل لله مع أهل الإسلام، فأضافه ربان الدور، كما قال ابن بطوطة، فمن زعم أن أبا العلاء درس اليهودية والنصرانية باللادغية)، ومن زعم أنه تعلم باللادغية، استناداً إلى هذا الخبر، فهو معلم أشد البحترام، لأن الدرس والعلم كلاهما يقضي طول الإقامة باللادغية، والخبر بجميعه يدل، كما أشارت، على أنه مر باللادغية وخلفها وراءه ولم يدخلها. وهذا ظاهر فيما أظن لأن مطالب لمعنى اللغة ومفتاح اشتقاتها، ليس كذلك؟ وعلى أي وجه قالت كلماته، فإنه لا ينتهي إلا إلى ما قلت.

وهو الذي كان يجري بينا وبين أهل دفنتنا من النصارى، مبتئٍ في الأحاديث والأخبار. ففي حديث أبي الحويرث، فأن النبي ضرب على نصارى أثلة ثلاثية دينار كل سنة، وأن يضيفوا من معهم بهم من المسلمين الثلاثة، وأن لا يغضوا

مسلمًا (سنن البهقى 9: 159).

ووفي كتاب عمر رضي الله عنه إلى أمراء أهل الجزيرة: «أن لا يضحو الجزية إلا على من جرى عليه المواساة (أى من بلغ العلم)، ويضيفون من نزل بهم من أهل الإسلام ثلاثة أيام» (سنن البهقى 9: 195).

وكتب عمر أيضًا إلى أمراء الأجانب: «أيما وقفة من المهاجرين أو أهالي الليل إلى قري من قرى المعاشرين من مسافرين، فلم يأتهم بالقرى، فقد ربت منهم الدمى».

(سنن البهقى 9: 198).

فالذي ذكره ابن بطوطة من إضافة نصارى دير الفاروس للمسلمين، إنما هو حقٌّ واجب بالعهد الذي بينا وبينهم، ظلوا يعملون به منذ جاء الإسلام. فالمسلمون في
أسفارهم يمرون بالأديرة فتنزلون بها، ويبرعون أنفسهم ودوائهم، ويقدّم النصارى إليهم الفذة ليلة أو ليتين أو ثلاث ليل، وليس عليهم بعد ذلك شيء، ثم يرحلون عنهم. وفي الأدوار السالفة لفظ «مر» بهم»، و«نزل بهم»، وهي بالمعنى الذي أسلفت شرحه. فأبو العلاء، إن كان قد نزل بدير الغفاروس، فإنهما نزل به على العادة الجارية بلا زيادة، في طريقه إلى طرابلس، كما زعم صاحب هذا الخبر، وليس فيه ما يدل على إقامة. وإذا لا إقامة فلا ذكر ولا تعلم!! أليس ذلك واضحاً أيضاً.

٨٦

هكذا كان شأن الأديرة فيما سلف في أول الإسلام، ولكن يبقى شيء لا يزال من ذكره، فقد العهد الأول صار لهذه الأديرة شأن آخر، فهي بطبعية بنائها كانت خارج المدن، في بقاع حسنة وأماكن زاهية. وكان النصارى في سلطان الإسلام متروكين على عادتهم وأحوالهم، لا يعرفهم أحد، لهم خِصائصهم على مقربة من أديانهم، ويقضدها النساء والرجال على جانب عاداتهم. لأنهم خارج مدن الإسلام، فصارت لها شهرة أخرى، ومن قرأ كتب الديارات (أي الأديرة)، رأى عجبًا. ولكن أثر على أحد بنقل الأخبار عن ذكر كثير منها، ولكنما إذا احذت كتاب الديارات للشاميشي (٣٨٨ - ٨٨) وهو قريب العهد برحيل أئمة العلامة التي زعمها صاحب الخبر، رأيت من أول صفحة فيه:

«دير درامس، عديع أحمد عبد، يجمع نصارى بغداد إليه، ولا يبقى أحد من يحب اللهو والخلاقة إلا تبعهم»، ثم ذكر أشعارًا وأخطارًا في هذا الدير وسكنائه من الرهبان، وقصده من أهل اللهو والخلاقة.

ثم يليه: «دير شملي، فيه منظر عجب، لأنه لا يبقى نصارى حضره وتقرب فيه (أيتناول القره)، ولا أحد من أهل التزلج واللهو من المسلمين إلا قصده للنزول فيه»، ثم ذكر الأشعار فيه كذلك.

ثم يليه: «دير الثعالب، أعمم موضع وأنزهه، لما فيه من البساتين والشجر والخنال والرياحين، وتوسطه البلد وقربه من كل أحد، فليس يخلو من أهل
البطاقات، ولا يخل به أهل الطلب واللذاذات...». ثم ذكر الأشعار فيه وفي رهبانه وقصاده.

وتظل تقرأ مثل هذه الأخبار، حتى تنتهي من الكتاب، وفيه أشعار شديدة أعُرض عن ذكرها. وكذلك ما جاء في كتاب مسائل الأصرار في ذكر الدبابات والحلانات، لا يكاد يقضى عجبيك من كثرة ما قيل فيها وفي رهبانها وقصادها من الشعر، أدركك آلتُه ما فيه، ولكنه يبدؤ درس العمل على أن أمت هذه الأديرة كان قد خرج عن الحد المستحسن، لذا شاع فيها من البطل بالله والخمور. أما «دير القاروس» الذي يعني هنا، فحسبك أن تقرأ ما قاله أبو على الحسن بن علي الغزلي فيه وفي بعض رهبانه:

لم أُس في القاروس يومًا أيضًا مثل الجبين زهيت فرُغ النهج.

ثم يقول:

أضحك لفروط جماله مبتسمًا
قد أُست اختيارًا إذا تردد صمته في مشاعر زُبّ الحكى
لا شيء أعجبه من شمائله إذا حث الشمَّول، ولطبه قد لَّجُليًا
قله، وليله، الذي قضى به عُقَّ، بكابى، لا يَعبَّغ قد شجا

فهذه حالة سبعة جدة، من ناحية الأخلاق على الأمل، كانت عليها الأديرة في القرن الرابع الهجري وما بعده، لأنها كانت مأوى أهل البطالة والبغي والمجنون والخمر، وكان لهما أخبار لا يُشتبَح ذكرها، وعجائب من اللهو لا تتفقض.

... وأما «اللاذقية» نفسها، وكانت تحت سلطان الروم، فكان أمرها أشعَّ، فإن أحد معاصره بأي العلاء، وهو أبو الحسن ابن بلال الطيب القاضي المشهور، واسمه: الخُتَّار بن الحسن بن عبَّدُون بن سعُدُون بن بلالْ، كان خرج في رحلته، فكتب في رسالة رحلته ما نصه:

وخرجت من أنطاكية، إلى اللاذقية، وهي مدينتنا بوتانية، لها ميناء ومعلب للخيل مدوّر، وهبها بيت كان للأصنام، وهو اليوم كنيسة. وكان في أول الإسلام
مسجداً. وهي راكبة البحر، وفيها قاضٍ للمسلمين، وجامع يталوّن فيه، وأذان في أوقات الصلاوات الخمس. وعادة الروم إذا سمعوا الأذان أن يضرو هم الناقد، وقاضي المسلمين الذي بها من قَبَل الروم. ومن عجائب هذا البلد: المحنطة، يجمع القباب والغراباء والمؤثرين للفساد من الروم في خلقة وتُنادى على كل واحدة منهن، وتزداد الفضامة فيلبيتها تلك، يُؤذَن إلى القدام التي هي سكان الغراباء، بعد أن تأخذ كل واحدة منهن خاتمها، هو خاتم المطران، يُحَيِّبها بيدها من تعصب الولي لها، فإنها مَن وَجَدَ خاطئاً مع خاطئة بغير خاتم المطران، ألزمه جائزة: (أي)، طالع (تارِيخ الحكَّاء للقَبْطى: ٢٩٦، وغيره) وهذا بالطبع قبيح جدًا، والعجب منه لا ينقطع، ولا أحسب أن أكثر من أمثال هذه الأشياء، وحسبك من القلادة ما أحاط بالمعنى!!

إذا كانت هذه هي حال الأديرة وقد رُغمباهَا على عهد أبي العلاء، وإن كنت قد استحيت أن أعطيك صورتها واضحة = وكانت هذه هي حال اللاذقة على وجه الخصوص، ولم يكن أبو العلاء من أهل ذلك الشَّأْن، لا هو ولا أحد من أهله، قضاء الراية وشيئها فهل تظن أنه يتركه أهل يخرج وحيداً، أو مع رفيق لا يعقل ولا يحسن الرعاية، فقيّمه على الملاقى وفيهم بها، ودير الفاروس وقيم به! لكِ تعلم في هذه أو ذلك! وعلى هؤلاء الروم أيضًا!

هذا عجبُ، أن يبلغ أهل القُرى الأعمى ذلك المبلغ من الجهال بأخوار تُورَّهم، فيتركوا فنفهم في أبدى هؤلاء يعلمنه ويظفونه! هذا سواء تصور للماضي أسوأ التصور، وأسوأ منه أن تظن أن هؤلاء كان لديهم من الفراع ما يدارسون فيه أداب اليونان وفلسفتهم في لغتها الأصليّة، كما يقول لويس عوض، في عجبه الذي لا تنقضي.

ثم نعود فنظر نظرة مخاطبة في أمر، سأشرحه مفصلاً يوماً ما. أتصور أن إضلال أي العلاء، القُرى الضرير، عن دينه كان يحتاج إلى راهب يذهِبُ شيءًا من علوم الأولان، فيسمع منه كلامًا من أوائل كلام الفلاسفة، فتحصل له شكوك ليس عندا
ما يدفعها به، ويحصل له بعض الانحلال؟ أصلح هذا؟ وإذا كان ما كان من ترجمة كتب الفلسفة من قبل عهد المأمون، إلى أن كان أبو العلاء؟ وهي مئات الكتب بكيفي أيسر النظر في مثل فهرس ابن التميمي، حتى تعرف كثيرها، لا بل أين ما كتبه مثل الكنيدي، فيسفوف العرب وابن ملوكها (185-252 هـ) قبل أن يولد أبو العلاء بأكثر من قرن كامل؟ وأين ما كتبه الفارابي "المعلم الثاني"، ضريح أرسو (257-339 هـ)، وهو قريب العهد والدار من أبو العلاء، وكان آخر أمه مقيما بحرب مع سيف الدولة وصاحبه المتنبي؟ وأين ما كتبه إخوان الصفا؟ الذين است neger أمر سلاطينهم قبل أن يولد أبو العلاء بخمسة؟ لا بل أين ما كتبه من هو أصل ضلالاً من كل هؤلاء، كان الرأونيدي وأشيوخه منذ قدمي، وأين الزناقة القدماه من شعراء وكتاب؟ أثرى معرفة النعمان، لم يدخلها كتاب واحد من هذه الكتب، ولا قراءة قارئ، ولا ضلال لمضال، إلى أن يولد أبو العلاء، ثم كبر ووصل إلى سن الطالب، وطلعت نفسه إلى الاستكثار من ذلك؟ كما في خبر الراهم؟ أثاره إلى أن بلغ سن الطالب، لم يسمع به ولا شعر، ولا قراء له كتاب، فيه زندقة أو ضلالاً ليس عنه ما يدفعها به، حتى يحتاج إلى رحلة في صيانة، إلى اللاذقية ودير الفاروس، فيجد هناك راهباً قادماً لشيء من علوم الأواضيل وفسطل؟ هذا كلام يُعقل؟

ولو شئت أن أسوق ما يُعقل من دواعي الضلالات من فلسفة وغير فلسفة، وما كان متفشيًا من المذاهب والعناصر والأفكار في الشام وغير الشام، قبل أن يولد أبو العلاء بأزمنة طويل، لبلغ منك العجب مبلغاً. ولكنك أكتسبت هذا السؤال، لأن أدنى معرفة أو بصيرة، توجب على المرء أن يقطع ببطلان خبر هذا الراهب، من هذا الوهج وحدة، دون سواء من الوجه الذي دارسته فيما سلف.

فمن أعظم العجب بعد ذلك، أن يأتي إنسانًا يظن أنه للعقل يفكّر به، فيصدق مثل هذا الخبر اللفظ المتداول من نواحيه جميعًا! وأعجب من تقديمه أن يستخرج من سباقه أن لقاء مثل هذا الراهب المذكور في الخبر وسماع كلمات منه، كان تأليمًا! وأعجب من هذا الاستنكار، أن يستند منه أن "علوم الأواضيل" التي كانت تقرأ في الأديرة تحت حكم الروم، هي "آداب اليونان وفلسفتهم في
لغتها الأصلية » وأعجب من هذا التوليد في مقالة الخامس أن ينتهي لويس عوض هذا، في مقاله السابع، إلى تساؤل ذكي جدًا، بعد عناء كبير جدًا، يقول: «أليس من حقنا بعد هذا كله أن نفترض أن المعذر كان متقناً في تراث اليونان القديمة؟» وأنه قرأه هوميروس، وأرسطو، وأثيوبيا، ولومبيا على أقل تقدير، (بالطبع، ما دمت أنت تريد ذلك)، سواء في ترجمات عربية ضاعت أو في نصوصها الأصلية؟ بل أليس من حقنا أن نشتهي في أن المعذر كان عارفاً بلغة اليونان، يقرأ فيها أدب اليونان، بعد كل ما رأيناه من وصف البيئة المحيطة به، ومن وصف نشأته وتعليمه الرسمي؟!

كيف لا يكون من حق لويس عوض أن يقول ما شاء، فمن الذي يحاسبه!!

أنا أحب أن أرى رجلًا واحدًا في الناس جميعًا، يستطيع أن يشهد لهذا الإنسان بأنه يحمل على كتفه رأساً كروسا الناس! ظل يلتح في كلام لا يربط بينه رابطًا، حتى انتهى إلى أن شيخ المعذر قد أقام في اللاذقية ودبي الفارس حتى تعلم اليونانية القديمة (وذلك في سنة 380 تقريبًا، يا للعجب!)، وقرأ فيها هوميروس، وأرسطو، وأثيوبيا، ولومبيا على أقل تقدير (ما أشنوي توضيحه!) في ترجمات عربية ضاعت!! (ما هذه النبوءات!) أو في نصوصها الأصلية. ثم يختم هذا المرسوم الموقف عليه باسمه الكريم: أن هذا الذي كان في اللاذقية هو «تعليمي الرسمي!!» أما تعليمه في معرة النعمان في غير الرسمي!! وأنا أدع للقارئ أن يفكر هو لنفسه في صفة جديدة يصف بها هذا الإنسان، فقد أعورته اللغة تعجز عن ملاحظته، بصفات توصف بها كتابته، أو يوصف بها تفكيره!!

وإذا أحب القرائي أن أعنيه، فأنا أعنيه بفرقة متقلبة بنصها من الكتاب النفي:

«بولوندي وقصائد أخرى» في التجربة الأولى من تجاربنا. يقول لويس عوض في ترجمته للويسي عوض: «عقلية لويس عوض منطقية حقًا!! فهو يفهم أن هذا الانقلاب اللغوي الأولي، لم يقوض أركان الدين في أوروبا، وإنما قوض أركان الكنيسة التي خشيت أن يقرأ الشعب الساذج كلام السماء بلغة يفهمها، فتسقط عن بصره الغشارة، ويدرك أن رجال الدين إنما يذهبون عليه من عندهم ديّناً ليست في
فيه الم، وبقي راكعا أمام الأشراف. وهو يفهم (أي لويس عوض يفهم)، أن أبسط
بنت تبع الكرافات في شيكوكول، تعرف عن المسيحية أكثر مما كان يعرف البابا
الذي شن الحروب الصليبية (أي في زمن أبى العلاء تقريباً)، وفي زمن راهب دير
الفروس)، أو البابا الذي أعدّ الأحرار على الخارج، أو البابا الذي كان يضجع
أخته...). (رجوع على الأصل، فلزم التوجه، كما قال لويس عوض)؛ وأدعى
للقارئ أن يجمع بين الكلامين، ولا تدخل من فتى، وسيتهبه أيضاً إلى عجائب
لا تنفعها.

أما الآن، فأدعت أن أختم القول في حديث راهب دير الفروس، بيان لا يدنة منه
لكل عاقل يدرس الآداب، في العربية وغير العربية. فمثل هذا الخبر إذا جاء
وعجز يطوله من وجهه الصحيحة التي تقوم بها مناهج الدراسة، وجب على
الدارس أن ينتمي الحيلة التي من أجلها وضع الخبر واصطحبه. وقد كتب استجابة من
بعض ألفاظ الخبر أنه خبر يتجه علوج من علم الشام، أو زاء حل من زواقل الجبرية،
ثم ألقى به إلى القطب (568 هـ) بعد وفاة أبي العلاء بقرنين تقريباً،
ليظله به (على سبيل المكالمة)، كما رأى من خييف القطب على شيخ النبرة،
وحرصه على مذهبه، فلقي له هذا الخبر، مبداً لتهيأ أو العلاء، ووصفه بالصلاة
وعصف العقل، إذ توعد من إضلالة، وهو طالب علم صغير، راهب يتشدد شيئاً
من علم الأهل، وكأنه أراد أن ينضف بما كان يقال، ويثور من ذلك هذا الفتى
الأعمى في صغره، منا رواه القطب نفسه في ترجمته لشيخ النبرة.

وليس هذا بعجب، فالدتين، وهو أيضاً حسره كان يوصف بالذكاء صغيراً
وقدح الناس في عقيدته كما قدحوا في عقيدة شيخ المبرة، ابتلى أيضاً مثل ابتلاه
فإن أبا القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني، ألف ليهاء الدولة البهية كتاباً
في المبتي، ليعرضه به ويشفي غليله في أبي صغير، فكتب فيه ما يلي، وبناء
المبتي، هو في الجملة حديث الاعتقاد، وكونه صغير، وقع إلى واحد يكتب
أبا الفضل بالكوفة من المتلفسة، فهوه، وأضلاً كما ضل، فهذا شيء بما قبل
في أي العلماء حذوك العلم بالعلم! وليس لهذا حقيقة، كما بينت ذلك في كتابي عن المعنوي، وإنما هو إرادة الاستخراج لا غير.

أما مسألة الرعب، فإنها عنده شبه قديم، ففي كتاب مذكور عنده، رأه البيروني ونقل عنه، وهي رسالة عبد الله بن إسحاق الهاشمي إلى الإمام السبتي، أو سبتي، وهي مطبوعة بمصر طبعًا، وطبع أيضًا مرات في لندن المحرومة سنة 1885 مسيحية، ذكر الإمام أوجيني أمير سلطنة، فيما زعم: أن هناك رجل من رهبان يحترم، يرغب بسرجموس، أحدث حديثًا يرتكبه على أصحابه، فحرموا وخرجوهم، وقطعوا عن المدخل إلى الكنيسة، وامتنعوا من كلامه ومخطاطه على ما جرت به العامة منهم في مثل هذا الضرر. فقدم على ما كان منه، فأراد أن يفعل فعلاً يكون له يتميز عند ذبه، وحجة عند أصحابه، فصار إلى بلد يهود، فجاءوه على رفيدة إلى ترية مكة، فنظر البلدة غالبًا فيه صفح من المدينة، فكان الآخر دين اليهود، والآخر عبادة الأنصار. فلم يزل يطلب وي الحال pagar بالصاحب (أي رسول الله صلى الله عليه وسلم) حتى استماله وتسنى عنه نسطرويوس، وذلك أنه أراد بتغيير اسمه إبان رأي نسطرويوس الذي كان يعتقد ويدين به. فلم يزل يخلو به ويعتر بالحاصل. ومهادنها، ويطير إلى الشيء بعد الشيء، إلى أن أراه عن عبادة الأنصار، ثم صيره داعيًا وتلميذًا له، يدعو إلى دين نسطرويوس، إلى آخر هذه المنشئة التي يطول الشنشنة نقلها (والشنشنة، الطبيعة والعدة، والمخرجة السخيفة التي لا تنقضي عجابًا!!)

ومن قبل هذا ما قاله قريش بمسك، وكان فيها نصارائي أعمجيّ سنام، ربما دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسه، فكان المشركون يقولون: إنما يعلمهم هذا النصراني! فأرسل الله في كتابه في سورة النحل: «وَلَبِسْنَكُمْ أَحْزَابَ الْمُجَّدُورِينَ إِلَّا أَنْفُسَكُمْ وَهُدْنَا إِلَيْهِ عِبَادَتَكُمْ...».

فهذه الشنشنة التي نعرفها من كفار قريش، ومن عبد المسيح الكندي، ومن...
الأصنافاني، باتخاذ راهب من الرهبان أو متفلسف ضال ممحورًا تحاك حوله قصة، هي الشكستة التي ورثها علبخ الشام أو راوة الجريرة، حين آراد النبل من شيخ المورة وتلقيها، فأنبئى راهب في الفاروس بما لا أظنه: كان يحسن منه شيئًا، فضلاً عن أن يشدو منه طفلاً! ثم لا أظنه أن حامل مع أثاث أثاث على الحسن الغريب الشاعر العابث، أو مع مطران اللاذقية صاحب الخاتم المببز للبغاية، كان يتيح له وقتًا يتفنن فيه ليلة هوميروس، وأرسطوفانيس ولوميان، فصلى عن تعليم فقه عرب مسلم أعظم لغة اليونان القديمة، وتعليمها يحتاج إلى دهر طويل لا يبقى عن عشرة أعوام بأيامها ولا بها!

وكل حسيس العقل مستطيع أن يكذب على الناس ويقلب عنهم الأخبار، وقادر أيضًا أن يقول ما شاء، كما يشاء، من شاء، بل حسب ولا رقيب! ويعمل ذلك فإنه أجهد هذا العلّة، أو ذلك الزاقل، أخفق الجميع دمًا وعقلًا، وإن كان كذبه قد كلف منه المشقة في يتبع أخبر شيخ المورة مع تراحم العمل وكثرة الشوارع، والآن، وقد فرغت من مدارسة حديث راهب في الفاروس، أطرافه هو أيضًا جانبياً، لأنه حديث لا خير فيه، ولأنه خبيث المخرج، خبيث المعنى، حيث الموارد والمصدر، ورحم الله شيخ المورة، كأنه كان يعني هذا الذي نحن فيه إذ يقول:

"أيا كاذبًا لا تبور رائبًا، وما عليك من فضيلة وضح
كم ست عمدا تقول مجهودًا، لعلًا خلقًا لطالب يضح
فكلما هدأ تلك الخبئية، أنشأت للباقين تفاضه
وكنى بالفضيلة عارًا لمن يعقل! (والعرض مستمر)."
هذِه هي القضيةِ

رسالة
الجمعة 27 شعبان 1384 هـ
كنت أتوقّع أن تبادر صحيفة الأهرام إلى الɒراء مما يثير في صفحتها الأدبية، تسعة أسابيع متواضعة، يتوافق لويس عوض، وهو الشيء الذي سماه بحثًا يتناول رسالة الغفران لشيخ المعرزة. وأحبت أن أجعل الأمر واضحا من جميع نواحيه.

وفي كل شيء، ومنزلة صحيفة الأهرام في حياة اللغة العربية ثم الأمّة الإسلامية، وهم جميعًا ممثلين ميلين، منزلة عظيمة جدًا، وعظام الأثر في حياتنا منذ الطفولة، إلى أن تصير رجلاً قادرًا على النظر والإدراك وسياسة الأمّ. وهذا الأثر يزداد اليوم أتساعًا، ومنزدلا على مر السنين، يوم تنهار الحواجز التي فرضت عليها في القرون الأخيرة، ففصلت بين شعوب العرب وشعوب الإسلام، وحرصت لغة العرب في دائرة ضيقة في داخل الشعوب العربية بالجهل وضعف التعليم. وفي داخل الشعوب الإسلامية بالجهل وضعف التعليم أيضًا، وبالطريقة الكبرى في محاولة لسان العرب وإحلاله في المجلة الثانوي أو الثلاثي أو الرابع، وكان هكذا في السنين الأولى فيها، مع احتفاظ كلّ أمة من هذه الأمّ بقلّدتها الأمّ في بعض الأحيان. ولا شك أن ذلك كان إن شاء الله كما كان. وعلى العرب اليوم أن يحملوا العبء كله لإعادة ما كان كما كان، وإنّا لم يكن هنا معتق لدعوتنا إلى توحيد العرب أمة واحدة، وليس لها لغة تسود أرضها، وتسود الأرض التي تشاركها منذ قرون طوال في العقيدة، وكانت أيضًا تشاركها اللسان، وتعدّ مستوى الأولى أو الثاني بلا ضعفة ولا تتمثل ولا إنكار. بل نتعدّ تاريخ العرب تاريخها قبل كل تاريخ لها ماضي أو حاضر، وتتفق عليه كل المنافحة إلى هذا اليوم الذي نحن فيه، معنا لحق هذه الشعوب من فساد التكوين السياسي، يفعل العدوّ الماك الحاضر المستلقي على ثروات الأمّ وعقولها، وأواعها، يبخّده وعشقه وسيطرته البغيضة، ثم بإحلال لسانه مكتوب اللسان العربي، وجعله هو اللسان الأول فيها، بوسائل عديدة جدًا، ليس هذا مكانًا بيانًا.
وصحيفة الأهرام، وغير صحيفة الأهرام، تحمل هذا العبء، لأنها هي الناطقة
بمسان العرب اليوم، والداعية إلى توحيد أمة العرب أمة واحدة. وهذه تبعية يحتاج
حابللها إلى ترك التساهل في الصغائر، فما ظلم بالكبار؟ وإلى الودة والحنجر في كل
حرف ينشر في الصحيفة، لأن أثير بلغ نافذ في نفس الآلاف المنحلة، في هذه
الوقعة من الأرض المترامية الأرجل، وهم بين صغير بلغت ما بلغت إليه بتسليم
المعلم لأسناذه، وكثير ينظر في لنظار النظار أحياناً، ويسير النظر أحياناً أخرى،
فيفي يومين وفكر، فتكون لرضا أثر حسن ينقله إلى من ينطلق عنه، ول сфереثر أثر سند
يمر به في من يأخذ عنه. والأثار المرتبطة على الرضى والشحن لن تتفن عند حد،
لأنها تنتمي دائماً إلى كونهم أتى يتناول أدنى العفوية الإنسان في حياتها اليومية، إلى
أعلى الروابط في حياتنا السياسية. وهذا شيء معرفة العالم مفرَّغة، لأننا لا ندرى
أين يقع الرضى وأين يقع الشح، في رفعه مرتاد من شمال بعيد إلى جنوب قصيرة،
ومن شرق نازح إلى غرب متعدد، ولا ندرى أيضاً من الذي يحمل قلب الرضا،
وما منزلته في الناس وأثره فيهم، ومن الذي يطول جوانحة على سطحه، وما مكانه
في الناس وتأثيره فيهم؟ ولا ندرى أيضاً مدى يكون الرضى سبباً من أسباب توقيع
إِلَى هذه الملائكة بعضها بعض؟ ومن يكون الشح عاملاً في قُسم هذا المعرفة
وتمزق علاقاتها شباباً بعد شيء؟ فكّر ما يؤدي إلى هذه البلألة المخافة على هذا
المستوى، ينبغي أن يوقف كل حامل تبعية، وكلنا اليوم حامل تبعية، في وقت تنازل
في هذه الأمة إلى إعادة تكوين وحدة شاملة كائنت، ثم مزقتها سياسة عدوة شديد
العذاب بالمر والبطش في القرنين الأخيرين.

هذه هي التبعية حيال كبير يحسن النظر أو يسيء. أما الصغير الناشئ، فأمره فيه
أخطط، وهو عليه أشد، وبالأنا، لأنه يتعلق بتكون نفسه وعقله ورادته، وبالمرجع فيه
إذا كر وشأط وصار أهل للنظر، وقادراً على التأثير، والصحيفة والمعلم، كلها
عوّض عن نديه أن، فإنه يرضخ منهما نفاده بنائه العقلي والنفسي، فإذا تلقى سوء
النظر، وفوضي التفكير، وخطأ الرأي، فإنه يتلقى سموماً لا يكد باً من عقبايها
ما عاش، فإذا وقى في خلال ذلك التكوين، وهذا شيء لا مفر منه، بما يصادم
ما تلقاه، اندلعت في كيانه بلبلة أشد من زالزال الأرض، فلا يكاد ينجو من آثار
الندم، الدفن التدريجي الذي بورثه إياه الزواج الأكبر. هذا، مع فقدان القدرة على بناء ما تحدث في نفسه. ثم يطلق على ذلك فيكون ويصبه عدوه، ولكنه يبقى بناء مستعملًا في داخله، لا يستقيم له رأي ولا نظر ولا إدراك، فإذا تولى أمرًا، فإنما يتولاه لِيُثبت نفسه ويبدعه من حيث يدرى ولا يدرى. وتندو الدائرة.

وتسألن: أكمل هذا تقوله من جزاء تسع مقالات كتبها كتاب عن رسالة الغفران، وشيخ المعرفة، فأقول: نعم، بل لجلجلا ولا ازتياب. وأحتج أن أجل الأمر واضحا مرة أخرى، وإن كان يؤسس أن يكون الأمر الواقع قد ألدأ إلى بيان هذه المبادئ التي تعد من أواوالف ما ينبغي أن يعرفه عامة الناس فضلًا عن خاصتهم.

فالآهرام وغير الآهرام، إذا ألحق بابًا للأدب أو الفن أو الطيب أو ما شاكله، فإن بديهة العقل تقتضى بأن يكون فرضًا من ذلك أن يصير لأكبر جمهرة من الناس المشاركة في بعض ذلك، فيقولها الدارس ليجد فيما يقرأ رأيًا حسناً، أو منافع صالحة، أو دراسة ربما نفعه، أو ذكرها، أو زادته قدرة على تبني وجهة اختلاف الرأي كيف تكون، ومن أن تنشأ? ثم يقرؤها سائر الناس ليردوا عليها فهمًا وحسن إدراك، ولتردله تفوههم وقلمهم وعقولهم ضيقًا وقلعة على التذوق. لأن كل حضارة بالغة تفقهد دقة التذوق، تفقد معها أسباب دقاتها، والتذوق ليس قوامًا للآداب والفنون وحدها، بل هو أيضًا قوام لكل علم وصناعة، على اختلاف بابات ذلك كله وتبان أنواعه وضروبها، وكل حضارة تامة تزيد أن تفرز وجودها، وتبلغ تمام تكوينها، إذا لم تستقل بذوق حساس حادًا نافذًا، تخصص به ونفرد، لم يكن لإدراكها في فرض وجودها معتى يُعث، بل تكاد هذه الدراسة أن تكون ضيروًا من التوهم والاحلام لا خير فيه. فحسن التذوق، يعني سلامة العقل، والنفس والقلب من الأفكار، فهو يُلب الحضارة وقوامها، لأنه أيضًا قوام الإنسان العاقل المدرك الذي تقوم به الحضارة. وهذا شيء لا يكاد يختلف عليه الناس فيما أظهر. فإذا احتل هذا الميزان في باب من أبواب الصحيفة، بلطت الحجة التي من أجلها أنشئها، وكان إلغاؤه خيّرًا من نفيه وأتبع.

ولكن أزيد الأمر وضوحًا وبينًا، وهذا أمر مؤسف أيضًا، أفترض أن الصحيفة
الملحقه بالأهرام مثلًا، صحفية في طب الأبدان، فمنزلة الأهرام وثقة الناس بها،
ووجب أن تشدد أمرها إلى طبيب تتوهم أنه قادر على تحرير هذا الباب، وهذا واضح
بلا ريب، وهذا الطبيب يكتسب من منزلة الأهرام وثقة الناس بها، منزلة عند الناس
وثيقة، فهم يتلقون ما ينشر عندهم بالتسليم، فإذا جاء هذا الرجل فخلط في الطب
تخليطًا ينكره أصحاب العلم به، وجاء الناس ببعضها غير متṣقيمة ولا صحيحة،
تضرع بهم في جياع البدن وعلاجها، فقد أعانت الأهرام عندهم على تدمير سلامة
أبدان الناس، فإذا جاء من بين بوجو ما، فسما ما يأتي به هذا الرجل، وسوء معتقه
على سلامة جماهير الناس، فواجب الصحفية عندهم أن تكلف عن إبادة الناس بما
تنشره وأن تبرأ مما نشر فيها، وأن تعلن للناس أن الذي قرأه لا يعتمد عليه
ولا يوقع به، بل غضبوا ولنا تحْرِج، فإذا فعلت علّد منزليها، وزادت ثقة الناس
بها، وإذا لم تفعل، فقد أهدرت الثقة بما تنشر، وأهدرت منزلتها في الصحف،
وأهدرت أيضًا حق القراء الذين وثقوا بها وتبين فيها، ولم تجعل عقولهم وأبدانهم
عندها حزةً، أليست ذلك كذلك؟ هذه أمور كان من غير اللائق عندي أن أسوها
هذا السياق، لولا الاضطرار!!

وأدع ضرب الأمثلة، لأنه عندى غير لائق هنا لولا الضرورة، وانصرف إلى
قضية لويس عوض وما كتبه عن رسالة الفنون وشيخ المعرفة، تأذرًا ذكر مقالاته
الثلاث الأولى من المقالات التسع، فإنها هي ليجاحة مضنية من حيث هي دراسة
أنبية، يعرف ذلك من يشعره، ويجهله من بيخجه! ولقد بحثت في سياق المقالات
الخمس السالفة في مجلة الرسالة، أن هذا الرجل أراد أن يفوه الناس بأنه أستاذ
جامعه يدرس أثناء أديانها = فالفقه الذي يحمله، ولا أدرى كيف جاء، وبثقة التي
منحتها إياه صحفية الأهرام، وبالثقة التي يجعلها القارئ لهذه الصحفية، استطاع أن
يدخل هذه الدراسة وعليه طالب أستاذ جامعي، وإن كان هذا الطالب عندي في
الحقيقة، كلام الفردق حين جاء للقاء جبر، في الديجين والخبر، وجاءه جبر في
لباس المحارب مقلدًا سيفه وفي كفاه اليومن، ووصف ذلك جبر فقال:
ليست مبلاحمي، والفرزدق لغة على وشاهما كرجب وجلاجلة
( والكرجب )؛ بضم الكاف وفتح الراء المشددة، دَقَّة يلهم بها الصبيان، تَزَين بالوَشَي، وتَعلَّق عليها الجلاجل والأجراس). ومع ذلك فقد رضيت كارها أن أعامله معاملة أساتذة جامعي، لا لشيء إلا لأن بي غير مستحق لهذه الصفة بوجه
من الوجه، فلم أتعلق في بحثي بسيغ أو كبير ليس له مطلق في منهج الدراسة
الأتيدي، معرضاً عن أمور كثيرة حبست الفيلم عن إثارةها في هذا الموضوع، فمن أجل ذلك سلكت طريق البيان، فبدأت للناس وصحيفة الأهرام، أن هذا الرجل الذي طلع علينا في طريقنا وجلاجلة، قد أدى منهجه كمناهج الأساتذة الجامعيين، سلكة في
دراسة رسالة الغفران وتاريخ شيخ المعرفة، فحاولته إلى أن تعرف الطالب الصغير عن المنهج، فاتضح أنه يجهل منهج الدراسات الأدية جهلاً تامًا. وكان هذا
حسبي وحسب صحيفة الأهرام.

ولكن أي لم أقطع بذلك حتى أبرئ ذقتني، فكشفت عن أكبر خطيئة لا تغتفر
لطالب صغير مبتدي، وهي العجلة في قراءة النصوص، فثبت أنه نقل نصًا من
كتاب واحد هو كتاب الدكتور طه حسين، ولم يقرأه قط في غير هذا الكتاب. ومع
ذلك فهو وإنما قرأ أسطراً كالمخرم، وترك ما بعده من الأسطر وهي التي فيها نقد
الدكتور طه لهذا النص نفسه، وكان من الغفلة والإعدام أنه استخرج من هذا النص
المستحب المعنى، أحكامًا ألقاها الناس كأنها حقية مفروغ منها. وهذا
غش فاضح وعيب. وكان هذا حسب وحسب صحيفة الأهرام.

ولكن لم أقطع بذلك، فأبرأت ذقتني أيضًا ببرهان قاطع على أن هذا الرجل، قد
ادعى في كلامه أنه قرأ كتبًا بأعينها، وهو في الحقيقة خطافًا جريء، ينكر على
كتاب الدكتور طه وحده ولا يقصر ولا يفهم. ومن أجل ذلك أخذت بأدعاية ومخترفته،
حتى أكتشف للناس أنه لم يقرأ شيئًا قطًا مما ذكر من الكتاب، ولا رأى، ولا يعرف
ما هي، ولا من أصحابها، وصدقته في ادعائه الكاذب، ليكون ذلك أ áll له، لأنه
يكون عدنان قد قرأ بشيء لم يعرف معناها، ولم يعرف كيف يدرسه دراسة طالب
جامعى مبتدي ضعيف. وكان هذا أيضًا حسب وحسب صحيفة الأهرام.
ولكنني لم أتقبل بذلك، فأبرأت ذاتى مرة ثالثة، بالدلالة الحاسمة على أن هذا الذي كتب ما كتب عن شيخ المعرفة، لم يقرأ شيئاً قطعاً من آثار شيخ المعرفة، وبخاصة شعر سقط الزند، وهو الشعر الذي يتعلق بالبحر الذي أدعى متيماً أنه قرأه ووقع على نسخة في غير كتاب الدكتور طه، وإذا سلمنا أنه قرأه، فهو لم يفهم إذن منه حرف واحدًا على وجه ياقين بمئات جامعى. وكان هذا حسب وحسب صحيحة الأهرام.

ولكنني لم أتقبل بذلك حتى أبرأت ذاتى مرة رابعة، وذلك حيث زعم بتخريج أنه جاء يُعرف الناس بحقيقة شيخ المعرفة وحقيقة تاريخه، فذكر أكاذيب وأوهام ما لا أساس له إلا في خيالاته وسماوريه، فكَشفت بلا ريب عن أن هذا الدعوى لم يقرأ فقط كتاباً واحداً في ترجمة شيخ المعرفة، ومع ذلك فهو يأتي بلا خجل ولا حيا، فذكر كذاباً ضرائعاً منافضًا للمعلومات من حياة الشيخ، ومن حياة أسرته، ومن حياة آمنه التي عاش فيها. وكان هذا حسب وحسب صحيحة الأهرام.

ولكنني لم أتقبل بذلك حتى أبرأت ذاتى مرة خامسة، بدلائل قاطعة على أن هذا الرجل الذي يدعا نفسه عريناً من أعظم النصوص، لا يملك أي إحسان أديب، بل ينكره، ولو ظله يكتب في الأدب عشرات المجلدات. وكان هذا حسب وحسب صحيحة الأهرام.

ولكنني لم أتقبل بذلك حتى أبرأت ذاتى مرة شسادسة، فبنت جهل هذا الرجل وإ_Displayة ببرهان فاصلاً من نص كلامه هو في صفة نفسه، إذ قال: "إن إحسان لويس عوض باللغة ضعيف جدًا، وأجنبي جدًا!" ويعتبر ذلك فهو يعمد إلى النصوص الأجنبية في اللغة العربية فيدرسها من خلفتها، ويستعين بها، ولا يقتنع بهذا، بل ينتمي به ما أطلق عليه من الهؤلاء والإجارة، فيعمد إلى آية من القرآن العظيم، ويستعجلها بقيادة وجهيل راسخ، ثم لا يستحسن فيدعى نسبة ذلك إلى كتب المفسرين المسلمين، موجهاً أنه قد قرأها وأثبتها معرفة، بل ظل من حواء يبرع أو عقل يكفر. ولا يقتنع بهذا فانطلق بكملاً لا يفهم، وزعم أن الرجل الذي ينقده قد جاء في شعره بالفاطر.

هذه الآية، بالمعنى الذي فسره هو!!
ولتعلم صحيفة الأهرام أن هذا البلاء كله، استخرجته من أغلق من عمود واحد من اثنين وسبعين عمودًا نُشرها في تسع عشرة أعداد من صفحاتها الأدبية، وأنى التزمت فيه غاية الحذر حتى لا أخرج عن حدٍّ الدراسة الأدبية، فليس هذا كافياً في أن يحمل صحيفة الأهرام على القيادة من هذا البعث بالأدب، ومن هذه المعرفة باسم الدراسة الأدبية، ومن هذه (اللغة والبيان)، وما أشرف ما أوتي الإنسان؟ وإذا لم تفعل ذلك احتراماً لمنزلتها عند الناس، أن يведен حقًا عليها أن تفعله من أجل قراءتها، الذين خدعهم هذا الرجل بالقليل الذي يحمله، بمعونة صحيفة الأهرام حين أختارها مستشارًا ثقافياً لمؤسساتها، ورفعه من مغامرة مجهول قليلًا إلى مقتل، إلى شهرة تشرى حيث سارت صحيفة الأهرام؟ أليس من حق القراء عليها أن تحميمهم من هذا التضليل المؤذى؟

وليت أمر الرجل قد أقصر على هذا الفساد في الدراسة الأدبية المجردة، بل أثبت أيضًا في خلاف كلامي أن الرجل مضطرب الذهن جدًا، إذا جلّته وإنما داء حادًا، وإنما هما معا، بدأ على ذلك صريح كلامه الذي ابتلع وتدخل وترتح بلا رباط من منطق سوّي، فهل كان من حق صحيفة الأهرام على الناس أن تنشر عليهم هذا السيل الضار من الوباء بلا رحمة بالصغير الناشيء الذي يخضع للقلب، وتسرب في إصابته بالعدوى تفاته باسم صحيفة الأهرام ونزولها في كل بيت حيث تدخل علبة مع الإفطار، كأنها جزء من غذا الناس؟ أليس من خيب فلما بقرش صاغ، وأوتي لساناً طويلاً بلا غقل، قادر أن يجعل صحيفة الأدب وضعاً لإذاعة آرائه بلا حسب ولا رقيب، ويصبح بذلك كابنتا مرموقًا، مادام موظفة بشكل ما في صحيفة الأهرام؟

وإذا كانت سلامة عقول الناس لا قيمة لها، أغلب الأمة، وتاريخ رجالها لا قيمة له أيضًا، حتى يتمكن هذا الرجل من الدخول إلى تاريخ الأمة العربية المسلمة في القرن الرابع الهجري، فيلعب فيه لعب الأطفال العابين غير المسؤولين، لكي يجعل للصبيبية الغلبة على ديار أهل الإسلام، ويجعل لعقائدها السيادة على
عوائد أمة كاملة، وستعمل في خلال ذلك ألفاظًا تتمع عن الغطرسة وسوء الخلق، ويحكم علينا منذ القرن الرابع بأننا نعيش تحت بطش سنة كبيرة، وتحت الخوف منها والرعب، ويأتي في خلال ذلك بذات مسئولية مشتركة لا مصدر لها إلا الحقد الكامل على حضارة العرب، مما ساهم في بيانه فيما بعد، وإن كان ظاهرًا لا شك فيه كل قارئ مبتدئ فضلاً عن عاقل بالغ؟

أهـي شيء هن، أن يأتي هذا الدعاء فرغم أن الإسلام، هكذا يغير حروف ولا حياة، قد اعتمدُت فرائضه من من النافذة فضلاً فوركاس الروم؟! فخرست الأسستة في العالم الإسلامي، إلا لسان فقيه بفضاء. يقال له «الفقال؟» أفي الدنيا إنسان يعقل هو أصله من هذا الجرء الجاهل وجيهاً؟ أهذا التحقيب الكامل لتأريخ أمته؟! и هذا التحكيق البشع لأمة الإسلام الأفاذ كما فعل بالقلقل، وبالإضافة بمجهول مغمور لا يعرف عنه شيء كأبي الفرج الزاهري، إذ يجعله من قادة المثقفين وأعبائهم، يتوقف الفتي العربي المسلم الناشئ وغير العربي وغير المسلم، عن طريق صحافة الأدب في الأهرام؟! (وقد بين ذلك بعض الأدباء في مجلة الرسالة، ومستوفي فيما بعد).}

وأحبّ أن أعلم صحيفة الأهرام أن ليس عوض لا قيمة له عندي من حيث هو كاتب، والقيمة كُملتها لها هي، إذن فتأتى حقّ تنشر صحيفة الأهرام عابثٍ لا يحسون شيئًا، يتناول بعبقه لغة العرب، وكاتب الله، وهو لا يفهم منهما حرفًا واحدًا، ثم يعمد إلى إية من آيات الله منبه، وهي الإرسال والمعرف، فينطلق يخيط حقًا تشيئًا بنسخ لا يدرى أحدٌ من أين جاء به، وهو في خلاف ذلك يرسل جملًا مضطربة كأنها عريضة مخمور، بلا رعاية لحق شمانفنت مليون من البشر، وبلا حذر من أن يهيج أحدًا إلى ما لا تخمد عقباه؟

بأي حق تفعل ذلك صحيفة الأهرام؟! يحق أن ليس عوض، قد تُعَن فيها مستشارًا فاضتاً! إن للويس عوض أن يلعب كما يشاء، أن يقول ما يشاء، وأن يكتب ما يشاء، وأن يعقل ما يشاء، فنحن لا نبالي به، ولكن ليس له أن ينشر ذلك في صحيفة الأهرام، لأن الأمر يخرج عن دائرة من حد حريته الخاصة، إلى العدوان
الممحفوظ العواقب على عقيدته الناس وأدارهم ولغتهم ودينهم وتاريخهم، وليس من حقيقته الأهرام أن يُمسى بل حقيقته أن تضمنه. بل حقيقة ما يُمسى معرفة الناس وعلومهم وتاريخهم، فعلماً إنسان مشهور العلم والعقل، وأن تشرح هذا الخبر على الناس باسم حرية الرأي، لأن حرية الرأي مفهومة لذوي العقول السليمة، لا لكل من كسر القيان وأفلت من وراء الأسوار.

ولكي أريد الأمر كله وضوحاً، وسأتيده من كل وجه ووضوحاً في المقالات التالية، أتتبع لها تاريخ لويس عوض مار امانته التي أعهدها عنه، بل من نسبته هو، وآلف له أنه اتخذ صحفية الأهرام بهذا المنصب الذي أُسمى إليه، وسيلة يبلغ بها ماره بطرق غير فريدة، وأستغرق الله بل بليغ بها ماره فقوم أخرى قد استخدموه لغابات على جانب عظمي جدًا من المخطر على مستقبل هذه الأمم. ولكن ينبغي أن تعلم قبل كل شيء أن لويس عوض ئيله معمورًا غير معرفة إلى أن دخل صحفية الأهرام، وتولى الإشراف على الثقافة فيها، وتولى تحرير صحفية الأدب والفن، فمن الأهرام وحدها جاءته الشهرة. وذلك أنه منذ نال إجازة الليسانس من جامعة القاهرة سنة 1937، متخصصًا في اللغة الإنجليزية، ثم أُوقف أسلانته الإنجليز يمتد إلى جامعة كمبرنج وعاد بالماجستير سنة 1940، بقي مدرسان بالجامعة إلى سنة 1954، لا يعرف أحد سوى تلاميذه الذين برونو عنه شيئًا كثيرًا إلا أريد أن أذكره.

وفي خلال هذه الفترة، نكتب مصر بمجلة صادرة بأموال يهودية تصدر فيها كثير من الناس، كان مرادها أن تستلقي على مصدر الثقافة في بلاد العرب، وتكون أداة توجيه لأغراض بعينها قبل غزو فلسطين في سنة 1946، وهذه المجلة هي التي يستحقها لويس عوض بعد موتها بسنين ( سنة 1946 و 1947 جزء إلى هذه المجلة أستاذ الروحه) كما يسميه، سلامة موسى، فكتب خمس مقالات أو نحوها عن أدباء الإنجليز كأسكار وأبلد، وإليوت، وشو، وهي على ضفافها
وعلى شُقُم الترجمة فيها، وعلى ما فيها من الخطأ الجريء من الكتب، كانت
لا تعد شبيئًا بذكر.

ولكن يظهر أن سلالمة موسي، ظل يتفخ في تلميذه حتى انفجح في سنة 1947
عن كتاب طبعه ستاف بلوكنج، وقصائد أخرى، من شعر الخلاصة!! مع أنه
يقول في ترجمته التي كتبها لنفسه بقلمه: "فمن أجل هؤلاء، قال لويس عوض
الشعر، وهو ليس شاعر، وهو بعد بأن لا يذكر هذه الغلطات، ولو نفى إلى بلاد
الخيال". ويقول أيضًا: "وما من شك في أن شعر لويس عوض شعر ريك" ومع
ذلك، فقد سماه "من شعر الخلاصة"! وبطبع هذا كلام إنسانية عاقل، غاية في
العقل لا تُلحظ!! أليس كذلك! وما علينا! فالكمه أن في هذه الترجمة قد حدد
اتجاهه تحديدًا، واضحاً منذ الصفحة الأولى بدأ قائلًا: "حطموا عمود الشعر،
لقد مات الشعر العربي، مات عام 1937، مات بموت أحمد شوقي، مات منتهة
الأم، مات، صرخات مقلت من الأسوار بلا شكل، وفي قلبه حقق دفين أهوج،
ويظل يحلم الشعر العربي، ويعمل بلغة العرب، ويعرض بالقرآن كل بضعة أسطر
في سمى اللغة العربية، "اللغة القرشية!", ويفضلون على كل ما قاله الشعراء العرب
المصريون ( الذين سماهم المستعربون) " منذ الفتح العربي عام 642 إلى الفتح
الإنجليزي عام 1822 " قرر من قال: " ورمى أعجيب الحبيب، يفرش على نفاذ
( هل في الدنيا أسفح من هذا العاقل! لا أظل! ) ثمن يضفر بسيبًا وشمالًا بلا
وعني، وبسوع خلق، بتأمل مهما جريغة غير مترابطة، كانة متحمسة لم يفوق من وسائط
الixin حتى يفضيء إلى شيء سماه تجارب لويس عوض، وتألقت هذه التنبؤة
الأولي ببصها، مع اختصار قليل غير مخلّن إن شاء الله، وإن كان الكلام كله خلل!!
وهي تجربته في مسألة اللغة العامة:

كان لويس عوض عام 1937 يتعلم مبادئ اللغة الإيطالية (ونقد وافق عند
المبادئ) بين الحشائش السحرية التي تُتُّولى الفرحة بين كامبريدج وجوهرستن،
واستناعًا انتباه أن بعد بين اللغة اللاتينية المقدسة، ولهجتها المنحلة الإيطالية أفلِ
من البلد إلى اللغة العربية المقدسة، ولهجتها المنحلة المصرية، ومن حيث
المورفولوجيا والفونولوجيا وال نحو والصرف! فعجب لإصرار المصريين على اللغة
المقدسة!! وكان يحدث أصدقائه بخلاصة تفكيره، فوجد منهم إعراضًا رقيقًا مؤدأ
فعجب. فلما عاد إلى مصر عام 1940، جاجر برأيه، فلم يصادف إعراضًا، وإنما
صادف غلظة، فزاد عجبه، ولكن سرعان ما أظهره بعض أصدقائه أن المسألة
حساسة، لأنها تصل بالدين رأسًا ( يعني أن لويس ظل ثلاث سنوات لم يخطر له
هذا الأمر بال!! ما أذكرو أيها العلماء!!) لأن استخدام اللغة المصرية أداة
قد ينتهي بعد قرن أو قرون بترجمة القرآن إلى اللغة المصرية، (هذه البداية!!)
كما حدث للإنجيل أن تترجم من اللغة اللاتينية إلى اللغات الأوروبية الحديثة، فزال
عجب. ( شيء عجيب!!)

وبمهمة أمثاله من الأذكياء، كسلامة موسى مثلًا، ولويس عرض نسخة منحة
منه ( كما مرتي )، انتقل فجأة دون أن يفيتيها صريحة في جوهر ترجمة القرآن
إلى العاصمة المصرية!! فقل الله بعد ذلك مباشرة:

وعطية لويس عرض عقلية زمنية حقًا، فهو يفهم أن هذا الانقلاب اللغوي لم
يقوس أركان الدين في أوروبا، وإنما قوست أركان الكنيسة، التي خشي أن يقرأ
الشعب الساخط كلام السماء بلغة يفهمها، فسقط عصره الغشاؤة ( وبالطبع
نح نقرأ القرآن بلغة لا نفهمها!! )، ويستلم أن رجال الدين إنما يزعمون عليه من
عدهم دنيا ( وكذلك أهل الإسلام بالطبع!! )، ليس لهم قيدية وركوبًا أمام
الأشراف، وهو يفهم ( أي لويس عرض يفهم!!) أن أبسط بنت تبع الكافرات في
شيكوريل، تعرض عن المسيحية أكثر مما كان يعرف البابا الذي شن الحروب
الصلبية، أو البابا الذي أعد الأحرار على الخازوق، أو البابا الذي كان يضاجع
اخته، أو البابا الذي أحرق جيودانو برونو، حيًا، لأن قال: إن الأرض في ركن
مهمل من الكون، أو البابا الذي كان يطبع المؤمنين مرتين وقصيرة في الجنة،
أو البابا الذي أعد دم مارتن لورث لأنه طالب بإلغاء القسيس، وإزالة كل حاجر
أو وسيط بين الله والناس ».

ويظهر إلى هنا أنه يريد أن يفي فين على استحيا، فضرب هذه الأمثلة كلاها،
لأن أهل الإسلام كانوا كمثل من ذكر، إلى أن جاء لويس عرض، فيخلاص وعظًا.
أن نسلك هذا المسلك، فترجح القرآن إلى العامية، لنجز بدنينا من غش رجال الدين منذ عهد الأمة إلى اليوم!
وبمكارة الأذكياء ذوى العقول الراجحة، يقول بعد ذلك مباشرةً: وهو يفهم كذلك ( أي لويس عوض!! )، أن الأعراف باللغة المصرية، لا يتبعه بالضرورة موت اللغة العربية. إذا احتجت الناس لذلك ( وأكبر احتاج هو وجود لويس عوض بالطبع!! )، فليس هناك ما يمنع من قيام الأدنى جنبياً إلى جنب، اللهم إلا إذا شكلنا في جدارة اللغة العربية والأدب العربي وقدرتهما على الحياة ( يا سلام، ما أعطاك!! ) ولكن لويس عوض رغم كُل ذلك ( ما هو كُل ذلك!! ) قد سكت مؤتياً أن يتولى الدفاع عن رأيه مسلم لا مجال للطعن في نزاهته. يعني أن لويس عوض سيظل هو الداعية، ويدع المسلمين يتكلمون بلسانه، أليس كذلك؟
ثم يختم هذه التجربة بتصريح غريب جدًا، أرجو أن يقرأ القارئ بدقة، لأن وراءه معاني لا تخفي على من يعرف تاريخ الدعوة إلى العامية، يقول بعد ذلك مباشرةً: هو kịp لأعلمه أنه قد عاهد التلويح الغزيرة المنشورة على حديثة مدسم، في خلوية مشهورة بين أشجار الدردار عند الشلال بكامبريدج، لا يخطر كلمة واحدة إلا باللغة المصرية ( يعني العامية)، وقد زُببه في العام الأول بعد عودته، فكتب شيئًا بالعربية سماه "مذكرات طالب بعثة"، ولكنه استسلم بعد ذلك وحان العهد. فلتغفر له التلويح الظهيرة التي لم تتنفسها حتى أقدام البشر!! أنتهى التجربة.
وتسلَّ نفسك: ما هذه "الخلوة المشهورة" التي عاد إلى ذكرها، بعد أن ذكر أنه عاد إلى مشر?! وما الداعي كان يوشده إلى هذه الحرارة في العهد؟ أي حرة تعهد بها تلويح باردة، أم شيء آخر كان في "الخلوة المشهورة"؟ وما هذا الاستغفار الضائع من ذنب موق؟ أكتبه بالعربية الركيكة التي وصفها هو نفسه، تستدعى كُل هذه الضراعة في النوبة!!

***
من هو لويس عوض هذا؟ ومن شهد خلوته تلك؟ وأي مشروع لمتابع تاريخ الحركة الداعية إلى استقلال كل بلد عربي بلغته العربية، في الوقت الذي كانت تحارب فيه اللغة العربية في كل بلد مسلم غير عربي؟ يعرف أن هذا الكاذب المخادع الذي أدعى أن تعليمه الإيطالية، (ولم يكن يعرف منها غير المبادئ)، قد استعرض اتباعه إلى أن البدع بين الاثنين المقدسة، ولهجتها الإيطالية المنحلة، أقل من البدع بين العربية المقدسة (!) ولهجتها المصرية المنحلة = إنما يقضى قصة مختلفة لأنه قبل أن يولد هو على هذه الأرض البائسة، كان الاهتمام بهذا الرأى ونشره قائما على قدم وساق في جميع الأمم الأوروبية إلى غزت بلاد العرب والمسلمين في كل مكان، وأقرب ذلك عهدًا تقرير لندريب الإسفري في مجمع اللغوي في لندن سنة 1883، وتقدير دور قرينة اللورد الإنجليزي المحترق، الذي رفعه إلى وزارة الخارجية البريطانية في شأن اللغة العالمية المصرية، وآمن دار الكتب الألمانية بمصر، وولموت القاضي الإنجليزي بالمحكمة المختلطة، ومترجم الإنجليز إلى اللغة لأقباط مصر، ولم يكونه الماسر، المهندس المشرف الذي كان مقيما بمصر، والذي وصفه النائب القديم سلامة موسى، في كتابه الذي ملأه بدءة على العرب والمسلمين، وسماع "اليوم والغد" قال: "وهم الكبير الذي يشغله بالسير ولكيكن بل يقله، هو هذه اللغة التي تكتبه ولا تتكلمها، فهو يرغب في أن تهجرها وتعود إلى لغتنا الفعلية، فطول فيهما، وندوين بها أدابنا وعلومنا". هذه الدعوة كانت قائمة في إنجلترا في الجامعات التي تدرس المشتقات، وفي مراكز التبشير، قبل أن يولد هذا الداعية الجديد، وهو بلا شك لم يفكر، ولم يبتعد إلى شديد في جامعة كفردج أو أحد مراكز التبشير هناك، وأخذ العهد والمنيات على نفسه أن يكون داعية، في هذه الحرب الخاصة لوجه السياسة الأوروبية على بلاد العرب والإسلام.

وكانهم اختاروه ليكون بديلًا من ذلك المتسروع الجريء الوصغ السليمان سلامة موسى، أيام كان شابًا صديقا يقول منذ شماني وثلاثين سنة في كتابه "اليوم والغد". "ينبيغي أن لا يغرس في أذهان المصري (كلما) أن شروع، فإنه لا يلتبس أن ينشأ على احترام الشرق وكراهة الغرب، ويدموا في كبرياء شرقي، ويحسن بكرامة لا يطلق أن يجريها أحد العربين بكلمة". ثم يقول بلا عقل،: "الرابطة الشرقية
ستفتقد رابطة الدينية وثقافة، والرابطة الحقيقية هي رابطةنا باروية. وقيل هذا هو الأستاذ الروحي لميس عوض، كما قال هو فلسفة! وأننا أدع للقارئ تأمل حقيقة هذا الأستاذ الروحي لميس عوض، وأن دعاؤه هو إلى الذل والمهانة والخضوع، لأرني المستعمرة المتعمدة الخالية من كل أدب في معاملة أهل الشرق عامة والعرب والمسلمين منهم خاصة، إلى هذا اليوم الذي نحن فيه.

إذا عرفت هذا، بلا إطالة، عرفت لويس عوض الذي قال بنفسه في تقديم نفسه 1954 أنني لعددهه للأدب العامي في صدر حياته الأدبية. وأيامه منذ دخل صحيفة الأهرام يجمع حول نفسه، وتجمع له بعض المراكز الثقافية القائمة في مصر والتابعة مباشرة لمراكز التشيير العالم المبين، من يُفتح أن يكون معبّرا عن رأي لويس عوض، ويكون متناسباً بالترجمة ونعلق نظرة بهدف أن تقدّم كبار عمّود الشعر العربي، واستعمال اللغة العاطفية والدعوة إلى إحلالها محل اللغة الفصحى، ثم من يجمع حوله ممن يحترث شأن العرب وتاريخهم وثقفهم وديهم، ويذرى كُل ذلك ازدهارًا، ويبدع الثقافات الأوروبية كلها في المصري الذي ينبغي أن تستiquer منه مادة تكويننا الحديث بلا تزداد أو تمحصر = إذا عرفت هذا عرفت لماذا ليس هذا المجري طبلان أستاذ جامعي تاريكي الأدب الإنجليزي وراءه، وعاملاً إلى التاريخ العربي والأدب العربي. ليبرن ابن خلدون بورسوس ويجعله منهج أخذ، والمعزى براحب دير الفارس ويجعله على يديه تعليمنا، وعلى القرآن ليلجعله استمر ما فيه من صفجة الجنة والنار من تطوريات اليونان، وإلى زعامة الفقها في سبيل الحرية منذ غزو نابليون إلى أن جاء جمال عبد الناصر، ليجعلهم مقتدين للمعلم يقوم، الذي ظهر الفرنسيون على إذالة الشعب العربي في مصر، وادعي لويس عوض أنه معبّر عن إرادتنا في تحقيق استقلال البلاد، وسائر المفتخرات التي يكثّرها عن تفاسير الآباء المصريين وغيرهم، كتوفيق الحكيم، ونجيب محفوظ، وصلاح عبد الصبور.

إذا عرفت هذا، عرفت لم أستغل صحفية الأهرام، منذ عين هذا الرجل مستشارًا ثقافياً في مؤسستها بالهجوم اللاذع في أبواب كثيرة تخضع للمستشار
الثقافي، على اللغة العربية الفصحي التي كسر هو رقبتها، وعلى الشعر العربي الذي كسر هو عموده، وعلى كل تراثنا الذي نحن به عرب لنا ماض عشانها، ولا نزال نعيشها، وسوف نعيشه، رغم هذا الحترف الذي استخدم كُلَّ أداة في هذه الحرب، من كلمة مكتوبة، إلى صورة مرسمة، بنفس الأسلوب الخفيف الذي يعمل بها نشاطه وأمثاله في سائر الميادين.

وإذا عرفت هذا، عرفت لم جاءت هذه الحملات المتصلة الأشكال والأنواع.

والم اتخذت صوراً مباينة في أكبر صحفية في العالم العربي والإسلامي، بعد أن اتضح لهم أن جمال عبد الناصر قد استطاع أن يلاحق كرامة العرب بدعوتهم إلى وحدة العرب، ووقوفهم في وجه كل إرهاب أوربي متطرفين بالغرو أحياناً، وبالحصار الاقتصادي أحياناً أخرى، و zobacف هذه الوسائل الظاهرة البدائية للعمل، فلم بق أمام هؤلاء إلا ميدان واحد، هو بلدة العقل العربي وتشكيكه في نفسه، ولا تحظى الرابطة الأولى والأخيرة في حياة العرب، وهي اللغة، بترميزها إلى لغات، وإلى تدمير الجغرافى الذي عاش أربعة عشر قرناً يجمع قلوب الأمم المتعددة من الشمال البعيد إلى الجنوب القصير، ومن الشرق النازح إلى الغرب المتعدد، على كلمة واحدة، وعاطفة واحدة، ورأى عام واحد، مع شده بطش العدو الماكير البياثر، وعمله المتواصل في قسم هذه الرابطة على امتثال ثلاثة قرون أو أكثر.

وهذا هو التوقيت الذي أعاد له لويس عوض، بأسلوب لا ندري كيف كان على وجه التحديد، ليدخل أكبر مؤسسة انتزعت من أيديهم، لتكون في أيدي عربية مخلصة صادقة.

هذه القضايا، كتبنا بكل ما استطعت من الوضوح، لتعرف صحيفة الأهرام أن يراها بما كتب لويس عوض، عن رسالة الغفران وشيخ المعرفة، ليس فيه غضب، بل هو أمر توجب الأمانة، ووجب الإخلاص لأنساب البلاد العربية والإسلامية، أن تفعله بلا تردُّد (1)، لأن المراد منه هو إحداث تدمير شامل في وحدة

(1) لم تفعل جريدة الأهرام شيئاً إلى هذه الساحة سنة 1971، بل لعلها فعلت عكسه، وكيف نرجع شيء إذا كانت أمور الأمة العربية متزكية للأهواء؟
الأمة العربية شيءًا بعد شيء، حتى يأتي يوم نقول: "أيها العرب"، فلا نجد سماعًا ولا مسحًا، يستجيب للدعاء.

أما دراسة ما كتبه هذا الرجل عن رسالة الغفران وشيخ المعزة، وإظهار ما يخفى من خيال التضليل والعيب، فالعرض له مستمرًّإ إن شاء الله.
... وهنّ نازحنًا فيها

الرسالة
الجميس 5 رمضان 1384
عندما شرعت أعدُّ هذه الكلمة، فضيت أيّامًا أطول بذاكرتي فيما قرأت، وأراجعت بعض ما قِدِّمت، فأنهيت وقتاً طويلًا في حشد مادة الكتابة، ثم وقعت إلى كتاب لِم أكن سمعت به. فلما بدأت أُقرأه، وجدتُ أن أضعت أيّامًا هاءاً، لأنه لو كان في بدين قبل ذلك، لأغناى عن بحث طويل وتقريب مُضَن. فلم استحلل لنفسي أن أعود إلى قضية الأكاذيب الملغقة، حتى أنصف صاحبته ما استمعت. جاء هذا الكتاب كأنه تقريغ لي، ولكنَّ من نصّ نفسه لعلاج السائل العامة في حياة الشعب العربي والإسلامي، لأننا عشنا دهراً في موج مذلأتم، ثم لم يكن لنا من الحكمة والعقل، ما يدفعنا إلى تقييد ما يجري في زماننا على ترتيب تاريخي مُتمْصل، فيكون ذلك مغزًّا لنا على جلاء الصورة التي عشناها أو التي نعيشها، في ضوء مبين عن حقيقتها، وнапримерها، وتعريجها، وحقها. وهذه هي الكتب التي كتبتها بها. وأنا أشيرُ على نفسي، على الأقلّ، أنني قُتلت في ذلك تقصيرًا معيًا إذ شغلنتي نفسي عن تتبع كثير من الحقائق وتقريبتها، فلما جئت أطبُها، وقعت في المازق، حتى جاء كتاب تأريخ الدعوة إلى اللغة العامة وأثارها في مصر، فأنتهى مثناً تورطت فيه. وهذا الكتاب النفي، من تأليف الدكتور نفودة زكريا سعيد، المدرسة بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية (الطبعة الأولى 1384 هجرية / 1964 م)، والجهد المبذول في جمع مادة هذا الكتاب، جهد يدلُّ على التجزؤ الصحيح السليم في طلب المعرفة، وعلى الصدق في السعي إلى الحقيقة، وعلى النزاهة في إدراك الحقائق، وعلى الصبر في معاناة التقييد بلا كلام ولا ملل، ولا أطني قرأُ منذ سنوات طوال كتابًا يتناول السائل العامة في حياتنا الحديثة، بِذل فيه صاحبه من الوقت والجهد والأناقة، ما بذلت الدكتور نفوودة في كتابها هذا. ولا أظني قرأُ أيضًا في هذا الدُّهر كتابًا، ينبغي لكل عريق وكل مسلم أن
يقرأ من أظهره إلى بيته، يضارع هذا الكتاب، وحسبنا أنها استطاعت أن تجلو للناس صورة صحيحة صادقة مؤيدة بالأسانيد، بلا تزيد ولا خذب ولا إدعاء، عن أكبر معركة تدور في العالم العربي والإسلامي، وهي معركة من الله، معركة الحيرة، أو الموت، معركة الحيرة أو الاستعباد، معركة وحدة العرب والمسلمين بلغة عربية واحدة هي الفصحي، أو تفوق العرب والمسلمين أشباه بتالغاده هي العامية.
ولو كان لي من الأمر شيء، لأمر أن يطبع هذا الكتاب ليكون في يد كل شاب وشابة، وكل رجل وأمارة، ويكون له مختصر مبسط لكل من مكنه الله من القراءة.
ولست أريد الإغراء في التنبيه، وإخلاء الكتاب من كل غيب، ولكن أراه كتابًا صالحًا لكل مثقف، يجد فيه مادة صحيحة لتاريخ معركة قاسية خبيثة، إذا وقعت الله شرها بالبيضة فقد نجوا من المحن الساحقة، وإذا أساءا فانبتعتا بتمام الغفلة، فذلك ذل الأبد، ولا حول ولا قوة إلا بالله وحده.

وهذا أوان العودة إلى قضية هذا الدعابة الجديد وأكاذيبه الملفقة. وقد كشفت النقاب عن وجه لويس عوض، في مقالات السافة، فعرضت كما هو في حقيقته، لا أديأ، ولا متاكدي، ولا مفكر ولا دكتورًا ذا طبلسان وجاجل، بل حافًا على العربية وكتابها وأهلها، يستخدمه قوم لأغراض بعيدة الأثر في حياة الأمة التي تتخذ العربية لغتها والقرآن كتابها، بل مارية ولا استحسان، ویريد الله أن يرسل إلى دلالة جديدا على أنه لم يزل كما كان في صدر حياته، داعية للعامة، ولا شيء غير ذلك، ولا هم له إلا ذلك. ففي العدد الأخير من مجلة الإذاعة ( 9 شعبان سنة 1384 ) بعنوان : "هل صحيح ... الرواية والقصة القصيرة في محجنة "، والذي أثار الموضوع هو قول توفيق الحكيم : [ لقد انصرف الكتاب عن الرواية والقصة القصيرة إلى المسرح والتليفزيون والسينما ] فهل يعني هذا أن الرواية والقصة القصيرة تمرّان بمحجنة؟ [ فأجب نجيب محفوظ جواب: عار خبر، وأجاب يوسف الشاروني جواب متبوع، وكلاهما لم يتعرض لما تعرض له لويس عوض، لأن المسرح والتليفزيون والسينما، أكثر ما فيه الآن بالعامة المحضة، وهذا بأنه مخوف العواقب، فالانصرف عن الرواية والقصة القصيرة إليها، إنما ينصرف إلى محض
العامة، أثنا لويس عوض، فإن الذي يعمل في صدره من الحق في العربية أجاب ولم يفهم السؤال الذي وجه إليه، بل تسرع وحاول أن يتفنّس بغير فلسفة، كما تأثّب في حاشى العنوان بلا أدب، فقوم أن مجة الرواية إلى تجميد، والقصة القصيرة التي ذبت، يعود إلى جملة أسباب! أهمها ذلك القرار الذي اتخذه المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب منذ سنوات بضرورة استعمال اللغة العربية في حوار القصة، وقصر الجوائز على القصص الحالية من الحوار العامي، ثم جاء بكلام كثير ملقي في الغموض والتحكيم، نابع من عقيدته التي تبنى عليها كيانه كله، وهي الدعوة إلى العامة، وبعض اللغة العربية.

ولا ينبغي هنا أن ننكر، ولكن ينبغي أن يكشف التنازل عن وجه غريب في تاريخ الحياة الأدبية المعاصرة، وأن حسن عرف نفسه في سنة 1954 فقال عن نفسه: "عرف بدعوته للأدب العامي في صدر حياته الأدبية، وله أدب في سبيل الحياة في طوره الحالي" لم يكن بهما السائلين سوى شيء واحد، هو أنه لم يزل "داعياً للعامة"، لا غير، وأنه لا يعني الأدب ولا غير الأدب، لأنه ليس بأدب ولا شبه أدب، وإنما ينبغي أن تسود العامة على العربية لأنه داعية، كما يبتسم في المقالة السابقة. وبنذ كتيب أن المخرجات التي اتخذهها بساحة الكتابة في أداب العربية حين وظفته صحفية الأهرام مسئولاً ثقافياً بها، وإنما كانت سارة يحبها به نفسه، ليدع الآخرين يعجرون عما يريد، ومن المسلمين خاصة، كما قال في كلمته الذي نقلته عن "بلوتوند". فمن أجل ذلك رأينا صحفية الأهرام تكذب تفرد من الصحف كلاً بالإغراء في الصحفية من العربية بالكلمة، وبالصورة (1)، ونذكر ما فيه تحقق للتراز العربي، بل رعاية أحياناً لبعض ما ينبغي أن يبرع ذو عقل سليم، أو ذوي

وصائب باهران القاطع، أن موضوع هذا الداعية الجديد في الحياة الأدبية

(1) مضى بضع سنوات ولا يزال هذا حادثاً إلى اليوم (أغسطس 1971)، وأقرب ذلك ما نشره من كاتب "عبد الحميد عبد المغني: مدير إدارة القضاء بالأمم المتحدة" في أهرام الجمعة 13 أغسطس 1971، بعنوان "قوانين التعليم.. ووعودة المغتربين"، فتأتي فيه بكلام لا يعقله عاقل عن تعميم اللغة العربية. ثم انظر ص: 123، التعليق رقم: 1.
المعاصرة، موضع مريب جدًا، لا بما أعلمه خيالا، بل بالاستدلال التاريخي على ألفاظه التي أودعها ما سماها التجريب رقم 1، وهي تجربته في اللغة العامة، ولهن أعيد ألفاظها هنا، لأنها تابعتها في المقالة السالفة. وقد زعم أنه في سنة 1937:

(1) كان يتعمّم مبادئ اللغة الإيطالية، ووقف عند المبادئ، فاستمرّ اتباهه أن البعد بين اللغة اللاتينية المقدسة، ولهجتها المنحوطة الإيطالية أقل من البعد بين اللغة العربية المقدسة، ولهجتها المنحوطة المصرية.

(2) وأنه ظل إلى سنة 1940 يدعو إلى ذلك، ثم أفهمه بعض من يفهم أن المسألة حساسة، لأنها تدخل بالدين رأسا!! لأن الأمر قد ينتهي بعد قرن أو قرنين إلى ترجمة القرآن إلى اللغة المصرية كما حدث للإنجليز من اللاتينية إلى اللغات الأوربية الحديثة.

(3) ثم زعم أنه يفهم أن الاعتراف باللغة المصرية (أي العامية) لا يتبعه بالضرورة موت اللغة العربية، إذا احترام الناس لذلك!! وأنه ليس عنه ما يمنع من قيام الأديبين جنبًا إلى جنب، اللهم إلا إذا شككتنا في جدارة اللغة العربية والأدب العربي وقدرتهما على الحياة (انتهت التجريبة مختصرة).

وستأيِّرك أن هذا، كما قلت، كذب كله، فهو لم يفهم شيء، وإنما لقن أبيضين، كما يلقين سائر الدعاء الصغار الذين يرددون ما يلقى إليهم ترديد البساتين.

هذه هي القضية.

وهذا هو تاريخها، ولكنه تاريخ طويل جدًا، ومتقدم جدًا، وليستن أكون مضطربًا للإيجاز. فمنذ استيفيق العالم الأوروبي لهضته الحديثة، وهو يرى عجبًا من حوله؛ ألم يمت لمختلفة الأجناس والألوان والأنسية، من قلب روسيا، إلى الصين، إلى الهند، إلى جزر الهند، إلى فارس، إلى تركيا، إلى بلاد العرب إلى شمال إفريقية، إلى قلب القارة الأفريقية وسواحلها، إلى قلب أوربا نفسها، مثلا كتابًا واحدًا يجمعهما، يقرأون من لنفسهم العربية، ومن لنفسهم غير العربية، وتحفظه جمهورة كبيرة منهم عن ظهر قلب، عرفت لغة العرب أم لم تعرفها، ومن لم يحفظ جميعه حفظ
بعضه، ليقيم به صلاته. وتدخلت لغته في اللغات، وتحولت خطوط الأمم إلى الخط الذي يكتب به هذا الكتاب، كالهند، وجزر الهند، وأفارس وسائر من دان بالإسلام. فكان عجبًا أن لا يكون في الأرض كتابًا كان له هذا القوة الخارقة في تحويل البشر إلى اتجاه واحد متضيق على اختلاف الأجناس والألوان والأنسية. فمنذ ذلك العهد ظهر الاستشراق، لدراسة أحوال هذا العالم الفسيح الذي سوف تصدى له أوروبا المسيحية بعد يقظتها، وعلى حين غفوه رأته على هذا العالم الإسلامي. فكان من أول كتب الاستشراق أن يبحث لأوربا الجاهزة عن سلاح غير أسلحة الغزاة، لتحوي المعركة مع هذا الكتاب الذي سيطر على الأمم المختلفة.

وبدأ الغزوسلح، واستمر الاستشراق تحت راهبها، وزادت الحيرة بهذه الأمم. فمن كان منها له لسان غير اللسان العربي، أوذلت له سياسة جديدة لإرغاقه في لسان الغزاة الأولي حتى يسيطر عليه، ومن كان لسانه عريضًا، أعدت له سياسة أخرى لإرغاقه في تخلّف معبّت، لخصها وليم جيفورد بلجراف في كتابه المشهور:

"متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا أن نرى الغزاة يتدرّج في سبيل الحضارة ( يعني الحضارة المسيحية ) التي لم يبق منها إلا محمد وكتابه". فكان بيتًا أنه لا يمكن أن يتوارى القرآن حتى يتوارى لغته.

وتثبت لهم أن لا وسيلة إلى إقصاء القرآن في الأرض إلا بالسيطرة على وسائل التعليم. إنها فشلًا، حتى لا تتمكن الأمم من السيطرة عليه. فتقيم عليه طريق سوى يفضي إلى نهضة صحيحة. وكان من قدر الله أن منارة العالم الإسلامي كُلها كانت في مصر، وهي الأهرام، فصار من الحلم المعقود به أن تكون سياسة الغزوة الأولي موجهة إلى مصر قبل كل مكان في هذا العالم الإسلامي. فمن أجل ذلك كانت حملة نابلس سنة 1313 من الهجرة (1798 م) ولكنه لم يثبت بها إلا قليلًا ثم رحل. وبعد قليل أيضًا صار أمر مصر إلى محمد على سنة 1320 من الهجرة (1805 م)， فمن خلال حكمه سيطرت القناصل الأوروبية على مراقب البلاد، ومنها
التعليم. فحال جهل محمد على وجهه للعظمة، بينه وبين إدراك مقاصد هؤلاء الغزاة المتزعمين في توجيه التعليم إلى جهة غير صحيحة ولا تأفة، فلم يكن للغة البلاد نصيبًا مما ظله محمد على ارتقاء البلاد وتعليمها. وكذلك حدثت أول فجوة بين التعليم، ولغة التعليم.

ثم أرسلت البعثات إلى فرنسا سنة 1242 هجرية (1826 م) فكان مسنٌ رافق هذه البعثات العلمية، شابٌ في الخامسة والعشرين من عمره، كان مسنٌ تلقى علومه في الأزهر، ليكون لهم إمامًا، فيذج واجتهاده تعلم الفرنسيّة، وقرأ بها ما شاء الله من الكتب، وكأن الرجل، كما يظهر من كتبه، ذِكيّاً، مسلمًا الطبون، وفيه غفلة بسيرة أو شديدة، جعلته أحياناً يقف كالحائر فاغزاً بأفهَّة من عظمة ما رأى في بلاد الفرنسا!! فلما عاد إلى مصر ألف وترجم، فكان ما ألف، كتاب سماه «أبرز وتوفيق الجليل في أخبار مصر وترجمة بني إسرائيل» (سنة 1857 هـ)، فعقد فضلاً ذكر، فيه فضل العربيّة ووجهة إحيائها، ولكنه ضمنه دعوة إلى استعمال العامية فقال: «نعم إذ اللغة المتناولة في بلدة من البلاد، المسماة باللغة الدارجة، التي يقع بها التفاهم في المعاملات السائرة، لا مانع أن يكون لها قواعد قربى المأخذ تضبطها، وأصول على حسب الإمكانيات تربطها، لتعارفها أهل الإقليم، حيث تتفعها بالنسبة إلهم عميم، وتصنف فيها كتب المتاعف العموية، والمصالح البلدية».

ولكن لا أكاد أشكَّ أن هذا الرأى الذي وقع فيه رفاعة الطهطاو، لم يكن رأيًا استحدثه هو، بل جاءه أيام كان مقبلاً مع البعثة فرنسا، غزوه به دانية من دهاء القوم، عرف ما يكن رفاعة لبلاده من تحت التقدم، فلم يزل به حتى أراه الباطل حقًا. وإلا كيف غالب عن رفاعة أنه كان أولى به أن يدعو إلى تعليم التعليم في كل بلدٍ من البلاد، كما كان ذلك في البلاد الغريبة التي أحتجها حضارتها واستخرجت دهشته!! فهل رأى هو في فرنسا أن أهل كل إقليمٍ أو قريَّة يعلمون أبناءهم اللغة المدارجة ويكتبون بها كتب المتناع العموية والمصالح البلدية!! هذا عجب! يبد أن هذه الدعوة من رجل عربي مسلم، لم تلق سمعًا ولا مجبيًا، وذهب أدراج الرياح.
لكن لم يمض غير قليل حتى أنشئت المدارس الابتدائية، التي كانت قد أُلغِيت
في عهد محمد علي فصارت نحو ثلاثين مدرسة (فما بين سنة 1863 -
1879)، فاحتاجت إلى عدد وافر من أساتذة اللغة والأدب، هذا فضلاً عن
المدارس الثانوية على قلتها يومين، ولكنها مقيدة على الزيادة، فتولى التدريس فيها
العلوم سنة 1872 ، أي قبل وفاة رفاعة الطهطاوي بعام واحد، فنوفي التدريس فيها
رجلٍ من عظام رجال الإحياء، هو الشيخ حسين المرصفي، فكان له أثر عظيم في
إحياء اللغة والآدابها وألف كتابه «الوسيلة الأدبية»، فكان له فضلٌ عظيم جدًا على
كل من تخرج في دار العلوم، واقترن وجود المرصفي، بظهور شاعر في تقال اللغة
يوميًا حتى إلى حالي، فأسلوبه في تعلم تلك الألعاب التي كانت تمسكها إلى
الأرض، وتفيدًا بالحج والعمرة، فنهجهم، إدراك الأوائل في تعصبة العبارة وتجويد الشعر،
وهو الإمام أحمد محمود سامي البارودي المولود سنة (1840) وظهر اسمه
وعده في نحو هذا الوقت، أي (1870)، وبدأت العربية من يومنا في تستخدم
شبهها وقوتها، وانطلقت الألسنة من عقال العجز، بفضل هذين الرجلين.

ولكن أيّة للعين الساهرة أن تغفل عن عواقب ما ترى من حركة الإحياء؟ كان
كثير من أهل الحال والعقد منذ عهد محمد علي، ومن درس بغير اللسان العربي،
وكل أصل غير عربي، ونبرز في بهجة غير عربية، يُرى العربي أو لا يبقى لها بالأس،
ولأنهم أصحاب سلطان، كان كثير من صغار الموظفين وأشخاصهم يحتكِكم ويشبه
هم، ويرطن كراطنهم. فرأى أحد رجال الحركة الثقافية الحقيقة، أن الوقت قد
حان، وأن لابد من الإسراع في بث الدعوة التي تعوق حركة الإحياء، أو تشتت
بعض الجهود، وعنى ولعل أن يكون لها أثر. هذا مع ظهور واعترض النثر على حكم
أسرة محمد علي، وتشجع القوى تحت قيادة أحمد عرابي، لنفس هذا الكابوس
المطلق على صدر مصر وأهلها. فإذا زال حكم هذه الأسرة وأتباعها، وأقضى الأمر
إلى أهل البلاد، فربما اشتهلت حركة الإحياء في كل قسم وبلد ومدينة، وعندئذ
يذهب أيضًا كلاً ما يدعي أدرار الرياح.

كان يقع بين جدران دار الكتب المصرية ما كُرِّحَ، حيث يقال له: "لهلم سبيتا".
نزل مصر، وعاش في الأحياء المصرية، ودرس اللغة العامية، ووجد أنها تختلف من
بلد إلى بلد، ومن حي إلى حي، فلما رأى هو وتنبه إلى تحطيم حركة
الإحياء من أهل الاستعمار الأوروبي، أن الأمر يوشك أن يخرج إلى ما لا يحمدون
غنهما، من سيادة اللغة العربية ونهوضتها مرة أخرى، مارع إلى تأليف كتاب سماه
"قواعد اللغة العامية في مصر"، ولكنه لم يقتصر فيه على الدراسة، بل كشف في
مقدمته عن الغرض الذي يرمي إليه، فقال:

"وأخيراً سأناجى في التصريح عن الأمل الذي رآدنني على الدؤوب طول مدة
جمع هذا الكتاب، وهو أمل متعلق بمصر نفسها (ما أشهد حقيق لمصر !!) ويمن
أمرها بالquisite لها إلى شعبها يكاد يكون مسألة حياة أو موت (بلا شك
يا ولهلم !!) فكل من عاش فترة طويلة في البلاد تنطلق العربية، يعرف إلى أي حد
كبير تتأثر كل نواحي النشاط فيها، بسبب الاختلاف الواضح بين لغة الحديث، ولغة
الكتابة".

ويستدعي أن ولهلم هذه مخادع عظيم، لأن نشر التعليم الصحيح كافي في إزالة
هذه الصورة بلا أدنى ريب، كما حدث في جميع لغات الدنيا، ولا يزال يحدث
إلى اليوم.

ثم يقول: "ففي مثل تلك الظروف، لا يمكن مطلقاً التفكير في ثقافة شعبية،
إذ كيف يمكن في فترة التعليم الإبتدائي القصير، أن يحصل المرء حتى على نصف
معروفة بلغة صعبة جداً كاللغة العربية الفصحى !!؟
ولا شكل أن "ولهلم" هذا أقدر الناس على معرفة صعوبة الفصحى !! لأنه أدرى
الناس بها. ثم يتجه إلى ناحية أخرى ويقول:

"طريقة الكتابة العميقة، أي بحروف الهجاء المعقدة، يقع عليها بالطبع أكبر
قسط من اللوم في كل هذا. ومع ذلك فلم يكن الأمر سهلاً لو أتيح للطالب أن
يكتب بلغة، إن لم تكون هي لغة الحديث الشائعة، فهي على كل حال ليست العربية
الكلاسيكية القديمة، بل بدلاً من أن يُجبر على الكتابة بلغة هي من الغرابة بالنسبة إلى"
الجيل الحالي من المصريين، مثل غرابة اللاتينية بالنسبة إلى الإيطاليين، وبالتزام الكتابة العربية الكلاسيكية القديمة، لا يمكن أن ينمو أدب حقيقية وتطور.

واظهر أن جميع الناس الذين يتحدثون، ككل، وليستا هو نفس التشكيل، ثم انظر ما يقول ولهلم سبيتا في شأن القرآن، وقارن بينه وبين ما يقوله لويس عوض.

وماذا لو لم يكن تغير هذه الحالة المؤسفة إلى ما هو أحسن؟ ببساطة، لأن هناك خروجاً من التعددعلى حركة الدين، إذا تركنا لغة القرآن كلية. ولكن لغة القرآن لا يكتب بها الآن في أيّ قطر. (انظر ماذا يقولون!!) فأينما وجدت لغة عربية مكتوبة، فهي اللغة العربية الوسطى، أي لغة الدواوين. وحتى ما يُدعى بالوحدة بين الشعوب الإسلامية (انظر ما تتضمنه هذه الكلمات!!)، لا يمكن أن يقال أنها تبني لغة الحديث العامة، إذ أنّ لغة الصلاة والطقوس الدينية الأخرى، مستقل كما هي في كل مكان. وهذا مُنَّبٌ آخر جاء يفيق المسلمين في دينهم، كما أُفتي لويس عوض بجواز ترجمة القرآن إلى العامية!!

ولم يلبث الأمر غير قليل، حتى قام المشفوع، وكان ممّالقاً للإنجليز، فاقترح (سنة 1881) كتابة العلوم بلغة الحديث، بل هو إشارة لما قاله سبيتا، ( سنة 1880) واستدل على ضرورة ذلك، بما استدل به سبيتا، وجادل أيضاً بالشبيه نفسه، أيّ «البعث بين اللاتينية والإيطالية»، وأدلة ووجوهه، فيها نفس الطابع المتسم بالغباوة الاستشراقية البشيرية، التي تتظاهر باللغة العلم، وهي في الحقيقة تكشف عن طبيعة عدم الحياة من استغلال الساعرين أو المتأخرين. وعمل المشفوع سيئاً جداً، لأنه استغل الناس مرتين مرة بالهجوم السخيفة المختلطة، مرة بالظاهرة بأن هذا الاقترح أدي من قبّل قوم عرب اللسان والمولد، هم أصحاب المشفوع، مع أن اكتشاف أمهرهم قريب كان وميسور. وهذا هو نفس الحدث الذي لجأ إليه لويس عوض، كما ترى.

(1) وهذا أيضاً هو نفس ما رددته مدير إدارة القضاء بالأمم المتحدة 115 عبد الحميد عبد الغني في مقابلة التي أرشته إليها آنذاً ص 127 تعليق 1.
وإلى القائمة المقترحة هذه القائمة (سنة 1881)، بدأت كلمات «سيتاء»: تأخذ طريقها إلى بعض الناس. وقام الشيخ خليل البازجي، وهو لبناني نصراني، يدفع ما قاله أصحاب المقترح دفعًا قويًا شديدًا.

وهو كلام رائع لا ينفي له. ولكن أتى رأى المقترح بعض الناس، بدأ الأمر كله لم يخرج عن هذا الإطار الضيق، وشغله الناس بالنكبة الكبرى، بهزيمة عرايا، ودخول الإنجليز، واستيلائهم على التعليم كله، وجعلوه ملحناً بوزارة الأشغال العمومية!!!

ولكن هل هذا الأمر وانتهى؟ كلاً، فقد كان أيضًا في مصر: كارل فولرس الألماني، خادم الإنجليز، وويلككس المهندس المبشر الإنجليزي، بدأ كله منهما حركة مفصلة، ولكنها متصلة المعاني، فألف فولرس كتابًا في «اللغة العاملية الحديثة في مصر» (سنة 1890)، ثم تولى ترجمته إلى اللغة الإنجليزية بوركوت. وألح على ما ألح عليه «سيتاء»، من صفة العربية الفصحى بالجمع والصعوبة، وشبهها باللاتينية، وشبه العاملية الإيطالية.

أما ويلككس، فألقي محاضرة ونشرها في مجلة الأزهر، التي ألت إليه سنة 1893، وزمز فيها: أن الذي عاق المصريين عن الاعتقاد هو كتابتهم بالفصيح.

ودعى إلى التأليف العامي، وقال للناس:

«وأما موقف هذا الموقف إلا خبي لخدمة الإنسانية، ورغبتي في اشتمار المعروف، وما أجد في نفسى من الام إليكم، الدال على ميلكم إلى».

وإنه كلام نقل الدم جدًا، ووعظ المبشرين، وهو منهم. وهذا الغريب أيضًا جاء بتجديدات جديدة في مقالاته، فشيء الفصحى باللاتينية، والعامية الإنجليزية!! وهذه براءة خارقة، وزعم أن اللغة الفصحى ماتت، لأنها صعبة وجامدة، ودعا إلى اتخاذ العامية لغة أدبية تقدن بالإنجليز، ولا يستطيع أن يحكم ضميرًا، لأنها منذ كنت صغيرًا إلى هذا اليوم، لا أكاد أقرأ كلام هذا الرجل إلا لحفي الغياني من نفه الذي
لا ميل له في شيء من الأمسيات مهما استقررتها نفسه. ومن أشد غثائه وثقته في هذا الأمر أنه نشر في مجلة (الأزهر)، حيث نشر محاضرته، إعلاناً يجري فيه بانتخاب العامية في الكتابة هذا نصه:

"من قلّم لنا هذه الخطبة باللغة الدارجة المصرية، وكانت موافقة جدًا، بكافأ بإطاعته أربعة جنيهات إفريكانية، وإن كثر المتقدمون، فبعض هذه المبلغ لن يحوز الأولى. وأنا أستحلف القارئ، ألم يشعر بالغثيان من هذا المبكر الصفيف الوجه!"

وكتبت هذه الدعوة إلى العامية مؤقتًا أيضًا فإن هذا الوقت قد صادف نهضة حسنت في طبع كتب التراث العربي في مصر وفي غير مصر، وأقبل كثير من المتعلمين عليها، وصادف أيضاً استبلاً "دبلوب" على التعليم في مصر، ووضعه النظام الذي أراد به أن يظلّب اللغة الإنجليزية في التعليم، ووضع تعريض العربية ما استطاع، وجعلها مبعوثة إلى الطلبة محترقة بقدر الإمكاني، (مع الأسف هذا هو النظام السابق إلى اليوم في مدارسنا، مع أنه هو نظام دبلوب، ولا نظام لـ دبلوب سواء) (1). ففرض دبلوب تعليم العلوم كان بالإنجليزية، واختصر دراسة العربية وما يتعلمه بها استمرارًا سوف يؤدى بعد قليل، إلى وجوب استمرار ضعف تعليم العربية جيلاً بعد جيل. وصادف مرة أخرى بداء ظهور الشعر الوطني في الشباب الذين صدمهم الاحتلال الإنجليزي، والذين يمثله مصطفى كمال، وبدأت حركات إصلاح ضادت لما يفعله الإنجليزي، فتأثر هذا المنتشر أن يلعّب يدعوه، ليكون ذلك أوقع لها، وأشدّ إثارة لقبيلة ضعف النفس، وطابق التقارب، وذوي الميل الطبيعي إلى "ويلككس" وأشباحه. (انظر دبّلوب، ص 140).

وكتبت الحركة الأدية في ذلك الوقت أخذةً في النمو، برغم جميع العوائق التي تتعترض سبيلها، وكانت المدارس التي يملكها دبلوب، زمامها، تدعم أساليبه على

(1) انظر ما سيأتي في خلال المقالة الحادية عشر، ثم آخر مقالة في هذا الكتاب، "ضفادع في ظلماء ليل..." وما معنى "نظام دبلوب" وما هدفه؟
القهور أحياناً، وزاد عدد العائدين إلى الفصحي من الكتب والشعراء والخطباء والمدرسين، وذلك ضرب من مقاومة العدو البغاء الذي يفرض سلطانه على البلاد. والظاهرة أن الجهات التي تسيطر على سياسة المنطقة أرادت أن تعتد وجبها جديدًا ليتولى الدعوة إلى العامية، وتحقيق الفصحي، فأحرجت من أحد قضايا المحاكم رجلاً سابقًا في برلمان وله وله في منطقة العليا، فأثرى هو الآخر كتابًا اسمه: "العربية المحلية في مصر" ( سنة 1901) دعا فيه إلى اتخاذ الفصحي لغة أدبية، ويهددنا أن إذا لم نفعل ذلك: "إنه لغة الحديث ولغة الأدب ستتأثر، ستتحلل محلاً بمحلاً لغة أجنبية، نتيجة لزيادة الاتصال بالأعلام الأوربية." (1) وهذا الإنجليزي كما ترى محبً للجامع، مشتق على ضباب العامية والفصحي جميعًا. وقال: "ومن المحكمة أن ندعو جانباً لكل حكم خاطئ، ونجري إلى العامية، وأن نقبلها على أنها اللغة الوحيدة للبلاد، على الأقل في الأغراض المدنية، التي ليست لها صبغة دينية ولا سيما بعد ما طن "البرلمان" أنه قد أثبت أن العامية تختلف عن الفصحي تمام الاختلاف، وأنها أكبر شبهاً بفروع اللغات السامية منها بلغة القرآن ولغة الأدب العربي القديم. ثم ختم كلامه بأنه "خير الوسائل للدعم اللغة القومية (أي العامية) هي أن تتخذ الصحف الخطوة الأولى في هذا السبيل، ولكنها ستكون في حاجة إلى عون قوي من أصحاب النفوذ، فإذا نجحت هذه الحركة، فإن وقفاً قصيرًا في التعليم الإجباري، ولنكن سنتين، سيكون كافياً لنشر القراءة والكتابة في البلاد" (2).

والطبع هذا مشبع لست بصدد مناقسته، ولكن هذا المجادل اتخذ حيلة لطيفة في إنتاج حكومة مصطفى فهمي الممالة لقومية الإنجليز، فإنه فرغ من مقدمة كتابه الذي حاشاه هذا الخلل، ثم زعم أنه علم بالظهور مقالة لعالم أمريكي في فقه اللغة يهتم اهتمامًا كبيرًا ببحر الشعوب المصرية!! وأنه وافقته وهو وسطاً وويلككس!! على وجوب اتخاذ العامية لغة أدبية، وكتابها بحرف لاتينية!! وأن

(1) وهذه هي نفس دورة منكر آخر، دعا إليها بعد زمن طويل، وهو المفكر!! وهو القاضي أيضًا!! عند الأمير فهمي أحد الكبار الذين ينبغي أن يدرس حياتهم وتفصيلهم ونشأتهم دراسة صحيحة، فلكل شيء خياماً خفية مستورة!!
هذا العالم الأمريكي (يا للكذب!!!) يناثد الحكومة المصرية لتعترف بالعامة
ونقصها ويناثد الإنجيل لدعم هذه العامة، ليساعدوا على تقدم الشعب الروحي!!
(ما هذا؟) كما ساعدوا من قبل على تقدمه في الحياة المادية. ويعني بذلك عهد
كروم، كما هو معروف. وهذا العالم الأمريكي الذي ادعى ولمور أنه نقل عنه،
ليس سوى مبشر مثله، ولذلك أخفى اسمه ولم يذكره. وما يدل على شخصية
ولمور هذا، أنه جعل يشعر رؤساء المصالح الحكومية، لاكتنافهم في عدد من نسخ
الكتاب، مما مكنه من طبعه. هذا ليس قاضياً، إنما هو شيخًا، وإلا فكيف عجز
عن طبع كتابه في بلاده؟

فلما ظهر كتاب ولمور سنة (1901) استجاب المقتطف مرة أخرى لدعوة
العامة، فهثّ يقرئ الكتاب، كأنه جاء تأييدًا لرأيه هو وإفراجه، لا لرأى سبينا
وافراجه. ولكن محضُّ كل ذلك لا يخفى، لأن الذي كان يبيه هؤلاء، كان
يجرى على ألسنتهم وأقلامهم، يقول المقتطف في ترقيته: «كثيرًا ما قلنا
لالأمريكيين والأمريكيين الذين ذاكرنا في هذا الموضوع، إنه لا اعتناء محمد علي باشا
جذ العائلة الأخوية، كتابة اللغة المحلية في مصر وسواقها، وجعل الكتابة بها
وحدها، لما وجد في ذلك كبر مشقة». ثم في آخر الكلام تحرض شديد:
...لا إذا تساطل على البلاد قوة قاهرة، عضدت الساعين في ضبط اللغة المحلية
كتاباتها». وينبغي لكل عاقل أن يقف قليلاً عند ذكر محرر المقتطف: «كثيرًا
ما قلنا للأمريكيين والأمريكيين»، قبل أن يظهر المقتطف في سنة 1881 أنّ له
اقتراعًا في شأن العامية والفصيح، ويقول فيها نفس ما قاله سبيتا قبله سنة 1880
مغفلاً ذكره، وكان له يجب شيئًا، وكان سبتي بعد الدار لا يستطيع محرر
المقتطف أن يلفقها بدار الكتب.

أرجو أن يحدث عن هذه الدعوة التي تحاط بكل هذا المكر والرياء
والخادعة والغش، ما هي؟ أهـي صادرة من قلوب خالصة طالبة للحق مطالبته به؟ ثم
ما اهتمام الأمريكيين والأمريكيين، وليس لسانيهم بلساننا في شأن اتخاذ العامة
للكتابة الأدية أو ترك الكتابة بها إلى الفصحي؟ ثم لماذا يقول هذا للأوربيين والأمريكيين؟ وكان هو قادراً تحت سلطانهم يومذ أن يفعل ذلك في مجلته؟ إنها أمر غير مفهوم، بل مفهومة، تجعل كل عاقل يرتاد في كل داعية للعامة من هذه الناحية الخبيثة وحدها، فما ظل ذلك بالنوافح الأخرى؟

وأضحت مقالة المقطط يومذ أعظم أثرًا من رأيها الأول أو اقتراحها، لأنها جاءت مؤمنة مع الحركة الوطنية (1)، ومع البحث الثقافي، فنشأت الأسلحة، وكثر اللهجاء في شأن العامية والفصحي، وكان له عواصل خارجة عما نحن فيه الآن، تزيدته لجاجاً، ولكن الشيء الغريب وهو ليس غريب في الحقيقة، هو أن مجلة الهلال التي تميل بهواها إلى ناحية الفرنسا، لم تشهد الجولة الأولى، لؤيدة ولا مكنة، لأنها لم تكن آمنت بعد، ولكنها شهدت هذه الجولة، فانتحازت إلى معارضة رأي الدعاء إلى العامة. ولكن ظن أن هذا موقف وحسب، لا يتضمن أي دلالة على الرأي، لأسباب كثيرة لا محل لذكرها هنا، وحسبك أن تعلم أنها أفسحت صدرها للكثير من دعاء العامة، بأحقادهم وضاغتهم في تلك السنة، وطلبت تفعيل ذلك حتى استكتبت «سلامة موسى»، فيما بعد، فكتب لها شرارًا مما كتبوا جميعًا.

فبعد سنة 1901، ظل الأمر مضطربًا، ولكنه ظهر بوضوح للدعاء أن أمرهم قد استوى على وجه بروده، وينبغي أن يعبروا الموقف، وبدعوا الآمالان، ودخلوا الملحم، وعولوا قدرية وجهه المهاجرين الذي دعا أخلاق الصالحة. ومع ذلك فأنه لم أكشف اللقام عن رواه الدعاء، لأن التنوير فيما قلت يدل عليهم، وحتى أن يأتي ما يدعو إلى بيان أوضح، وهو آت على كل حال. والشيء الذي لا أظن الدارس يخطئه، هو ارتباط هذه الدعوة فتره بعد فتره بأحداث سياسية واجتماعية ظاهرة أو خفية، تأتي قبل شيء يكون نكبة وقارةة، كما كان سيبتاً قبل هزيمة عراي والانتقام منه، أو تأتي بعد النكبة بشكل آخر، كما جاء « ولمور» هذا الذي

(1) ينبيه أن نتبت دائناً إلى أن «الدعوة للعامة» و«الطعن في العربية» مقررة دائناً بظهور حركة للتهذبة أو للإصلاح يخشى أن تؤتي ثمرة طبية، كما سبتم بكثيرًا.
حتى بره هذا الفضل من البيان عن دعوة العامية . وسأدعو الآن هؤلاء الأجانب والعملاء الذين حملوا كبر الدعوة إلى اللغة العامية ، ومن لفظ، لنفسهم من محرر المكتوف إلى الأسماء المتحفظة ينها شخيص ، إلى الأسماء التي ظهرت مرة وحده ، فلا يعرف عنها شيء ، وهذا موضوع وقوف لا يدمن ، لأن الأمر سوف يختلف اختلافًا شديداً فيما بعد ．

وقد تبين خلال هذا العرض الشريعة ، أن التجربة التي مر بها لويس عوض في مسألة الدعوة إلى العامية ، تجربة هو مسبوق إليها ، وغير معقول أن لا يكون عرف عنها شيء ． ولا أحسب أن أقول لماذا هو غير معقول ، لا استنباطاً ، ولكن بصوص كلام أيضاً ． وتبين أيضًا أن الأفكار الثلاثة التي دارت في تجربة كاندا منقولة نقل مشترَّة من كتب كان تعوده هو أنها غير موجودة إلا في بعض الخزائن القديمة المعتمة التي لا تصل إليها الأيدي بسهولة ووضوح ، وما دام مسبوقًا إليها حقًا حرفاً، وخطوة خطوة، وتشييشًا تشبيهاً، فهو لا شك ماذاع كاذب في تجربته بل هو بيع في أحلام وسمادير لا حقيقة لها، فربما قد الأخبر عن غاز من الغاز، فتهراء في اليوم الثاني يمشي في الأرض كالتأشيرة لساعته تزيل من ضهوة حسانه، شاهراً شاهراً يبرد أن يطعن، ولكن يحبسه الخوف والذعر، وهذه صورة تلقاه كثيرة فيما كتب
عن «الخلفية التاريخية لرسالة الغفران»، كما سمها والغيبان بالله، وسأيوم عرض هذه الدعوة، والكشف عن خفائها وروابطها، ولكي أشع هذا الدعابة الجديد في الموضوع الصحيح الذي سوف يبين أنه خطأ أن يخطر، رغم ما تلبس به من أردة الجامعات ، وما علق على اسمه من الألقاب ، وما أسند إليه من استشارة، ولهذا أغرب شيء، لأنه كان يقال في المثل: «المستشار مؤمن»، فجاء هذا فقس على أمثالنا، كما نقض علينا ألفاظ لغتنا، ومع ذلك، فالعرض مستمر ．
«دبلوم» نشرت صحيفة الأهرام في عددها يوم 17 مارس 1897 ما نصه:

فُضِي الأمر، وصدر الأمر العالي بتعيين المستر دبلوم سكرتيراً عاماً لنظارة المعارف. وقد شرع المستر دبلوم، بعد الاتفاق مع جناب اللورد كرومر، في هدم الدراسة الثانوية التي هي أعظم أركان المعارف.»
...وهذِ ذِي هِيَ آتِ أَرْضٍ

الرسالة
الخميس 12 رمضان 1384
أحب أن أجعل قارئ هذه المقالات على يثبة من سياقها، لا شكًا في قدرته على متابعة ما كتب، بل معاونة له ولنفسه على الإحاطة بتاريخ قضية من أعقد القضايا التي ابتكأت بها العالم العربي خاصًا، والعالم الإسلامي عامة، ولا تزال حيّة إلى اليوم، بل بلغت عوطفها في هذه السنين الأخيرة، وليس لها مثيل في العالم ككل، حتى في البلاد التي تعودّ لعُلمها وتلكحا لعُلمها من أصعب اللغات وأشبها تشكيلًا، كاللغة العربية مثلاً. والكشف عن حقيقة هذه القضية، وهي قضية عامة والفصحيّة، كشف عن أعظم مؤامرة خبيثة، بدأت خفيفًا، ثم علا صعوبتها واشتد ضجيجها منذ سنة 1956، بعد العدوان الثلاثي على مصر، وبدأت ارتداد قوى الشر على أعقابها، والمشتركون في القضية، بين غافل لا يدري ماذا يقول، ولا ماذا يردّ به، وبين ماكر خبيث يُضمر الناز في الخطاب، لتأكل الأخضر والياسمين بعد قليل.

فقبل أن أبدأ أول مقالة في الكشف عن أمر لويس عوض حين اتخذ شيخ المعركة ورسالة الغفران أداؤة لتفكّب سموه في صحيفة الأهرام، كنت على تمام اليقين من أمر هذا التندثر إلى أكبر الصحافة العربية، واتخذته إياهًا مسرحا لعرض فضل مفرّغ شديد الخطر، على الغافلين عنه وعن الذين يحرون عهدهوا كما حركوا من قبل داعي كثيرة، كان لها أثر بالغ الخطر في حياتنا السياسية والأدبية (1). كان لويس عوض متكئًا في غاية التكشف، كنت أرى عاريًا من كل سرّ يُخفيه، وأرى الخيوط التي تحركه وتدبره. ولكن صحيفة الأهرام التي جعلته مستشارًا ثقافياً لمؤسساتها كانت قد لبست على الناس أمره، إذ أخرجته من حقول الذكر إلى صيغة يسرّ به حيث

(1) لا يدري المرء هل يأتي أم يبقي، لأن هذا التندثر إلى جريدة الأهرام، لا يزال يدير المسرح الذي يضد الخطر من جميع نواحيه، على يده وعلى يد شريعة بعد مضي ست سنوات على كتابه هذا النص. (سنة 1971).
سارث . وإذا لا أدرى على وجه التحقيق كيف وقع هذا ؟ ولا من الذى هاأي لمثل هذه الفرصة ؟ ولكن كنت أعلم أنه هو أو غيره ، كان لا بد أن يبدت إلى مثل هذا المكان ، في غمرة الحواراث العظيمة التي مرتنا بها في السنوات الأخيرة . وما ذلك إلا لأنني كنت أتتبع زحف هذه القوى الشريرة منذ قدمي ، بلا غفلة عنه . وكيف أغلق عليه ؟ وقد كنت يومًا ما أكاد أكون أحد ضُرعى هذا الزحف ، وأنا إنازًا لى قد صرعنا وأنا أراهُم بعيني ، منهم من نجلاء الله كما نجاني ، ومنهم من هلك

كيف أغلقُ عن هذا الزحف ، وإذا لم أزل أشهد منذ عشرات السنين طلائع التخطيط المدكر ، تنقض على أثني وبلادي من كل نحوية ، وثيم لها كل ما تريد ، أو بعض ما تريد يومًا بعد يوم ، وعامة بعد عام ، ومن أجل ذلك لم أحمل القلم منذ حملته ، إلا وأنا مؤمن أوثق إيمانًا بأنى أحمل أمانته ، إنما أن أؤديها على وجهها ، وإنما أن أظهر هذا القلم تحت قدمي بلا جزع عليه ولا على نفسه ، وأبيت منذ عقلي أمرى أن أجعله وسيلة إلى طلب الصبر في الناس ، أو ابتعاد الشهيرة عنهم ، عرف ذلك من عرفة من خطائائي في هذه العزلة الطويلة الأمد التي ضريتها على نفسى ، وخيل ذلك من جهله . وعلى شدة ما كنت طول هذه السنين من ملامة تُلحقني على هذه العزلة التي رضيتها لنفسى ، لم أرض أن أخوض فيما يخوض فيه الناس ، إلا كمثل تُجلى القسم ، أي بمقدار مفرط القلعة ، غير سابق في ذلك ولا غيري . ولذلك صار رأيي مقسمًا على قلة من إخواني كنت أُبكيهم ما أجد وبوا أعمام ، ثم أحبس لسانًا عن كثير ممن ألقى من الناس ، حتى صرت كالابن الده من الذل لا يَحسن الإبانة عن ذات نفسه ، لأن طول الكتمان وترك تحرير اللسان بالرأي ، معتبر بالمرء كضرورة بلا عقل .

فلما جاء ما لا يُمكنك عليه فشدة خطره ، ظللت أؤمر نفسى طويلًا أي السبيلين أسلكُ؟ فلا تبين لي الرشد ، حملت القلم وأنا على بنيي من طريقي ، طريق لن يجدعني عنه أحد بناءً أو ذم ، فكلاهما لا يؤتنى ولا يرهبى . وقلت لنفسى : هذا إنسان يُعرفه على وجه ، ويعرف الناس على وجه آخر ، تعرينه بطول الفلك لأمثاله
محتاجًا شديدًا الخداع، ويعرف الناس مُخدوعين عند الانخراط. فكأنه يُبِّئ لى أن
أجعل هُم كشف الهدف المُقصي إلى الخذاء، لا كشف الأخطاء التي أُخْلِص أن
يضدًها الناس. وكان يُبِّئ لى أيضًا أن انخراط الناس بهذا الإنسان متأثرًا من طريقين:
طريق صحيحة الأهرامات التي وثق الناس بها، لطبنهم أنها منذ الثروة من أبدي
أعدائهم، صار إلى أبد أمنية لا تخون الأمانة = وطريق اللقب الذي يحمله هذا
الإنسان، وصاحبية عند الناس أمنية أيضًا لا تخون الأمانة. فعندئذ لم أجعل طريقًا
أُهِدَى لى ولق الناس من أن أبدأ بتحليل شيء من كلام هذا الإنسان على وجه الدراسة
الأدبية، ليكون بيان رأيه إثباتًا قاطعًا على أن حامل هذا اللقب لا يستحقه بوجه
الوجوه، حين يتنين ليكُل أحد أنه دعي عثرًا، لا يحسن شيئًا من مناهج دراسة
الآداب على وجه يلبِق بحماس هذا اللقب، وأظنه قد بلغت في ذلك ما أريد،
وأظنه لم أظلله قلاة ظفر في شيء مما كتب عن مناهج الدراسة الأدبية. ولم
أجعل هُم كشف عن ادعاء هذا الدعى وحصت، بل جعلت هُم أيضًا أن أزر
الحَجِب من طريق الدراسات الأدبية، لعلمي أن هذه الدراسة هي أخطرو الدراسات في
أمك الأرض جميعًا، ولأن الغضب فيها خفي بنسب، وهو لخوفين شديد التأثير في
عقول الناس وفي تفكيرهم، وعال ضرر في حياة الإنسان عامة، ومنذر بخطر يغتال
الفكر الإنساني، ويدوى إلى تدمير الثقافة والحضارة جميعًا، لأنه يعتمد على الكلمة
المُنشِئَة التي تركت الأنستنة، وتتغطى في العقول، فتهزُّ سلامتها وبراعتها من
الأفلاط، ومعلوم بالدليلة أن الغش والترويض في العلم لا يؤديان كأداها في
الدراسات الأدبية، لأن كشفهما في العلوم سهُل وميسور، ولكنه في الآداب عسير
شديد العصر.

فكان يُبِّئ عندى، وينبغي أن يكون كان يُبِّئ عند القارئ، أن لم أكتب
ما كتب لأقتش عالماً أو أدبيًا أو مثقفًا، بل العكس هو الصحيح، إذ كان هذا
الإنسان عندى ليس بعالم ولا أدبي ولا مثقف، بل هو كان عندى دعى قد اتخذه
هذه الصفات بشكل ما، وسيلة لنشر خيالات يحكم حقته عن الناس، وبدعها في
تضاعيف كله، كما يفعل كل داعية يبتغي الفتنة، ولا يبتغي شيئًا غير الفتنة، ليصل
إلى غايته فيما يدعو إليه. فمن أجل ذلك لم أَكَد أُفْرَع من إقامة الدراسة الأدبية على
نهجها، حتى عمدت بلا تواء إلى تجرده من هذه المراوعات التي كان يُخفى فيها،
تزيينًا على الناس، ودبيًا إلى غفلاتهم بالخبزية والمكرر، فلم أُدرك في خلال ذلك
لحظة واحدة في وصف هذا الإنسان بالصفات التي تتعلق بها كتابته وأعماله،
mجرودة من كل مداهنة في الحق، لأن ذلك ليس من شرط، ولأن التُّرُدَ دونه عوَّر.
وتخوُف وخيانة للأمانة.
نعم، كنت خليقًا أن أدع التصريح إلى التأويل، لو كنت أُعينُها داعيةً مفتوحًا
بدعوة يغوص بها، ويريد التنقيض عن نفسه بالثراء، ولكن كنت أعلم علمًا
لا يخلطه ارتباك أنه شيء تحركه فوقًا شريرة أثمرها، خبرتها بنفس، ووجدت
آثارها يومًا ما في عقلي ووجداني، وعلمتهُا فوقًا متضارة شديدة الخطر، تُركب
بأمي وعشيرتي وبلادي الدوائر، فلم أستحل أن أقامه معاملة الدعابة المنفردة
بدعوته، المنفس عن نفسه حرًا احترازي بما يجده من النار الآكلة. وكيف أُدهُم
أو أُهج، والذُّر من حولي تصرخ وتُقرُع، وكل نذير بهدف سوء عاقبة الغفلة عليه.
وعن أمثاله؟
وأما أمرًا لا أحبُ الهمس والدندنة في الآذان مسًا، ولا أحبُ التناجي الخفيق
بالإثم والعدوان تحت ستار من الظلمة، وأكثر من يدور باللائمة من مجلس إلى
مجلس، غير معقول ولا مُصرح. فمن أجل ذلك كنت هذا، لتأتي هذا البغيض إلى النفس الصحيحة، ولا يَن تُن من لا يعرفني، تهجيده الذي أسير فيه معاً
بلا جماعة ولا استفهام. فمن شاء أن يلزم بعد ذلك فليَّم ما أُحبُ الله، فإني
مؤذُونه على النهج الذي لا تزال بي فيه مداهنة أو تلويح، ولا تحسين خطوات فيه
مخافة أو تهديد أو مناجاةً بالإثم والعدوان.
أما صحيفه الأهرام التي مكنت لهذا الدعوى، وهيئات لهذا الدعائية الجديد أن
ينصرف في بعض صفحاتها بنفسه وبعض شيعته تصرف المالك، فلذًا لا أزال
أحملُها عليه أحسن محمل أطهاء، وأحسن لها العالم بعد العذر، لظنى أنها
وقعت في شرال لضم كيف تخُلص منه، وعنى أن تجد هي الطريق إلى الخلاص
بالبطاقة والتبني، وبهضم الرعاية لمصلحة الأم أو تعمدها أو صعيبة تعتبر عن
أهدافها، وتعمل مخلصًا جاهدة في سبيل الخبر، وعنى أن تجد لنفسها مخرجًا
ينجحها من التهذيب، ويقذف قراءها الذين استقرت في قلوبهم اللغة بأماناتها وصدقها، من أن تكون مرتوجة قريبا سهلة، ومقرراً عالي الصوت شديد الوعي، لهذا الدعاية وأشباهها، حيث يتذكروا وسيلة لبلوغ أهدافهم وأهداف من يتركون من حيث لا تدرى. ومع كل ذلك، سوف يأتي في غضون هذه المقالات بيان شاف عن كل الأخطار التي تهدد كيان هذه الأمم، فعسى أن تجد فيها صحيفية كهآرام متفتاً ترضي عنه، إن لم تكن قد وجدت فيما سلف ما يجيب عليها أن تقرأ، مما تجب القيادة منه.

أما الآن، وقد قضيت نخيل من البيان عن نفسي ومنهجي، فإلى عائد إلى ما كنت فيه من تاريخ قضية الدعوة إلى العامية واستبدالها بالفصيح، وإلى موضع هذا الدعوة من تاريخها، وإلى ما يحيط اليوم بهذه القضية، وإلى الآثار الشنيعة المترتبة عليها. وأحبه مرة أخرى، وما أكثر ما أحب!! أن يكون القارئ متنبئاً، غاية النتيجة، لأن لا أكتب هذا التاريخ المتشعب المتداخل، للنسال بالأنفاض أضعفها، (كما يتسلى الفارغون على المقاهي بالحديث وفرزة اللب)، بل أكتب بالأنفاض، وبذالق أقصى الجهاد، ليفتح كل أمرّي عيني على أكبر الجرائم التي ارتكبت، والتي لا تزال تزعم بأخذ الوسائل وأخفافها وأفتكها في غمرة الحديث عن النهضة والتطور، وعن الأدب والفن، وفي فترة من أشياء الفترات خطراً على مستقبل الحياة في الأمم العربية، من حيث هي أمة واحدة، ثم على مستقبل سائر الأمم الإسلامية، من حيث هي الصديق الطيب للعالم العربي، ولا تزال تلتقياً، ومن حيث هي النّدأرة القليلة صديقتها وعونها لنا غداً، رغم كل ما أدرته إلينا دسائس الاستعمار وصناعه وعملائه في بلادنا وبلادهم.

وإذا كنت قد عرضت في مقالي السالفة أولاً قضية اللغة العامة والدعوة إلى استبدالها بالفصيح، منذ عهد سبتي الألمانى سنة 1880، إلى القاضى ولمبور الإنجليزى، ومحرر المكفوف في سنة 1901، فإلى في الحقيقة قد ابتزعت هذا الجزء اتخاذًا من حركة متكاملة قدمية العهد، مشبعة العوامل، متداخلة الآثار. فعلتها ذلك لأن رأيتني لو بدأت عرض الصورة من جميع نواحيها وأبعادها
في مقالة أو مقالتين، فكأن أربع احتصار قصة كاملة تستغرق آلاف الصفحات، في بضع عشرة صفحة من مجلة الرسالة. وهذا أمر لا يكاد يلمع أحد إلا بإخلاص شديد في سياق القصة، ولكن كان لابد مما ليس منه تأثير. وسأحاول الآن محاولة أخرى محوّفة، بنهبها الإيجاز بالغموض، ولكن سأحاول مرغماً حتى يتسع لي أن أربط هذه القصة بأصلها القديم، باذلاً في البيان غاية الجهود، إبراءاً للمقتي في إتمام الصورة، وتنبيها لجُلّ غافل عن الخطر المقبل، وهو خطر ساحق يسبح تاريخه وصيده، فإذا قصرت، فذلك المعهد من العجز، وإذا شارفت حرب الإبل، فتوقيت الله وحده وتسديده. وإن كنت لا أرى على التحقق من أين أبداً؟ أمن التاريخ البعيد، أم من التاريخ القريب؟

وفي هذه الحيرة، أراه حسباً من الخشخاش أن أطول التاريخ الطويل في كلمات موجزة دالة على مشايخه، وأسوق بعض الإيضاحات في خلال ذلك، حتى تصل الأجواء وتلتقي عند عهد محمد على في سنة 1822م وما بعدها. وأسأل القارئ أن لا يلم، فإن الملل من كواكب الأخلاق، كما قال عمرو بن العاص رضي الله عنه.

ففي عصر النهضة الأوربية الأخيرة، كان هناك عالمان كبيران: العالم الأوربي المسيحي، والعالم العربي الإسلامي. كان الأول قد سار أول الشباب، حين انطوى دهرًا على نفسه، يدرس ما حمل إليه الحاملون من ثروات العرب والمسلمين في العلم والأدب، وذلك بعد ارتداده إلى دياره منذ آخر حرب صليبية، وبعد ظهور الدولة العثمانية المسلمة التي غزت أرضه ودياره وتوقعت فيها، حتى تركت أصداء التكبير والتهليل تضداد الجبال في قلب القارة الأوربية. وكان الآخر قد أعطى إغفاءً في أغصان دورة هائلة من دورات الحضارة، بعد أن سارك كتبه قرونًا طوالًا تطورَ بحضارة الإسلام من الشمال البعيد إلى الجنوب القصير، ومن الشرق النازح إلى الغرب الشامي.

وفي هذه الفترة كان الأول متحفًا لا يبدأ، وكان الآخر مستحيلاً مستحيلاً لا يبالي. كان الأول طموحًا نزاعًا إلى الأفاف البعيدة، وكان الآخر قانونًا أمانًا في ظلً
بينان مرصوص ظله لأينفذ فيه شيء. كانت قناعة ثانيةهما بقوته وعضايته وتجاربه، وأشياء في قلابه وحصنه، وغلفيه عمدا جرى من وراء أسواره، إغراقًا للأول بالإقدام على مباغته وفتراسه. ولكن كانت تجارب الحرب الصليبية القديمة، وحروب آل عثمان من الترك، قد دلّت دلالة قاطعة على أن مواجهة العالم الإسلامي بالانقسام المسلح، لا تجد إلا ابعاث قوة متماسكة شديدة الأأس والخطر، خليضة أن تسود شبابها، مهما كان في كيانها من العروب، وسرعان ما تلهم شغوفتها إلى معركة فاضلة كسائر المعارك الأولى التي رذت غزاة الصليبيين على أعماقهم. فكان من الحكمة إذن، تتجه المواجهة. وكان من حسن التدبير واتقاء العواقب، أن تدور هذه القوة الجديدة الأوروبية من حول العالم الإسلامي، تنتمق من أطرافه البعيدة بمهارة وخوف، حتى لا يرتبط قلب هذا العالم الغافل، فتقبضه النار عن ثابه، ويستحم التوجه بين وجهه، ودبت أورقًا دببا حول هذا العالم، وجعلت تطوى شواعر القارة الإفريقية من الغرب إلى أن يلغه شباط الإند. طوّرت قلادة عالم التفخيخ، تتحلل، ثم تندفع من كل نفر إلى بلدان العالم الإسلامي، شباطًا فشيئاً، على جذور شديد، وسلا ضجيج يزعم. نعم كان هذا غزوًا، ولكنه غزو خفيف الوطأ، بعيد المرومة، وفي الأجل. لم يكن غزوًا بالمعنى الذي كان الناس يبحثونه يبحثنه، أو الذي ينهذه إلى اليوم، لم يكن جيوشًا وجماهيرًا لها صليبُ يقطع وقعتُ يثور، فذكر في من حمص تحت حرس، حتى تفخيخ من الأروى كليته في شهر أو شهرين، أو عام أو عامين. كان غزواً أفل ما نحوه نكاية هو الخروج، وأبلغه افتراضًا هو التجارة، وأفتكه بالإنسان هو البشير، وهذه الصورة لا يكاد يخطئها من كان له أدنى إلمام بتاريخ الغزو الأوروبي المسيحية للعالم الإسلامي.

وليس يعني هنا أن تنتهي تاريخ نكاية الخروج، واقتراس التجارة، بل الذي يعني هو البشير، وفهم طبيعة البشير، وعمله، أمر لا بد منه لكل إنسان رأى بلاده نهضة مزعجة، وأشلاء مقطرة، من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، ومن أبعد الغرب إلى أبعد الشرق، لأنه أحد كتاب الخروج الجديدين، أفتقتها بالناس. وثبت هنا بصدد سرد تاريخ البشير، منذ قام بالبروندي ونبرغ في سنة 1684، يدعو إلى تأسيس مدرسة جامعة، تكون قاعدة لتعليم البشير المسيحية، وتعلم فيها لغات
الشرق لم ينطلق بهم أمر التبشير، فهذا يحتاج إلى دراسة طويلة. وحسب العيد أن يرجع إلى ما ألقه المبشرون أنفسهم من كتب تاريخ التبشير، ل Ipsum المنهج التي سار فيها حتى هذا اليوم. ولكن ليس يظل لأجل ممكن يتحاذي التم تفاصل في أمور الناس في البلاد التي وقعت فيها الغزو الأوربي، أن يغفل أمر التبشير، ولا أن يتجاهل آثاره، ولا أن يُضيف الطرف عن وسائجه، لأنه هو في الحقيقة أقوى العوامل التي مكنت للاستعمار في بلادنا وجعلتنا في الحال التي نحن عليها من الضعف والتلفك، والجهل بالأسباب الصحيحة التي تنهى لنا مستقبلنا كريمة شريفًا في هذا العالم. وسأحاول أن أوضح الأمر ما استطعت في هذه العجلة التي لا تشفي غليلًا.

فمن تمام الجهاد أن يظل المرء أن معنى التبشير، هو اقتراح فئة من الروهبان أو القوس بالدعوة إلى ديهم، من حيث هو عقيدته يسمعها المرء فرضها أو ينكرها. فهذا أمر باطل أشد العبئان، لا من حيث الواقع فحسب، بل من حيث شرح المبشرون أنفسهم معنى التبشير عندهم، وهم الممارسون له، وهم لذلك أدرى به. وأصدَّ بطلائنا أن يتصور أمرًا أن التبشير يتعارض مع الغزو الحربي، والغزو الاقتصادي، والغزو الفكري والسياسي، وعن محافلة الجنس الأوروبي المسيحي أن يُحضي الأمم لسيطرة تدوم ما دامت له حضارة. وأصدَّ بطلائنا منهما جميعًا أن يخطر ببال أحد أن التبشير قد غالب عن كثير من الدعوات التي قام أصحابها ينادون بضروب من الإصلاح (إلى)! في البلاد العرب وفي البلاد الإسلام وفي غيرهما من البلاد، وأنه لم يضع فيما أصعب لحوزة معنى الإصلاح إلى معنى من التدمير والنهوض والتحطيم.

ومن صدفًا التي، واطلع على كتب المبشرين أنفسهم، عرف أن أكثر الحركات السياسية والأجتماعية قد قطعت بمكره الخفيف، وأنه لم يلغ عن شيء من الحركات الوطنية أو القومية أو الثقافية أو الأديبية أو ما شابه، بل كان من ورائها عاملًا يقظًا شديد الخفاء ليغتره، يترجئ بكل زرقاء على اختلاف الأمور، لا يشا لكل حالة آثبوها، ومرسلًا فيها أعوانه الذين قام على أمورهم دعاً طويلاً، حتى لا ينكشف أمرهم للاغتفاء عن مسائته المدروسة المخططة الطويلة الأجل.
كان أخفى طريق عرفة المبشرون، وأقنعه سياسة الدول الأوروبية الغازية جميعًا، هو طريق التعليم، لأن حاجة الناس إلى العلم لا تنقطع، وبخاصة في زمن القوة بعد العفو، هذه واحدة، والأخرى أن التعليم يضمن تنشئة أجيال قد ضغعوا على أبدى معلميهم بالصيغة التي يريدها الدعاة من أساتذتهم، وهو أخطرهم عالي في توجيه أفكاراً الصغرى إلى الجهة التي يريدها المعلم، فيبدأ الطفل ويكبر حتى يصبر رجلاً، فلا يحتم في نفسه أنه قد طبع طبعة جديداً، يراذ به استنقاء سيطرة الغازية عليه وعلى بلاده، وتدمر أفعاله بمسبحة هو وأقرانه إلى عبد يذللون الطريق لأقدام السادة الطغاء من حيث لا يدري أن عبد مسحور.

وإليك قروة دالة من كلام رجل من روؤس المبشرين، تغني عن الإكثار، هو المسير شانيل، يقول في سنة 1911:

«إن إرسالات التبشير الدينية، التي لديها أموال وقورة، وتدار أعمالها بتدبير وحكمة، تأتي بالضغع الكثير في البلاد الإسلامية، من حيث إنها تثير الأفكار الأوربية. » ثم يقول: «ولا شك في أن إرسالات التبشير من بروتستانتية وكاثوليكية، تعجز عن أن ترحيل العقيدة الإسلامية من نفس معتقداتها، ولا يتم لها ذلك إلا بث الأفكار في تنمر مع اللغات الأوربية، فيشرها اللغات الإنجليزية والألمانية والهولندية والفرنسية، يتحكك الإسلام بصحف أوروبا، وتمهيد الشبل لتقديم إسلامي مادي (أتلف هذا جيداً)، وتقضي إرسالات التبشير أيتهما من هذه الفكرة الدينية الإسلامية، التي لم تحتفظ كيانها إلا بعراتها وانفرادها. » أتقول!!

هذا كلام دارس خبير، ينبغي أن تقرأ له فقطًا، لأنه يخطط شاملاً، في أفكار قليلة. ثم قال أيضًا ما يمين على كشف الأهداف والأغراض بيني شاف، إذ يقول:

«إنهما اختلفت الآراء في نتائج أعمال المبشرين من حيث خطتهم في الهدف، فإن نزع الاعتقادات الإسلامية ملازمة للجهود التي تبذل في سبيل التربية النصرانية، والتقسيم السياسي الذي طرأ على الإسلام (أتلف !) سيجعل السبل لأعمال المدنية الأوربية، إذ من المحقق أن الإسلام يضمن حل من الوجهة السياسية،...
ولن يمضى غير زمن قصير، حتى يكون الإسلام في حكم مدنية محاطة بالأسلاك الأوربية.

ويسهم أن تجد فائدة عظيمة في تبع تاريخ التعليم الأجنبي في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين، في رسالة كتبها الأستاذ جريس سلامة، وإن كان قد نظر إلى هذا الموضوع من غير الوجه الذي ننظر إليه منه، ولكنه أثر في مقدمته أن هذا التعليم قد بدأ في مصر لأغراض دينية بحتة، وأنه تتجه نحو الاستقلال والعزلة.

حتى أصبح التعليم الأجنبي دولة داخل الدولة، يوجه الشؤون الداخلية التي تراه، ويصفحه بالصلاة التي يرغبه، دون إشراف قوى من الدولة عليه. ويدول أيضًا:

بل بلغ الأمر إلى حد أن استعمل بعض الكتب المستعملة على معلومات خاطئة مضللة عن مصر ذاتها، وكان كل ذلك بدرس لأبنائنا، مع أنعدام وجود أي توجيه قومي يوجه شبابنا الوجهة الوطنية الصحيحة. وقال أيضًا: "والآن من خطورة كل ذلك أن جميع المدارس الأجنبي دون استثناء، قد أسهمت بنصب كبار في إضعاف اللغة العربية... فهي تلقى في ضياء الحياة المصرية كل عام، على مدى نحو غربهم من طبقات المتعلمين في المدارس الحكومية الوطنية نظرًا متعلقة، وينظرون إلى اللغة العربية نفس النظرة..."

وقد أثرث أن أنقل هذا كله هنا، لأنها نظرة مسيحية دارس إلى هذا التعليم الأجنبي، وهو غير مكلف أن ينظر إليه من حيث نظر نحوه، ولكن سياق دراسته مفروض إلى مثل الذي يفضي إليه المسلم، من حيث استخدام هذا التعليم آداءً لصيغ أبناء الناس بالصيغة التي يرحبها هؤلاء الدعاة، وأوجههم إلى وجهة غير صحيحة في الوطنية أو في غيرها من شؤون الدين والدنيا. وهذا كافٍ بحسب الله، في إثبات ما نريد من استغلال التعليم لبث أفكار مدمرة في المتعلمين على أيدي هؤلاء المبشرين.
فهذا، وما بينه في مقالتي السالفة، يدل على شدة عذاب المبشرين ومدارسهم وتعليمهم للغة العرب، وهذا أمر ظاهر مفهوم، وقد ذكرت في الكلمة السالفة مقالة "ويليم جيفورد بليغروف"، (1) "منى تواريخ القرآن ومدينة مكة، من بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العريض يندرج في سبيل الحضارة التي لم يعتقد عنها إلا محمد وكتابه، ومعناها أيضا أن "الحضارة" التي يعذبها حضرات الفاضل، هي المسيحية ذاتها، ومعناها أيضا أن القرآن لا يثورى حتى تثورى لغته، ورغم الفسيفسا "زوير"، هذا الأمر وضعاً، وبين أن اللغة العربية هي الرابط الوثيق الذي يجمع ملايين المسلمين على اختلاف أجناسهم ولغاتهم، وذلك حيث يقول في سنة 1906 أوبنبن: "إن لم يسبق وجود عقيدتين متبينتين على التوحيد، أعظم من عقيدتين الدين الإسلامية، الذي اقتصره آسيا وأفريقيا الواسعتين، وثب ت في مئات مليون من البشر، (وهذا تعداد أقل من الحقيقة بكم تكثير كما تعلم)، عئالها وشئائه وتقاليدها، وأحكام عروة ارتباطهم باللغة العربية".

فلس مفهوما بعد الذى بينه من طبيعة التبشير بغاية الإيجاز، وما دلله عليه من أعماله في التعليم ومن غاباته، أن يكون معزولا عن قضية عدم اللغة العربية الفصحى، التي هي لغة القرآن، وعن جمل اللغات الأوربية مقدمة عند المنتقدين على لغة الآباء والأجداد. ولكن إلى أن غزا نابليون مصر في سنة 1798 م، لم يكن للمبشرين أثر يذكر في التأثير على أبناء البلاد العربية، فلم يتبّي محمد على أمر مصر، وربّت له نفسه أن يستقل بها، وأغرائه طموحه أن يجعله نادى دار الخلافة في تركيا، افتتح عليه، نادي دول ليشددوا أزره، وليحطموا بمعاون جبهة صرح الخلافة العثمانية، فقتالوا على إنشاء المدارس، واستقدم لها المعلمين، وأرسلت البعثات إلى أوروبا منذ سنة 1826.

وكان أول الرأى لمن شهد هذه الهفوة الصادقة الجديدة، أن تترجم كتب (1) أنظر ص 129.
العلم الأسيوي إلى العربية، وأن يؤلّف بالعربية في هذه العلوم، حتى يُستثنى بعد قليل عن استغلال الأسانيد الأوروبية للمدارس الثانوية والعلمية. وهذا ما كاد يحدث، فإن كثيرًا من الكتب قد ترجمت وتمهدت إلى العربية في أئتماع العلوم، كالطب والهندسة والرياضيات والعلوم الحربية، وطبع أيضًا عصر طباعة حديتا، ولكن يظهر أن القنابل خوفوها هذا الطاغية الجريء، تُقَدَّم تيسير العلوم لطلابها من أبناء مصر، ينشرها بمساندهم، وزعموا له أن يقتصر على البعثات التي تدقُّ في الخارج. فانتهى الأمر بأن خُصِصت هذه الكتب في مغامتر القلعة، وجبت بناء المرار ومتابعة العلم في ذلك العهد البعيد. فكانت أول فجوة حدثت بين التعليم وغزة التعليم.

وصار المخرج في البعثات يحسن لغة البلاد التي تعلم بها، ويسعى التعبير بها في العالم الذي درسه، ثم لا يحسن مثله في لغة التي ينتهي نسبه إليها، وبعد قليل بدأت طالبات رسائل التماس تلقى إلى مصر، ونتشيء المدارس، وتحدث في بورت المسلمين وغير المسلمين ضعفًا كان يصعب اتباعه يوميًا، لغة المتبنيين إليه.

وظل الأمر يستمرًا وتزداد سواء في أواخر عهد محمد علي، إلى أن هُبط رياح أوسوكت أن توقف الناس إلى نهضة صحيحة تبدأ من حيث ينفي البداية. وعندما حدث ما دعا إلى إعادة فتح المدارس فيما بين سنة 1863 وسنة 1869، وما دعا إلى إحياء إحياء لأفنداء من علماء الأزهر، وما دعا إلى إنشاء مدرسة دار العلم، وابتدأت طالبات الشعيرة الصحيحة بما أشرت إليه من ظرفية نابعة للبيان في ذلك الزمان محمود سامي الماردودي، الذي رُزق الحَرُّ العربي إلى شباب فقده في عصور متابعة، فقدت بهم فضفاضة بالعمر والتعليم بأنها لا تُطيق أن تبلغ حيث بلغ الأواصر، فثار هذا الرجل آية على إمكان ذلك، وكان ذلك في حوالي سنة 1870. وبدأ مركب النهضة يسير، ويتكرر في مسيره. وكان الأمر يقلل، وإذا أفلت الأمر من أبدى الغزاة يوميًا، ونمت مصر في سنة 1882 من طغات أسرة محمد علي وفسادها، ومن احتلال الإنجليز بهزيمة عريًا، لتعتبر تاريخ هذه المنطقة، ول百万 السبب فجرن هذه المكائد الصغر التي كانت تكاد يوميًا، ولطمست الفجوة التي كانت قد انفتقت بين التعليم وغزة التعليم.

***
وفي هذه الفترة، ما بين 1863، ظهرت بوادر تأسيس الجمعيات الكبرى للتنشيط في مصر وسوريا وغيرها من البلدان الإسلامية. وكان ظاهراً أن هذه فترة متعلقة بالتكوين السياسي الذي يُزعم بقلب العالم الإسلامي، وكذلك نشط التنشيط في أماكن متفرقة من العالم الإسلامي، وكان الفهد الأكبر هو مصر والشام، ورائد عدد الرجال المبشرين، وأكثرهم ليسوا من القيسية، كما يعلم ذلك كل من يتبع لحركات التنشيط. والظاهرة أن هذه الحملة الصليبية الجديدة، كانت قد دُجِّلت لنا خطوات جديدة، أوجبها طول الاحتكاك داخل البلاد بأهلها وسكانها وطواقمها، وتجديد الفهم لحقيقة وما هو كائن فيها، فشلت أهدافهم.

إذن أن يتفق في عام واحد تقريباً (سنة 1880، وسنة 1881)، ظهور كتاب «سيبنا! الداعي إلى استبدال العامية بالفصحي، وظهور مقالة من المختطف، الداعية إلى مثل ذلك، وأن تكون حججهما واحدة في صورة الفصحي، وفي أُعيد لغة الحديث عنها كعبد الإيطالية من اللاتينية، وأن ينشاب المفكر في الموضوعين بقياس فاسب مخالف الأجزاء.

لست أجد هذا اتفاقاً عجيباً من ألمانيين أعظم فيلساني، مقيد في دار الكتب المصرية، وعيِّن فيلساني مقيد في بيروت حيث أكبر مؤسسة تنشيطية أنشأت سنة 1865 بأموال الإنجليز والأمريكيين، وتخرج هو على أسس التنشيط فيها، وهي "الكلية السورية الإنجيلية" المعروفة اليوم باسم "الجامعة الأمريكية". وهذا دليل ظاهر من حال الرجال، وفي كلام كل منهما دليل ظاهر وباطن أن حتى وقين أنهما إنما تلقاها إشارة البدء في الشام ومصر من جماعات التنشيط أو مؤتمناتهم الأخيرة، وأن هذا الذي كتب من الروايات المتواترة في معانيه ودلالاته وتشبيهاته، يدلّ على أن الأمر تباعاً كأنه مثبت مدرك، وقد طال الإعداد له، وكثير تساول المتشابرين به ما يحيل حينه، كما دلل على ذلك أيضاً كلام محرر المختطف سنة 1881، وهو مقيم في بيروت، وسنة 1901، وهو مقيم في مصر. ودلما كان من أمرهما على أنه لم يكن يُزعم إثارة هذه الفتنة بمجرد واحدة علانية في كل مكان، خوفاً من أن تنشأ قوة تفجى على الأمور كله في مهده، بل كان يُزعم أن تكون في أضيق الحدود.
وفي ذلك أن "ولهلم سبينا"، كتب كتابه بالألمانية في مصر، ومن يعرفها من
المصريين قليلًا من الدارسين في البعثات، وبعض أصحاب الثروة والسلطان.
وإذن فالغاية المرجوة منها محدودة بأرض الحدود، وفي نطاق عدد قليل، كأنه
هو وحده المخلّط عند صدور الكتاب بما في الكتاب. وهذا أفعل، لأن الذي
يقرأه، يعد نفسه في الناس كأنه وقع على حبي؟ مكنوز، فهو لا بدًا حتى يبوخ به
تعلمه وتعريفًا إذا خاف التصريح. وعن هذا الطريق يستطيع "سبيّنزا" أن يعرف أثر
مقالته التي ساقيها في مقدمةه مجازًا كما قال، وراحت للشباب مما يتعلمون من تعلم
الغرضي!! وتحريًا على أن الأدب الحقيقي لا ينمو بالترم اسم الكتابة بالعربية
الكلامية القديمة!! وما شئت بعدٍ من عواطف الحب التي يعالجها هذا المبشر
الألماني للشعب المصري!!

وأما "المقتطف" فقد وقفت فيه على عجيبية مذهلة!! لم أر لها مثلًا فيما
عرفت من المجلات!! وذلك لأن أتى وفجأة بأن المجلد السادس منه، وهو مجلد
السنة السادسة من حزيران سنة 1871! طبع من كلٍ عديد منهم طبعته، إحدىهما
خالية من هذه المقالات التي بدأها في تشرين الثاني 1881، عنوان "لغة
والنحاء" ورد خليل البارزاني عليه في كانون الأول 1881، وتقريب المتطرك تحت
اسم "الممكن" على محرر المقتطف وعلى رئال البارزاني، وتأديبه اتخاذ العامية لغة
للكتابة، في كانون الثاني 1882، وما نشر في عدد شباط
الأدبية المصرية، وما كتبه أسد داغر، ثم "الممكن" عليهم في آذار
ثم متابعات أخرى للموضوع في نيسان 1882، وما بعده، فهذا كله وأمثاله
لا يوجد له في المجلد المختصر، عدد أوراقه 328 صفحة، وموجود في المجلد
المطول، عدد أوراقه 780 صفحة.

فهل لهذا الأمر الغريب علاقةً بترسيم المطلول في مكان دون مكان، وقصر توزيع
المختصر على مكان بعينه؟ هذا والله أمر يثيرني؟ وقد تابعت ما كتب فيه، فلم
أجد أبداً من أهل مصر شارك في معالجة هذه القضية إذا ذاك، فكان هذه المجلة
كانت مجهولةً ومأثة، معروفة في بيروت، ونواحيها، أو كان المختصر هو الذي يرسل
إليها دون المطلول.
فمحض هذه الدعوة في مصر وفى الشام على هاتين الصورتين المتباينتين في الظاهر، لم يكن يراد به إلا إحداث صدأ في النهضة، وبث بيئة، واستجابة نفعة، إلا لا تكن جهودا في كل مكان، فهمتنا في مكان دون مكان، لا لليوم الحاضر، بل لغد سوف يأتي فلا يكون هوى، وعند أن يوجد في مصر من أنفس المسلمين، من توافق هذه المقالة هواه، فتولى هو إذاعتها بين الناس، ويكون ذلك أحسن تحقيق لوصية الفسيح، زويمير، فلم خرجهم من المشرين، إذ قال لهم: تبشير المسلمين يجب أن يكون رسول من أنفسهم، ومن بين صفوفهم، لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أبنائها. و بين أن ما ذكره لويس عوض في تجربته في شأن العامية أيضا، وألم ولكنها آنذا من باروند، إذ قال: إنه سكت مؤثرا أن يتولى الدفاع عن رأيه مسلم لا مجال للطبع في نزاهته = إنها هو قول متواضع له إياه بعض من تولى تدريبه في الخلوة المشهودة بين أشجار البدارع عند الشلال بكامبردج، أو كما قال. 

وعلى الحالين جميعا، فظاهر من السياق ارتباط أوز داعيتي إلى استبدال العامية بالفصحي، ارتباطاً وثيقاً بوسائل التبشير وتوجيهاته وأعراضه وأعماله وممارسته. وليس من جاء بعد هذين، وهم فولكس الألمانى (1890)، والإنجليزيان ويلككس (1893)، وويلمور (1903) بألذوهما رابطاً بالتبشير، بل تعلل الكس هو الصحيح، لأنهم فضلا عن نظار الأدب على وثيق ارتباطهم به، فإنهما إنما جاؤوا أيضا في زمن الاحتلال الإنجليزي الذي كان التبشير مقدمة له أولى، ثم محققا بعد لسانته، وناشرها لمكاتبه، وسبعا في تثبيت قواعدوا، وذلك بأعظم وسيلة يملكها التبشير، وهي التعليم، كما أطلانا من صفته.

وإذا شئت أن تعلم مقدار تكافل التبشير والسياسة وتعاونهما على إذلال الأمم والرجال وتحقيقهم وإذائهم بتصفي ما يستن الإنسان من الوقاحة وغلظ الوجه، وجذارة التركيب الأخلاقى، ونبذة النفس الملؤة في داخلها بالحقد والاحتراق، فانظر كيف جاء التبشير تحت رأية الاحتلال الإنجليزى ليقف مؤثراً في القاهرة.
في أيدي علي« زويمير » النفس المبشر محنك خلقه ، وتمام ديانته ووزن نفسه ، إلا أن يكون انعقاد المؤتمر في بيت زعيم الثورة وقتيد النهضة ، أحمد عرابي المسلم العربي ، ففتح« زويمير » برئاسته هذا المؤتمر في 4 إبريل سنة 1906 في القاهرة ، في بيت عرابي ، في باب اللوق ، والرجل يرمى عاذ من متفا ، وخير ماله وداره ، فهو مقيم بيت أولاده بشارع خيرت ، وحسب أني تعلم أن أحد هؤلاء المؤتمرين قد وقف تحت سقف هذا البيت ، يعرض اقتراحًا : إنشاء مدرسة جامعة نصرانية تتولى كل الكنيسة المسيحية الإنفاق عليها ، لتمكّن من مزاحمة الأزهر بسهولة (1) . ثم ختم كلامه بهذه العبارة:

"ربما كانت العزة الإلهية قد دعتنا إلى اختيار مصر مركز عملي لنا ، لنسرع

بإنشاء هذا المعهد المسيحي لتنصير الممالك الإسلامية .".

لم يكن مؤتمراً للتبشير ، بل كان مؤتمراً لانتقام حسيبي لا يصدر عن قلب سليم
أبداً ، وكذلك كان فعلهم في عشرينات من الحوادث ، وتلك كانت آدابهم ، فكيف
يلاح تلميذ للهم إذا نشر في مناسبة الإسراء والمغفرة ، بما يتورث من هذه الأخلاق ،
كلامًا لا يليئ أن يقال ، وبأسلوب صاحبنا الذي ظل العزة الإلهية قد دعته إلى مصر؟
يا سبهان الله ! إلى قريب حتى نفرغ من أخطار هذه القضية .

(1) هذه الدعوة تمدّخت عن "الجامعة الأمريكية" بالقاهرة .
...وهذه هي أخبارهن

الرسالة

الخميس 19 رمضان سنة 1384
مرة أخرى، ثم مرة أخرى، ثم مرة أخرى، أحب أن أعلم من لم يكن يعلم،
أني أمرى لا ترهبه بوارق الوعيد، ولا تنبه لوحات التهديد، ولا تهوله ألغاظ محفوظة
تلوها الأفلاك الداهمة، وتمضيها الأفواه المتلمعة. وأني مجدد خلق الله وحده، لم
أجر قلبي على محافعة أحد من عبادي، وأني مذ فرغت من أن أشرك بالله أحمداً، لم
تزعم كلمة أوصف بها سوى «الشرك بالله»، وكل صفة بعد هذه، فقصيرةها
عندما قال زيد في خطيته البحراء: «أن أجعلها ذكر أدنى وتحت قدمي»، إلا أن
أكون مطيعاً في قول أو فعل، فتعزز في القول موجب، ولم يمنع مني حياة أو كبر أن أقول علانية بخطاً
كان متي، أو ذاكر تردث فيه. واستغفر الله وأتوب إليه، إذ أن أجنائي من أجنائي إلى
أن أصف للناس نفسى، بما لا ينبغي للمرء أن يعثى من الندم، فإنه يوشك أن
يكون بابا من الأبواب الخفية إلى النفاق.

والدرب الذي أتى للرسالة تُقسم أسباب، كنت فيها نحن مقالات،
وأدامت نفسى مقالة الحق بلا جمعية أو دهان فيما أقول، ولم تطرق آباؤي عن
حقائق ما أكتب عنه، ولا رغبة في ثناها من أحد، ولا رهبة من مغرة تجربة من
خلقني، ولا خشية إلا كيف أرمي به أنني برئ. ثم فوجئت بشيء غريب جدًا، لم يكن
مثله يخطر لي بالي. ولم أجد من تبعه هذا القلم، ومن شعور بحقي قارئ الرسالة
على، لم شغله به. وكان من حق القارئ علَّه أن لا أخليه من متابعة ما يقال عنما
أكتب في الرسالة، إذا كان قائله قد استودعه مكانا غير مجلة الرسالة. وذلك أن
رأيت الرجل محمد مندور، قد أنشأ كلمات حول شيء سمته «معاركنا الأدبية»
ألقي بعضها في الإذاعة، ثم نشرها في مجلة «روز اليمنس». فكتب إلى مجلة
»روز اليمنس« كلمة مختصرة أرده عليه مقالته حيث نشر كلامه، ولكن عسى أن
لا يكون قارئ الرسالة قد أطلع على ما قال الدكتور مندور، فمن أجل ذلك أحببت أن أغرف له قلبي ما قال.

زعم الزميل القديم أن هناك « معركتين تدوران في الصحف والمجلات ».

إحداهما حول الشعر والثانية حول أبي العلاء المبارك وتراثنا القومي كله » !!

وبعد أن أفقض فيما قال عن معركة الشعر، التفت إلى كي يقول: « وليسو الحظ غاصث هذه المعركة الضالة، معركة أخرى أثيرت حول ما كتبه أحد كبار مثقفينا عن أدب الرحلة في العالم الآخر ».

وبينما ذلك لويس عوض وآنا بل ريب، لا أنكر على الدكتور مندور حقه في أن يصف لويس عوض بما يشبه، فهو مسنون عما يقول، ولكن أنكر عليه أن يسمي هذا الذي كتب « معركة » هذه مبالغة لا أحقدها.

له، فإن الذي أكتب له « معركة » بل هو كما يتبين مرازا: كشف عن تزيف إنساني يحمل لقبه، لا أدرى كيف حمله، غرّ بعض الناس حتى زعموه مختلفا، وليس به، بل هو معرفة عظم المكره على الناس. وهذا أحد الأسباب التي جعلتني أوقن أن الدكتور مندور لم يقرأ حرفًا مما كتبه في الرسالة. ولا على من ذلك، ولكن الذي أعلم أن أتباع الزميل القديم، إذ دلى ما كتبه على أنه لم يقرأ أيضًا حرفًا مما كتب لويس عوض، لأنه لو كان قرأ لما أنشأ هذه الكلمات التي أذاعها، ثم نشرها في « روز البوسف ».

وحسبك أن تعلم أن لويس عوض قال إن أبا العلاء تعلم باللاذقية، وأخذ أداب اليونان وفلسفتهم في لغتها الأصلية، من راهب ديلاذقية، وهو دار القارئ. فأتي الدكتور مندور فيقول: إن لويس عوض استشهد في البحث (!!!) عن تأثر أبا العلاء باليونانيات، ويدعي أن هذا التأثر تم باستغلال راهب يوناني أتصل به أبو العلاء في حلب وأفاد منه، فإنه أخذت كله لا يأتي من قارئ قرأ ما قرأه لويس عوض، ثم قرأ ما كتبه.

وقد ساءت عواصف المراه فيGPC ونماذجها التي نقدها، وليفصّب نفسه حكما عليها.

ولكن أيضًا من ذلك إن كنت، ولكن الذي أعلم أن أجعل كُل قارئ للرسالة: حكما فيما كتب: هل وجد أحد أنى لجأ إلى « التحرير الشخصي »، وإلى الأسلحة غير الشريفة، وإلى إثارة فئة قومية ودينية »؟، كما يقول الدكتور مندور؟
أصبحي هذا؟ إذا كان الدكتور مندور مستهينًا بالألفاظ التي تجري على لسانه، أفظعن أن الناس يستهينون بعقولهم التي بها يفكرون؟ ثم من يكون لويس عوض هذا، حتى أرتب له هذه الحسومات التي تبنيها إلى زميلٍ قديم؟ وإذا كان هذا الإنسان معدوداً عند الدكتور "أحد كبار متفقهيه هو"، فهل يظن أن أحدًا يوافق على أن هذا الخلق الذي لا يمثل شيئًا، يمكن أن يمثل "طائفة قومية"، و"فرقة دينية"؟، حتى يكون ما يكتب عن كشف زيفه، وإمالة اللسان عن نكارة جهله، واضطراب تفكيره، والاختلاف عقله، سببًا في إثارة فتنة قومية ودينية؟ هذا عجب فوق كل عجب!!

ومع ذلك فهذه الألفاظ الحربية التي لا يستحيل رجل غير مستهين بالناس، أن يصف بها أحدًا من الناس بلا تبنته، إنما هي ألفاظ مجرد قديم، يوم كانت تتخذ أداةً للإرهاب واليساوات والأفلام، والدكتور خبير بما أعني، فيما أظن. وللدكتور مندور ما شاء من الحق بعد اليوم، أن يستخدم هذه الألفاظ ما خلوه له استخدامها وطاب منافعها في فمه، ولكن ليعلمه أنها ألفاظ باليئة المعاني، لا تُخفى ولا ترهب، ولا تمنع من وضع هذا الإنسان في حاول موضعه من حركات التدمير التي تراد بأهل وعشيرتي وبلادي، رفض ذلك الدكتور مندور أم لم يرفضه، وهي أيضًا لن تملك قلية عن تميز هذه الظلامات التي يتخلق فيها هو وأمثاله، رحب بذلك الدكتور مندور أم لم يرحب، فإنك يقول في كلامه الذي أنتبهما في روز اليوسف، "إنه متحمل بكل معركة أديبة أو فنية نظيفة (هكذا قال !!) وكثيراً أرتفع كله الرفض التجريي الشخصي، والتهم المضطربة الباطلة (وهكذا يقول أيضًا !!) التي يجيب منها (وهكذا يقول أيضًا !!)، حتى لا تثير نفثة قومية ودينية ما أغنانا عنها، وما أحوجنا إلى عكسها !! أو كما قال! ورحم الله الشيخ المعزٌر إذ يقول:

وكيف يؤمن الإنسان رشدًا، وما ينفع مشغولاً هؤلاء؟ يظن أن نفسه شرفًا وقدرًا، كان الله لم يخلق بؤاة!

ما أوحى كله أمرٌ منا إلى عطأ هذا الشيخ الجليل، رحمه الله، وغفر له، وجعل كله لسانًا شوءًا محتمداً له عند ربه، يوم يقوم الناس لرب العالمين.
هذا، وإذا كان الدكتور مندور، يُعدّ نفسه ناقداً، ويعدّ الناس كذلك، فاؤل
شريط يجب أن يشمل عليه الناقد، هو الإحاطة فيما يكمله فيه، حتى تصبح الإحاطة
قبل الحكم خليقة وسجية لا يبذل في صقلها جهدًا، ولا يلقى في استخدامها عناً.
وهذا أمر مفرح منه فيما أظن، إلا أن يكون النقد قد تغيّر وتغيرت شراطنه في
زمان لويس عوض (معذرة، إذا قلت ذلك؟)، الذي يعده الدكتور مندور "طائفة
قومية، وفرقة دينية"! إذا كانت هذه خليقة الناقد، فأين خليقة استماع الدكتور
الناقد أن يقول: "من الثواب أن أبا العلاء المعزى لم يكن ثابتاً على دينه الإسلامى
متمسكًا به، بل لقد أحدهم اتهمًا كبيرًا بالإلحاد والردفة". من الذي أخبر الدكتور
مندور أن هذا ثابت وأكيد؟ وهل أحاط علمًا بما يدعى ثبوته وأكادته؟ (وهذه لفظة
جديدة، استعملتها الدكتور خاصة!). إذا كانت الأحكام الأدبية تنقى على الناس
بهذا الغدر من الاستهانة، فلا توقع، ولا إحاطة، فأي قيمة للآداب تبقى عند
الناشئة من يجل الدكتور مندور وينتقد عليه؟

وأما في زمنى القديمة، ويحق معرفتي بالدكتور، كنت أرى بك عن هذه
الاستهانة، وكنت أتمنى له أن لا يدع ليشيء، مهمَا عظيمًا، سلطانًا على أحكامه
الأدبية، لأنه إذا أخاط هذه الأحكام مرتاً بالنصرة والخشية وقيلة الإحاطة، سقطت
ثقة بأحكامه في دقائق من الزمان، وكل من مبتدى من تلامذته، يستطيع أن يرجع
إلى عشرات من الكتب، قد نظرت في دين شيخ المعرفة، ونقدت الأخبار والأخبار
التي ساقها من ساقها للدلالة على فساد دين الشيخ، فقرى فيها برناحاً قوم على
سلاطة دينه، وعلى التزامه شراطه ربيه، فكيف يقول إذن؟، إذا سمع الدكتور يثبت
ويؤكد فساد دين الشيخ، بلا رهان أن يرفع من كتب ودواوينه، ولا بيتة أو حجة؟
أهذا يتصدى الناس للقضاء في مثل ذلك الأمر العظيم؟ وأي فرق يبقى بين الدكتور
مندور، وهو من هو، وبين لويس عوض، هذا الداعي الذي لا يحسن شيئاً إلا الثورة
الفارغة؟ ولم يفعل الدكتور ذلك، ويرتكب هذا الحكم الناجح بلا تردي؟ لأنا شيخ
المعزز قد مات وليد عظامه منذ أكثر من ألف سنة، فلم بيق على ظهر الأرض حتى
يدفع عنه، أو يتكلم عنه، كما يجد لويس عوض من يدفع عنه أو يتكلم عنه؟ ورحم
الله الشيخ، كأنه كان ينظر بعين الغيب إلى ما سبقاً بعد موتاه إذ قال:
منى غدًى الأقوام لَّا وَفُطْنَةً فَلا تُسْأَلِيَنَّ غَنْهُمَا وَسَلِىَ بَيْنَ أَفَارِيقِهِمْ، مَا الْفَرْطُ مَيْنِ غَنْهُمْ بَلْ يَبْلِيَنَّ، وَلَا عَرَضٌ لِلهِمْ بَلْ يَبْلُبُونَ

وهَلَّانَ عَلَيْهِ مَيْنِ إِذَا الْفَيْضُ ضَخَّمَ غَرِيرٌ ضِبَاعٌ عُحْشُةٌ وَكَلَبٌ

ولو أطَلَّ الدَّكَّورُ مَنْدُورٌ أَنْ يَكُنَّ مَا كَتَبَ في مَجْلِسَةِ الرَّسَالَةِ، لَعلَّ مَنْ أَمَّرَ اهْتَامَ الشَّيْخَ بِفَسَادِ الدِّينِيَةِ، كَذَٰلِكَ أَشْوَاقٌ مُّبْعَثَةٌ مِنَ الشْكَوْكِ، لَّا يَلْبِسُ بَداً بَعْدَهُ الْيَوْمِ أنْ يَتِجَالُهَا أو يُغَفْلُهَا. وَذَلِكَ لَكَانَ الْدَّرَاسَةُ الأَدْبِيَّةُ لَأَلْفَاءِ الرَّجُلِ مِنْ كُتُبٍ وَشُعْرَاءٍ، لا تَقْوِمُ عَلَى التَّسْلِيمِ بالْخَيْرِ الْمَلْفَقَةِ الَّتِي يَلْبِقُهَا مَسْتَهْزَئٌ، أَوْ مِغْضٌ، أَوْ حَافِدٌ، أَوْ غَافِلٌ، أَوْ عَلْجُ مِنْ عَلَوْجِ الْرَّوْمِ، أَوْ زَأْفُ مِنْ زَاوْلِ الْجَزِيرَةِ، بَلْ تَقْوِمُ عَلَى نَقْدِ الْخَيْرِ وَمَصَادِرُهَا وَمَوارِدُهَا بِمِحْرَضٍ مَّسْتَوْلٍ عَمَّا يُقُولُ. وَهَلَّانَ عَلَيْهِ مَيْنِ اسْتَسْتَدَّمَأَ دَارْسَ أَنْ يَتِجَالُهَا الْكَلَمَاتُ مِنْ أَفَوَاءِ الْمَلَامِسِ بَلا شُكُّ، وَلَا عَرَضٌ عِلْيِهَا الْكَلَمَاتُ عَلَى الآثَارِ نَفْسِهَا، بِأَمَانَةٍ وَصَدِيقٍ وَجَدَّ، وَلَا إِسْتِهْنَاءٍ كَإِسْتِهْنَاءٍ جَلاَسِ المَفَاهِيَةِ وَأَحْلَاسِ الأَرْضِ١٠ مِنْهَا لَا هُمُّ لَهُمْ إِلاَّ التَّشْشَرُّ بِالْفَنَّانَيَةِ المُسْتَفْرَفَةِ عَلَى غَلَّةِهَا، وَالْمُسْتَفْرَفَةِ عَلَى غَلَّةِهَا وَبِزَدَهَا. وَلِيَلْعَبِمْ مِنْ يَحْبُبِ أَنْ يَكُنَّ عَلَى الْدَّرَاسَةِ الأَدْبِيَّةِ جَدًّا

لا مَزَاحٌ فِيهِ، وَأَنْ أَمْتَأَتْ طُرِيقُ الْهُوَلِّ وَالْعَمَّاجِ وَأَوْلُ الْفَنَّانِيَةِ المُشْتَدْعَةِ تَطَفِرُ فِيهَا دراسةً أَدْبَابَهَا، أَمْأَ أُدُفِّعُ اللَّهُ عَلَيْهَا أَنْ تَكُونُ هَلََكَا مَجْسِمًا، وَبَلْاءً مُّصْبِيَةً، عَلَى مَاضِيَهَا وَخَاسِرَهَا وَمُسْتَقِلَهَا.

١٠
اتوقَع المؤلِّف منه، بل من حيث أراد الدكتور مندور نفسه أن أدخل، بأن جعل المعركتين، فيما زعم، في قرن واحد، ووصفهما بصفة واحدة، إذ قال بعد كلمته الذي نقلته في صدر الحديث: « حيث أُجِهَت التسلسل إلى هاتين المعركتين (!!) عنصر تجريح شخصي غير كريم، وإتهامات قومية وسياسية غير شريفة (العابد بالله من الألفاظ ! )»، والذي يحملني على الانتقاص إلى هذه المقالة في الشعر، لأن الأمر في نقد «المعركتين» بمثب كله فيهما على الاستهانة بخطر الألفاظ والأحكام، وقائم على عدم اللطف والضبط في تحديد المعاني، وعلى إدابة الجد في ماء غني من الهؤل، ولا توقف ولا أنواة .

* * *

يقول الدكتور مندور: « وأكثر خطرًا وضراوةً وضربًا من تهمة الخروج على القومية العربية، مثلثةً في إطار التقليدي للقصيدة، تهمة الخروج على الإسلام، بدعوتي أن هذا الشعر الجديد يستخدم أحياناً ألفاظاً كثيرة يتردد في دين كريم يعرف به الدين الإسلامي نفسه، كالمسيحيين، مثل: لفظة «الخطيئة» ولفظة «الصلب» ولفظة «الصلب»، هذه تهمة غييرة. ونحن المسلمون نعتبر جميع الديانات السماوية جزءًا من رأينا الروحين، بل جزءًا من التراش الرحي للبشرية جمعاء. ونحن حتى لو افترضنا العكس، لما جاز هذا الخطاب في الاتهام، مراعاةً لمشاعر إخواننا في الوطن الذين شاركونا دائماً أفرادنا وأحزاننا ومعاركنا الوطنية الكبرى ضد الاستعمار والرجعية والقطاع والرأسمالية الجنسية، وهم إخواننا وأشقاؤنا الأعزاء الأقباط.» انتهى كلم الدكتور مندور.

وقبل أن أبدأ في بيان ما أريد من خطر هذه الكلمات المختلطة التي تلقى بلا حساب، أحب أن أسأل سؤالًا، لا أوجهه إلى الدكتور مندور، بل لكل من لا يدين بالإسلام من المواطنين: ما الذي يجرح مشاعر أحد منهم، إذا قلنا إن لفظ «الخطيئة» و«الصلب» و«الفداء»، وهي ألفاظ ذات دلالات واضحة في العقيدة المسيحية، ليست لها هذه الدلالات عندنا نحن المسلمين، وليس لها تاريخ أو أثر في حياتنا، كاريخنا وأثرها في حياتهم، وأن المسلم إذا استعملها، فإنه يستعمل ألفاظًا لا تؤدى معنى واضحًا في نفسه؟ ولا
ريب، لا يستطيع مجيب أن يقول: إن هذه المقالة تجرحني وتؤذي مشاعري! فإنه عندئذ يكون مجيبًا أكبر النجاح، في إزام من لا يدري بدنيه، أن يدين بدلالات أنفاظ لا أصل لها في عقيدته. أليس كذلك؟ فاستخدام الدكتور مندور: "أسلاع الحكم" في عرض هذه المسألة، ضرب من المغالطة، وتحويل للأمر كلًا عن مستشرق، وإدخال للسفسطة في مقام لا يحسن فيه إلا صريح العقل والمنطق. وإذا جاز للدكتور مندور أن يقول هذا للمسلمين، حتى يتيهو عن إنكار ذلك على من يستعمله، لجاز أيضًا لمن يعكس الأمور من المسلمين أن يقول لأهل المسيحية: أرجوكم أن لا تستعملوا لفظ "الخطيئة"، و"الخلاص"، و"الغفاء"، و"الصلب"، لأن ذلك يجرح مشاعر المسلمين؟ أم إن العدل أن يطالب بأحدها. كناريًا يمثل هذه الحجة المتهافتا؟ هذا خلف من القول ردٌّ.

وأمر الدين أمر جليل، لا يقضي فيه الدكتور مندور، أو ليس عوض، أو غيرهما، بما يشبه هو وحش، بأنفاظ برعا هو داله على معنى مفهوم، وهي لا دالاه لها إلا عصف تصوير الأمور المشكلة التي تُفضى إلى أكر الأخطار. فقول الدكتور مندور: "إنا نحن المسلمون نعتب جميع الديانات السماوية جزءًا من تراثنا الروحي للبشرية جمعاء"، قول لا يقوم على ساق صحيحة ولا ساق عجزاء، وليس يقع له أن يهدي مثل هذا على الناس، بل احتفظ ولا يفقد لي دالاته، وأقبل ما فيه من الخطأ أن قاله لا يحسن أن يفرق بين معنى "الدين" كما يعرفه كل ذي دين، وبين معنى "الكتاب" الذي أتله الله على نبين من أتباعه. فالسيسيدي معه، لا يعد الدينية اليهودية ولا الدينية الإسلامية جزءًا من تراثنا الروحي، وإننما يقضي عليه دين "اليهودية أيضًا، لا يعد الدينية المسيحية، ولا الدينية الإسلامية جزءًا من تراثنا الروحي، وإننما يقضي عليه دين "الهودية، وكذلك المسلم، لا يعد الدينية اليهودية ولا الدينية المسيحية جزءًا من تراثنا الروحي، وإننما يقضي عليه دين "كل ديانة من هذه الثلاثة عقيدة شاملة متنوعة من كتابها كما هو عهدنا، وكما تشيره، وكل عقيدة منها تُقضى كثيرًا من عقائد الديانات الأخرى، في مصر معقدي برهان من الوقوع أن تعد شيئًا مما تُقضى جزءًا من تراثنا الروحي، إلا إذا كان معنى "التراث الروحي" مرسمًا للتناقض الذي لا يقبل عقل عاقل!!
فنحن المسلمون إنما أُمرنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وأن الله تعالى
نزل النبى عليه السلام، ونزل الإنجيل عليه عيسى ابن مريم عليه السلام، ونزل القرآن عليه محمد صلى الله عليه وسلم قصدًا لما بين يديه من الكتاب وُهِبْتُنا عليه، أي شاهدًا عليها أنها حقٌّ من عهد الله، أمينا عليها، حافظًا لها، فما وافق القرآن فهو الحق، وما خالفه، فلله حاكم بيننا وبينهم في يوم القيامة. وهذا بلا ريب صحيح المعقول. أما أن يكون ما وافق القرآن وما خالفه جميعًا جزءًا من التراث الروحي للمسلمين وغير المسلمين، فهذا إبطال لقضية الدين كلهًا، ويكون معناه عندئذٍ أن تمحى جميع الفروق بين الديانات وخرج للناس يومئذ أن يعترفوا جميعًا ببطالان دياناتهم، وينتموا لأنفسهم دينًا آخر يجتمعون عليه. وهذا شيء لا يقول به أحدٌ من أهل الأديان.

وتدْعُ هذا الخلط في كلام الدكتور مندور، إلى دلالة الألفاظ التي سبق أن ذُكرت في مقالة الخامسة أن لويس عوض، منذ ملاء ماله في "الخواجة المشهورة بين أشجار النار عند الشلال بكديردج" ثم أطلقه خلال الأدب عامًا، والأدب العربي خاصة، لا يكاد يرى في سمادره إلا "الصلب" و "الخلاص" و "الفداء" و "الخطيئة"، ولا يكاد يرى ما يكتبه الكتاب والشعراء، كتوفيق الحكيم، ونجيب محفوظ، وصلاح عبد الصبور، وغيرهم، إلا مقرونًا بهذه العقائد، وهذه الألفاظ هي نفس الألفاظ التي جاءت في مقال الدكتور مندور، وأثنى فيها بما أثني!.

وهذه الألفاظ الأربعة ينبغي أن تدرس بلا خوض ولا إيهام، كما يحاول ذلك من يحاوله من جنود المبشرين، ولا استناده بدلاتها كما يحاول ذلك للدكتور مندور وغيره من يعدها رمزاً لتراث روحًا، لا يرأس عليه المسلم في استعمالها. كلاً! إن على المسلم كل الأدب أن يكون طريقًا محفوفًا بالمخاطر، لمن صدق نفسه، وعرف محجة الكلمة كيف تقال، وكيف تفسر، وكيف توضع في موضعها.
وترتيب هذه الكلمات الأربعة في دلالتها عند القوم يأتي هكذا: الخطيئة، ثم الصليب، ثم الخلاص.

وتلخيص معنى هذه الأفكار الأربعة في المفهوم المسيحي: أن الله سبحانه وتعالى لما خلق آدم من تراب وقال له: "فلأرى يا قادماً آتينك آتينك ورزُبِك النّجاة وفِهَ ينهايَ كُبْطُ شَهادَٰتنا ولا لَكُنِّي هِدَّرَ الْمَجْنُونَ فَمُكَٰذِبًا مِنَ الْأَتْبَعِينَ"، فأظهرها الشيطان عنها. فهذه المصيبة كما نقول نحن، وهي الخطيئة عند النصارى، أصبحا حما وذريهما تحت سلطان هذه الخطيئة، لا يتقون منها، واستحقاق البشر جمعًا، بالخطيئة والديهم، عقاب الآخرة وهلاك الأبد، وهذا هو ناموس العدل الذي لا ينفع، يستحقه من عصي الله سبحانه وتعالى. ومن ورث خطيئة آدم وزوجه، فإن عاقب الله آدم وذريته على خطيئتهم بِهِلاك الأبد، وذلك ما يوجهه ناموس عدله في حكمه، ولكن ناموس رحمة يستوجب العفو عنهم، فنصب ناموس العدل، ناموس الرحمة، فتنطَّل الأمر شبيهًا يجمع بين الرحمة والعدل، فكانت النذيرية التي يتم بها ناموس العدل، ويتحقق بها ناموس الرحمة. ولكن ينبغي أن تكون النذيرية طاهرة غير مدنسة، وليس في الكون ما هو فاضح بلا دنس إلا الله سبحانه وتعالى. ولكن تعالى الله عن أن يكون فذية، فأوجبها المشيئة أن يتخذ جسدًا يُحَد فيه الله والملائكة، فاتُّخذ في بطن أمًّة من ذرية آدم هي مريم، فيكون ولدها إنسانًا كالآدم من حيث هو ولدها، وكان الله تعالى عن ذلك علًّا كبيرًا، في الحسد إليها كاملاً، فكان المسيح الذي أتى ليكون فذية لخلقه، وهذا هو الفداء. ثم احتمال هذا الإنسان الكامل والإله الكامل، أن يقدّم ذيحة، ليكون ذيحة تزاحفًا لضَّلَّ الْمَثْوَرَة المُفْضَّت على رأس بني آدم، فمات المسيح على الصليب، فاستوقي ناموس العدل بذلك حقه، واستوقي ناموس الرحمة بذلك حقه، وهذا هو "الصلب". وكان احتمال ذلك كله كفارًا لاختياء العالمين، تخلصهم من ناموس هلاك الأبد، وهذا هو "الخلاص". ولما كان البشر كلهم شيطة بخطيئة أبيهم آدم وأمهم، فهم هالكون هلاك الأبد، ولا ينجيهم من عقاب الشره، الإلهية العادل المخيف، سوى إيمانهم بالسبيح القديم، وبحضوره في كل وقت في قلوب المؤمنين، في الفرح والحزن، والشقاء والسعادة، فهو الذي يؤازره بما
بحتاجون إليه من العون والحكمه ويخلصهم من نفل الخطية، وينجيهم من العقوبة المستنفحة عليهم منذ كانت الخطية الأولى.

وهذه "الألفاظ الأربعة" لا تعامل معاملة أشباهها، من جهة دلالتها على عقيدة متكاملة. فالخطية، في لغة العرب الجاهل، ثم لغة المسلمين، لا تحمل شيئاً من معانيها ولا لازهما في لغة النصارى، وإن كان اللفظ واحداً. ومعصية أدم عندنا معصية كسائر المعاصي، تحصوها التوبة، وخطيئة كسائر خطياط الناس، تفصلها المغفرة ممن يملك المغفرة، وهو الله سبحانه. وقد بين الله ذلك في قوله: "وَقَالَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الْآَخَرَينَ مِنَ الْجَهَّالِ: أَمَّا أُنْتُمْ أَنْ تَرَوْجُونَ إِلَى الْلَّهِ، وَإِنَّمَا نَعْلُمُ مَا نَحْيَنَا بِهِ. إِنَّا لَنَحْيَنَ كُلّ مَنْ جَاءَنَا، وَلَنَنْقُعَ لِلرَّحْمَانِ". فأرسلنَّا أن يتغفر لنا، فإن نعت عليه مغفرة تبين. فلاقنَّ مغفرة لا مغفرة، فلتأتي على الله، فهو أعظم من ذلك. كتب قاب علیه إنَّهُ: "فَهَذَا كَيْفَ تَجَزَّى مَعْلُومُ إِنَّ الْعَفُوَّ عَلَى الْأَبْصَارِ". فكانت توبة أدم ماحية لمعصيته في الدنيا والآخرة، لا تستنفع عقيدة بافية، وأن الله سبحانه كتب في صحف إبراهيم وموسى: "وَزُورْ أَنْتُ نَزِيرٌ". فلأ يرغب مولده خطيته والد "وَأَنْ تَلْبِسَ إِلَيْنِ إِلَّا مَا سَعِينَ". فأنَّ ستمرت سكوت نزير(وَمَمْيَزَةُ الْحَرَّةِ الأَوَلِيَّة). فهذا ينص على المصلم استعماله لنظر "الخطية"، بمقولها في الدين المسيحية لأن هذا الضرب من الخطية لا أصل له في عقيدته، بل هو منهج يعنى توارث الخطية، لأنه إذا اعتنق ذلك كذب خبر الله في كتابه، بأن لا نوزر وازرة وازرة أخرى، وتكذيب خبر الله واعتقاد خلافه كفُر مفتوح. لا يختلف في ذلك أحد من المسلمين، ولا العقلاء عامة، المسلمين أو غير المسلمين.

وإذا بطل أن يكون للفظ "الخطية" عند المسلمين معنى يحمله، كالذي هو عند النصارى، بل أن تحتاج مقصودة أدم إلى فدية تتعلق ضروب الجرم بين الراحلة والعدل. و"القداء" بالمعنى الذي ندل عليه عقيدة النصارى، غير مفهوم عند أحد من المسلمين، ولا يزى ما يستوجب، إذ لم تكن الخطية عندهم مثورة في الدنيا. وإنما ما استوجب معنى الفداء من ألوهية المسيح وبنوته الله، تعالى الله عن ذلك علواً.
بميزا، فإن الطفل الصغير يقرأ في أول ما يقرأ: ﴿وَلَوْ حَسَّدُوا، لَمْ يُحِسُّوا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ صَحِيفَةٌ أُحْكَامٌ﴾. ثم يعالي حتى يقرأ بعد ذلك: ﴿لَعَلَّ عِنْدَ الَّذِينَ يُبِينُونَ الْقُرْآنَ قَالُوا إِنَّهُ هُوَ الْمُبِينُ﴾، يثبت ﴿مَعْرِيْكَمْ وَأَكْثَرُ وَقَوْمٌ فِي الأَرْضِ جَيْعًا، إِلَى آيَاتِ كَثِيرَةِ هُذَا الْمَعْنَى، فَاتَّبَعْهَا، فَإِنَّكَ عِنْدَ الَّذِينَ يُبِينُونَ الْقُرْآنَ، فِي الْأَرْضِ جَيْعًا﴾، إلى آيات كثيرة بهذا المعنى، فاستحال أن يكون ذلك من عقيدة أحد من المسلمين، وإذا استحال هذا، استحال ما يوجب معنى «الغفاء»، ولا يبقى لهذا الفظ سوى المعنى اللغوي العربي المشهور.

ولذا بطل هذين المعناين لهذه اللفظين: «الخطيئة» و«الغفاء»، على الواقع الذي هو من عقيدة النصارى ودياناتهم، واستحال أن يقولهما المسلم وهو يعتقد فيما ما يعتقد النصارى، لم يكن للفظ الصلب بعد ذلك أي معنى، سواء المعنى اللغوي المشهور، سواء كان النصيحة قد صلب كما يعتقد النصارى، أو لم يصب، كما يعتقد المسلمين، بما أنهم الله سبحانه وتعالى، إذ يقول في كتابه الكريم، حين ذكر اليهود وكرهم بآيات الله وللهم الأبناء: ﴿فَوَقَّلُوهُمْ إِنَّا قَلَبَانِ النَّصِيحِ عِينَانِ أَنْ يُبْتَجِعُ رَسُولُ اللَّهِ وَما قَالَوْهُ وَما صَلَّوْهُ وَلَا يَتَبَيَّنُ شَيْهُ﴾. ﴿فَوَقَّلُوهُمْ إِنَّا قَلَبَانِ النَّصِيحِ عِينَانِ أَنْ يُبْتَجِعُ رَسُولُ اللَّهِ وَما قَالَوْهُ وَما صَلَّوْهُ وَلَا يَتَبَيَّنُ شَيْهُ﴾. ﴿فَوَقَّلُوهُمْ إِنَّا Q بِنَ رَقْعَةَ اللهِ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

ولذا استحال أن يكون لهذه الألفاظ الثلاثة معنى عند مسلم يعتقد صدق ما أنزل على رسول الله ﷺ من القرآن، استحال أن يكون للفظ: «الخلاص» معنى مفهوم عنه، على الوجه الذي يعتقد منه بيني بالإسلامية وعقائدها.

ولذا استحال أن يكون لهذه الألفاظ الأربعة: «الخطيئة» ثم «الغفاء» ثم الصلب» ثم «الخلاص»، معنى عند المسلم الذي تدل عليه عند أصحابها، فكيف تكون جزءًا من ترازه الروحى؟ ألم هذا كلام يغلط، كلاًً ولا ريب، لا يعقله مسلم ولا نصارى ولا موجوم، ولا ما شئت من أصحاب العقائد والديانات، ولا يخرج عن أن يكون مخافة لا يستغل بمثله النصارى إرادة أن نشتبث مذلهنم، ولن يؤذنهم ويجرح مشاعرهم، أن يكون ضرحاً في التعبير عن
وجهه الخلاف بيننا وبينهم في العقيدة، ولكن ربما آذنا أن نتخذ ألفاظ عقيدتهم لهؤلاء، إدخالها في باب المذاهبة السخيفة التي لا تدل على عاطفة صحيحة، بل على آفة شديدة في هذه العاطفة. وكيف لا يؤديهم، وهم يعرفون أننا نقول لهم شيئا فيما يمش عقائدهم، ونحن نبنّن شيئاً غيره بل نبنّن في الحقيقة إنكارًا وتكفير القائل به، إن هذا الفعل أقرب إلى السخرية بهم والاستهزاء بعقولهم. وهذا بيان كاف في هذا الأمر إن شاء الله.

أما مسألة استخدام الشعر الجديد لهذه الألفاظ الأربعة، فلا بد من تحديد وجهة النظر إلى هذا الموضوع. فالشعر ترات عالٍ في كُلّ لغة من اللغات، سواء كان المتكلم بهذه اللغة مشركًا أو يهودًا أو نصارى، أو مسيحيًا، أو مسلمًا، أو حاجًا للكعبة كافروا به، فمن حقه أن يستخدم شعر اللغة للبيان عمدا في نفسه، لا يملك أحد أن يدفعه عن ذلك، وليس يجعل شعره حسنًا أن يكون اعتقاد الشاعر حسنًا عند قارئه، ولا يجعله حسنًا أن يكون اعتقاد الشاعر سيئًا عند قارئه. فالشعر، هو كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "الشعر كلام، فحسنه حسن، وردته رديء، فخذ الحسن واترك الرديء".

وإذا كان الأمر كذلك، فليس يعب شعرًا يقوله نصارى أن يأتي فيه بألفاظ أهل دينه، مادام صادقًا في التعبير عن نفسه بكلام جيد يدخل في باب الشعر. وأيضاً على النفس أَرْمانْ وأَحْوَالٍ، تكون بعض أفكاره العقيدة كأنها جُزّ شماً محبط بالنفس الإنسنية. شديدة وقدر فيها شديد النفيجر لها من نواحيها، فتعتبر الألفاظ عندئذ في غير النفس، تلوي معيّرة عن معانٍ مخزنة من تجارب القرون التي عاشت بهذه العقيدة، ومن التجربة الحديدة التي نبعث ونثبتت في نفس هذا الشاعر أو ذلك. فالناس من المعتقد في "خطيئة"، أي إنه ألمّا خطيئة لا تقحها توبة، وأيضاً ورد هذه الخطيئة في دمه، وأن تلك الهلاك الخالد. جائتم على روحه. إذا استدعاه الإحساس الطاغي الصادق في الإبانة عن كل ما في نفسه من ترات دينه وعقيدته وثقافته، فذكر بعد ذلك "الفداء"، "الصلب"، و"الخلاص"، في حَقّ موضعه من
الشعر، فقد أحسن الباياء الإحسان في الإبانة عن نفسه، وعنى أن يقرأ المسلم وغير المسلمين، حسانًا تَّمَّ عُرُقًا من عرفة، عادة النصرانية، فهناك لهذا الشعر اهتزاز لأي شعر آخر، صمَّم تناً مثيرًا عن إحساس صحيح نابض. وأظهر أن الذين يتكلمون في "معركة الشعر" لم يريدوا فقط أن يحجزوا على النصراني أن يقولوا من جيد شعرهم ما جادل قراءهم بالجيد من الشعر، ولم يستنكروا على ذا عقيدة أن

تجرى ألفاظ عقيدته في شعره.

ولكن الشيء الجوهبي الحرج، هو أن كثيرًا من رواد الشعر الحديث في السنوات الأخيرة قد أضاعوا في استخدام هذه الألفاظ الأبرية، وقيل معنى شعرهم، وهم جميعًا مسلمون، فأمر عندئذٍ يوجب إعادة النظر. أهؤلاء جميعًا كانوا على استعمال هذه الألفاظ الأبرية بدلًا من اللغة المجردة، لم يدعوا إلى تطليبها العقيدة المسيحية متوقفًا متواصلًا لا يتقطع حسب معانيها المتناiosa من "الخطيئة" إلى "الغفاء" إلى "الصلب" إلى "الخلاص" كما أسلفته بيانه؟

فإذا كانوا قد تواطأوا على استعمالها بدلًا من اللغة المجردة فما الذي أنتم لهم هذه الألفاظ الأبرية، ولم يضروا مكان الخطيئة مثلًا "الإثم" أو "الذنب" أو "ال الخبر" أو "المعصية" أو "الزنا" أو ما شابه؟ وكيف تواطأوا على تباعد الديار والأوطان، على هذه الكلمة، أي سحرها؟ ولم قالوا "الفداء" وأضروا، ولم يقولوا فقط: "الفترة" ؟ ولم قالوا "الصلب" و"الصلب"، ولم يقولوا "ال詳しく" و"المشقة" وهى أشهر وأعرف وأكثر استعمالًا إلى اليوم؟ ولم قالوا: "الخلاص" ؟ ولم يقولوا "النجاة" ؟ والجواب بلا شك أنهم لم يستعملوا بدلًا منها اللغة، ولا فكرًا في ذلك، لأسباب كثيرة جدًا، أغلبًا أن التواطأ على هذه الصورة في ألفاظ أبرية من اللغة، يدخل في باب الشحال عقلاً خذله، إذ زعم الزعم أن ذلك واقع من اعتقادًا ومصادفة، فطاب الألفاظ الأبرية التي تقوم عليها العقيدة المسيحية.

ومن المغالطة الفاسدة ما قرأته في صحيفة لويز عوض (المعرفة الآن)
بصحيفة الأهرام !! ) ، حيث زعم الكاتب أن أكبر ما أضافه الحركة الشعرية
الجديدة هو الاستعانة بالرمل ، ففصلت عند كثير من الشعراء ، رمزًا للتضحية الإنسان
في سبيل القيم التي يؤمن بها ، والإسلام يعرّف كلمة "الخطيئة" كما قال القرآن
ال الكريم : { وافغرو لي خطيتي يوم الدين } . وهذا نص كلامه . ولست أدرى كيف
يتكفل الناس هذه الأيام ، أباليهم دون عقولهم ، أم بهواجسهم دون تأملاتهم ، أم
بخطراتهم دون أفكارهم ؟ لماذا كان "الصمب" رمزًا للتضحية ، ولم يكن القتل ،
ولا الشقق ، ولا المثلنة ، ولا "الخازوق" ،داماد الأمر يتعلق باللفظ دون دلالته
المرتبطة بمصطلوب بعينه أو مقتول أو مشوق أو مثول به أو "محجوز" !! وأما
الخطيئة "فلم بقل لنا ما هو الرمز الذي أُذِيدْه لـ . والإسلام كما يعرف
الخطيئة " ، وهي التي يحتببها أبناء آدم ، يعرف "المعصية" و "الذنب" ، وقال
في ذكر آباؤه آدم : { وَصَبَّ عَلَيْهِ نَارًا فَخَلَّلَهُ } . ولم يُلمَّ معصية آدم "الخطيئة" فقط .
فهذه مغالطات مفيدة . ( وبالمرة يحسن أن يقتال لهذا الكاتب ألا يضع سبيل
المستهدين بحقوق الأفاظن والقول ، فليس في القرآن آية كاتبة ذكرها ، بل الذي
قال الله تعالى : { وَلَدِّي أَطْعَمَ أن يُفَرِّقُ لِي خُطِيطِي يُؤُورُ الْأَبْيَضُ } . فلزم التنويه ) !

باللعلج لصحيفة الأهرام !! ما أشبعتها وخطفواها بما نشر فيها !

وقد ذكرت هذه المغالطة ، لأنها هي الطريقة المستعملة حديثًا (!!) في
tلفظية ، ولأنها هي السبب الذي يُلْقي على الحقيقة المفروضة ، مضاعفًا إلى توازي من
ذكر "التطور" وسائر الأفاظن التي تباغ الآن في الصحف منظومة في الأعمدة ، كما
تبايع عقود الفن والبابلين على الأرشفة !! ولكن من البين أن هذه المغالطة قوية
مكشوفة ، كما سلف . والحقيقة أن الأمر كله ينصب في كلمات قائل :

فهذه الكلمات الأربع ، وهي أمل العقيدة المسيحية ، لا يمكن أن تقع اتفاقًا ،
فيتوقل عليها بعض الشعراء ، لا عن عقيدة ، بل عن رمز ليشيء يجدونه في حياتهم ،
فلا يوجد إلا هذه الأربعة بأعيانها . هذا باطل بالطبع . ولكن الواقع أن في بعض
البلاد و بعض الأفاظن من جعل ذيده في شعره ، ذكر هذه الأربعة ، ولا يعلم أن
يذكرها لأنه مسيحي يعيشها عقيدة واقعًا ، يجمع ما تلزم العقيدة من امتداد
معاني هذه الأفاظن وروابط بعضها بعض.
ولكن هذا الضرر من الشعر، قد تولى منذ قديم بعض صبيان المبشرين الترويج
له، والإكثار من التمثيل بأنه الجليل الذي لا جديد غيور، وأكثرنا في ذلك الصخب
واللجاجة في الصحف والمجلات، وقررنا ذلك تشبيه شعر "إليوت"، ومذهبه في
تحديد الثقافة، وأن ثقافة الشعب، ودين الشعر، مظهران مختلفان ليست واحدًا
لأن "الثقافة" في جوهرها تجسد لدين الشعب، وأن السير إلى الإيمان الديني عن
طريق الاجتناب الثقافي، ظاهرة طبيعية مقبولة. هكذا يرى "إليوت".

ويمكن وحيد شديد، مزيج بين "إليوت" ومذهب، وبين هذا الشعر الذي
يحمل هذه الألفاظ الأربعة في قطعة غريبة الأطوار من دراويش جبل لبنان، ولجأت
الدّعاة بالحقبات الطائفية، واندمجت في كل بلد عربي ركاز لى هذه الأبوآ، تذكَر
ما يلقي إليها تلقتَه، وظاهر في مصر في أوائل هذا الوقت صبَر على الخلاوة المشهورة
تحت أشجار القدار، واطلقته طائفة على شاكنة، وكان ينشد في الجامعة
MODERATION ENGLISH،كتب شعر بارتوليند الذي دلّث عليه = وكان الصبي القديم
"سلامة موسي"، قٌد هّرم وصاية كلهًا لأُغِلية المبشرين في مصر = وبدأ لويس
عوض نفث السموم، فصادف ذلك شبابًا قلًا محصولهم من البلد في القراءة،
وتمكنوا الشيء الذي يلقي إليهم فلا يفهموه ولا يجربوه، لأن نظام دنلب كان قد
انتهى إلى غابتة في قلب اللغة العربية في عُتّر دارها، في مصر، ولا يزال يفعل، إلا أن
تدلهم الحزام المخلصة.

فمن هنا بدأت هذه الألفاظ الأربعة تأخذ طريقها إلى أقصى هذه الطائفة من
الشعراء المحدثين، مقررة بالحقبة المبتدأ لموازين الشعر القديم. فكان المسلمون
من هؤلاء الشعراء، إنما يستعملون هذه الألفاظ لظهم أنها جزء متمم للجديد الشعر،
والاجتماع بواقع الحياة التي يعيشونها، بما فيها من آلام الخيرة والضياع والاستبداد
والخوف، فكان لهذه الألفاظ الجديدة بحث في نفوسهم، فأتخذهما تقييدًا، بلا
فعّال لما تطوى عليه من الدلالات. وكلما نشأ ناشئهم منهم، قام له من يلقي عليه
هذا الشعر، وتأتيه، ويدفع شعرها، حتى يجذب إلى تقبيله آخرين. فتشتت الكلمات، وطلب
عليها بعض الأمد، فلما جاء الاعتراف عليهم، التمسوا تفسيرًا لهذه الألفاظ المقيدة
التي لا ضدى لها في نفوسهم، فقولوا هي «رَمْزٌ» فإذا سألتهم: رَمْزٌ لماذا؟ ولم كانت هذه الأربعة دون غيرها هي الرموز؟ = لم يجروا جوابًا، إلا كالجواب الذي أسلفنا ذكره، بما فيه من المغالطة. فالأنوار كُلٌّ مبنية على تقييد مجزؤٍ، لا قيمة له، فالملأ قد لا يفلح أبداً، وإنما يُفلح من جراء الإحساس بالشيء من قراءة نفسه، وقيل: ما هُم في كُلٍ من يتكلم.

وفي هذا الأوان نفسه، يقوم لويس عوض وبعثانه بتفسير آثار توفيق الحكيم، ونجيب محفوظ، وصلاح عبد الصبور، على أساس: من مفهوم هذه الألفاظ الأربعة، وأنهم وإن كانوا مسلمين، فإن آثارهم التي لا تحمل هذه الكلمات الأربعة بضعة تحملها جميعًا بمعناها ومنهها؟ وهذه إحدى الأعجوب، ولكن ليس بعجيب أن يكون المبشِّر الداعية إلى تحقيق المجتمع العربي في خلال هذه الفترة الشديدة الخطر، قد لنُفَّ كنما لنَفَّ غيره من الأسواق في أماكن مختلفة، بين كتاب وشعراء، أن بيداً بث هذه الأفكار التي تُوضِّح الشعور باليفقحة، وتشكل في الماضي، وتتلجم الأشياء التقليدية، أي الكذب على النفس وعلى الناس.

ولقد قطعنا الزميل القديم، مندور، أما كنت فيه من أمرهمية وتاريخها وأثارها، وكنت أرشاد أكبر.: وهذه هي أخطارها، ولكن انصرف عن ذلك أثناء الكتابة، وإن كنت أظهر الأمر قريبًا من قريب، وإلى الأسبوع القادم إنشاء الله.
... وهذيه هي أخطاءها

الرسالة
الخميس 26 رمضان 1384
لقد أحسن الدكتور محمد مديور من حيث لم يُدرّ، ومن حيث لم يُدرّ، إلى... وإلى الناس، حين كتب ما كتب في مجلة "روزápويض"، فقررني عن قضية العامة واستتبذوها بالفصحي، إلى قضية أخطر منها وأشدّ تأثيرًا في أثناها هذه، لا بل هي أوغل في التدمر الذي يراذ بنا، وأقفل بالعقل والنفس، وأشغب أثنا في حياة كل فتى وفتاة من أهل الإسلام ومن أبناء العرب. وقد عانتها من الوجه الذي لا يجوز لعامل يعيش ما يقول أن يعالجها من وجه غيره، وهو البيان الصريح عن معاني الألفاظ، وما تحمله فيه طياتها من تاريخ متصل، وما تتطوى عليه من عقيدتي متكاملة متصلة، نقلي كل معني، إذ أراؤه مريد، أو تختي مختي، أنه قادر على أن يُفسّر عن هذه الألفاظ دلالاتها في صلب العقيدة المسيحية، وهي الألفاظ الأربعة التي تدور في ألسنة بعض الشعراء من أبناء الإسلام اليوم، وهي "الخليفة"، و "الفداء" و "الصلب"، و "الخلاص".

وليس يجد شيئًا ولا يغفل، أن يحتال محتالًا فيما يعلم أن هذه الألفاظ رموز لمعان إنسانية مجزرة، كلاً من الصم، وفي سبيل القبيحة أو السيد الذي يؤمن به إنسان ما من الناس، لأن مئات من الألفاظ في لغة العرب، وفي غير لغة العرب قادرة على أن تكون رمزًا لهذا الشيء نفسه، بمجود الدعوى عندئذ. فهذه "الألفاظ الأربعة" إذا خلطت من دلالاتها في عقيدة أصحابها مستعملاتها معتقدها، صارت كسائر ألفاظ اللغة، لا تحمل شيئًا إلا معناها اللغوي المجرد. فيمز ألط البال أن يجعلها أموًا صالحة لأن تكون "رما" بدلالتها اللغوية المجردة. وإن كل لفظ في اللغة صالح عندئذ أن يكون "رما" فلا فرق في ذلك بين الألفاظ اللغوية، والنهجية المتعلقة لهذه الدعوى، أن كل أمر مباح له أن يجعل في كل لفظ في اللغة، رمًا لم توجهه هو، وإن كان غيره من الناس لا يرى له معنى مفهمًا عنده، إلا...
معنى المتدؤول المعروف. وكذلك يصبح الناس يومًا، إذا سارت الشعراء والكتب هذه السيرة، وإذا اللغة ضربت من الخيل، كفلاً الموسية، والمذكورين، لا يفهم أحد عن أحد شيء إلا بمجسم خاصٍ بكل شاعر وكل كاتب! وخير الناس يومئذ أن يعيشوا بين أسورٍ مسورة، كالأسوار التي تطلق من ورائها إنسان مثل لويس عوض.

وفLAN وفلان، ممن يقرأ لهم المرء فيقع في دوار كذبٍ أو دوار البحر البحار.

ومع ذلك فين عندي، وسيكون بيتًا إن شاء الله عند كل قارئ في قضية العامة واستبدالها الفصحي، وقضية استعمال هذه الألفاظ وأشياءها، هما في الحقيقة قضية واحدة، لا من حيث مالها وعوائقها، بل من حيث مضمارها وننبعها أيضًا. ولذلك ظنني لم أفرق الموضوع الذي يدنقه، إذ كنت قد أظهرت إلازمًا أن أجعل إحدى القضيتين تدخلًا الأخرى وتثبت في سياقها. وكان السياق أن أفرغ من قضية العامة واستبدالها الفصحي، ثم أتفقها بالقضايا النابضة من حيث نبعت هذه القضية. وإن شئت أن أقول إن لى أسوة حسنًا بأسلبه من أهل هذه العربية، يوم كانوا يُشذبون الاستمرار بابًا من أبواب التخفيف والاستجمام، حتى لا تُنشَّكَّة النفوس على احتمال باب واحد من العلم، فتختلونه بآشاهه وتفاقسه وما بِهِ بسبب من الانصلاق أو المفارقة، ليكون ذلك أروع الفنض، وأدعو إلى احتمالها موضوعة الثقب في التزام باب واحد من الفكر، وأقول للمملل الذي يأخذ بأكاذيبها حتى تضيق بما تقرأ أو تسمع، وكان رأس هؤلاء أبو غصمان الجاحظ وأبو العباس العبَّار، وغيرهما من الكتاب والأدباء والعلماء والشعراء أيضًا.

***

فأنا أعود إلى حيث قطعت الدكتور متدور مشكورًا على ما فعل. وقبل أن أعود إلى وحل ما انقطع، أجعله حكماً على أن أدل القارئ على شيء وقع إلى من أياً قائلًا إثباطًا، فإنك كنت في المقالة الثامنة شيئًا عن تاريخ المعركة بين العالم الأفريقي المسيحي، والعالم الإسلامي العربي، ورسمت صورة مصورة لما كان، وقلت:
«إنها صورة لا يكاد يخطئها من له أدنى إلمام بتاريخ الغزو الأوربي المسيحي للعالم الإسلامي» (1)، وذلك إذ يُثبت أن تجارب الحرب الصلبية، وحروب آل عثمان من الترك، قد دلت على أن مواجهة العالم الإسلامي بالانقسامات المسلّحة، لا تُجدي إلا أنعبات قوة متماسكة شديدة البأس والحُطْر، خليقت أن تستره شبابها، مهما كانت في كيانها من العيوب. فكان من الحكمة أن يتجه العالم العربي المسيحي مواجهة العالم الإسلامي. وكان من حسن التدبير والتفاوض، أن تدور هذه القوة الأوربية المسيحية الجديدة، حول العالم الإسلامي، وتجد في أطرافها البعيدة بمهمة وحذر، فتنغبز أوربا دبئياً حول هذا العالم، وجعلت تطرق شواطئ الإسلام في إفريقية وآسيا بطلو من الغفور تحتها، ثم تنفذ من كلّ نفر إلى بِدن العالم الإسلامي شبيهاً فشيئاً، بحذر، وبلا ضجيج يزعم. وانتهى من كل مثا إلى أن أقلّ هذا الغزو تكاثياً بالعالم الإسلامي هو المجري، وأبلغه قبرازاً هو التجارة، وأفتكه بالجيش الذي يسكن العالم الإسلامي، هو التهير، وذهب إلى أن التهير ليس معناها أحد قفة من الهان والقسوة على الدعوة إلى دينهم، من حيث هو عقيدة يسمعها المرء فوراً أو ينكرها، فهذا أبسط، بل معناه أنه أشكّ أسلحة الغزو الأوربي المسيحى، ويراد به إجهاض العالم الإسلامي لسيطرة العالم الأوربي المسيحي. بوسائل خبيثة من التدمير والتدمير والهدم، في كلّ ناحية من حياتنا الاجتماعية والسياسية والأدبية، وإجهاض عقل المسلم العقل الأوربي. وطرق تفكيره، لينشأ في هذا العالم من أبنائه ضرب من المجوس، يكون عيباً تدليه الطريق لأقدام السادة الطاغية، من حيث لا يرى أحدهم أنه عبد مطهر، يعملُ في سيادة هذه الحضارة الجديدة على حضارته، بل يعمل على هدمها واستمالها من نفسه ومن نفوس أمته.

فكان من الاتفاق أن وقع في بِدئ منذ أيام قليلٍ كتب مترجم بعنوان «العالم والغرب»، لكبر المؤرخين الإنجليز في العصر الحاضر، وهو أرثر توني في، فإنه نظر إلى هذه المسألة نظرية مجزية، وإن كان لا يخلو، بل تُربَب عليه، من أثر

(1) انظر: ص 149.
الفكر الذي يُقدَّم نفسه سيّداً في هذه الأرض، لا ينزعه فيها منازعٌ، وهو الفكر الأوروبي المسيحى المتطرّس، وسأنيق كلامه، لا لأني ممن يشغّل نفسه بالتماس تأييدًا لما يقول من أوروبي، فإن هذا لا يكاد يكفي لي باللائي. وأني منذ رفضت أن يكون عبدياً لهذه الحضارة الأوروبية، كما أرى نظام تعلّم دلوله في مدارسنا وجامعتنا أن يجعلني، رفضت أيضًا أن أجعل لعقول هؤلاء الناس سيادة على عقلي بل أنقله ليعمل كثيرًا من المفتوحين من الشباب البريء الطامع إلى المعرفة، الطالب للحق، العضال عن الحق، الساعي إلى إحياء أمه، بعد الذي رأى من آثار العودية والذَّل على جاهالأبنادها، أنه قادر بالتأمل واليقظة وحسن الإدراك، أن يعرف الحق بجهدة وإخلاصه، إذا أدرك حقيقة واحدة: هي أن هذا العالم الأوروبي الباغي، عدْ له شديد العداوة، وأنه ما أدرك شديد المكر، وأنه خبير يشير الخبرة بشديد الأحمد وردها الفقهى ممّا في الغموض والحيرة، وأنه لذلك خليط أن لا يأمن أحدًا، مما كان شاؤة على دفعه بذئها، أو بذئها يدعو إليها، وأنه عليه أن يحترم الأنسى، فإن السكان أدرك من، إذا خان، وأصدق شيء إذا حمل الأمانة وأكاها على وجهها. وسأنيق هذا نينا فيما أكتب إن شاء الله.

عقد تونيبي: فصلًا في كتابه سماه الإسلام والغرب، لا يستطيع أن أنقذه هنا بحذافيره، ولكني سأنيق منه ما يدل على هذه الصورة التي رسمتها، وعلى أن اللغة الفصحى التي برد هدمها وإزالتها، ليست من الهولاند، وإنها حكومات العرب والمسلمين، لا من حيث تقول نحن، بل حيث يقول هذا الإنجليزى المؤرخ قال:

وبعد فشل الأراك أمام أبواب فينا عام 1683، كان يجب أن يتم الهجوم المعاكس الغربي على العالم الإسلامي، في يوم أو آخر، ولكن تأخر في الظهور بسبب الصورة التي كانت في مخلّة الغربيين عن شجاعة الأراك والمسلمين وسلطانهم العسكرى. وقد أجاب العالم الغربي على استيلاء الأراك على المسيحية والأرثوذكسية الشرقية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، بتأمّين سيادته على البحر، لتطبيق البلاد الإسلامية، عوضًا عن مقابلتها وجهًا لوجه، كما فعل خلال
الحروب الصليبية التي كانت نتائجها وخيمة عليه (1) وفي طوافهم حول إفريقيا، وصل البحرى البرتغاليون إلى الشواطئ الغربية للهند، سابقاً بضع سنوات إلى هناك المغول، آخر موجة من موجات الإسلام التوسعة، هؤلاء الذين قدمو من آسيا الوسطى بطرق البر. وعندما حقق الإسبان ربط المحيط الأطلسي والهادئ مرورًا بحكم بيزابوك، قامت في الفلبين حواجز جديدة أسوية هذه المرة، بين المسيحية الغربية والإسلام، الذين لم يتجاوزا حتى ذلك التاريخ، إلا في القرن الثاني من العالم، في وادي النادي، وغاري المتوسط. وهكذا في نهاية القرن السادس عشر بفضل السيطرة على البحار، استطاع العرب أن يطوق البلاد الإسلامية، ولكن لم يخطر في شم الحيل إلا في القرن التاسع عشر، فيما بعد، وحتى ذلك التاريخ، كانت فكرة بسالة المسلمين العسكرية تفرض القدر على الحربين، وتشد عزم المسلمين أنفسهم لتجعله واقعاً مفعلاً من أنفسهم. وهذه الثقة المبنية، قد علّقت عليها دينياً، فشيئًا على آخر الفشل المتالى الذي مثله با الإمبراطورية العثمانية، وبقايا الدول الإسلامية، وقد كتبهم إحدى خصمه مجهزًا بأسلحة غربية، يملك التكنولوجيا العلمية، اللذين تقوم عليهما الحرب الحديثة».

ويؤسفني أن الأصل الإنجليزي لم يقع في يدي حتى أترجمه، ولكن هذه الترجمة على ما فيها، مفهومة المعني، وهي نص ما قلت في كلمتي الثانية. ومن الين أن مورّضاً مثل «تونيتي»، لا يبقى القول جازاماً في أمر هو من صلب مادته، وفي جزء لا يتجزأ من تاريخ حضارته، ولكن في هذا الفصل، حين كلّ ما جرى في تركيا إلى أن جاءت نكبة مصطفى كمال، كان ينظر كعادته من خلال عقيدته في الحضارة الغربية المسيحية، كما يفعل موعزور أو غير موعزار كل مفكر أوروبي، وهي أن السيادة التي بلغتها الحضارة الأوروبية في كل شيء، خاضعة لطريقة العيش الغربية، وأن الهيمنة والإجهاد لا يتم إلا باعتاد مبادئ الحضارة الغربية، ومهمها بلغ عقله «تونيتي» وذكراه، فإن هذا لا يمنع من أن يكون رأيه فاسداً في مثل هذه

(1) يحسن بالقارئ العربي أن يتأمل هذا القول في آنٍ واحد، لينبغي حقيقة ما يدل عليه بعض الكتب من الحرب في شأن الحروب الصليبية!!
الأمور، لأن العقل الذي لا ينصب أن الحياة البشرية قادرة على صنع الحضارات، بل استناداً إلى "طريقة العيش الغربية" و"اعتقاد مبادئ الحضارة الغربية"، عقل قد أسقط من حسابه أن الحضارات، قامت وعادت، من قبل أن تكون الحضارة الغربية وأصولها جميعًا على ظهر الأرض، وأن هذه الحضارة إذا بدت واستبعت، فإن الإنسان أيها كان بعد ذلك، قادر على أن يبني حضارة جديدة تنافس هذه الحضارة الغربية في "طريقة العيش"، وفي "مبادئ" التي يدعىها.

ولكن آفة العقل الأوربي، أنه لا يرى في الدنيا إلا نفسه، ولا ينظر إلى الحضارات إلا من خلال ما صباه وحاسره، وصدق الله: "أفلِمَ أن تسيروا في الأرض، ف长途كم كله كان عشبة البغيض من فلّهُم، كأنّهُم أُسُحِّبَ أَخْرَجُتُهم وَأُسُجَّدُ فِي الأَرْضِ فَقَمْ أَنفِقُ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فَلَا جَهَةُ فِيهِم مَّا سَلَأْتُ بَيْنَ مَنْ بَلْغَى فَخَرَجُوا يبُسُّون" من آية فيلهم من أهل يسرا، وسُجِّدَ يبَيْهِم مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ.

وأي هذا العقل الأوروبي قرُح بما عضده من العلم، مستهزئ بكل ما لا يطابق ما يراه من حضارات الماضي، وحضارات الآخرين، بعد أن نكّت الحضارة الأوربية المسيحية عن أن تكون حضارة لها شأن يذكر، وإن ذلك لكي يكون من شاء الله.

وليس من همّة أن أنقض على "نعمتي" فكره ونظرته وتحكمه، بل من همّة أن أكشف عن أماب يتبنّيه، لأن صلة وثيقة بما نحن فيه، وهي متميزة له يعرف بها، وينبغي أن يكون واضحاً أننا لا ننسى الناس فضائلهم من أي أهل لسان كناوا، ومن أي أهل ملة نعرفها، فهو بعد أن خلل موقف تركيا من الحضارة الغربية قال:

هناك بدون شك أفكار ومبادئ غربية أخرى هي أبعد بكثير من أن تكون حسنات، سنتكشف بذكرا واحدة منها فقط، هي المفاهيم الإعلامية، والإرشاد كسائر الشعوب الإسلامية، انقلت إلهم عدوى القومية، وطرأت ثرواتها على حضاراتهم الغربية، والصالحة منها والطالحة، ونستطيع أن نستنفر على نتيجة شروط هذا البدء إلى العالم الإسلامي، حيث تعلم التقاليد الموروثة أيها عن جد (إنه ليس تقليداً، بل هو دين من مصائر عروف) على يد رب العالمين.
يفضل دينهم المشترك، على الرغم من الاختلاف في العنصر، واللغة، والوطن. في
هذا الوقت، لنا ملء الحق أن نتساءل عما إذا كانت الأبوة الإسلامية التقليدية،
ستحمل حلاً للمشكلة الاجتماعية، أفضل من الحل الذي يقدمه التقليد الغربي القائم
على الاعتراف بانتقلات وسياسته لكل أمة. إن المجموعة العربية بوضعها الحالي، منذ
الحرب العالمية الثانية، قد تقسم وشككت إلى أربع دول وسيدة مستقلة، أي أن
البيت قد انقسم على نفسه. ومع ذلك ما زال الغرب مقدار كافٍ من النفوذ في
العالم كي تحتفظ جرثومة القومية بفعاليتها. وإذا لُنُقِلَ أُلآنى هذه الجرثومة تتكرر
في العالم الإسلامي على الأول، لأن الوحدة السياسية والاجتماعية على مستوى
واعتياد عالميين، هما ضرورة لسلامة الإنسانية اليوم، في الحقيقة الدينية النووية،
أكثر من أي وقت مضى. وقد قدم الشعب العربي بقيادة أتاتورك، خدمة كبرى
للعالم الإسلامي، بمحاولة حل مسألة الاستغزا (أي الخضوع لطريقة العيش
الغربي)، واعتقاد مبادئ الحضارة الغربية، المعروضة على جميع الشعوب، تبتينه
 دون تحفظ المفاهيم الغربية الحديثة، ومن بينها القومية وغيرها. غير أن باقي البلدان
الإسلامية، ليست في حاجة لأن تتبع تمامًا الطريق الذي خطته الأتراك.

ثم يقول: "تونيني" في إثر ذلك:

"إن هناك بلدان إسلامية، عربية اللغة، وإذا كانت لغة التخطيط تختلف حسب
المناطق (ويعني اللغات العامة)، فإن اللغة الفصيحية واحدة من شواطئ الخليج
العربي، ومن حلب والموصل شماليًا، حتى الحرفوم وعدين وسقطر وجنوب.
تنوعها. جميع الكتب والصحف الصادرة في القاهرة، دمشق وبورتو، تُقرأ في هذه
المنطقة الشاسعة كلهما، وحتى خارجها، لأن اللغة العربية هي اللغة الدينية لجميع
البلدان الإسلامية، حتى تلك التي لا تستخدمها في التخطيط. فهل من الضروري
أن يُجزى هذا العالم العربي إلى عشرين دولة مستقلة، تعشى بعزلة تامة عن بعضها
البعض؟ وهل من الضرورة حقيقة أن نرى العالم العربي يتفقك ويتجرأ، كما حصل
مع الأسس للإمبراطورية الإسبانية الأمريكية؟ إن هذه التجزئة تعتبر من أخطر نتائج
حضاراتنا الغربية، وسيكون مؤسفًا حقاً أن نرى الشعوب العربية تنسى على مدارنا في
هذه الناحية."
و «تونيني» أحد أذكياء المؤرخين، وعلم من أعلامهم، ووثق كهفاه وعلمه، اعتن بهما وعلمهم، ليوال من يعلم عليهما من عدوان أو خُلقة، أو كان الناس بعذوبة أو رحل، أهل حكمة ورأي، من أهل جلدتتنا. ولكن، حين ذرع المسألة التركية وحلتها، كان ناضلا خضوعًا تأثراً لوراثة قومه عداوة الترك، لأنهم كانوا كتباً من كتاب الإسلام في مَثَل ثلاثة عشر قرنًا، صمدت جدار الحصن المنيع الذي اعترضت به أوروبا المسيحية، منذ عادت أراجها هزيمةً عن أخر معركة صليبية، ثم نفذت فيه، وترك كماله الله تعلو فوق شواهد جباله. ومع كل ذلك، فقد كان الرجل صادقاً في نظره، وإن أسامى تصوير المسألة التركية، وذلك لم تتحبه هذه العلة القاضية في بعض نظره، من أن يفضي إلى نتيجة صحيحة، حين نظر إلى العالم العربي، وأناذكر مثلاً قومه، من أن لهم سلطان، إلى أن تفتتح وحدنا إلى دولات لا تقوم واحدة منه في هذا العالم بنفسها، وهم بلغت من القوة، ولا سيما في هذا العصر الذي تتزاور السبادة فيه القوى العالمية، في الكتلة البشرية المؤثرة العدد. فإذا قل العدد، فالقوى العالمية لا تجد نفعًا يذكر في هذا الصراع الضخم.

ولم يتفق «تونيني» في نظره إلى المسألة الإسلامية، من داء الحضارة الغربية المتوسط، وهو التفرقة بين الأجانب، وإن انتقدت العقائد. فذلك عند الترك، لأنهم ترك، جزءاً منفصلةً عن القومية العربية، كما فعل ذلك بفارس، وباكستان، والهند، وسائر بلاد إفريقيا وغيرها، لأنهم جنس غير عري الأصل، هذا مع نبيهم إلى أن الإسلام يوجه على المسلمين أن يكونوا إخوة، لا يفرق بينهم اختلاف في جنس، أو لغة، أو وطن.

ولكن لو كان «تونيني» أعاد النظر وهو يرى من داء قومه في النفرة النصبية، لعلم أن الأمر كان على غير ما يتضخم، وعلى غير ما يراه اليوم في ظاهر أمر هذا العالم الإسلامي، بعد البلاء الذي تزول به من مكاييد أهل جلدتته وملته. فكل أمينة دانت بالإسلام من غير أهل جزيرة العرب الذين تجروا على عهد أبي بكر ثم عمر وعثمان وعلي ومعاوية، وسائر خلفاء الإسلام من بعدهم، كانت بين أحد أمرين: إذا أن تدين بالإسلام، ثم لا تلبث أن تطرف ماضيها كان من لغة ودين، ثم تتخذ العربية لغتها، والإسلام دينها، وتخلق العرب مخالطة ثابتة، حتى يذهب الجنس كله.
أو أكثر، إلا بقاتاً قليلة، وتدخل في العربية، كما حدث ذلك في العراق والشام ومصر، وبلاد المغرب إلى أرض الأندلس، وعند العرب، لغتهم الأولى، وتحتفظ بشيء من لغتها، كما كان الأمر في فارس والسماء، وبعض قبائل الترك والأكراد وغيرها، في كل مكان تعالي فيه الأذان، ونُكّل فيه القرآن.

ولكن هذه اللغات الممتعة، لم يعتصرها امتناعها من أن تفقد شخصيتها التي كانت لها في جاهليتها قبل إسلامها، فانقلت اللغة الفارسية القديمة إلى الفارسية الحديثة، ونصف معجمها وأساليبها، وأوزانها آت من العربية، حتى صارت لسانا آخر غير لسان الفارس الجاهلي. وكذلك الأمر في لغة الترك والأكراد، وسائر اللغات في آسيا وفي إفريقيا، وتستطيع أن تسهم هذا تعزيزًا، لأن هذه اللغات قد صارت ذات نسب قريب بالعربية، من حيث فقدت كل لغة من هذه اللغات أكثر خصائصها الجاهلية، وأزالت نفتها الدخول في عربية القرآن. وهذا أمر يبنيه التنبؤ.

ولم يكن الذي معه هذه اللغات أن تزول وتحل محلُها العربية، كما تمت ذلك في بلاد العرب التي تعرّفها اليوم، كالعراق ومصر وشمال إفريقيا، أي المغرب كله، والسودان، أن أهل هذه اللغات حين أسلموا استمسكا ببنسيطائهم، ولم يتبادوا عنها جوًالاً. كلاً، ولكنهم فقدوا الأسباب التي أتيحت للبلاد إلى صارت عربية خالية.

فمن هذه الأسباب قلة هجرة القبائل العربية إلى هذه الديار، ونولتها في قرها المنتشرة ومدنها وعواصمها، كما نزلت في مصر والعراق والشام وسائر بلاد إفريقيا، ولا سيما في أزل الفتح، وتبني نولتها فيها جليلًا بعد جليل. ومن الأسباب أيضًا أن شبابها لم يك يضاف لغة قومه إلى عربية القرآن، حتى جذبها الحواضر الإسلامية الكبرى، كبغداد، ودمشق، والقسطنطينية، وبلاد المغرب إلى الأندلس، ففارس أرض قومه في طلب العلم، وفي طلب الجاهز، وفي طلب الثورة والسلطان، فلم تتأصل هناك طائفة تكون لها الغابة في تحويل لسانهم من فارس إلى عربية محضة. ومع ذلك، فإن يكن آلاف من أبناء الفرس قد هاجروا واندمجوا في العرب حين هاجروا، فإن سيادة العربية، عربية القرآن، قد هاجرت بالنافذة من الألفاظ.

فعتبت اللغة الفارسية القديمة حتى أحلاتها عن الرجل الذي كانت عليه في جاهليتها.
ومع ذلك، فهذه البلاد جميعها، من حدود الصين إلى آخر المغرب، ومن أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، قد أخرجت آليًا مؤلفة، في فترة قصيرة جدًا، من أفذاذ علوم العربية، وفناء الدين، وبلغاء الكتاب، ونواحي الشعر، وأعمال الفاتحين، وأخرجت كل متفوّق في باب من أبواب المعرفة الإنسانية، وكل مفكر مشهور في ناحية من نواحي الحضارة، بلا تمييز بينه على الجنس في شيء من ذلك كله، بل جميعهم ينتمي إلى عقيدة واحدة هي الإسلام، وإلى لغة واحدة، هي لغة الإسلام، وهي العربية، والجنس العربي نفسه، لا يجد ما ينتمي إليه غير هذين: هذه العقيدة الواحدة، وهي الإسلام، وهذه اللغة الواحدة، وهي لغة الإسلام، بلا فرق في ذلك.

ومصطفى كمال أتاتورک، الذي زعم "توبيني" أنه قدم باللغة التركية خدمة كبرى للعالم الإسلامي، بمحاولته حل مسألة الاستغراق باتخاذ الأفكار المصرية دون تحفظ، ومن بينها "القومية"، قد أساء إلى الشعب التركي غلبة الإساءة، لأنه عاق سير التاريخ ودمر ببان الماضي، وجعله ركاماً على الطريق بضرده، وأنزل بالعالم الإسلامي نكبة كبرى، بفقدانه غضوئ من أعضاياه الذين حملوا العلماء قروناً متعاقبة، بلا تمثيل، بل بصير وقوفة ودماء تسيل. ولو كان مصطفى كمال عاملاً مدركاً لما ينبغي أن يفعل، لما حاول ما حاول من تدمير اللغة التركية، وتدوير العقيدة التي ينتمي إليها الترك، وإنشاء شيء يقال له "القومية التركية". كان سير التاريخ يقتضيه أن يحول الشعب التركي مرة واحدة إلى إتمام العمل الذي تم تضمه، وهو جعل اللغة التركية "اللغة العربية"، وجعلها فرقًا من "اللغة العربية" التي لا قوام لها إلا الإسلام، والذي ينتمي إليه التركي بنفس القدر الذي به إليه ينتمي العربي.

وأيضاً، فالذي فعله مصطفى كمال، لم تكسب به تركيا شيئًا، بل فقدت ماضيها، وشلت حاضرها؛ وهددت مستقبلها، وصارت كأنها تأتي تحت في بادئة يطيوفها سرابًا من آمال لا يمكن أن يتحقق. و "توبيني" نفسه يعرف هذا، وكلمه
دائم عليه ، وإن كان مما يثير عليه أن يقوله صراحة. وكل بلد إسلامي، انتهى عراةً التي تربطه بالعرب مهدداً أن يصب إلى نفس الامية الذي وقعت فيه تركيا، إذا ابتلى بمن يقودها إلى هذه المتاهة، كما ابتلى تركيا. والخطر أشد استحكاماً وتهديداً لبعض الأجناس التي كانت محتزمة في بلاد عربية، إذا هي حاولت أن تقدد تركيا، فتنزع نفسها من تاريخها العربي في الإسلام واللغة. ونحن، أهل القومية العربية، ملزمون بأن لا ندع شيئاً يغري بعد اليوم أحداً على أن يهلك نفسه في هذا الامية، لأن هلاكه أيضاً هلاك لنا غداً، عرفنا ذلك اليوم أم لم نعرفه. ولا سبيل إلى نجاتنا ونجاتهم إلا بأولئك جماعاً إلى القومية العربية، أي إلى الإسلام الجامع لنكل جنسي منا في أهواء واحدة، وعادة واحدة، واللغة العربية، لغة الإسلام، بإصرار كاملاً على تحضير جميع العواقب التي تحول بيننا وبين هذه الغاية. وسألناها هذا بعد قليل.

وإذا كانت «تونسية» قد فرع، بعد حديثه عن المسألة التركية، من أن يرى العالم العربي مفهماً مقسمًا إلى عشرين دولة مستقلة، ويرى هذه التجزئة أمرًا يدعوه إلى الأسف، كما يأسف على بؤس ما سافر الإمبراطورية الإسبانية الأمريكية!! إذا كان «تونسية» قد فرع، فبتسد أن يكون سنده فاقدًا، لا من تجزئة العالم العربي، ولكن بل من تجزئة العالم الإسلامي، الذي هو الصديق الحاضر العتيق بتراث ثلاثة عشر قرناً من الأحمر، ولم نكد تؤثر في شعوبه وجماهيره كل المكايد التي كبرت، ولا التكبيرات التي نزلت، وعلى ما نكمية انفصال الدولة التركية عن الشعوب العربية أو على الأضيق، محاولة الدولة التركية أن تفصل الشعب التركي عن إخوانه من الشعوب العربية.

وقد تباهت «تونسية» إلى اللغة الفصحي، وأنا هي الرماة الوثيق الذي يمنع البلاد العربية من الفنكو، من شواطئ الأطلسي في المغرب، إلى حدود فارس العربية شرقاً عند شواطئ الخليج العربي، ومن حلب والموصل شمالاً، حتى الحرات واعدون ومستعمرات ونجار جنوبًا، ولم يلق بالأنا إلى الذي سماه «لغة النخاطب»، وهي
اللغة العامية، لأنه يعرف أن أيسر الجهد والصدق والفهم، قادر على أن يجعل اللغة الفصيحى هي "لغة الخاطب" العامة أيضًا، وإن بقي للعربية آثار قليلة متفقنة في طبقات الناس بعد ذلك، وكلاهما دال أيضًا على معرفته تمام المعرفة أن أيًا محاولات لانخاذ "لغة الخاطب" في كل منطقة من هذه المناطق واستبدالها بالفصيحى، مؤذًا بل اربى إلى أن يتفكّك العالم العربي وتتجأ إلى عشرين دولة مستقلة، يعيش بعضها في عزلة تامة عن بعض.

وترتبى معضلة، حين يقُدُّ اللغة الفصيحى، هي "لغة الدينية" لجميع البلدان الإسلامية حتى تلك التي لا تستخدمها في التخطاب، ومن العبث أحيانًا إفهام العقل الأوربي بعض الحقائق التي لا تطابق ما يتصور، كما أصلحت، فاللغة العربية، أو اللغة الفصيحى، ليست "لغة الدينية لجميع البلدان الإسلامية" حتى تلك التي لا تستخدمها في التخطاب، كما يقول، بل هي لغة القرآن، ولغة الحديث، أي لغة رسول الله ﷺ من حيث هو محظ للفقاه، وقيمة عنده والفرق بين الكلامين شديد الحذر.

وذلك أن لفظ القرآن وهو "كلام الله"، المنزل على رسول الله ﷺ، كما هو، وكما انتهى إليها والثواب والثواب الذي منع عن أي لفظ فيه أن بدحلة تغيير أو تبديل، مرتب أشد ارتباط، لا بقائد المسلم وعباداته فحسب، بل بشريه، واقتصاده، وعوزه، وفلسفته، وروحه، وجهوده، بل تتفاصل حياة اليومية، وخطرات نفسه، وملحات تفكيكه، وأداب معاشرته، لصيقه، وزوجه، وأولده، وأهله، وعشيرته، فلا يكاد يوجد شيء في حياة الإنسان المسلم إلا وله في القرآن هذي هو نص، أو هذي هو استنباط، لا في خاص أمره ولا في عمّ أمر المسلمين بالأفراد من غير أهل مبنهم، أو الأمم التي لا تدين بدينهم، بل فيما هو أقلّ من ذلك شأنها، وما هو أغلق وأشرف. وفي كل ذلك يتعمل النص، ويستنباط من النص أحكام للوقائع الحادثة التي تجد في حياة الناس.

ولا استنباط أصول ضابطة، بها تبين الناس حين يختلفون، أيّ شيء من أحكامهم المستنبطة هو الذي يُقبل في الاختلاف، وأيها الذي لا يُقبل فيه.
الاختلاف، لأن لفظ القرآن العربي يأتاه، وكذلك الشأن في حديث رسول الله ﷺ، إذا صُح عندها من الوجه الذي يصغ بها الحديث. وعلم تصحيح الحديث ومعرفته، من العلوم التي انفرد بها المسلمون، وعُبِّرو فيها بما لم تأتي به مثله أمة من الأمم إلى يوم الناس هذا، والذين صُح من حديث رسول الله ﷺ، هو عنزلة القرآن في الهدي، بل هو أوسط، لأن حديثه ﷺ هو البيان عن القرآن، فيه تفصيل ما أجمل القرآن، وإيضاح ما أبهم، واستناد ما استناد الله، وزيادة ما زاده الله بالوحى إلى رسول الله ﷺ. وهو في كل ذلك يتعلق بكل صغيرة وكبيرة في حياة الفرد المسلم، وفي حياة الجماعة، وفي روابط هذه الجماعة، وروابطها بغيرها من الجماعات.

وقد أحبب أن أختصر هذه الصفة، لأعطي القارئ طرقًا من المعينة بصفة ما تقول في كتب الفقه، وعلم الكلام، وكتب الأخلاق، وكتب الأخلاق، وكتب الفلاسفة المسلمين، وسائر ما كتب المسلمون فيه من فن وعلم، كل ما فيها مثْرَع من لفظ القرآن ولفظ الحديث، باستنباط قائم على أصوله ضابطة لا تثلي لها في منطقه أو غيره.

ومثل هذه الصورة في لغة القرآن والحديث، لا تكاد تُطَح لرجل مثل تونيبي، لأن عهدته بالتوراة والإنجيل، أنهما كتابان معزولان عن هذه الحياة من حيث هما نصَّ شامل لتفاصيل المعاني التي يحتاج إليها البشر في جميع معالمهم اليومية، وفي حاضرة شؤونهم البادية والمستورة، إلى آخر ما ذكرناه قبل. فهو لا يرى القرآن والحديث إلا من خلال معروفه بكتابي الدين المسيحى، فيرا القرآن كالإنجيل مثلاً، أخبارًا وعظامًا، وشيئاً يبنى في بعض الصواعد، والتقيد بلفظه غير مفهوم عنه، على الوجه الذي نعرفه نحن من التقيد بلفظ القرآن ولفظ الحديث في استنباط الأخلاق.

فالآمم المسلمة، سواء أكانت عربية للسان والأصل، أم كانت غير عربية للسان والأصل، لا ترى القرآن إلا على الوجه الذي حاوله بيته فيما سلف، واستغفر الله من التقدير. وهي لا تعدُ اللغة الفصحى، أو اللغة العربية، 5 لغةً
دّينه، أي لغة العبادات والآداب، كالذي عند طوائف أهل الكتاب من اليهود والنصارى، بل هي عند جميعهم لغة المسلمين التي لا يستغني أحد من الناس عنها، ما كان عن إتقانها، والتوسع في معرفتها، والضبط لعملها ومادتها ووقتها، ما دام منتبثًا إلى شأن من شؤون الحضارة التي يعيشها، فهو محتاج إليها إذا كان فلسوفًا منطقيةً، من الوجه الذي كان الفقيه، والأصولي محتاجًا إليها، سواء بعد ذلك أكنث في الفقه أو الفلسفة باللغة العربية، أم بلسانه هو غير العربي، وهذه هي السيرة التي كان عليها علماء الترك والفرس والهند، وسائر الأمم الإسلامية التي لم تتخذ العربية لسانًا لها لم تبق لها لسان غيره.

والله سُفِيًا، لغة الدينية؟ فإن الداعي إليها، إن صدق ما أقول، هو أن الدعاء والمبشرين والمستعمرين، كما دخلوا بلاد الإسلام في إفريقية والهند وغيرها، ورأوا الطفل الصغير والجارية والغلام، كلهم يحفظ القرآن عن ظهر قلب، وبثؤه في صلاته خاشعًا باكيًا، ورأوا أن بعضهم لا يعرف من العربية إلا ما يحفظ من القرآن، ولا يحسن بقرأ شيء بالعربية إلا القرآن، ارتأوا أن ذلك كذلك، لأن اللغة العربية، لغة دينية! وهذا ظاهر سحيف جدًا عندنا بالطبع.

وذلك، لأن كل مسلم، عريناً كان أو غير عريناً، يعلم علمًا يقينًا أن القرآن كلام الله، وأن موجود تلاوته عبادة بناءة للمرء عليها، وحفظه عبادة أخرى، وفهمه عبادة ثالثة، والنقف في ممارسة عبادة رابعة، والنظر في كتابه عبادة خاصة. ولكل شيء من هذه العبادات ثوابًا، فضلًا عن أن كلام الله الذي يفارق كلام البشر من كل وجه، وهو من الله وإليه، يعتبر المسلم بأن يسوغ منه صدره، لأنه كلام ربه. وعلى هذا المسلم بعد ذلك أن يتعلم أن استطاع لغة القرآن، ليفهمه وينتقه فيه، وذلك خير ما يفعله، ولا اقتصر إذا لم يستطع، على معرفة دينه بلسانه هو، ودينه هو ما يضعنه القرآن والحديث، مما يشمل كل صغيرة وكبيرة في خياته الخاصة أحيانًا، وفي حياته العامة أحيانًا أخرى، على الأوجه الذي أسلفنا بيانه. وهذا كافٍ في الدلالة على أن اللغة الفصحى، أو اللغة العربية، ليست لغة دينية، بالمعنى الذي تُعد له، اللغاتين مثلاً لغة دينية.
وبينيغى لنا أن ننعم النظر في شأن القرآن ثم في شأن الحديث، لأنهما كانا أوائل أقوامنا في قُرُنها كلٌ أرض من بلاد العالم الإسلامي كله، ما بين أقصى الصين إلى أقصى المغرب، وما بين قلب أوربة إلى أواصي إفريقيا وجزر الهند، في آسيا، فصار للقرآن ذويين بين أرجاء هذا العالم فروما متتالية، يعرفه من شهد بقائياً في مساجد مصر نفسها منذ ثلاثين أو أربعين سنة، والذى لم يختهزه رحالة أوربة كتب رحلته في أرجاء العالم الإسلامي منذ مئة سنة أو ما قبلها، فإذ هذا الزكاز الباقي بعضه قائمًا في العالم الإسلامي، خليق أن يدفع العرب إلى حمل أمانة القرآن بحقها مرة أخرى، وحمل أمانة لغة القرآن بحقها مرة أخرى، والإقدام بلا تردد على إنجاز أكبر فتح، برز جمع البلاد الإسلامية غير العربية إلى القرآن كلام الله، وإنما بدأ الأباء من تعريب نصف اللغة، كما في التركية والأوردية وغيرها، برز هذه الألسنة إلى لسان واحد هو اللسان العربي، بعد أن أزاح عن مكانه مكروه العدو وطغبان الغزاة.

وكأنك ترى هذا توضعاً في الأمل الممدوح مع الخيال، وقل: لا، بل هو حقيقة كانت تكون واقعةً، ثم حالت بينها الحوائل، ولما نسألك 여ارماً إلا من حب العجز والإطارات الهامة؟ وأسألك: هل كان إنجليزي واحد في القرن السابع عشر أو الثامن عشر، يخطر بباله أن لغته سوف تكون لغة عامة تطبق ما بين مقاطع الأرض وعوالمها؟ فلا بالرغم، فما الذي جعل هذا ممكنًا للإنجليزي؟ لا تزال إلا طبعان الغلبة والسيطرة، وجعله غير ممكن لى، وأنا أملك ما هو أفعال من الغلبة والسيطرة، وهو الدين الذي يتساوى في حمل كتابه والقيام بلغته العربي وغير العربي؟

ولتتأمل امرأ ينكر هذا، بعض ما حدث لللغة، فإن اللغة العربية كانت لها السيادة في إفريقيا وأسيا، فراعتها لغات الغزاة حتى زحفت عنها عن مكانها، أو أزالها من الألسن، ووضعت في اللغة الإنجليزية والأسبانية الفرنسية إنجليزية أو هولندية، أو إيطالية، وقد سهبتنا بالأمر القريب اجتماع الإنجليزي وغيرهم في مصر، فكان خطيب كل آمة يخطب بالإنجليزية أو الفرنسية، وأبابه هذا الخطيب نفسه كانوا إلى
عدد قليل يكتبون بالعربية، ويقولون فيها شعرًا، هذا على قلة التواصل كان بينهم وبين بلاد العرب، بعد المسافات، وغلبة الاستعمار. والذين يحدث أن الاستعمار قد جعل خرب اللغة العربية أحد أسلحته، كما جعل التمييز سلاحًا لمهاجري الإسلام من إفريقيا، وهو يصرّح بهذا اليوم غير مؤرّب فيما يكتب عن إفريقيا.

فإذا صح ذلك، فهو صحيح، فاللغة الفصيحة التي ذكرها تونسيي، وثبّت أنها هي الزوايا الوثيقة التي يمنع العالم العربي من التفكيك، إذا أراد مزيد أن يدخلها في معركة مع اللغة العامية التي تؤدي إلى التفكك، كما تنبه إليه تونسيي أيضًا، فإن هذه المعركة لا يمكن أن تُخدر معركة أديبة مجردة من العواطف السياسية والدينية، الخفية والظاهرة. وكل من يريد أن يدُس هذه الحقيقة في ضباب من الغموض، ومن الألفاظ المهينة، ومن المغالطات، فإنه م Особенно يمكن أمرًا يرجي إليه، لأنّه ينطوي عليها. أما الدعاة إلى ذلك، كصابان المشترنين أثاث التالف الغبيّ سلامه موسى، ولويس عوض، ومن سألهم فيما بعد، فهؤلاء قد تجذّروا لهذه الحرب السياسية التي اتخذت الدعوة إلى العامية سلالًا، يُؤذى به، تتفتيث قوة، متجمعة كانت أ أعودت قوى، في طريقها إلى التجمع. وكل الذين يغلون عن هذه المعارك، ويعدمون المعارك أديبة، كالدكتور مندور وأشباح، إنما يخاطرون بمستقبل أمم قد تنتموا عليها.

وإلى اللقاء في الأسبوع القادم.
... و أَيْضًا

الرسالة
الخميس 3 شوال 1384
لا أدرى ما الذي أصاب صحافتنا في هذه الفترة من تاريخنا؟ نعم كنت كما قلت في المقالة الثامنة، أتابع زحف القوى الشريرة منذ عهد قديم، بل غفلة عن بوائق هذا اللفظ. ونعم، كان هذا اللفظ يشعث ومعه خطايطه إلى جميع وسائل النشر والإعلام، من كتب وصحافة وإذاعة وتلفزيون، ولكن كان فيما أظن، يعتمد على التدشين الخفي الذي لا يكشف عن نفسه إلا في الخطرة بعد الخطرة، وكان خليزا لا يعاني بكشف اللثام عن معارف وجهه، بل كان إذا اكتشف اللثام مره، دلَّ على الناس بشيء من الألفاظ والأعمال، كحريمة الرأي، وحريتي النشر، وإتاحة الفرصة للمخالفين أن يعتبروا عن آرائهم. نيد أن أراه في هذه الفترة، يرتكي خلاف ما اعتاد بالموضى.

وأدعو التأريخ إلى التصريح. وذلك أن أثبت قراء الرسالة في المقالة التاسعة أن الدكتور محمد مندور، نشر كلمة في مجلة «روز اليوسف» تناول فيها بما لم أكن أظن أن يكون له ما يفعله، وأثبت الكتب إلى مجلة «روز اليوسف» كلمة مختصرة، أدرج عليه قال قلة الشروط التي قالها على، لتنشر حيث نشر كلمته. وكتب على يقين أن مجلة «روز اليوسف» سوف تنشر هذا الكلمة حيث نشر الدكتور مندور كلمته. وذلك لأن هذا تنشر حتى طبيعي وحق قانوني، دفعه عليه كل الصحافة منذ كانت، بل اعتبار لأي شيء سوى هذا الحق، والكلمة التي كتبتها لهذه المجلة لا تخرج عن حد التوضيح لما أساء الدكتور في القالته على، ولم تتجاوز فيها القدر الذي يخصم مما جاء في كتبته، فلم تأخذ رأيًا، ولا تحمل عليه في عتاب أو لوم. فتوجدت بإغفال هذه المجلة في الأسبوع الماضي لمعظم ما هو حق م dùف به عند الناس جميعًا، ولا أقول في أدب الصحافة ولا في إلزام القانون. وأنا لم أكتب هذه الكلمة لمجلة «روز اليوسف» إلا لأني وجدته من الأدب وحسن الخلق، أن
لا أستطيع شأْنُ هذه المجلة، ولا شأْنُ الكاتب فيها، فأخبرت أن أكتب لها أولاً، قبل أن أتذكر لقراء الرسالة خبر ما قاله الدكتور عما أكتب فيها.

وأظلّى، بفعل ذلك، قد وضع الأمر في يديه، فلبت شعرى، ما الذي بُقِّيَ هذة المجلة أن لا تضع هي أيضًا أمرًا وأمرها في نصابه؟ أبلغ التحفيز إلى فئة من الفرص، أن يخفِّض ما درج عليه أدب الصحافة، وما كفه القانون من حق الدفاع عن النفس. وأن يُهدِي الامرأة حقًا معتراً بها، كما أرى، إلا لأن المشرف على الصحيفة أو المجلة يرقب في هوى عصابة من الناس، ليست كلمتهم التي يقولونها، أولى من كلمة مخالفتيهم بالاحترام والتقدير؟ وإذا كان هذا المشرف على الصحيفة أو المجلة، قد أباح لنفسه أن ينشر في صححته أو مجلته كلمة تُمسى رجلاً من الناس، أن كان هذا الرجل، فإنه لا يستطيع أن يُهْدِي لنفسه التحكم في نشر كلمة يدفع بها هذا الرجل عن نفسه مقالة شؤو، باراً قبيحة أن يقال بلا برائها أو حجة.

وإذا لا أقول هذا لأنه كان مما يسرني أن نشر كلمتي في مجلة "روز الأوسف"، بل أقوله دائما عن نشرية الناس، وعن كرامتهم، لأن الذي يفعل معى، خليق أن يفعل مع كل أحد تناوله الأنسابة، ثم لا يجد وسيلة يعبر بها عن سمعه، حيث تناوله ويتزاحر حقه مضنياً لا يقدر كيف يناله، ما دام المشرف على الصحيفة أو المجلة، بعد أن نشره صاحب الحق المطلق في الثلث من أقدر الناس أو أراهم، أو أعراضهم، ثم صاحب الحق المطلق في أن يمين هؤلاء من الدفاع عن أنفسهم، أو كشف الترفيف الرئيسي الذي تتوانى صحيفته أو مجلته نشره وإناعتة على جماهير الناس، وإذا كنت أنا قد وجدت مجلة الرسالة، لأقول فيها ما أرضى به مقالة تقول على، فعسي أن لا يعد مثال من الناس مكاناً يتيح لهم الدفاع عن أنفسهم.

وأحب أن أسأل: من الذي أعطى المستفيدين على الصحف أو المجلات هذا الحق المطلِق؟ ولا ريب، لم يعطهم أحد هذا الحق، بل علمهم لم يتضخمو مستفيدين على الصحف والمجلات، إلا أن مهبتها لكل ذي رأى أن يعبر عن رأيه، وكُل صاحب حق أن يدافع عن حقه، بلا تفرير، ولا تحريز، فإنه كان عند هؤلاء المتحرِّين إلى عصائب من الناس سلطان قد فوضوا به أن يُهِدِيروا ما شاءوا من
الحقوق، وأن يمتنعوا ما شاءوا من آداب الصحافة وواجباتها، فليسوا بذلك، حتى يكتف كل مريء عن الاهتمام بما ينشر في صحافتهم أو مجلاتهم، ويكون ذلك منهم عذاراً وإنصافاً، يقبل الناس راضين أو كارهين.

لم أكتب هذا غضبًا لنفسى، بل غضب كرامة أمة أنا أحد أبنائها، ولصحافة
لم أزل أعرفها منذ عقلت، طغيت مخزمة الرأى والدفاع عنه، مع أنها كانت يومئذ تتركن في حمأة الاستبداد والظلم والخيانة، ولكنها على ذلك كله، لم تكن تجترئ على حقوق أبناء الأمن وأراؤهم وأعراضهم، بالتحكم الغليظ الذي لا خير فيه.

فليت شعري ما الذي أصاب صحافتنا في هذه الفترة من تاريخنا؟ إن هذا لعجب! ولكن زمانًا أتاح لأحد صحفيين العربين أن يصب في أكبر صحيفة في العالم العربي والإسلامي كلما في قلب من الحقوق والجهالات، وسما الذين المحررين، ووساوس المتمردين، ويدوس بأقدامه تاريخ العرب والمسلمين بلا رادع ولا حياء = لا ينتظر فيه أن يضع حقٌّ مريء يناله فلمل بمسٍّ رفيعٍ جارح، كالمسمى الذي أصابى من قلم زميلي القديم الدكتور مندور، وكان أقدرّ بي أن أقول له ما قال كثير لصاحبه عزراً، حين حملها زوجها على ضحى:

يكفّرها الحقير شقيقتى وما بها هؤلاء، ولكن لملبكٍ استذلَّته
هيماً مريعاً، غير داء ممجعد، لعرّةٍ مثأراً من أعراضنا ما استحلَّت.

وما كان أحكم طرفة بن الغد، إذ يقول في مثل المعروف:
ثا لكي من فنارَةٍ بسمغْرِي، حلَّ لكي الجوُّ فضيَّةٌ وأضفٍ
وتنقَّي ما نقيح أن تنقُّى قد رحلَ الصياحَ عقلٌ فأتربَى
ورفعٌ الفصلُ مماذا تحدَّى لابد من ضريبك يدَّ مصيري
واعهد نفسى منذ اليوم، أن لا أرتكب مثل هذه الحماقة مرة أخرى، مهما قيل
علي، ومهما نُشر، فإن ذلك أهدى سبيلًا من السبيل التي غزتها بها نفسى، ودفعت بالناس. وفي مجلة الرسالة مقطع وسعة لما أوبرد أن أقول، وهى حسبى، إن شاء
الله.
وإذا كان القارئ قد أحسى طول الاستطراد في قضايا تحدث في قضية العامة وإرادتها استبدالها بالفضح، فإن لم أنس ما بدأت. وعند أن هذه القضية لم تكن قضية مفردة برآبيتها، بل كانت قضية متشعبة الجدور، كلّ جذر يمدها بجسرٍ من السماح. وسبقها بزلو من الضحكة. ولا زلت في أنى قابض على أن أستوعب القول فيها استدامة معتنيًا شاملاً كافياً في هذه المقالات، فإن ذلك ضع ضع غاية المقالة، لا اعتماد المقالة على الفكرة الواحدة المتربطة، ولكن حاجة القراء إلى المقالة أشد أحياناً من حاجتهم إلى الكتاب، وهو وحد الخليلي بسعيه القول الشافعي.

ومع ذلك، فإنا الذي يشير القارئ أن يسير معى في الدرب المتشابكة، فإن ملأني مهنة ذرياته، ثم أستوقفه ليستلك معنى تنازم آخر، ثم نعود إلى الدرب الأول، ثم نعيّن معاً إلى درب ثالث، يُفضّل بما مرة أخرى إلى الدرب الثاني أو الدرب الأول؟ لا يميزه شيء، فيما أظن. وهي رحلة استكشاف لمستقبل من الأرض مجهولة، وهي رحلة استنفاذ بتاريخ متطاول! أليس ذلك وحدة متناقلة؟ فما ذلًك إذا كان فوق المتناغم؟ ما ذلًك إذا كان أمراً لابدً منه لمعرفة السكر الخبيث الذي أحاده بأمان براء لها العلاج المصيب عليه من حيث تتعلق؟ ما ذلًك إذا كان أمرًا يتطلب إلتلاف ماضيها كله ومؤذقه، وسلحتها من هذا الماضي بالخلاف هلال الوسائل التي تزري هيئة عند أول النظر، فإذا رددت النظر إليها، هالك ما يهدُها من وحيم العواقب؟

ما ذلًك إذا كان شئًا مثل لويس عوض، وأشباه له كثير، قد استخدموا لينبأوا في كلّ ناحية من حياتنا الأدبية والثقافية والاجتماعية، وكل منهم في لنار يبتكر فيها، ليؤدي مهنة هو مكلف بها، طبقاً لدراسة مخططة، تأتي في موافقتها بعدها، مندشة في الانتفاخات الكبرى، لتتضئ أرضها من القضاء على كلّ القضاة، أو تحويلها عن صحيح أهدافها، أو تعويذتها عن السير في الطريق الذي كان ينبغي أن تسير فيه إلى غايتها؟ أمير العبث عندما أن أقف متمثلاً، أدرك على مواطي أقدام الفتن والبهاء، وعلى مسارب كالتى وصفها المنطلق الهذيان إذ يقول:

"وإنها لحيات أثاي مظلم، لا يشع ويست mí لمدبغ. ولا يتبك مثل خبير، فإنا كنت"
أحدمناطبلىبلدغها،ثمأعاناللهسبحانهفسرتقبلأنفيتيبدىشئهاالناقع،ثم
وقفتآرضهاوارضعتمراجعها،وأتأنفهاماأطلقبقدثانىة،بصيرةبمايجبها
الملائفةالمهالك،وكذلحةسبةفيوفاقينفسىشترىفقها،أماalley،فإنه
وجدتهفريدةمحكمةأنأضجرأهلهوعشريتهوأوظفهم إلىمايكملهؤمهم في
الطريقمنهلاكموطي،فمنأبصرفلنفسهومنعيمنفليتهاوللهسبحانهوعالى
يقوللبنيه: "فإياً إلهلا،لا تحرى من أحبسرك،وصلى الله يهدي من يشاء،" فإلي
كلذاليومأنيصبحالناسبماعلموللهبهديمنيشاء.

"""

وقد أسفلت البيان عن حقيقة عمل "التبشير" ما هو، وأن "التبشير"
دعوة الدنى المسيحى، أمر باطن، بل هو أحد أدوات الاستعمار الغربى في آسية
وإفريقيا، ولا يهجه من الدنى إلا الأغلبة بأبى أسلوب كان، حتى يكفل سبادة
الحضارة الغربية على حضارات الأمم، ولا سيما أكبر حضارة في عالمنحن، وهي
الحضارة الإسلامية، التي سادت آسية وإفريقيا إلى أن خرجت أوربة لغزو بلاد
الإسلام، وثبت أيضًا أن المبشرين أنفسهم قد علموا علمًا بقيبًا أن الدعوة إلى
المسيحية من حيث هي عقيدة، لا تلقي في المسلمين أبدًا سعيدة ولا أبدًا صعاء
فكان المنحرف من هذا المارح، أن يكون عمل التبشير في ميدان غير ميدان الدعوة
الصريحة إلى المسيحية، فكان إجماعًا بينهم: أن إرسالات التبشير تعجز عن أن
تجرح العقيدة الإسلامية من نفوس معتقدها، كما قال: "شانه"، ولكنها تستطيع
أن تقضي أتباعها من هذة الفكره الدينية الإسلامية، بيث الأفكار التي تترسب مع
لغات الأوربية، وتمهد السبيل لتقدم إسلامهم مادى، وهو الذي عبر عنه "تورينى" بنه: "طريقة العيش الغربية"، وأعتباث مبادئ الحضارة الغربية"، كما أسلمت في
المقالة العاشرة، وطريقة العيش الغربية، ومبادئ الحضارة الغربية، هي بلا شك،
نتائج طبيعية للعقيدة المسيحية التي تسود العالم الغربى، لا ينفاه في ذلك عاقل.
فكانت الوسيلة الأولى لبلوغ ذلك هي "التعليم"، و "الصحافة"، وبالاستياء
على هذين الحصين، يتم للمبشرين ما يريدون من هزيمة العالم الإسلامي، في
معركة الثقافة بلا ضجيج يُزعج. وقد أبانت المبشرة "أنا مليجان" عن ذلك أحسن الإبانة إذ قالت:

"إن المدارس أقوى قوة لجعل الناس يحتفل تأثير التعليم المسيحي، وهذا التأثير يستمر حتى يشاقل أولئك الذين سيصبحون يوما ما قادة أوطانهم".!!

وتقول أيضًا عن كلية البنات في القاهرة:

"في صفوف كلية البنات في القاهرة، بنات أباؤهن باركات ويكوات، وليس ثمة مكان آخر يمكن أن يجمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت التدريس المسيحي، وليس ثمة طريق إلى حصن الإسلام أقرب مسافةً من هذه المدرسة".!!

وقد بين دانيال المبشر ذلك حين ذكر التعليم فقال:

"وهكذا ينشأ الطالب معه فلسفة مسيحية للحياة".!!

وكشف ذلك القس "زوير" كشفًا صريحا حين قال في وصايته للمبشرين:

"ينبغي للمبشرين أن لا ينقطعوا إذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة، إذ من المحقق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين وتحرير النساك.!! وهذه أقوال قديمة، ينبغي أن يتأملها العربي والمسلم في هذا العصر الحديث!!

وضيف المبشر "تكلي" إضافة صريحة تكشف عن وجه الخطر الكامنة في التعليم الغربي، فإنه يقول:

"يجب أن نتشجع إنشاء المدارس، وأن نشجع على الأخضص التعلم الغربي. إن كثيرين من المسلمين قد زعزع اعتقادهم حينما تعلّموا اللغة الإنجليزية، إن الكتب المدرسية العربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقي مقدس، أما صعبًا جدًا.!! وهذا واضح كلّ الوضوح، في أن الأم "التعليم" على الصورة التي أرادوها، والتي أرادها دنبول وأمثاله، هي نزع اعتقاد الشباب المسلم، في كتاب الله الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ، والذي عبر عنه "ولي جيفورد بناجر" فيما ذكرته الله أن: "من توارى القرآن، ومدينة مكة من بلاد العرب، بمكنا حيّذ أن نرى العريض يتدرج في سبيل الحضارة، التي لم يعده عنها إلا محمد ﷺ وكتابه"،!!

وتحيي المبشر التاليف!!
ولهذا الهدف نفسه، سعي المبشر « لويس ماسبون » الذي يعدُّ مستشارًا، حيث قال في مقالته التي يحمل بها وزارة المستعمرات الفرنسية: « إن الطلاب الشرقين الذين يأتون إلى فرنسا، يجب أن يلذوا بالمدينة المسيحية »، وهذا ليس قوله وحده، بل هو ما تعمل له أكثر الجامعات في أوربة وأمريكة، وسائر ما يتقن عنها من الجامعات التي تقوم تحت إشرافها في بلاد العرب كالجامعة الأمريكية في بيروت، وفي مصر، كما يثبت ذلك في مقالة ساخرة، هذا الأمر الاستثناء على التعليم والمتعلم، لذا أرد فيه على أن تقترب نفورنا أقماحهم دون تعليق يذكر، فإن أي عاقل يستطيع أن يرى الطريق واضحًا بأيسر التأثيل.

أما « الصحفاء » والاستياء عليها، وتبغ بها بلا ريب، سائر وسائل الإعلام والتوجيه التي انتشرت في هذا العصر الأخير، فحسبك أن تقرأ ما قاله المبشر: « وليس كاش ».

إن الصحفاء لا توجه الرواي العام فقط، أو تهيئه لقبول ما ينقر عليه، بل هي تخلل الرواي العام (تأمل هذه العبارة تأملًا جيدًا). وقد استغل البشرون الصحافة المصرية على الأخص، للتعبير عن الآراء المسيحية أكثر مما استطاعوا في أي ظل، بل الله إسلامي آخر (تأمل هذا أيضًا). لقد ظهرت مقالات كثيرة في عدد من الصحف المصرية، إما مأجورة في أكثر الأحيان، أو بلا أجرة في أحور نادرة.

وهذا كلام قبل فيما قبل سنة 1933، فهو قول قديم ينبغي أن نتأمله، وقد تدريس تاريخ هذه الفترة من حياتنا. أما بعد ذلك، فإن الأمر قد اختفى، بعد أن ضاقت صيغة المبشرين مبتهجين في كل مكان، وفي كل صحافة، يكلمون بلا حرج، وألفاظهم تنضج بالدلالة على حقيقةهم، فقد كان الدين مصري، إما الأغلبية في أكثر الأحيان، أو بلا أجرة في أحور نادرة.

إلى أن كان لويس عوض وشيئته من صياغة المبشرين = ثم ما تراكم من الخطر الأعظم بوعود جمعيّة لم يحاولوا فقط أن يرتيبوا فيما يلقى إليهم، فأصاب ذلك من نفوسهم موقعا، فرددوا كلامًا قصيًا به، وهم لا يدركون ما وراءه من زراعة هذه القوى المجتمعة الشديدة المكر والبطش، والتي تعمل دانيًا بلا غفلة ولا فورًا، على هذين نفوسهم، وهم بلا دعم، لكي تقع في شراك لا يعرفها به، أرادت ذلك، بعد تمام النكبة، أم لم تزده.
فمن الغفلة التي تطمّس القلب والعين والعقل، أن يُعرف ذلك إنسان له بقية من
نحوها أو كرامته أو عقل، ثم لا يعيد النظر في كل أمر من أمور الأمة العربية
والإسلامية، ليتَرى أثر إصبع التبني العامل على تطور النفس العربية المسلمة، في
كل ناحية من نواحي الحياة الأدبية والسياسية والاجتماعية، وليتَصبرً عيانًا ضِدْمَع
التخطيط والهُدُم ظاهرة في حياتنا، وليردرك أن العدو الذي يريدنا أن نعتنق مبادئ
الحضارة الغربية، وأن نعيش طريقة العيش الغربية، إنما يريد أن يقوض بناءًا كاملاً نَمَم
كماله في قرون متاولة، وتقلى يقاوَع الخطوب والأحداث والنكبات دهرًا،
محفظًة قوتهة وكيناه، ولم يجري على العالم الأوربي المسيحي، إلا بعد طول
تردُ في القرن التاسع عشر، كما قال «تونبتي».

ولأنَّ أحكم عُزوَّة كانت تربط العالم الإسلامي، على اختلاف أسئته وأجناسه
في قارتي آسيا وإفريقيّة، هي لغة العرب التي بها نزل القرن، كما قال الفص المشير
ؤيمر، وكما أشار إلى بعض ذلك المؤرخ الإنجليزي «تونبتي»، فإنَّ «التعليم»
الذي فرضه الاستعمار الغازي على العالم الإسلامي، والذي تولَّاه التبني بفِتْح
مدراسه في كل بلد من بلدان هذا العالم، اعتمَدَ أن يعتمد على محاولات اللغة العربية
حيث كانت، كما شهد بذلك الأستاذ الفاضل جرجس سلامة في كتابه عن التعليم
الأجنبي في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين (1)، وكما يدل عليه أيضًا
ما انتهى إليه مدارسنا من الاستعانة بشأن اللغة العربية، وظهر ذلك ظهورًا بَيْنًا في
جميع نواحي حياتنا التي نحياها اليوم، وسبب هذا البناء الذي نتعاني، إنما هو
الهدف الذي أراده دنلوب بنظامه الذي سيُسر عليه المدارس المصرية حيَّةً طويلاً
بأن يجعل اللغة الإنجليزية هي السائدة في التعليم كله، ويجعل لغة البلاد كأنها لغة
أجنبية تُدرّس في غرفة شديدة على نفس الناشئة، فلا يكاد يطول زمنًا، حتى يحلَ
الاهتمام بها شيئًا فشيئًا، حتى تكاد تصبح لغة عربية على أبنائها وأهلها، وهكذا

(1) انظر ما سلف ص: 152.
كان 1 = (و لكن من المحزن، ومن المخزى، أن يكون هذا هو الهدف الحقيقي)
الذي سعى إليه نظام "دولب" أكبر السعي وأصدقاء، ثم نزال إلى الساعة نسمع
من يقول للناس إن نظام دولب، كان يرمي إلى إخراج طبقة من الموظفين، لا غير.
وهذا بالطبع مقلق وخطير، لا يصدقنا إلا من أعدائه، فكلة نقل الأقوال
والأخبار والشائعات المرؤية لستر الحقيقة، فهو لذلك لا ينال أن يحاول عرضها
على صريح من العقل، أو على شهيد من الواقع (1).

وإذا كان الذهابه قد توفي طوال هذه الفترة أن يواجه العالم الإسلامي في ميدان
الفناء، محاكاة أن تكون عافية التلاقي ووجهًا لوجه، وللثورة، كما قال "توبين"، فإنه
قد جاء ما لم يكن قادرًا على توقعه يومًا، فضلاً عن توقعه. فقد كانت نتيجة
التصادم بين قوى الأمة العربية والإسلامية، وقوى الاستعمار والنشر في ميدان
الحرب الثقافية، والحرب الإhettoية، أن ابتعدت في جميع أرجاء العالم الإسلامي حركة
إحياء شعوب من أجل، كالأول، حدث في الهند وغيرها، وإنطلاقًا أيضاً حركة عربية
تفرز بالأعمال وتحقيق الآمال معاً، كان يحاول لوابه بوفي، البرود، وذلك في
 نحو سنة 1870، كما أسلفته، فإذا نجاً توجهاً بعد قليلاً بدعوة سيئة جدًا عند من
يحسن النظر، وأصبح له أدنى فردًا صحيح من سلامة الطبع، ومنه عند أدنى قدر من
حب بلاده وثواب أمه، ومنه أدنى حسن بطاقع الأنسانية البشرية وتاريخها ومدارجها
على العصور المتطاولة. ولا عجب، إنها كانت دعوة خيبة المخرج، ابتغتها
مؤسسات التبت وزعاته على حين فترة من غلبة الجهل بالقرابة والكتابة في جماهير
الناس، وعلى حين الوقوف في قضية الاستعمار الذي كان يشمل حركة المسلمين
فهمهم بوسائل مختلفة من إدراك ما يتعين من إصلاح حال أثهرهم، إلا بعد جهود
ثائر.

وهذه "الدعوة"، هي دعوة استخدام العقلية واستبدالها بالقصص، في التعليم
والكتابة، التي لم يكن لها مخرج في مصر منذ سنة 1880 إلى سنة 1902، إلا من

(1) انظر ما سيأتي في آخر مقالة: "ضيافة في ظلماة ليل..."
ثلاثة من المشرين، في أثبّ ثمارهم كانوا، هم «سبتاً» الألماني، و«ويلكس» و«ولمر» الإنجليزاني، ومخرج في بروت، هو مجلة المقتف، التي كانت ترتضع أسباب بقائها يومئذ من أكبر مؤسسات تنشيرية دخلت إلى ثغر من ثغور بلاد العرب فاستقرت فيها سنة ١٨٦٥، وهي الكتلة السياسية الإنجليزية، التي تعرف اليوم باسم الجامعة الأمريكية، والتي لم يقف انتظار تغيير الاسم شيئًا من حقيقتها التي عليها أنشئت، ولها لتحقيق أهدافها لا تزال تعمل، بلا موارية، إلا بعض المخاطفة.

•••

وثبّ عميق هذه الدعوة في أول عمرها، طمس عليها وعلى أصحابها وعلى مؤلفاتهم أو كتبهم فيها بعض الطمس، ولكن هل كان قضاء عليها، وإزالته لها، ومجرّدًا كنًا، فإن هذه الدعوة المكتوبة، كانت تُؤلفها أسباب أخرى من خارج، أمثال اليهودى «عقوبة صُنُوع»، وتصujęه الوطنية والدفاع عن الحق، وممارسته ذلك بالكتابة العامة، ثم بناءً نشأة المسرح العام، وهو اللّهو الذي تسرع إليه النفوس. وتؤلفها أيضًا ضروب من الإعداد كانت تتّم في المدارس الأجنبية التي صنفناها آنفة، وفي المدارس الثانية والعالية أيضًا، التي كان بعضها خاضعاً حضوانًا مباشرًا للإنجليز، وعلى رأسهم «دنوب»، ومن يحيط به من المشرين في صورة أساند، أو خضوًا مباشرةً للفرنسيين في عهد الإنسان، كمدرسة الحقوق، التي كان طبّها يمارسون ممارسة علميةً إهدار اللغة الإنجليزية والاسبرى كلها بأصولها، وإحلال القانون الفرنسي الوضعية مكانهما. ويقترن بهذه الدراسة التي تغلب عليها الفرنسية، والإعجاب بها وتأدّيها وفقرها، ضرب من الإعراب عن العربية أحيانًا، أو ضرب من الشك والاستياء، أو ضرب مع خلعة الاحتفال وإسقاط أمرها كلهم من الحساب.

ولكن منذ نكبت صوت ويلكس وولمر في سنة ١٩٠١، لم يكتم يسمع صوتًا صارخًا تولي الدعوة إلى العامة واستبدالها بالفصحي، ولكن كان التعليم كله في المدارس العامة والثانوية والابتدائية أيضًا، لا يزال منحرفًا عن لغة البلاد العربية إلى تغلب اللغة الأجنبية في تدريس جميع العلوم، ثم زاد الإلحاح في ذلك زيادةً
شديدة، فكان ذلك تطبيقًا ناجمًا للقوة التي تنشأ من أبناء البلاد ومنقبها، وجعلها فائقة للقدرة على التعبير بلسان قومها، في العلم الذي أقتله الآباء والأمّا في تعلّمه على علاقته لمنفعة أمّها. وفي هذه الأحوال، لا يُفضلّ الوجر أن يجد استعدادًا شديدًا للانحراف في التفكير، ولا سيما إذا خالط الفكر شيء يُجبره على الخضوع لسيادة ارتجاحة نجاة وإعجابًا، أو هونًا ومدّة، أو خيانة وسوء نَيَة.

وفي هذه الفترة أيضًا احتدم ما أحياء البَراوَد، فظهر من الكُتّاب والشعراء من
مُهّدث لهم قوامهم أن يتصدرًا قيادة الطريق إلى إحياء العربي، في الجماهير الباقية
المرجة للغة بلادها، دون معونة تحدثها المدارس، من تخريج جمهور محبّ للغة
بلاده، يتكاثر به عدد هذه الجماهير. وكان في مقدمة ورثة البراءات، في باب
الشعر خاصة، جماعة تكاثروا، ثُقّل منهم شوقى، وحافظ، وفتان، وعشرات
من نواب الشعر من بعدهم. ولكن كان أمر الإحياء كما ترى، كتجاعيد ظاهر،
أحدهم ناهض يحقق، والآخر مهضوم مكسور مهضوض، فكلا ما تكاثر عدد
المتخرجين من هذا التعليم بتكاثر المدارس، زاد هذا في جانب العائدة، ولم يدفع
خاضعة الإحياء العربي بشيء بذكر.

ومنعت الحياة السياسية تضطرب منذ احتلال الإنجليز لمصر، واستيلائهم على
كلّ ما فيها سنة 1882، بعد هزيمة زعيم البلاد، أحمد عرابي. فنشأ بعده مصطفى
كامل، وبدأت به حركة جديدة لإحياء من وجهة أخرى كثيرة، وبدأت تكون نواة
مقاومةً بذاتها الإنجليز والفرنسيون وجميع أفكارهم منهم لهم سلطة أو جالية في هذه
البلاد، ليجولوا بين دعوة مصطفى كامل، التي تقوم في أساسها على الاعتراف
بالمخلّفة التركية، وعلى الأمّا في أن تخرج تركيا من محتلتها التي أوقعتها العالم فيها
الأوروبى المسيحي، الذي طوّقها، وجعل يطعنها من جميع نواحيها، ثم ستاحا
مرير أوربية، بعد أن سلط عليها كلّ جرائمها الفتاكة، بالدسّ والمكر
والخداع.

فبعد فترة بدأت دعوة "مصر للمصريين"، معارضةً لمبدأ مصطفى كامل،
وجرت هذه الدعوة، بكل الوسائل المتعددة، التي يكون ظاهرها إنقاذ الوطن من براثن الاستعمار الأجنبي، بما فيها تركيا، هكذا يقولون!، وباطنها تثبت القواعد الفكرية التي تحمل الشباب المصري على أن لا يوجد شعباً يربطه بشيء من البلاد التي تحيط به، سيؤدي تصنيعه من الروابط الدينية واللغوية التي فرضت عليه فرضًا كنما قال ذلك بعضهم فيما بعد. ثم نرى أن مرجعه كله إلى مصر وحدها، وإلى تاريخها القديم العريق في الآية البعيدة، وهو تاريخ القراعة، الحافل بالآثار القائمة، والتي يأتي السائحون من كل أوطان لرؤيتها أو دراستها.

ولأُثْبَتُ أن هذه الدعوة بِلا إطالة في الرئة عليها أو تفسيرها، رجلٌ ولد في سنة 1872، وأتم تعليمه الابتدائي في عهد الاحتلال سنة 1885، وتعليمه الثانوي سنة 1889، ونال شهادة الحقوق في سنة 1894، ثم تولى تحرير الجريدة ( التي كانت شركة مكونة من محمد محمود، وعمر سلطان، وأحمد حجازي، ومحمود عبد الغفار، وهي أسماء لها أثر في بعض تاريخنا السياسي )، وهذا الرجل هو: 

«أحمد لطفى السيّد».

وهذا الرجل عندي شديد التنافض، ينبغي أن يعاد كرمه ودرس تاريخ نشأته ونشأته أسرته، وتفاصيل حياته بدقة متناتها وبجدران يبلغ. فحيثما سرت في قراءة تاريخه أو آثاره، أجد له أقولًا متنافضة، وأعمالًا تنافض أفكاره، وأمّر وأتأثره بِمَجَالٍ من التكليف جامع على قلبي، وألمّ وره أثاثه أعلاه أمعانه ركازة ليست في الطبع، بل هي مستحدثة بإراده وعزمه صادقة، وكلماته توحى لي دائماً بصوت له همزة غامضة، تخفي أكثر مما يعلن، حتى لا يجد وجيده أثر ذلك في ترجمته لكتب لأوسمه. وله أمر غريب جدًا، لأ يتفق في الترجمة على وجه التحصين، فظاهره فيها يلبس النظر إلى استحكاره استحكارًا راسخًا في العظام، ولا في النفس وحدها! وليس من مهني هنا أن أحلله تحليلاً أديانًا، ولكن يظهر أن تعلم أن هذا الرجل هو الذي خلف هذه الدعوة الخييلة المخرج، التي سكنها ريحها منذ سنة 1902، فأعادها هو في إبريل وماي هو سنة 1913، في صورة جديدة غريبة، تُشْتَهِي بكل هذه الصفات وغيرها، مما يبين مثله على أن يكون مثل ما كتب
في شأن اللغة العربية. وفي هذه المقالات الشيوخ ضروب من السخيف في الاحتجاج
لا يملك العزر إلا أن يعجب من أنفها، لرجل ذاعت القالة في الناس بأنه فيلسوف
مطلق، حتى كاد يعمى بالمعلم الثالث!! وهذا أعجب العجب!! ولكن هكذا
زماناً! زوال الأحداث بالمدح أو بالذم، يلتقى بالتسليم المغمض العينين، ويسطر
بأولهم على منابع الفكر ومساربه.

دخل هذا الرجل إلى دعواه مخلقاً غريباً في وصف غنى العربية فيما يتناول
المعاني والمسائلات القديمة، وفكرها في المعانى الجديدة والمصطلحات العلمية.
وظل يدخل من باب ويخرج من باب، وبقى ريباً ثم يرحل، ويأتي بحجة واهية ثم
ينقض، فطلق الكتاب بأن يتسامحوا في قبول المسميات الأجنبية ويدخلوا في
كتابهم، كما أدخلها الجمهور في المخاطبة. وهذا كلام مثل لا يذكر ما عقابٍ
ما يقول، فلا هو رياضي، ولا هو منطلق، يحسن تصوير القضايا على وجه الإحاطة
والشمول. وكثير معرفاً أن هذا الرأي خلق أن ينشف الفوضوي في اللغة، ولكن زعم
أن الفوضوي نافعة وواقعة في زمن الانتقال، وأن لا خطر على اللغة منها ما دام
مغترباً من جمودها إلى النمو الراقي، الذي يوفق أطماع الأمه!! (1) ثم زاد
فطلب بأنشاء أغبر مما قال: «سبينا» وأمثاله من الخيناء الماضين، لا أدرى كيف
قالها، كمطابقة: أن يحتضن الكتب المفرادات العربية الموجودة في اللغة
العامة، فربما ما تشوه منها إلى أسهل العربية ويعملصه صحيحاً، وما لم يشوه
يضحك على غالب، ويستنير من ذلك ما ابتذل من الألفاظ... هذا، وإن استعمال
مفرادات العامة وتراكيب العامة، فيه من وجهة أخرى إحياء للغة الكلام، وإياسها
لباب الفنابة»! هذه أفكار أعجب، أمجرد استعمال لفظ عامي وكتابه، بلياسه
يا ملابس الفنابة! ما أندل الحكمة!!

ثم أفرض فيما يتفق من العلم والفهم، حتى انتهى إلى أعجب الكلام، قال: 
وأقرب الطرق إلى هذا الصلح ( يعني بين العامية والفصحي و أن تتفرع إلى
(1) لا تزال هذه الحكمة دائرة على ألسنة بعض من يكتب إلى يومنا هذا.
إحياء العربية باستعمال العامة، ومن ثم استعملناها في الكتابة، اضطرنا إلى تخلصها من الضعيف، وجعلنا العامة تابعة للكتاب في كتاباتهم، والخطابة في خطاباتهم، والمعنى في روافدهم. وهذه النتيجة المذهلة التي أتت إليها حضرموت الفاضل الباطني، تتفق تمام الاتفاق مع آرائه التي أذاعها مرتين، مثل اعتباره أمر صلاة مصر بالبلاد العربية أرمزًا خرافيًا غير مقبول حدوثه ولا موجود لا ذلك اليوم، ولقد نزل ذلك اليوم، وهو كان غير قادر على أن برز أن العرب أذفع واحدة، ذات ولاء واحد، وعفودة واحدة، وكان يفتؤ منها فيما يكتب، كما كان يفتؤ من الحديث فيما، إذا لقيه من بحث أن يدفع عن رأيه، (وقد ذكره قوله لقائمة مزج!)".

"ولكن إذا شئت أن أريك تناقض هذا الرجل في هذا الأمر نفسه، فإنَّك أحب القارئ على كلمة كتبها هذا الرجل نفسه قبل ذلك بأربع سنوات، في 21 أغسطس سنة 1909، عن صحيفة "الجريدة" بعنوان: "في إنكلترا أيضًا"، فهو يذكر ما رأى من تنبيض القوم هناك لشعاعهم العبقرى شكسبير، وأنهم يجلونوه في قلوبهم منزلة أعلى من منزلة كل ملكهم الأوّلين، قال:

"على ذكر شكسبير، يُبّدّ على خاطر أنني سمعت أن استعمل من اللغة الإنجليزية عشرين ألف كلمة، وأن في بعض أساليبها خلافًا على كثير من العامة، ولكني لا أصدق أن أحداً سمع أنه زمي بالتفجّر، بحجة أنه لم يقصد في كتبته على مفاهيم الكلمات التي تكفي للتعبير عن المقاسات في اللغة الإنجليزية. ثم يضرب المثل بما استعمله أبو العلاء المعزى من غريب اللغة، ثم يقول: "وإنّه على ذلك يستحبث على رجل يبدّ طعم الكلام أن يرمى أبا العلاء بالتفجّر". ثم يقول:

"فما بالنا في بلد نجد كثير يوم لهذه الكلمة كنيًا خيبيًا في الآذان، بل نراك على سوء استعمالها، ونفح مداحها، تسيل بهولتها على كثير من الأشخاص، كلما صادف بعضهم في الكتاب، أو على الجرائد، كلمة يظنّها غريبة، وما هى بالغريبة إلاّ عندنا. ثم يقول: "إذا شكسبير، كما سمعت، قد استعمل عشرين ألف كلمة، مع أن رأسين على غيرة، لا يستعمل إلا أقل من أربعة آلاف، أو أولى بالعريء
أن لا تُعَدّ لغة الفسيحة، بحدود ما يستعمل منها في ميدان باب الخلق، أو في سوق الخضار، إن لم يكن التوسع في الألفاظ للمعارنة، ولا لمنعة الأدب، ولا لخدمة اللغة، فليس على الأقل لخدمة القرآن، الذي بات الكافلة لا يفهمون معنى ألفاظه، ومن واجبه أن يفهموه، فإنه إنهما يذلّ الفقهاء... لا يعلم إلا الله إلى ما شوى وحافظ بالعين التي يرى بها الأنبياء شعراهم؟ بل منى نحب وطننا، ولغتنا، وأدانا؟ ومنى يكون للحق سلطان على نفوسنا، حتى لا تتخذه الجهد لعبًا، ولتعلمن حسن الظنّ وصدق الانتقاد؟

لم تمض على هذه المقالة أربع سنوات، حتى شرع هذا الرجل بصنع مشروعًا لإعادة العربية، وطُرقها في زكام من الكلمات الأجنبية وتحذير نانها بالعالية تحلّيها كاملاً، ولا رعاية لما ذكر من "التوسع في الألفاظ والمعاني"، ومن "منعة الأدب"، ومن "خدمة اللغة"، ومن "خدمة القرآن"! أي ذهب كل هذا الذي قال؟ ومن الذي لَوَّى لسانه؟ ومن أي مصدر جاءته هذه الأفكار الضميزة؟ إن هذا الرجل كان أول عريض اجتراً على أن يردّ المقالة الخبيثة التي قالتها الأربية الخبائث المخرج من قبله، ولكن في تباب أُخرى أليها إيّاه من تباب نبات أفكاره!! (وكان الله بالسّرّ عليها). ويعتبر مقالاته التي لا أجد ما أصفها به سوى الخلق النام من المنطقة، والتعليم العام الناذاك المارد، انضم كبار الدعوة إلى استبدال العالية بالفُضُحي جداً ومناقشة، ثم استعمالها في المسارح وأشعارها.

ومن الوجه الذي لا ينضج منه العجب، أن يجيء توقيع هذه الدعوة التي قام بها هذا الرجل، على أرباب الفلك العالمي الذي أوصى إلى الحرب العالمية الأولى، وفي الوقت الذي كانت تتجمع فيه ثروة الأمة كُلّها لتتفجر في وجه الاحتلال البريطاني، والذئب عاق افتخازه نشوب الحرب العالمية، وإعداد الإنجاز على حشد مليون مصري ونصب مليون باسم "السلطة"، ليكونوا وقودًا لآثار هذه الحرب، فتأخر ميقاتها إلى سنة 1919 فكان لأمر العالية فيها شأن آخر، استحدث عنه إن شاء الله فيما بآيًا، ولكن ينبغي أن تحرص على التعبير، من أقران الدعوة إلى العالية، بالأحداث السياسية التي توشك أن تفجّر يتلاخ الأمة العربية، تدفعها إلى مُحاربة الاستعمار، فإنّه أتِناف عجب! وإلى الأسبوع القادم.
وَما أَذْرَكَ مَا هِيَ ؟

الرسالة
الجمعة 10 شوال 1384
ما على القارئ فيقال إن شاء الله، إذا هو أضقوى نفسه معه في النحو واللغة.

فقد كان من حق هذه الكلمة أن تتابع القول في قضية العامة واستبلاها بالفضحي، يومنا يكبرها أحمد لطفي السيد، معلم الجيل، كما أرداها له أن يكون! ولكن ربما جد من الأمر ما يلغي عن المتاحة، أنا عندهما أجرئ على الانتفاض بوجه إلى حيث ينبغي أن أفتي، ثقة بحسن إدراك القارئ للدالة الوثيقة بين هذه القضية، وسائر القضايا التي تعرض طريقة وطريقه. وذلك لأن المنبع الذي تدقق منه هذه القضايا على عالمنا العربي والإسلامي، منبع واحد، إن شئت أن نسبه الاستعمار، وإن شئت أن نسمي التغيير، أصبت، وإن شئت أن نسمي الاستشراق أصبت، لأن هذه الثلاثة أسماء متبادلة لحقيقة واحدة، كما بيدث ذلك فيما سلف.

والأنزل القارئ، لم يسبق قدما إلا بدأت مقالاتي هذه بالكلام عما كتبه لويس عوض عن شيخ المعرفة ورسالة الغفوان، ولكني انتهيت إلى قضية العامة ومواقف المبشرين، وذلك لأننا ما كتبه صيغ المبشرين عن شيخ المعرفة، قائمة على أسس تشكيلية تخفق تحت ثواب مبكرة من الدراسة الأدبية. وقد بيدث أن هذا الصيغة الدينية «الشريعة»، إنما مضك أنه أن يبعث هذا العبء وينشره على الناس، أن صحيفة الأهرام اتخذته مستشارًا شرفيًا يشرف بسلطانه على مادة الثقافة في مؤسسات الأهرام، وأنه كان قبل ذلك إنسانًا مغمورًا في تكوينه الثقافي والأدبي.

ولا ميرأ كيف أبحث له هذه الفرصة؟ وكيف اختيار ليقوم في أكبر صحفية في العالم الإسلامي، متميزًا متجدًا من كل حياء، لكي يتحدى ملائين العرب والمسلمين بكل مسألة من مسائله معاً غير مستسمر؟ أما الآن، وقد رفع السلاح عن خيانته التي يرتكبها، فإنه قد لجأ إلى الحيلة.
القديمة التي كان قد أذاعها في "بلوتوند"، حيث دعا إلى الاعلام المصرية، وإلى ترجمة القرآن إلى هذه الاعلامية، ثم قال إنه وجد الناس قد استنكروا دعوته، فذلك سككت: "مؤثراً أن يتولى الدفاع عن رأيه مسلم لمجل كل من حزنه في نزاهته!!، أو كما قال، قال ذلك سنة 1947، أيام كان ممثلاً ملزمًا لمجل، ولكن التعجب أن فقد حقق هذا القول، واجتمعت له عصابة تذكر عن رأيه الذي قاله في "بلوتوند". و"بمستشارته"، استطاع أن يجعل صحفية الأخبار أيضًا أداة للتعبير عن هذا الرأى في صور مختلفة ماكيرة.

بُدَت أنه لم يفعل بذلك. بل أراد أن يتحدى الناس بصورة أخرى، متذريًا بنفس الجيل. فقد ذكرت في المقالة السالفة أن المبشر ولم يكن كاش قال: "إن الصحافة لا توجه الرأى العام فقط، أو تهيئة لقبول ما ينشر عليه، بل هي تخلق الرأى العام. وقد استغل المبشرون الصحافة المصرية على الأخص للتعبير عن الآراء المسيحية، أكثر مما استطاعوا في أي بلد إسلامي آخر. لقد ظهرت كثيرة في عدد من الصحف المصرية، إما مأجورة في أكثر الأحيان، أو بلا أجر في أحيان نادرة".

وهذا قول قديم، قد جاء بعد ما غلبه على أثره، فإن الصحافة المصرية اليوم قد تائم في صياغة التنشير تحت تأثير مجموعة من ادعاء القومية الوطنية والإصلاح، ونعتصة بما شاءت نأب حسب أو رقي. وحسبك مثلًا هذا "الكافرون" الذي ظهرت عليه وعن ضَمْر دعويته وأساليب تغريه، والذي استطاع أن يمضي سلطانه على أكبر صحف العالم العربي الإسلامي، ليطبع مادة النشافة فيها بطابع دعوتته الخبيثة، التي تؤثر آخراً مما تؤول إلى استلصاح الفكر العربي الإسلامي استلصاح بعيدة والخضوع والخشوع لسلطان النشافة الأوروبية التي تبعت، بس ريب في ذلك، من الفكر المسيحي الأوروبي، كما يقول "إيلويت" و"تويني" وغيرها، ممن يعبرون عن الحقيقة، دون حاجز يحجزهم عن التعبير، أو يدعوهم إلى تزويج الحقائق ابتداء التغيير.

والجربان التي لجأ إليها صاع المبشرين في هذه المؤتآ، وفي مرات كثيرة سبكت.
هي أن يختار مسلمًا برضيه هو، ليكتب له بعض ما لا يحسب أن يوقع عليه باسمه المحرم، خدمة لهدف من أهداف التبشير القديمة المألوفة إلى اليوم، وهو بُعـٌد المعلومات التاريخية أو الأدبية، متضمنةً عقيدة العالم المسيحي، وكأنها تاريخ مسلم به، أو معترف به عند جميع الناس، ثم نشر ذلك على أبناء العرب والمسلمين، المتطلعين إلى الاستفادة والمعرفة، بلا إشارة إلى موضوع اختلاف أو تباين، ليكون ذلك أسرع إلى القلوب، إن لم يأخذها أحدًا رأيًا، ترك فيها نكتة سوداء تدغى يومًا ما إلى التشكيك والخبرة. فهذا "المستشار الثقافي"!! لأكبر مؤسسة صحفية في بلاد العرب والمسلمين، قد أراد، ولم يُرد لإرادته، أن يتخذ صاحفة الأهرام وسائل لتحقيق مأربه ومارب من صنعه ودموه واستخدامه، من أهل الخلوة المشهودة بين أشجار الدردار عند النشال بكامبردج، كما قال بلسانته، ويفعل ذلك، بعد الكشف عن حقيقته ومكانته من حركة "التّبشير" التي شرحتها فيما سلف، ليقول لنم أصطناعه: انظروا، كيف أتُحدى؟ وهبته رأسه مثقلًا يثبتة وشيئًا، إعجابًا نفسه، وعلى تغره المحرم أيضًا ابتسامة عاقلة في غلالة من حقيقة وتحري!! مسكيّن هذا الفُطّة من القعود والأسوار.

وهذه الحيلة التي يظهرها جدًّا، معروفًا مألوفًا في حارات القاهرة، فإن جماعات التبشير لم تزل منذ زمنًا تعيد إلى حارات القاهرة وأرقها، حيث تجعل الآلاف الكثيرة من أبناء العرب والمسلمين في بيوت مكتفيةٍ بسكانها، فتستوطن أكـْفَ الأطفاـْل وغير الأطفاـْل، كتبًا صغيرة أو مشورات، فيها شيء كثير من عقائد المسيحية، مثوفة في خلالي قسم الأبناء الماضين، ليقرأها الصغار وأشباه الصغار، وتناقشها الأنسى، ويقف أثرها في بعض النفوس، فيكون ذلك نجاحًا، فيما يظنون، فيُثبت عقائدهم عبر عقائده هؤلاء الصغار بالحيلة والتماسك. وهذا شيء يجري، ونحن في غفلة عنه، وبلا رقابة ممن تجبر عليهم رقابة هذا الضرب من المكر التبشيري بالناس. ولكن مما يضعف أثر هذا الحكم، أن الذين يلقونه، إنما يتلقونه مرتابين، لأنه يوزع عليهم في الخفاء، وهذا الخفاء يستر الجهد، ويضيع أثر هذه المشورات الخبيثة في أكثر الأحيان، ومع ذلك، فإن ترك مراقبيه فيه إثم كبير.
غير أن لويس عوض، صبي المبشرين، أراد أن يستدعي هذه الوسيلة فيما ينفع عليه سلطان "المستشار الثقافي لمؤسسات الأهرام الصحفية"، فعندما về الباب الذي سمى "دارة المعارف" ليستقبل إلى النفوس نفس المسكن، وعندئذ خطاها محققًا، لأن ثقة الناس، والشباب خاصة، بصحيفة الأهرام، وقدّمهم إليها مصدرًا من مصادر معرفتهم وثقافتهم، يمهد للكلمة أن تستقر وثبّت في النفس والعقل. بولا ارتباك ولا حذر. فمن أجل ذلك، وجدته حقًا على، لا أدرى كيف أنتفضّ منه، أن أتخلى عن قضية العامية، وهي قضية أثارها التبشير وسقاها ونفتّها، قضية هذا المكر المتحدث السافر في باب "دارة المعارف" من صحيفة الأهرام، وهي صحيفة تشير أخرى، بينهما من الصلة ما بين الأخرين لأب وأم. وآنها، وإن كنت لا أنتظى إلى هذا اللحظة "دارة المعارف" مهما ترجمة أو أثير على اللحظة الذي شاع عند أصابعنا وجهائنا اليوم، وهو لحظة الجهرة، في مثل هذا المعنى نفسه، فإن الداخلي بين كلنا موجز معنى "دارة المعارف"، ولأني شيء وضعت "الجهرة" أو "دارة المعارف"، إنها هي مؤلف يضمن معرفة صحيفة سليمة وافية عن كله موضوع يحتاج الناس إلى معرفته، ويسعى في كل مرة من مواده خلاصة ما ينبغي أن تعرفه عن هذا الموضوع أو ذاك. أما المواد من تصنيف "الجهرة" أو "دارة المعارف"، فهو أن تثير لكل طاب معرفة من الأمة التي وضعت "الجهرة" بلسانها، مادة تطلق الحق، وتطابق ثقافة الأمة، وتطابق عقائد هذه الأمة وباريخها وحضارتها كلها على امتداً عصورها في التاريخ المقتضى. فليس من المعقول إذن، أن يكتب كاتب في "جهرة" يُصنّف في أمة سماحة العقيدة، في مادة "السياح" مثلاً، كلامًا يضمن معرفة تختلف في أسولها معارف النصراوي من المسيح، وتطابق معارف إهل الإسلام عنه، مع تمام الاختلاف والتبان بين المعرفتين. هذا خطأ. فإذا أراد مصنّف "الجهرة" أن يجعلها للغة بأطراف معارف الناس عامة عن "المسيح"، كان صواب الرأي أن يُقدّم ذكرى معارف أهل بلده التي شُنفت "الجهرة" من أجلهم، ثم يعبّر عليه بما شاء من معارف أهل الملل الأخرى. هذا صحيح المعقول، أليس كذلك؟ ولكن "المستشار الثقافي لمؤسسة الأهرام"، تأتي عليه طبيعة عقله أن يكون...
العقل شيئًا مذكورًا! لأنه ليس عاقلاً بالمعنى المعترف، بل هو عاقل بعقل صبيان المبشرين، أي بعقل يحكم فيه خوؤ وهدف. وهو يرتقي في سبيل ذلك ضروبًا من العمل المبذول، والكِيد الشوق، الذين يميزان طياف المبشرين وأخلقوهم في دور العلم، وفي المستشفيات، وفي الملاجئ، وفي محافل المعارظة. فمن هذا المكان الذي فرض له سلطانًا على ميدان الثقافة في صحفية الأهرام، يريد هو أن يفرض على وعاظين مليونًا من العرب، وأضعاف أضعافهم من المسلمين، وهم قراء الأهرام، الذين يعمدون هذه الصحيفة ضريًا من الكتب، يتحضرون فيها العرفة والثقافة، ويضلونها مادةً لماضيهم وحاضرهم. يريد هذا العابث المكائد بالاتخاذية المبتذلة، أن يفرض على طياف المعرفة أن يتلقوا عنه ما يضمغ من التوجه الحبيب، سواء أكان ذلك بقبله أم استكتب له من الناس مسليًا، يرضي أن يكون حاضيًا في حبه، ودفاعة عن رأيه، وليس أن ينطق بما لا يحرؤ هو أن يقوله علانية، كما وعد بذلك في بلوتوند.

وهذا عبث ينبغي أن يتهى، لأن الأمر قد خرج الآن عن أن يكون زلة يزلُها سخفً مثبَر إلى أن تكون حُظة متلاحة الأهداف في هذه الصحيفة، وغيرها، لا ي كال المرء يخطئها حيث توجه به النظر في الصحافة وسائر وسائل الإعلام. وليس من العقل أن يلجأ هذا الرجل وأشباهه من الخطط، المبعة هذا وثلاج في وسائل الإعلام، إلى هذه الذراع المكررة المتكترة. لأن هذه الأموال لبُل براتين يغ دون للعقل أن يجدوه. وأن لا أن أعاطب بهذا لويس عوض وأشباهه، بل أعاطب الذين يقولون من وراء النهر، ويحكرون هذه الدُمَّي المريضة التي يدفعها التهوُر إلى ما لا يعرفه عواقبها. ولا حاجة إلى الدلالات على مُن أعاطب، فكل عاقل يستطيع أن يقف على الأسماء الثلاثة لمسقر واحد، وهي: الاستعمار، والتبشير، والاستشراق، ثم يستطيع أن يرى أن لها هدفًا واحدًا في صميم حياتنا. إذ أن يصبح السهم القاتل، في أوان من الانفتاح يطلق تحقيق ما أخطأتنا فيه ماضيناً، بالإهمال تارة، والخيانة تارة أخرى، وتتحول حركة الإحياء عن الوجه الصحيح إلى وجه فيه هلاك الأمة، وذُلُّ الدهر، وعز الأبد، وقد كان لنا فيما سلف عظة.
في عدد الأهرام الصادر بتاريخ 30 رمضان سنة 1384 (أول فبراير سنة 1965)، أراد هذا الصيغ أن يتلقي قلبه الذي كشف عنه مجازاً فيما سلف، فذهب يستجيب كاتبًا من المسلمين (1)، ليكتب له مادة "يعقوب النبي". ولكن هذا الكاتب المسلم لم يتردد على أن استنسخ، أو ترجم، أو أقتبس، أو اختصر، معارف أهل الكتاب عن "يعقوب" عليه السلام، بما يطابق عقيدته أهل الكتاب في الأنبياء، والأخلاق من أفعالهم، دون أن يخلف بالاً، أو دون أن يحتل بأن هذه المعارة المستقلة، سوف يقررها الملايين من العرب والمسلمين، ومن شبابهم وطلاب المعارة منهم خاصةً، وأن عقيدة هذه الملايين مباينة كل المباني لعقائد سائر الماله من كتابية وغير كتابية في معنى "النبؤات" و"الأنبياء".

وليس من العقل في شيء أن يفرض هذا الكاتب، أو يشتكيه، على طالب المعارة من القراء، أن يتلقي عنه ما يقبل عقيدته، أو ينكره برد لا يملك معه أدلة للفصل بين ما يقُدَّم له، وما تستائره عقيدته من نزيف النبياء وعضاً منهم من الإخلاص بحق النبوة. هذا مع ما نعده ونكره، من أن ثقة القارئ بصحيفة الأهرام، مُدعةً إلى الأمن، وإلى الأطمئناء إلى ما يያته فيها، لأنه لا يخطر في ب/render. هذه الصحيفة، إنه يرجون بما يكتسبون نفعًا وشفاءً، فهو لا يكاد يرتبط في شيء معنا به. هذا الفعل إقدام وجرأة على غض الناس، والشباب منهم خاصة، بأسلوب لا يختلف في شيء عن أسلوب توزيع المناشط في أزقة القاهرة، وحارائها، وفي كثيرون من القرى والريف، حيث يحاول المبشرون أن يلقوا بهم ملءهم الحضارة الإسلامية ما يشتهوه من الفساد والبلبلة والاضطراب، طبًا لإضعاف تكون الأمة الثقافي، الذي يُفتي إلى تدمير كيانها السياسي. وهذا أسلوب معروف قد أشرت إليه في المقالات السابقة.

فمما جاء في باب "دارة المعارف" من صحيفة الأهرام، في ذكر يعقوب عليه السلام، أنه كان بين الأخوين التوأمين: العيسى، "عبس"، ويعقوب، "نافع".

(1) هذا الكاتب هو الدكتور محمد أحمد خلف الله.
قوّيّ حوال من يكون كاهن الأسرة، ومستندوّ أسرار السماء، وأن العيش: "نزل من بطن أمه أولاً، واعتبر لذلك الأبناء الأكبر، واستحقّ لذلك حقوق الأبناء الابن البكر، وكان من أهمها حسب التقاليد: أن يكون المستولي الأول على الأسرة بعد وفاة والدته، وأن يرث أسرار السماء التي ورثها، وإلزامه عن إبراهيم، والتي تجعل منه كاهن الأسرة، ومستندوّ أسرار السماء، وملبّه هذه الأسرار للبشرية، ولكن يعوق كان يطمّع إلى هذا المركز الديني، واستطاع بذلك كهنةécialة الخارق أن ينصّر على أخيه، بحيلتين: الأولى: حين اشتريه حقوق الكوريا؛ وأفتدن بذلك سنه الشرعي التقليدي، والثانية: حين احتلال على أنه بتدير من أمه، وحصل على بلدة البحيرة التي كان من المفروض أن يباقاه عيسو (وهو العيسى). ثم يقول: "وفي الطريق إلى الحدود السورية العراقية، حيث كان يقيم خلال لابان، رأى يعوق رويه التي على وُحي السماء، والتي وعد فيها يعوق بأن يكون ذلك المكان الذي رأى فيه تلك الروية له ولأنسه من يشته. ثم يقول: "أقام يعوق بعد العودة إلى أرض شكيم. نابس، وعاوده الريح في شكل الرؤى والأحلام، وأخذ يحارب الروناتية، ويدعو إلى نبذ الأوثان والأصنام، وعبادة الواحد الديان، فلم تستجب له القبائل الكبانية، وناضحته المداوة، ورحل إلى الجنوب وأقام في منطقة بسر، وظل هناك إلى أن كانت رحلته إلى مصر، مع أنسه وأحافته. انتهى ....!!

* * *

وهذا الكلام على سيم عبارته، وركاكة ألفاظه، ومشابهته للغة منشورات المبشرين الذي يدشنونها في أيدي أطفال الأزهار والمحارس كأسية وبيئة، يعرض كلام بناً ببعض ممن بعض. ولم تندر كيف يطبق مرسوم قرأ القرآن العظيم، أو سمع أبناء الله تلّي عليه، مما في ذكر أبنائه ورسله، أن يقرأ هذا الصرب الغير من الكلام عن نبي من أنبياء الله صلى الله عليه وسلم، فعلاً عن أن يُخطّب بعينه ويستعود الورق، بل أن يرضي نسبته إلى نفسه، بل أن يذيع عليه القراء الذين يعلم أنهم مثل مسلمون، ملتئمين، ونوفعه لست أدرى كيف كان؟ ولكن كثيرة كان لأن أحد صبيان المبشرين، قد خول سلطانًا يقبض ويشتهد!! فهو به قادر على أن يستطيع من شاء ما شاء، بلا حرج عليه.
وهذا الكاتب قد استخدم في معرضة الحديث عن ثلاثة من أئمة الله صلى الله عليه: "كاهن الأمة" و"مستشار أسرار السماوات" و"مبلغ هذه الأسرار للبشرية" و"المركز الدنيوي" و"النبي" مفهومًا بـ"الربوع والأحلام" وهؤلاء الأئمة الثلاثة من رسول الله وأنبيائه الذين لا يسمح لنا إيمانُنِّا بإيامانهم، وتؤدي نفوذهم، والبراءة ممن يُتَّبَع منهم، أو ممن يُنَّبِيّهم إلى إيمانهم من الأعمال والأعمال والصفات ما يجلي بعضهم الأئمة وحقوق الربوع.

مع ذلك، فإن كاتب هذه الكلمات، لم يذكر في كلماته فقط أن يُعْقِبُ كأنّي من أئمة الله، بل أقام مقام لفظ "النبي" الذي لا يعترف نحن يُعْقِبُ صفة غيره، لفظ "كاهن الأمة" و"مستشار أسرار السماوات" و"مبلغ هذه الأسرار للبشرية" وأن هذه الثلاثة هي "المركز الدنيوي" الذي كان يُطَحَّم إليه نبئ الله بعقوب عليه السلام. ولا ننكر لما إذا فعل الكاتب ذلك، مع مخالفته تمام المخالفة لما نعرف نحن من مقصى "الربوع"، ومع مخالفته أيضًا لما يصف به أهل الكتابين يُعْقِبُ عليه السلام من أنه "أحد الآباء الثلاثة الكبار للعُليَّة"، يعانون إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب عليه السلام أفضل الصلاة والسلام، وليس من صفته عندهم أنه "كاهن الأسرار" أو "مستشار أسرار السماوات" و"مبلغها إلى البشرية".

ولفظ "الكاهن" عند القوم، هو الذي يبكر الدَّابِجَة المفروضة في اليوم، أو الأسبوع أو الشهر، ويتولى فوق ذلك ضرورًا من الخذمة في محافل العبادة، كالعبادة بالأبوة المقدسة والنوار المقدسة، وحمل تأريخ العهد، وسائر ما هو مكلفون به من فرائض. ولكن هذا النظام لم يكن له أصل قديم على عهد إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب عليه السلام، بل هو مما افترضه عليهم، فيما يقولون، موسى عليه السلام، كما جاء في الإصحاح الشام والعشرين من سفر الخروج مفصلاً مصوصاً، فهذا شيء كان بعد أئمة الله الثلاثة، يكرهون متطاولة، وليس بهذه الوظيفة التي اقتُرِضت على سلالة هرون عليه السلام، مدخل في شأن الربوع والأنبياء، والذي له شبه تمشى هذا المعنى، هو اللفظ العربي: "الكاهن" وهو عند العرب، الذي يتعاطى الخِبَر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويُدْعى عروفة الأسرار، كشقيق ومتَّبِعًا وغيرهما، وهو شبه بالخلاف والمتكأ، ولكن ليس كالكاهن عند العرب.
صفة دينية ينسب إليها، فهذا خطط مسبق جدًا بين ممنيين متباحين، لا يقوله إلا جاهل بحقيقة ما عليه ألفاظ القوم من أهل الكاثاب، وغالبًا عن حقيقة ألفاظ العرب التي تدور في كلامهم. بيد أنه جمع في هذه العبارة بين ما يراه أهل الكتاب في معنى «النبي»، وهو معنى مختلف لما عدنًا، وبين ما يقوله العرب عن العقائد والمنجمين والكهنوت من الأكاذيب والأباطيل التي يتعاطونها إبادة عن المستقبل، وعن معرفة الأسرار المغيبة. فاختصر نبي من أبناء الله عليهم السلام صورة مبتهجة مؤردة من ألفاظ مهيأة المعاني عندنا، فقال عن عقوبة: «إنه نافس أصهاء حول من يكون كاهن الأسرة، ومستودع أسرار السماء»، وهذا خطط، أعجب كيف فات على جبين العبادة الذي تولى نشر هذا فيما وقع عليه سلطانه من صفحات الأهرام!!! وإن كنت على يقين من أنه لا يسمح أن يكون فقهاً في الكتاب الذي يدعى الانساب إليه.

وعن أن يتحمل متمالك فخامة أن هذا الكتاب المخلط بين معنى «النبي» عند أهل الكتاب، و«الكاهن» عند العرب، لم يرد بالكاهن النبي، ولكن هذا ابتدأ لا يخفى، لأنه قال: إن الله القدر من حقائق حسب التقاليد: أن يكون المستوي الأول عن الأسرة بعد وفاة الوالد، وأن يرت بركة السماء (وهذه أعجب العجب!! هل سمع بعثتها مسلم قط ؟!؟) التي ورثها إسحاق عن إبراهيم، والتي تجعل منه كاهن الأسرة، ومستودع أسرار السماء، وبلغ هذه الأسرار للبشرية، ولكن يعقب كان يطمئن إلى هذا «المركز الدينى»: أي وراء ورثها، فيما يزعم الكتاب، إسحاق نبي الله عن إبراهيم خليل الله؛ سواء من النبوءة التي سماها الكاتب بركة السماء!؟ ثم جعل «كركة السماء» هذه، هي التي تجعل منه كاهن الأسرة، ومستودع أسرار السماء، وبلغ هذه الأسرار للبشرية!؟، وأي تقاليد! هذه التي كانت على تجهيز إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام! أي «تقاليد البكورية»!؟

إن هذه الألفاظ التي اختطافها من ألفاظ القوم في كتابهم، موضوعة في غير مكانها! لأن أمر «البكورية» وقواعدها، إنهما جاءتا فيما زعم أهل الكتاب، في شريعة موسى، كما أشار إليه كتابهم في سفر الخروج، في الإصلاح الثاني والعشرين، أن الله قال: «أبكر بنك تعطيني»، أي أن يهب بكره لعباد الله.
وأن يكون البقية خلفاً لأبيه إذا خرج عن داره، وأن يغطي سهمًا زائداً على سهامه إخوانه من مال أبيه، أن يبرم ملك أبيه إذا كان ملكاً على بني إسرائيل. وهذه شرعية موضوعة متأخرة جداً على زمان إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم السلام.

نحن المسلمون، لا نفرق شيئاً من هذا كله في شأن إبراهيم ونبيه، لأن الله تعالى يقول في سورة البقرة: «أَمِINS إِنَّا نَعْلَمُ إِنَّهُ تَمَتَّعَ بِالنَّبِيّةِ وَإِنَّهُ يَمْتَعُ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ يَمْتَعُ مُحَمَّدًا وَإِنَّهُ يَمْتَعُ عُمَّانَةً وَإِنَّهُ يَمْتَعُ مُحَمَّدًا وَإِنَّهُ يَمْتَعُ مُحَمَّدًا»، وقوله في سورة آل عمران: «إِنَّا نَعْلَمُ إِنَّهُ تَمَتَّعَ بِالنَّبِيّةِ وَإِنَّهُ يَمْتَعُ مُحَمَّدًا وَإِنَّهُ يَمْتَعُ مُحَمَّدًا وَإِنَّهُ يَمْتَعُ مُحَمَّدًا وَإِنَّهُ يَمْتَعُ مُحَمَّدًا».

فهذا نقص من الله سبحانه على موضوع النزاع بيننا وبين أهل الكتب وغيرهم، في نسبه بعض ما دان به اليهود بعد ثمانية السنين، إلى أنباء الله المسلمين الذين لم يكونوا قط يهوداً ولا نصارى، بل كانوا مسلمين لله سبحانه، كما قال الله سبحانه في سورة الحج: «وَفَجَهَدُوا فِي الْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَيُجَابُنَ اللَّهَ حَقَّمَا وَلَا يَغْرَقَنَّهُمُ الْأَمَانَةُ وَلَا يُجَاهَدُنَّهُمْ وَلَا يُسْأَلُوْنَهُمْ وَلَا يَجْعَلَنَّهُمْ كَذِبِينَ اً».

فإنّا الحق بعد ذلك، يأتي كتب فنير على الناس في صحفة الأهرام التي يتناولها صبي مبشر، كل هذا الخط المعيب في دين الله الإسلام، مع خلطفه أيضاً في المفهوم المعروف من دينيات أهل الكتب، مستخدمًا في ذلك أفكارًا مخالفًا لأنفاق أهل الإسلام = مشابهة، على خطخله ووضعها في غير موضوعها، لأنفاق أهل الكتب؟ أي هذه المشابهة وحدها ينيرنها صبي المبشر، حتى تذيع بين المسلمين الغافلين عن هذا الضرب المخيف عن المكر؟ وراجع أيضًا ما كتبته في
المقالة التاسعة، عن الرغبة في ذيوع أنفظأ الخطيئة، والفقداء والصلب، والخلاص، فالأسلوب واحد لا يختلف، والهدف المقصود فيما جميعًا هدف مُستَثنَع لا خير فيه).

وأدع هذا الآن إلى ما جاء فيما نقثله آنفأ في شأن يعقوب عليه السلام، وسبرته.

وذلك ما ذكره الكاتب باختصار غير على سفر التكوين في الإصلاح الخاص والعشرين والسبع والعشرين، من ارتكابة شرّ الحبل في شراء البكورة من أخيه العصرّ عيسى، وما تواطأ عليه وهو وأمه من غشى أبيه إسحق عليه السلام وخديعته، حتى سرق منه البركة التي كان حقّها لأخيه العيسى، ومثل هذه الأشياء شائعة عن الأنباء في كتاب القوم، بلا خرج منهم في ذكرها وذائبتها، ولتفسير السحر منهما بضروب من الاحتجاج معروفة لمن يطالبهنّ. ونحن المسلمين ننزل أئِباؤ الله عن ارتكاب الكبائر الموثقة، قبل النبوة وبعد النبوة، لأن الله هو الذي يصطفى من رسله من يشاء، والله أعلم حيث يجعل رسوله، وما كان الله ليصطفىهم من شرار الخلق، بل من خيارهم وأكرمههم عليه وعلى الناس. ولا نرى أن نبياً يختاره الله للنبوة، كان يكون في ماضيه محتالاً، بل مُظلمتة بالغش والخذعة والتخانيث على أبيه حتى يدان ببركة. فإن فعل، فإن الله ليس له مكره حتى يترأّ ببركة على هذا الخبيث المحتال، دون أخيه الذي تخجل عن حقه. فهذا كله قدّرٌ في النبيّ في دينا، وإкраة الله سبحانه على ما ليس لأحد من خلقه أن يكرهه عليه بدعاء أو غيره.

ويعقوب عليه السلام خاصة، فقد نزلت فيه آية صريحة فاضلة، أنّه كان عند الله قبل أن يولد، هو النبي المبشر به جدّه إبراهيم عليه السلام، وذلك إذ يقول الله سبحانه في سورة هود، حين ذكر خبر الملاكنة الذين جاءوا إبراهيم بالبشرى:

"وَإِنَّهُمْ قَانِمُونَ فَصَسَحَتْ فُسَرَّتْهَا إِلَى إِسْحَاقَ وَيُوْزَعَ إِسْحَاقَ يُعَقِّبُوْبَ"، وينقول في سورة مريم، لما ذكر إبراهيم عليه السلام، لما اعتزل قومه وما ادعون من دون الله:

"فَأَتَمَّ أَعْمَلَتُهُمْ وَمَا يُعَقِّبُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهُنَّ لَهُ إِسْحَاقَ وَيُعَقِّبُوْبَ وَأَجْعَلُ لَهَا نَعْيَاً".

إلى آيات أخرى. فهذا الأخير الصادق عن الله سبحانه في شأن يعقوب عليه السلام، أنه
كسائر الأنباء، كان عند الله نبأ مسمى في سابق علمه الذي لا يتبَّدَّل ولا يَنَسخ، وأن جَهَدُ وحَاجَته قد ثَبَّتُ به مُستَمِعًا باسمه قبل أن يقول أبوه إسحاق عليه السلام. فهذا المفهوم من صريح القرآن، وهو الذي أنزله الله سبحانه على نبيه ﷺ، وقال في صفحته في سورة المائدة: أَنْ أَنزِلْتُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ ﺑِالْحَقِّ ﻋَلَىٰ مَنْ كَانَ مُرْسَلًا ﺑِمَنْ أَنزِلْتُ إِلَيْهِ ﻣِنَ الأَلْحَقِّ ﴿۱﴾، إلى آيات أخرى من بعضها، توجب علينا أن نكون شهداء بالحق، بما أُنزل إلينا من كتاب ربا، بلا مواربة في ذلك ولا خداع ولا مياثرة.

هذا، فضلًا عن البيان الصادق ممن لا يُسعبنا خلافة، ففي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد في مسنده، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله: أن عمر بن الخطاب أَنْ يُكتب أصحبه من بعض أهل الكتاب، فقرأه على النبي ﷺ. قال: فغضب وقال: أَنْ تَهْوَوَهُونَ فيها يا ابن الخطاب! (التهوّه)، التحترم حتى يسقط في هونا) والذي نفسه بيده، فقد جئتكم بها يضية نقيبة. لا تسألوه عن شيء، فيخبروك محقق فكنذبوه، أو ببطن فنصدقوه. والذي نفسه بيده، لو أنّ موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يبيعني، وفي حديث عبد الله بن ثابت أنه قال: وألذي نفس محمد بيده، لو أصح فيكم موسي ثم أبعثوه وتركموني لضللتهم، إنكم خُذُّ في الأموٰم، وأنا حُذّكِي من النبيين.

وقد بين ذلك عبد الله بن عباس، فيما رواه أبو عبد الله البخاري في صحيحه، في باب الشهادات إذ قال: يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ، أحدث الأحبار بالله، تقرأون لم يُبِّدُ، لأ لم يخلط بشيء مستحدث)، وقد حذّتكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله، وغيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا: هو من عند الله ليشرأوا به ثمناً قليلاً؟ أفلا ينهاكم ما جاويكم من العلم عن مساعلهم؟ وللله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذي أنزل إليكم؟، وصدق ابن عباس فيما قال في زمانه، ولا يزال صادقًا في زماننا!

ونعم، قد جاء الإذن ممن لا تُسعن مخالفته بالحديث عن أهل الكتاب، فقال.
من حديث عبد الله بن عمرو : أن النبي ﷺ قال : « بلغنا عتقى و لو آية ، وحدثنا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على معتيداً فلا يتبينهم من النار ». رواه أبو عبد الله البخاري في صحيحه ، في كتاب الأنبىاء ، فرفع الله عنا بذلك الحرج في معرفة ما يقوله أهل الكتاب في قصاص الأنبىاء وغير قصاص الأنبىاء .

ولكن هذا أمر له ميزان وضوابط ، من ذلك ما قال الشافعى رضى الله عنه : من المعنى أن النبي ﷺ لا يجيء التحدث بالكنب ، فالمتى : حدثنا عن بني إسرائيل بما لا نعلمون كذبه . وإنما ما نجزؤنه ، فلا حرج عليهما في التحدث به عنهم ». وضابط ذلك أن نعرف ما جاء في كتبهم على كتبنا ، فما وافق كتابنا ، فهو حق ، وما خالفه نص أو خالفت معانيه وراميه ما نعلمه من ديننا ، فنحن نكل إليهم أمراً ، وليس لنا أن نصدفع ، وإن جاز من بعض الوجوه أن نذكره في كتبنا أو نزوؤه . ولكن لا بد من بيان ذلك للناس ، حتى لا تكُن في الحيرة والتناقض والبلبلة ، فإن الأمر كله عندنا دين نحن مستسلم عنه يوم القيامة بين يدي رب العالمين . وكيف لا نسأل عن مثل هذا ، والله وصف هذه الأمة بصفة مازِمة ، توجب عليها البقعة في النظر ، والتحرى في العلم ، ومتاعبة كل شيء من أمر الدين والذنوب بحذر وتحزير وأمانة ، فقال سبحانه في سورة النور : « وَضَرِّعْنَاكُمْ أَثْرَى مِمَّا وَضَرِّعْنَا الْأُولِيَّاءَ فِي الْأَلْسَانِ وَبَايَتُ الْمُؤْمِنِينَ أَثْرَى مِمَّا وَبَايَتُ الْكَافِرِينَ »، و كاف بهدادة الحق أمانة يحملها الغد المتحرى للصديق .

وإذن ، فمن مخالفة نص القرآن ونص الحديث أن نืน أحاديث أهل الكتاب عن أخبار الأنبئاء أو غيرهم ، ثم نفصِلها على الوجه الذي يرويه ، فلا تعقيب على وجه المخالفة بيننا وبينهم . ولكن أكثر الأئم في حق شباب المسلمين وعامتهم ، ومن لا يحسن أن يصر وجه الحق لجهله ولزارة وقضة معرفته ، أن نسق إليه هذه الأخبار كأنها قصص وتأريخ ، بلا أدنى حذر ممن التوهين في تصديم ما يخالف عقيدتنا في أنبئاء الله ورسله . فما ذلك إذن ، إذا عمد إنسان إلى نزع صفة البهد ، كما نعرفها ، عن نبي من أنبئاء الله وعن آبائه ، وإدخالهم في غممر الكهانة.
واليزن والتنجيم والتحديث وأسرار السماء ما هو عدنا باطل مطروح لا يبق؟
والذي يتحدث به الأنباء من النذارة والإشارة وأبناء الغيب، ليس هو أسرار
السماء؟ بل هو تبليغ حق يزيد الله أن يهدى إليه خلقه لطاعته وعباده،
وبنتموا به البداية إلى صراط مستقيم وما ظلك بعد إذا كان أمره، يجعل نبوة
النبي رؤى راء وأحلام حالم، بلا تدير في معنى ما يقول؟ إن هذا الأمر جليل مخوف
العواقب. وما ظلك إذا انسى هذا الكتاب ككل حيلة في التعبير، ليخرج من ذكر
النبي، وما تقتضيه من تنزيه النبي عن أخلاقه لا تلبق بالأنباء، ويتلقى ذلك على
أثر علم اليقين أن يعقوب عليه السلام، ينزع مرسلاً إلى قومه، ثم ينسبه إليه
فعلاً وأوصافاً تقدح في نبوته عند أهل الإسلام؟ ليس ذلك خليقاً أن يضلل النسب
وينفثهم بغزارة الفصص، عن حقيقة معنى: النبوة، وما تقتضيه من أخلاقه؟
واما ظلك إذا استخدم لهذا كله ألفاظًا تدور عند أهل الكتاب، أو ألفاظًا شبيهة
بألفاظهم دون ألفاظ أهل الإسلام، وهو في جميعها مختل، في فهم ألفاظ أهل
الكتاب وغير ألفاظهم؟

هذا عبث غريب، ولكن هكذا يريد صبيغ المشيرين أن يفرض على باب دائرة
المعارف في صحيفة الأهرام، ما توجه عليه المهنة التي يرزقها منذ عاهدة من
عاهدة في الخلوة المشهورة بين أشجار الدردار عند الشلال بكابردرج. وإذا
يفعل الناس موضع أن يسمعوا لم يحدّره، ما دام هذا الطويل من القعود، المفتق
من الأسوار، لا يجد من ينهاه هو وأمثاله عن العبث السوفي المبتدع؟ ورحم الله
شيخ المعرفة، إذ يقول:

يغيب أو غياب مجيب، فالخلق مختلف مذهب
والخير يهتم بينهم، ويقام للشهوب بنير
وأيما سواه أفتح من صبيغ مشه عابث، يتحذ أي أكبر صحف العالم العربي
والإسلامي مثيراً، يطرح منه على الناس ما يشاء كما يشاء، بلا مبالاة، ويمكر
وثيبيت ومجال. ويقال في المثل: "إذا لم تستحق فاضتك ما شئت".
... نار حامية

الرسالة

الخميس 17 شوال سنة 1384
حين شرعت أكتب المقالة السالفة، كنت بين أمرين: إما أن أكتب عن العبث الذي يتولّى الإشراف على نشره في صحيفة الأهرام، مستشارًا للثقافة لويس عوض، وإما أن أكتب عن كتاب وقع لي، رأيته يسلّك نفس المسار الذي اتخذه لويس عوض فيما كتبه عن شيخ المعرفة ورسالة الغفران. فأتثرت الأولى، لأنه متصل بكل الاتصال بوسائل (النبيذ) وأهدافه، ومتصلاً أيضًا بالدى نحن فيه من أمر هذه الفئة التي تتحرك تحت ظلال المستشار الثقافي وبمشورته واحترازه. وكان الموضوع الذي سلف عن نبي الله يعقوب عليه السلام، وكيف سُلحت لكتاب مسلم نفسه أن يجعل هذا النبي الكريم بن الكريم بن الكريم، يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليه السلام، كاهنًا من الكهنة، وحاكمًا من الحاكمين، يرى زوجي كما يرى الناس الزوّى، ولكن هذه الدعوة من السماء، كما قال هذا الكتاب، ثم لم يرّ فيهما كتب على أن يُؤت في سيره يعقوب عليه السلام، وأدّى فيها ما ناقش نص القرآن منضة ظاهرة، فضلًا عن سلسلة صفّة النبوة، كما تعرّفنا نحن، عن نين من الرسل صلوات الله عليهم.

فالآن أفضّي أرزى من الكتاب الذي وقع لي، لأن الأمر فيه يتعلق بنبي آخر من أنياب الله، وهو محمد رسول الله ﷺ. نعم، ليس لويس عوض ذُنب في هذا الكتاب، لأننا لا أحب الاتهامات على الناس، ولكن الذي أدهشني أن الأصوليون، أسلوب كاتبه، وأسلوب لويس عوض، واحد في أصوله وفي تصفيفه، ولولا أن هذا الكتاب يحتلى بالرئاسة، وحاول أن يقرأ الرأئي متعددًا خطيّ الخطط، بلا عجلة ولا تهور، لظنّت أن هناك جمعية وقعت، فقُبرت اسم «الدكتور لويس عوض»، إلى اسم «الدكتور زاهر رياض»!!
وإلى لمحمدك بالخبر، دون مقدمات، فإن كان في الكلام فضلًا، أنبت
ما كان حقًّا أن يكون مقدمة في آخر الكلام، وإن كان الاستغناء عن المقدمات
والمؤخرات في هذا الأمر أولى وأجمل. وعنوان هذا الكتاب: "الإسلام في إثيوبيا
في العصور الوسطى، مع الاهتمام بوجه خاص بعلاقة المسلمين والمسيحيين" وهو
عنوان حسنٍ، في موضوع حسن، وبدأ الباب الأول بدأ كريمة، فيقول، ما نصه:
"جهر رسول الله ﷺ بالدعوة، فوجد فيها العرب خذَّماً لما أذهبوا من
معتقدات، وخروجًا عامًا اعتدوا أن يعبدوا. ولكن هذا لا يقسم بما وجد أغلب
قريش من تقويض لسلطانهم، ومنصرف عن لذاتهم التي اعتدواها، فأصابوه العداء،
وأجمعوا على محاربة وقضاء على دعوته".

أباد ما في الكلام من نظار المرء بما لا يعتقد دينًا حقًا ويبيتًا، وهو أمر غريب
محمود، وإن كنت أرجو أن لا يكون عليه بأيام من ذلك إن شاء الله، وعتصم
ولعل. ولكن بقية الكلام كلام فيه تظاهر من نوع آخر، وهو التفسير في عقل
التاريخ، وذلك أنه زعم أن رسول الله ﷺ لما جهر بالدعوة، أنكرت العرب ذلك
لخلفته لما اعتدوا وما غدروا، ثم استُثنى منهم أغلب قريش، وغُلِّ عداؤتهم بأنهم
خافوا أن يقوض سلطانهم، ويجعل بينهم وبين لأنهم التي اعتدواها؟

واهذا عجب. لأن الأمر إذا أن يكون مأخوذًا من الكثير المؤثرت بروايتها أو يكون
منزوعًا من التوهم والتخويف. والثير بإجماع لا تقول شيئًا من هذا، ولا تدل
عليه. لأن رسول الله ﷺ لما ترك في مكة، ظل قد اعتقل مكة، وهما قريش،
مستفيضًا ثلاثة سنين أو أربع، إلى أن أمره الله بإظهار الدعوة يقوله: "وَأَنَذِرُ
عْشَرَيْنِ الآَخِرَيْنِ" وَعَفَضَ جَلَّ جَلَّ لَمْ يَكُونَ مِنَ الْمُؤَمِّنِينَ قَلَّ
إِيَّ يَا بُعْرَ، وَقَالَ "عَشَرَيْنِ الآَخِرَيْنِ". فهم قريش أيضًا، فأسلم في فترة
إخفاء الدعوة عدد قليل جدًا، مجتمعًا من قريش. فلم تعلَّل الدعوة ودعم قريشًا، وهو
عشيرته الأقربون، ترددت قريش في أمرها، وراغبهم ما يدعومهم إليه، ولكنهم لم
ينكرون عليه شيئًا من ذلك، حتى عباد أهليهم، وسُهم أحلامهم، ودمّ ما كان عليه
آباؤهم، وأخبارهم أن آباؤهم في النار. فبعد ذلك أغضبته قريش غضبًا ومهمجة،
فُعاَظَهُو، وأخذوا من آمن به بالأدّى والعقيدة والتكال. وَقَّلَ الأمر على ذلك، ورسول الله ﷺ بدعو قومه قريبًا إلى الإيمان بالله، وينذرهم بالنار إن كذبوا، ويشترهم بالجنة إن أطاعوه واتبعوه.

فهذا ظاهر ما في السير جميعًا، وهو الذي يدل على تنزيل القرآن متجمّعًا على أحباه إلى نزل فيها، فإن مجيء في دعاء قريش إلى توحيد الله سبحانه، وتبت الأوثان، وخلع الأنداد التي اتخذوها الله شركاء، والاحتجاج عليهم في ذلك كله، بالحجج البدائات، وما يختلّ ذلك من الدعوة إلى مكارم الأخلاق، من بذل المال، وإكرام البيوت، واتقاء الفواحش، وحفظ الفروج، وسائر المكارم التي دعا الله إليها عباده، والتي كانت العرب تتخيلُ، أو تحث أن تتخيلها في جاهلتيها، من إرث أبيها إسماعيل، وهي الخبيثةُ دين إبراهيم عليهم السلام.

أما ما كان يحول بين قريش ولداتها، كالخمر، والميسر، وأشباحها، فإن تحريرهم لم ينزل إلا بالمدينة، بعد الهجرة. وما فيه تكليف يشغّل من الزكاة والصدقات وسائر الأحكام، فكل ذلك أيضًا كان مما نزل بالمدينة. إذن فهذا التعليل الذي ذكره الأستاذ لما كان عن عداوة قريش رسول الله ﷺ، باطل، وهو فيه متاعب الكثير من سخافاء المستشرقين وأشباحهم، بما في ذلك تقويض السلطان . للأسف الأمر لم يكن بهذا الوضوح يومئذ، وإنما يقول ذلك من أخطأ النظر، وصُبح ما صار إليه أمر الإسلام من الظهور والغيبة بعد زمان طويل جدًا، على ما كان في نَأْتِه الإسلام، [ أي في أوله، قبل أن يقوى، ويكبر أهل ونصوره، والداخلون فيه، فهو عند الناس يومئذ ضعيف ] . وأتى قريش أن تعرف على كثرتها وغلبتها وتخلائها، أن أنَّا لا يَغْدُون أربعين رجلاً، أن تكون لهم الغلبة في الأرض، فيفظوضون سلطانهم؟ هذا عجب ولا يد .

وطلِ أمر الدعوة محصورًا، أو يكاد يكون محصورًا في قريش، إلى أن كانت سنة سبع من النبوة، فاتمت وفاة رضي الله عنها، وفي أن لا يَكَفَحَ بني هاشم ونبلاء العلاب، رُفْطُ رسول الله ﷺ، ولا يِبِعْوُهُم ولا يجالسوهم حتى يُشِلَّموا إلىهم محملًا، وكتبوا الصحيحة، وعلقها في الكعبة، وانحات بُني هاشم، مؤمنهم وكافرون سنة سبع في يَغْلُبُ أي طالب .
وبقوا في الشعب محصورين لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم ثلاث سنين، أو حتى سنة عشرين من النبوة، حتى فضلت الصحبة، وخرج رسول الله ﷺ من الشعب، فكان أول خروجه بعد ذلك في الدعوة إلى دين الله ﷺ إلى الطائف في شوال سنة عشر، ثم كان بعد ذلك بعده، أن ذهب رسول الله ﷺ ببركة نفسه على قبائل العرب أيام الموسم، وبدعهم إلى الإسلام، وخرج وراءه أبو لهب بن بث يده، وهو عم رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يقول لقبيلة بعلة في الموسم: «من رجل يحمل إلى قومه فمتعنى حتى أبلغ رسلة ربي، فإن قريشًا معنى أن أبلغ رسلة ربي، فقول أبو لهب بن بث يده: لا نسمع منه فإنه كذاب! فكان أحياء العرب تتحاملا لما تسمع من قول أبي لهب بن بث يده، ولمما كانوا يسمعونه من قريش من قولهم فيه: كاذب، وساحر، وكاهن، وشاعر.

وإذن فإن تقديم الأستاذ ذكر «العرب» في إنكار دعوة رسول الله ﷺ على ذكر قريش، لا يطابق شيئاً من الشيء ثمّ خسفه «قريش» في إنكار الدعوة بما خصبه به، وتأخير ذكر «العرب» وهو اللفظ الجامع الذي يدخل فيه قريش وغير قريش، لا يطابق أيضاً شيئاً من الشيء، وإذن فهو كما قلت، لا ينتهي إلا إلى التنوير والتحكير وإظهار التفسير في التاريخ بلا أصل من منطق قوم.

والإلغاء هذا الكلام إلغاء مجزأاً كانه شيء مسلم مقطوعً به، هو داء ليس عوض، الذي ظهرت أعراضه فيما كتبه عن شيخ المعرفة، كما أسلفت بيان ذلك، ومهما يكن من شيء، فإن الأمر لو قد بلغ هذه الأغية وقف عنها، لما كان على الأستاذ الفاضل فاكّ، بل يقال له ما كان يقال في المثل: ليس بعُمُّ فائزٌ، أي ليس هذا من الأمر الذي لك به علم، فذفه. وأيضًا، عن أن يكون معدوناً، فإن هذا الخلط متلفش عند جمهرة من أدباء الكتب في زماننا، نقلاً عن العرض المتلفش في كتب الذين طمس الله على عيونهم وعقولهم إذا ذكروا رسول الله ﷺ من المستشرين أو البشرين!! والمستشرون والمبشرون هم في الحقيقة
جماعة لم يصلحوا لشيء في بلادهم، أو لم يطبقوا أن يكونوا شيئًا مذكرًا، فيشرح الله لنا بسرهم له من الاستشراق أو التبشير. ولو أن أحدهم كتب كتابًا في تاريخ أمته، بمعنى العقل والمنطق الذين يكتب بهما في تاريخ الإسلام، لكان مقصودًا ما يطبع من أن يظل مطروحًا عند ناشره، حتى يفتح الله عليه فيبيعه بالجملة لمن يستعمله لشيء يترقى منه غير القراءة!

هذا ما قاله في ص: 30 من كتابه، فلا نكاد نصل إلى ص: 30 وما بعدها، حتى نكون قد قطعنا شوطًا بعيدًا جدًا في ضروب من العلم تقول فيها: نعم، يا سيدي! ولا، يا سيدي! ثم تنها إلى قوله: وتقول المصادر العربية إن ملك إثيوبيا، [معنى ملك الحبشةٍ، كما سأذكر ذلك فيما سيأتي]، كان يسمى الأضخم، أو أضخم، وهو اسم لا نجدُه في كبرانجست الذي يحتوي أسماء ملوكهم، مما يدعونا إلى الاعتقاد أن الذي استقبل المسلمين وأكرهم ومنحهم حمايته، لم يكن غير البحر نجش، أي حاكم الولاية الإثيوبية البحرية.

ولا أدرى، على التحقيق، ما هي هذه المصادر العربية التي يشير إليها الأستاذ، لا أدرى لماذا أفهمها كَلِّ هذا الإبهام؟ بل أنا أدرى، ولكن لعل القراء لا يدرون. فاسم «أصحح» الذي لم يجده الأستاذ في كبرانجست نجده.; نحن فيما هو أصدفٌ صدفًا من كبرانجست (1)، ففي الحديث الصحيح عن جابر بن عبد الله صاحب رسول الله قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: مات في صحيحة عن جابر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مات اليوم عبد الله صالح، أصححه. فقام فأقرأ وصل على.

وحكسب بهذين مما فيه ذكر أصحح. من الحديث الصحيح، أما ما فيه

(1) سُئلِ النبي التصريح في الخبر بأن أصحح هو ملك الحبشة، فيما يأتي ص: 288، س: 10.
ذكر «النبي»، دون تعيين الاسم، فكثيراً، وكلها دال على أن رسول الله سماه أياً للمسلمين، وصلى عليه صلاة الغائب، والذي لا ريب فيه أن رسول الله، لم يصل قط على غير مؤمن بالله ورسوله، لا بهودي ولا نصراني، ولا منافق، فقد هذا النبي الذي نزل عنه المسلمين، كان قد أسلم ولا شك، ومنثور في رجب سنة ثياب، كما قال الطبري وغيره، أو قبل الفتح كما قال بعضهم، وليس معلوماً أن يكون رسول الله قد سماه أياً من عند نفسه، وهو غني عن أن يذكره إذا لم يكن هذا اسمه الذي عرفه به الناس فلم سبما المهاجرون إلى الحبشة، وقد عادوا إلى المدينة سنة سبع بعد الهجرة، بعد أن أرسل رسول الله إلى النبي، أياً من عنده أسمه كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام، مع عمو بن أمية الصقري، فآسلم، وكتب إليه أيضاً أن يزوجه أمه حبيمة بن أبي شفيان، وكانت فيمن هاجر إلى الحبشة فزوجه إياها.

فهل هناك طريق إلى معرفة اسم النبي، هو أوثق من هذا الطريق، الذي تدل عليه كل هذه الروايات والصلات؟ لا أظن، وإن زعم أنف كبرانجست. وإذا كان كبرانجست قد أعف أسم هذا النبي، فأولى أن يقال إن إغفائه إما جاء من قبل أن الرجل أسلم، قبل وفاته بنحو سنة أو ستين، فهذه اسمه من جريدة ملوكهم، ومع الملك الذي يدلون بالنصرانية، أليس كذلك؟ أو على الأقل أليس هذا رأياً أشبه بالصواب؟

ولكن الأسئلة التي تناول كل العناية في هذا الموضوع (صف: 30) بإبقاء المصادر العربية، غني في ص: 46، بالإضافة إلى تاريخ الطبري في حوادث سنة ست من الهجرة، وفصل بين الموضوع الأول، وهو ذكر أياً، باسمه، وبين موضوع إسلامه الذي ذلنا عليه أنف فقال:

وفي سنة ست أرسل النبي عليه الصلاة وسلام، هذه الصلاة من المؤلف نفسه، إلى النبي كتاباً يدعوه إلى الإسلام، فاستقبل النبي كتاباً حسباً، ووضعه على رأسه وأسلم، على ما تقول المصادر الإسلامية، وإن كنا لا نجد لهذا
سندًا مطلقًا في المصادر الإثيوبية ( يعني الحبشية )، ولكن ما عُرف عن الإثيوبيين
( يعني أهل الحبشة ) من تمثيل بديهم، يلقي ظلًا من الشك على هذه الرواية،
كما أن الرواية توجي بالتكذيب أكثر مما توجي بالتصديق، فقد ذكرت أنه أرسل
رده مع ابنه ( أريحا )، ومعه ستون رجلاً ركبوا البحر، وساروا به السفينة، حتى
إذا أتوصلت البحر، هاجت عليها ريغ فأغرقتها ومن فيها، ويظهر أن المؤرخين
المسلمين نُغرى بإيقاف الكتاب، فأنا لنا بنضة، أكثر مما غلو بإيقاف أصحابه
انتهى الأستاذ الفاضل من سخريته بالمؤرخين المسلمين!!

وهذا بلا شك شيء غير لائق، أن يوهم القراء أنه رجع إلى تاريخ الطربي،
وقرأ بعينه اللتين ينصير بهما، ثم يقول ما قال عن "المؤرخين المسلمين "، بهذا
التعليم المستنفر، ولو حدث ما قاله، وكان هذا أو مثله عند "المؤرخين
المسلمين "، لنفسنا نحن أبناء منهم منذ زمان، من قبل أن يستطيع مثل الأستاذ
زاره بريء أن يحظ حرفًا على ورق !! وهذا الأسلوب، هو نفس أسلوب المسمى
لويس عوض، أو كأنهما يبنعا معًا من منبع واحد !!

ولو تركنا كُل كتاب، ولم نفد إلا إلى كتب التاريخ، لرأينا ابن سعد في طياته
الكبري ( 1/5/6، 16)، حين ذكر بقية رسول الله، بأبي هو وأمي، بكتبه إلى
الملوك يدعوهم إلى الإسلام يقول: فكان أول رسوله بعثه رسول الله ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ 
أميه السُّكَّرًا إلى التجاذبين، وكتب إليه كتابين، يدعوهم إلى الإسلام،
وثبتوه القرآن، فأخذ كتاب رسول الله ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ 
هذا الأسلوب، هو نفس أسلوب المسمى
على الأرض تواضعًا، ثم أسلم، وشهد شهادة، وقال: لو كنت أستطيع أن
آتيك لأتيك، وكتب إلى رسول الله ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ 
جعفر بن أبي طالب، والله ربي العالمين، وفي الكتاب الآخر يأمرن أن يروجوهم
بنت أبي سفيان بن حرب، وكانت قد هاجرت إلى أرض الحبشة، مع زوجها عبيد
الله بن جحش الأسدى، فنفترش هناك ومات، وأمره رسول الله ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ 
في الكتاب أن
يبعث إليه بمن قيله من أصحابه ويحميلهم، ففعل، فروجهم حببة بن أبي سفيان،
أضجر في النجاشي أربعمائة دينار، وأمر بجهاز المسلمين وما يصلحهم، وحملهم
في سفينةين مع عمرو بن أمية الضمیرى، ودعى يبعه من عاج، فجعل فيه كتابة
رسول الله ﷺ وقال: لن تزال الحبشة بخير ما كان هذان الكتابان بين أظهرها. 
فهذا قول محمد بن سعد المتوفي سنة 130 من الهجرة، ( وانظر أيضاً ابن سعد 1
/139 مثلاً، إلخ ) [ انظر ما يأتي ص: 251 ]

ثم يأتي أبو جعفر الطبري، المؤرخ الثاني، المتوفي سنة 310 من الهجرة ،
فيذكر في حوارث سنة ست من الهجرة، نقلها عن محمد بن إسحق
صاحب السيرة ( المتوفي سنة 151 من الهجرة) قال: ببعث رسول الله ﷺ
عمرو بن أمية الضمیرى إلى الحبشة، في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه،
وكتب معه كتاباً: باسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله ﷺ إلى الحبشة
الأصحب، ملك الحبشة: سلمت أنت، فإنك أخمد الله إلیك الملك الفذور، السلام
المؤمن المهمة، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكماله ألقاها إلى مرشد النبوي
الطيبة الخصيقة، فحملت عيسى فخلكه الله من روح وفتقه، كما خلق آدم بذه
وتفقه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتعبد
وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله. وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرًا ونظرًا معه
من المسلمين، فإني جاهدك فأقرهِم ( أي أحسن إليهم) ودع التجهر، فإني أدعوك
وجندوك إلى الله، فقد بلغت ونتصل، فاقبولاً نصحي، والسلام على من اتبع
النهدى.

فكتب الحبشى إلى رسول الله ﷺ: «من النجاشى الأصحب بن أبجر، سلام
عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته، من الله الذي لا إله إلا هو، الذي هدئى إلى
الإسلام، أما بعد، فقد بلغتي كتابة يا رسول الله، فيما ذكرت من أمر عيسى،
قُورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت تفوقه، إن كما قلت.
( والنفران: هو العلاقة التي تتعلق بها نواة الثمرة إلى قنعة) وقد عرفنا ما بعث به
إلينا، وقد كتبنا ابن عمك وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادقًا مصدقاً، وقد
بايعت وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه الله ورب العالمين. بعثت إليك ببابي
أرها بن الأصحب بن أبجر، فإني لا أملك إلا نفسى. وإن شئت أن آتيك فعليه
يا رسول الله، فإني أشهد أن ما تقول حقًا، والسلام عليك يا رسول الله. ثم يقول ابن إسحاق في إثر ذلك: "وذكر لي أن النجاشي بعث ابنه في سفين من الحبشة في سفينة، فإذا كانوا من وسط البحر غرقوا بهم سفينتهم فهلكوا".

وإذ هذا الكلام واضح لمن يُهم أن يقرأ بالعربية، من لا تعلم بعضه أو نفسه عواطف التهيج الدفين، فيُغلُث النجاشي ولده في سفين من الحبشة، الذي ذكره ابن إسحاق بصيغة التمريع والضبطية وهي "وذكر لي"، لعلاقة لها بالخبر المذكور قبله السنة، هذا، على أنه ليس بمعقول أن يرسل نبيَّ أو ملك أو سلطان، إلى ملك أو سلطان، رسلًا، معه كتاب، فيجعل الرد مع غير الرسول الذي حمل إليه الرسالة، هكذا المعهد في آداب السفرة والرسالة واللغة، هذه واحدة. وأما الأخرى، فإن مؤرخ المسلمون الذين يتفقُّلون الأستاذ بهم ويضكون، ويحاولون أن يضحكون منهم بخطة ذهـب، يعلمنا أن عمرو بن أمية الشريَّر رسل رسول الله إلى أصحابه، عاد إلى المدينة ومعه جعفر بن أبي طالب وأصحابه، كما قال الطبري وسائر المؤرخين، وأنه بقي حينًا إلى أن مات في زمان معاوية رضي الله عنه سنة سنتين من الهجرة، فهو الخليفة، بأن يعرف نص ما أرسل به إلى النجاشي، وما أرسله النجاشي معه، ومن طريقه روى الزوايا الكتابين المذكورين، فإنهما كتاب النجاشي (!!!) جاء عن هذا الطريق، لا عن طريق ما خلقت فيه الأسباط الجامعي (أيضاً !!!)، وهو يقرأ هذه التصوص، وخبر بعثة النجاشي ولده مع سفين رجلاً من الحبشة، جائزة، وغرق السفينة بهم، جائزة، ولكن العتب بالنصوص، ثم السخرية بمؤرخ المسلمين بعد نسبة هذا العتب إليهم، ليس بجائز أبدًا.

وأغرب ما في تمام هذا الكلام، أنه بعد أن أثبت بطلان إسلام النجاشي في ص: 46، قال في ص: 47: "ومات النجاشي سنة تتسع من الهجرة، فسرعان ما علم النبي بالخبر، فذاع أصحابه وصفهم خلفه، وصلى بهم عليه، وهذا هو الأصل في صلاة الجنازة على الغائب"، فيقالة (وإن لم يكن هذا القسم من أيمانا التّي
هذا الآستانة روى في ص 19 وما كان من أمر الهجرة إلى الحبشة، فقال:

«فلما رأى الرسول عليه السلام (هذه الصلاة من عند الآستانة) ذلك، رجَّل قلبه لأنصاره. وخشى عليهم أن يغتنموا (يعني تذيب المشركين للمسلمين)، فأشار عليهم أن يقتزوا بإيمانهم ويهاجروا إلى بلاد (الحبشة)، فإن بها ملكًا لا يظلم عنه أحد»، ثم عاد في ص 30، التي كانا قد نقلنا منها النص السالف فقال: يقول النبي ﷺ: لو خرجتم إلى أرض (الحبشة)، فإن بها ملكًا لا يظلم عنه أحد».

وهو يصر على وضع (الحبشة) بين قوسيين، لأنه كان يريده أن تكون (اليبوبية)، فعندها في هذه المواضع، ثم يقول في ص 31: «أما أنملك (الحبشة)، لا يظلم عنه أحد، فهذا حق، ويظل يبني بالأدلة على صدق هذه المقالة، إلى أن يقول في ص 33: فالمنتخب إذن لتاريخ إثيوبيا، منذ أقدم العصور، حتى القرن الرابع عشر الميلادي (بهذا التحديد البديع، لسبب يتبع من قراءة كتابه، ليس من شأنه هنا أن أفصله)، لا يجد مكانًا للعدوة الدينية، وما تبعها من جدل ديني وحروب دينية، تقوم على أساس فرض ديانة بعينها، أو إرغام فريق من الناس على اعتناق أو ترك أي مذهب من المذاهب، وهذا ما عاناه النبي عليه السلام يقوله: إن ملك (الحبشة) ملك لا يظلم عنه أحد».

وذاك كلام حسن، أو نصف حسن، أو زائد حسن، أو دوًن ذلك فقدًا.
(نفيض وolk: فصاعدًا!!). وهو كلام كان يحسن السكوت عليه، يبد أن الأستاذ لم يرد أن يسكت. فقال بعد ذلك مباشرة: «ولكن من أين عرف النبي ذلك؟» سؤال مهم جدًا، لا يستغني عنه كتابه الفريد في نوعه!

وفي الجواب عنه يسَّلك نفس السلوك الذي سلكه لويس عوض في أمر شيخ المعرفة، والقارئ يذكر أنه كان يسوق الكلام عن شيخ المعارفة كأنه بديهية من المسلّمات قد فرغ العلم كلها من تمحيضها كما ذكرته في أول المقالة الأولى حيث قال: «وقد تعلم المعارفة في اللاذقية، كما تعلم في أنطاكية...»، إلى آخر هذه القصة المملولة = فيقول الأستاذ رياض، في جواب سؤال نفسه!!

أرَى أَن هذَه المعرفة ترجع إلى مصادر ثلاثة وهي: أولًا: من كان بعكة من البَيْن الإثيوبيين (أي أحبارهم؟) فجمع المصادر تجمع على أن العلاقات بين إثيوبيا (ويعني الحبشة أيضًا) والحجاز في ذلك الوقت، كانت وثيقة مستمرة، وعاش بعكة كثير من التجار الإثيوبيين (أظهرت القراء عرف من هم!) الذين استطاعوا أن يؤمنوا تجارة ناجحة. وكان النبي عليه السلام (السلام عليه من المؤلف) في شبابه عارفًا عن معاهدة إذاعة من العرب، ومشاركتهم فيما هم فيه من لهو وشغله، بل كان يعاصر أهل الكتاب، ويسمع منهم ويتعلَّم («يعلمنا»! هكذا يصريح العبارات، كما يقولون!!)، فهل نستبعد (حاشى الله يا عزيزي) أن يكون النبي عليه السلام قد اجتمع بالعترة بهذا معه من الكتابين إثيوبيين عرف منهم أمر إثيوبيا وحالها؟ هذا إلى أن استمرار العلاقة بين إثيوبيا والحجاز وسرعتها، حملت إلى تلك البلاد أبناء الدعوة الجديدة، فأتأت منهم كثيرون يبحثون عن هذا النبي الجديد ليسمعوا منه ويتَّبعوا به!.

وكان الأمر واضحًا لوقصر هذا الكاتب على أن يذكر ما زعم من وجود تجار الحبشة بمكة، وأن جمع أن تكون أخبار أصحابه الملك التجارى في غيابه وحكمته قد كانت معرفة في مكة. ولا يتبادر أحد أن ذلك ممكن عندما يكون كما قال الكاتب، سواء أكان الدليل موجودًا على وجه القطع، أم مُستَطَّعُرًا من بعض القرآن. ولكن ليس شرطًا أن يكون تجار الحبشة (من الكتابين) لأن التاريخ,
الذي يشهد هو على صدقه في كتابه، يدل على أن أهل الحبشة كانوا على ديانات مختلفة، منها اليهودية، ومنها النصرانية، ومنها سائر الأديان المختلطة.
ولا يستطيع هو، ولا أحد غيره، أن يقطع بأن اليهودية والنصرانة كانت يومئذ هي الغالبة على الحبشة، فربما كان الأرجح أن يكون الأمر يومئذ كان على خلاف ذلك. أعنى أن اليهودية والنصرانة كانت قلة في تعداد سكان أرض الحبشة، ومع ذلك، فهذا أمر لا يعنينا الآن في شيء، ولكن الذي يعنيه ويعني كل مسلم، ثم جل أمراء لا يخالط ضميره الهوية من غير المسلمين، هو هذه العبارة التي أظهرها النبي عليه السلام في شيبة عازفاً عن معاشرته لدنائه من العرب، ومشاركتهم فيما هم فيه من لهو وشدة. هذين الأولين والثانيين: بل كان يعاش أهل الكتاب ويسمع منهم ويعلمون. ما هذه المسائل البدنية! من أين يأتي بهذا الطريقة الجديد؟

من قال له النبي في شيبة: كان عازفاً عن معاشرته لدنائه من العرب؟

أنا أعلم بلا شك من أين يأتي بهذا الكلام. هذا شيء قديم كثي سمعه ونحن أطفال
من السندوق زومرو وأشارة من المشيرين المشكعين في طرق الضر. وهو
كلام كانوا يخالون به الأطفال والولاة، ليما أجلهم سلطان الاستعمار أن يتحرروا
في بلادنا كما شاءوا. بل أخذ يدفع عن الناس هذا السحق الساحق. هكذا جرت
الكلمة، والأمر الله. أو تدرى من أين كان يستخرج هذا القيس معديه؟

الحديث مشهود بن إسحاق، عن محمد بن عبد الله بن قيس بن مخرمة، عن الحسن
ابن محمد بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن جده على بن طالب قال: [ موارد
الظمآن رقم: 1100 ، 1050 ، عيون الأثر: 44 ، 45 ]

سمعت رسول الله يقول: ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية
يعملون به إلا ليلتين، كتارهما غضبنا الله فيها. قبلت ليلة بعض فتية مكة، ونحن
في رعاية غنم أهلها: أثيروا غنم حتى أدخلنا مكة أسرهم فيها كما يسرى الغتباء.
قلنا: بلاني. قال: فدخلت حتى جبت أول دار من بحر المكة، مسعت عزة بالغرابيل
والبشار، فقلت: ما هذا؟ قالوا: تزوج فلان فلانة. فقلت: أنظر الله، وضرب الله
على أذني، فوالله ما أبتغي إلا لمس الشمس. وذكرنا هذه المرة الأخرى مثلها. 

وإسناد الحديث فيه نظر، وهو عند المحدثين غريب، ومع كل ذلك، فليس
فيه شيء يدل على أنه كان عازعاً عن «معاشرته لداته من العرب»! وأيّاً امرئ؛ يعقل هذا أن يكون ألم يكن لداته عمّال إلا الله والمعتنة بالليل والنهر حتى يعرف عن معاشرتهم! يأتية عقول يفكر هؤلاء الناس؟ ولكن هكذا يريدون! فإذا كان كل لداته من أهل مكة لا عمل لهم إلا الله والمعتنة = والحديث دال على أنه لم يهم بشيء من ذلك إلا مزتين = فهو إذا لم يكن معاشر لداته، وإذا كان لم يعاصر لداته، فمن معاشر؟ يعاصر أهل الكتاب. لماذا؟ لأن أهل الكتاب من الأحباس وغير الأحباس، ومن كان بمنة، لا يمكن أن يكون من أهل الله والمعتنة. ولماذا؟ لأنهم أهل الكتاب! وهذه المنطق السليم الذي لا يعدي فيه إلا أنه منطق مبتررين، ومن كان على شاكلتهم قديماً أو حديثاً، في اعتبار موازين الإدراك الإنساني، يستطعون أن يصلوا إلى النتيجة التي يطلبونها، وهي أن النبي ﷺ: كان يعاصر أهل الكتاب يسمع منهم وتعلم!!

هذه، بلا ريب، بدءيات بنيغز أن يقرأها شباب المسلمين وشيوخهم ويستفدوها من القويس زويري، ومن الأستاذ زاهر رياض، بلا اعتراض ولا ارتباط، فهى مسالمة لا يستطيع العقل أن يقفها!! ولا فن أن أين تعلم هذا المرجع الإسماعيلي الذي لم يجد من رحم شاردة أمرأة إبراهيم عليه السلام، بل من رحم الحرية فأجز المصري التي وهبها له شاردة، فلما حملت إسمااعيل ضعّفت موالاتها في عينها، فلكن ذلك إلى إبراهيم، فردته إليها وقال لها: افعل بها ما شئت، فأجتازها سارة حتى هربت فأجز من وجهها؟ كما يقولون في توتراهم!!

ولكن الأستاذ لا يقتصر على هذا القدر، فإنه قدّر لا يتشفي غاية، كما لم يشف غياً. للويس عوض أن يتعلّم شيخ المعرفة في الطائفية وانطاكية، فأضاف إليهما راهب دير الفاروس! وذلك أن القارئ قد يظن أن أهل الكتاب هم الذين ذكرهم حسب، أي «التجار الإثيوبيين»، فهؤلاء قد يكونون جهلة، لا ينكر الله بعروف من أمر الدين والدنيا شيئاً يمكن أن يتعلّمه أحد وهم جليلة، بل ريب عندى أنا على الأقل. فإذا فعل؟ بمضى من ص: 34، في خط دين كثير لا أحسب أن أقف عليه، حتى يصل إلى ص: 38 فيقول: فإذا نزل بالنبي عليه السلام وأصحابه ما كانت تنظرهم به قريش من اضطهاد وتعذيب، تذكر ما كانت ترويه له ألم أيمن من أخبار
مثّلها، وهذا اكتشاف ذي افراد الأستاذ بيته في س: 37، وأضاف إلى ما أعرفه من المواوي الإثيوبيين، وراد عليه ما عرفه من تجارهم وقساوهم الذين اختلط بهم بمكة فيما سبق من حياته..... انتهى.

هذه مهارة وحسٍّ تصوف، فإنه لم يرد أن يضع «القساوة» في المادة الأولى من مواد الانتهاج الثلاث، فأجعلهم حتى انتهى، ثم جاء بذكّرهم عرضًا كأنه لا يعني شيء، ولكن هذا الأمر مسألة لا غبار عليه، تنطق به كتب «المؤرخين المسلمين»، بلا حاجة إلى دلالة على موضعه، كما فعل في أمر إسلام أصححة النجاشي الذي أدى جمل الأديان أن يكون قول «المؤرخون المسلمين» فيه قد بلغ هذه الدرجة المبكرة من السوء، ونسبة هذه الشعاعة إليه!! وهي إسلام أصححة!!

وأنا بلا ريب، لا أبالي بما يقوله هذا الأستاذ الجامعي الآخر، في مثل هذا الشأن، وأظن أنني لم أبال ببمتي ذلك قليلاً ولا كثيرًا، حين نقلت في المقالة الخمسة، عن عبد المسيح بن إسحق الكندی ما جاء في كتابه الذي طبعه المبشرون طبعات كثيرة ووزّعه في كل مكان، وعسى أن تكون عند الأستاذ منه نسخة، وإلا فإنّي أثيرّ ببديهته نسخة نفسية منته.

رَّمَع عبد المسيح الكندی بأصرح من هذا الكلام الملفق في الألفاظ، المغلف بكترة الصلاة والسلام على النبي صلّي الله عليه وسلم، إنّه هو تلميذ لسجيسوس الراهب، الذي أنكره الكنيسة وطرده، فانتهى إلى دينه وتلقّى برسول الله صلّي الله عليه وسلم، بأيديه هو وأمي، حتى امتِهلاه، ونسبيه نسطروبوس، وارداه عن عبادة الأثريّان، ثم صبره داعيًا، وتعلّمًا له يدعو إلى دين نسطروبوس.

وأنا لا أقول إن لم أبال بهذا ولم أخفّي، بل لأن الذي يقرأ القرآن ويسعّى ما قاله المشركون وغير المشركين، لنبي الله، وعلو ذلك مرات إلى آلاف المرات، يجد أن هذا السخيف الذي جرى على لسان عبد المسيح ورثته من بعده، لا يعود سوء أدب، بل هو سوء عقل، ومن كلّف نفسه تتبع سواعت العقول التي تشبه عقل عبد المسيح، أضنّي نفسه في غير طالب. والله تعالى يقول في سورة النحل: ﴿وَلَقَدْ نَعْمَلْ أَنْتَهٌٓ لَّقَوْلُكَ إِنِّيَا بِمَعْلُومٍ مُّنْسَكٍ﴾،
الله يجعلكم على طاعته أمة متحفة، ولهذا يганه عكر الصيت، فلم يتردد أحد من المسلمين في أن يذكر الأقوال المختلفة في هذا المنشار إليه في الآية، قبل اسمه: "يعلم أن قيل: "تشير"، وقال: "تشير"، غلام تنصائي"، وقيل بل: "قبر"، وقيد: اسمه "بسم الله، كنا يقرآن التوراة، وقيل: "سمعان الفارسي". وظاهر على الرأي، عند المسلمين أن القرآن لا يمكن أن يكون كلاماً بشر أجمع، أو غير أجمع، وظاهر أيضاً بدليل العقل والصبر أن ما في القرآن من الفسق الذي يُدعى بعض الناس فيه ما يُدعون، مخالف كل المُختلفة لما في التوراة والإنجيل، لا في سياقه نفسه بل في العقائد المتصلة به، التي ترفض ما لا يقبله العقل، كما أسفلت في المقالة الماضية.

وقد يظن الأستاذ الأذنون فينمس المخرج، لأنه يرى أنه بهذه الأسلوب المتنازل الموجي بل تصريح، يستطيع أن يقول مثلاً: ولكن لم أرد أن أذهب هذا المذهب في تعليم رسول الله رضي الله عنده من تجار الأحباش وفساوس الأحباش، بل أردت هذه الأحباش العامة عن أحوال الناس والدنيا، فقوله: فما الذي حملك إذن على أن تكتب: "كان يباشر أهل الكتاب ويستغفرونهم ويعمل "، ثم حملك على أن تزيد الأمر وضحاً بالتكرار الملحق فقال في إثباته: "فهل تستبعد أن يكون عليه السلام قد اختلط بين اختلاط بهم من الكتابين إثنيين"؟ هذا كلام واضح جدًا في أن أصناف الكتابين الذين كان قد اختلط بهم كانوا أحيانًا وغير أحباش، وهم الأكبر.

وإذا كان الأمر أمر أخبار عن ملك عادل في الحبنة، كتابي كان أو غير كتابي، فما الضرر في أن يكون حامل الخبر أيضًا كتابيًا أو غير كتابي؟ ما معنى هذا النص والتكرار والتشتاق للفظ "الكتاب" والتلفظ بذكره؟ وإذا كان هذا الرجل الذي تصلحت عليه وتسلمت، نيأي يأتي عليه الخبر من السماء بأخبار الماضي على فضفُها ناعيًا على أهل الكتاب تبديلهم لكتابهم، وتجريفهم له، مما الذي يعني أن يأتيه الخبر من السماء أيضًا بأمر الملك العادل أصحابه النجاشي رضي الله عنه؟ وانا لا أبرزك بهذه الحجة، ولكن كرهت التهويل الذي هوليته في جواب سؤالي.
لا يعني له في الحقيقة عندما نحن، ولا عندك إن كنت صادقًا في أنك تريد الأبحار
لا الدين. وكان من بديهة العقل السليم أن تقول عندئذ: إنك تظن أنه سمع هذا
ممن كان من الأحباء بعكة ومن كان يتردد عليها منهن وممن دخل بلد الحبشة،
وكيف الله المؤمنين القتال! وخرجت بذلك من كلّ ما دخلت فيه من المغرة والعبب
والنواة القصد.

ومع ذلك، فإنّت إن قلت ذلك غير صادق فيما تقول، لأني أستطيع أن
أستخرج لك الدليل بعد الدليل على اتجاه الكتاب كله، لا في هذا الموضوع
فحسب، وسأزيد الأمر بيناً باكتشافك العجب الذي ادعيت أن المؤرخين لم يعندوا
به، وهو مسألة أَمَّ أَيْمَنَ ؛ ورضي الله عنها، لا أحسب أن أصف فعلتك التي فعلت،
ولكنك ساءت الأموار تسير بك وبالقارئ إلى غايتها.

زعم كتابك (أنت!): أن أَمَّ أَيْمَن حاضنة رسول الله ﷺ كان لها تأثير عليه،
لبعض كلمات حبشية كان يقولها ﷺ؛ ولذلك فأُمَّ أَيْمَن عندك: لم تكن صغيرة
السن يوم جاءت إلى جزيرة العرب. ولاً. كانت قد تسببت لغتها.

وهذا كلّه تخسر عجب، فإنّك قطعت بأن هذه الكلمات الحبشية إنما جاءته
من أَمَّ أَيْمَن بلا دليل، ثم جعلت الشيء المجهل عن أَمَّ أَيْمَن دليلاً على
صدق ما تذهب إليه. ولا فحسب! من الذي حدثك أن أَمَّ أَيْمَن كانت تتكلم
الحبشية أو تعرفها؟! وأنت نفسك تقول: إن المصادر تجهل كلّ شيء عن أَمَّ أَيْمَن
قبل أن تكون جارية لعبد الله بن عبد المطلب! (والرسول الله ﷺ)، أفريد أنت
أيضاً أن تقف تنبأ، كما وقف لويس عوض يتبناً بأن شيخ المعرة فصدق أنطاكية:

وتعلّم بها وهو صبي؟

ورسل الله قد وردت أَمَّ أَيْمَن عن أبيه عبد الله، فما الذي يمكن أن يكون
عبد الله قد ورد له جده عبد المطلب أَمَّ؟ أَمَّ أَيْمَن؟ و أَمَّ أَيْمَن نفسها في
حياته، وأن يكون عبد المطلب، قد وردن أَمَّ أَيْمَن، عن أبيه هاشم، وهلم
جزء، فتكون إذن من أَيْمَن؟، وهو الرقيق الذي آباؤه مماليك.

***
ولكن هل أنت في حاجة إلى الاستمرار في مثل هذه الفروض؟ لا، فإنك إذا لجأت إلى الفرض على توهم أتى من فرآك أكاذيب كبرانجنت، لا من فرآك كتاب العرب وأهل الإسلام. فهذا الأستاذ المتكدِب المذعّى يزعم أن المصادر تجهل كُل شيء عن أمّ أيمن قبل أن تكون جارية لعبد الله بن عبد المطلب، والد رسول الله ﷺ!! وكتب الأستاذ الفاضل، لأن رجاءً مثلاً كمحمد بن سلام الكيسجي، صاحب طبقات فحول الشعراء، حين ذكر الزبير بن عبد المطلب الشاعر، ذكر أن من شعره قصيدته التي يقول فيها:

ولؤا الخيش لم تلبس رجلٌ ينبات أخرى حتَّى يموتوا

ثم قال: وقال قوم: لولا الخيش، وليس هذا نبي، إنما هو الخيش

يعني أنهم أخذوا تبانيهم ومنتاعهم، وذلك حين جاؤوا يريدون هذَم البيت، ففدهم الله، وكانت آمن أيمن منهم، عَمِينَتَها فرَثَى، وهي أم أسامة بن زياد.

فهذَا وحده نصي يجعل الأستاذ كاذباً متقَىً ينفع لويس عوض، بدعائه أنه نظر في مصنّراتنا العربية وفلاها نفيلةً، فعلم عائده أن المصادر تجهل كُل شيء عن آمن أيمن قبل أن تكون جارية لوالد رسول الله ﷺ!! وندعُ كتب هذا الضرب من الأساتذة جانبياً، لأنه شيء مقولٌ، شبه بادعاء لويس عوض في شأن أبي العلاء المعزى أن الحق أنه لا يعرف شيء عن تعليمه الرسمى حتى سن العشرين، وهي سنّ التكوين، وقد فرغت من هذا الكذب أيضًا ما سلف [ص: 58].

وأخذ آمن أيمن غبيمة في عام الفيل وهو العام الذي كانت فيه غزوة الحبشة بيت الله الحرام، وهو العام الذي وُلد فيه النبي محمد ﷺ لا يعني أنها كانت كبيرة السن يومئذ، لأن الجيوش قديمًا كانت تخرج ومعها الإمام والحرائر والقتاليّات، لخدمة الجيش وحماية الجُرُح، ولتنوره من الحارس، والتهويل بضرب الدفوف. وهذا أمر معروف لمن يقرأ مصنّاراتنا الإسلاميّة، وعسى أن يكون قارئ كبرانجنت خليطًا بجهله، وأيضًا، فإن الإمام والحرائر، زعمًا خرجًا بذاتها مع الجيوش، وأسباب سيأتي ذكرها بعد قليل، أرجح أن آمن أيمن كانت حين غنتها قريح في عام الفيل، مُكَلَّفَها الجيش الهارب وراءه.
وأنها كانت طفلة صغيرة جاءت مع أبها، وعندئذٍ أن تكون أبها مائتين فين مات من جيش الخاشقجي الذي أرسل الله عليهم طيباً أبائياً، ترميهم بحجارة من سجف، فجعلهم كعصف مأكولة، وقبت هذه الصغرى البيضاء وحيدة، فأخذها عبد المطلب بن هاشم، وهبها لولده عبد الله والد رسول الله ﷺ.

وأيضاً، ليس لزاماً أن تكون أمّ أيمنا خديجة بن اسماء السعدية والحسن = لأنها رضي الله عنها كانت من إماء أحساب اليمين وجوههم، وأنها كانت من الشوكان، وأنها لم تز أرض الخديجة قطُّ، فهي قديمة في الرغبة عند الحبش في جزيرة العرب، وأنها لم تز أرض الخديجة قطُّ، فهي لا تعرف من لسان الخديجة إلا بعض اللغز، ولا تعرف من أخبار ملوك الحبشة شيخاً يذكر أو يُفْتَن به، ولو مضت أخبر وأعلَّم أمثال هؤلاء الأساتذة!! كيف يفتكون، لأنفِّذت وكثيراً عن جادة الطريق، وليس هذا تكفاً عليها أيها الأستاذ وتنافع بها باذال نفخك، ولكنه ظلّ للايجاز والاختصار.

ولكن ما أعلمنا ما لم تكن تعلم، لتعلم أن المؤرخين لم يقولوا شيئاً مما قلت إلا لأنه باطل من كل نواحيه. فأم أيمن رضي الله عنها مائتين في أول خلافة عثمان رضي الله عنه، أي في نحو سنة 24 من الهجرة، وذلك بعد وفاة رسول الله ﷺ بنحو أربع عشرة سنة تقريباً. فإذا كان رسول الله قد عاش ثلاثين سنة، فهذه سبع وسبعون سنة. فهَّب أنها كما تقول، في نحو الخماسة عشرة من عمرها يوم ولد رسول الله ، فكأنها عاشت خمسين وتسعين سنة، أيّاس كذلك؟ فأعود فأنظر، فإذا وَلَّدَها اسماً بن زيد ﷺ جبر رسول الله ، كان يوم توفي رسل الله في الثامنة عشرة إلى العشرين من عمره، فيكون أقصى مولده سنة تسعة قبل الهجرة، أي بعد بعثته ﷺ بأربع سنوات، أيّاس كذلك؟ فإذا كانت أم أيمن حضنتها، أبها هو وآمي، وهي في الخامسة عشرة، وقبلت إلى أن كرمته الله باللهب في الأربعين، فولده اسماً بعد ذلك بأربع سنوات، فكأنها ولدت وشي في الجامعة والخماسين من عمرها؟ أنظراً أن أم أيمن ﷺ ولدته في هذا السن؟ فإذا كان هذا أماً مرغوبًا عنه لزواجه وقدمه عن المعهد من الولادات، أي في الأوقت أن يقال إن أم أيمن ﷺ كانت في نحو الخماسة من عمرها يوم ولد ﷺ، وأن يكون
أعلم الألما أنك لم تجوان المورخون بهذا الأمر عتابك أنت به، ولا سيما المؤرخون المسلمين، لأنهم يكرهون الدعوة العزيزة، وتعاليم الذي لا يقوم على أصل، ولم يكن عند أحد منهم نية أن يقول: "إن هذه السيدة الإثيوية (أي الحبشية مرة أخرى !!)، لا يستبعد أن تكون قد وعت كثيرا من أخبار وطنها، لتلقته هذا الصبي، إذا ما سكن إليها ليلأ، أو جلس إليها نهاراً، لتقصّي عليه ما يلهمه الصبيان من قصص تؤثر فيهم، تطبعهم بطبعها، كما قلت أنت.

وأنا أسألكم: ما دخل القصص في خبر عن ملك عادل من ملوك الحبشة؟ وماذا يعني الصبي من مثل هذا الخبر؟ وأي أثر يترك مثل هذا الخبر؟ وأي تطبع يطبعه صبياً مثله؟ وما هذه الإشارة إلى تطبعهم بطبعها؟ وكمن كان غفر هذه الفتاة حين جاءت من الحبشة، وثبوت عند عبد الله؟ ومن عاصرت من الملوك؟ وهل هذا الملك الذي عرفت خبره هو أصححة النجاشي؟ وهل بقي أصححة أو غيره في الملك إلى أن جاوز رسول الله الرابعة والأربعين من عمره؟

كل هذه أملة محيرة، لا يجد أحداً عنها جوابًا سهلاً لطيفاً كالذئب، وجدته أنت عن سؤالك، ولا عن طريق التنبؤ؟ وأعلم أن مؤرخين المسلمين كانوا لهم عقول غير عقول الذين كتبوا "كريانجست" الذي أردت أن تكذب به حديث نبينا ﷺ.

إذن هذا المسلك المعبط الملقف المنقوى، في تكذيب الحديث الصحيح، وفي بني الألفاظ الموثقة هنا وهناك، وفي إلغاء الأقوال الكاذبة المخترعة القبيحة، كأنها أخبار صادقة مسلمة لا يرت歩いて صحتها أحد، وفي ترك المجاهرة بأسلوب صريح دال على شرف الفعلى والنفس = كل ذلك لا يقبل برجل يكتب كتاباً ينشره على الناس، وهو متسرب إلى جامعة، وتتولى التدريس في أزهر معهد شأناً، وهو معهد الدراسات الإفريقية، والموضوع الذي يكتب فيه جميع الدراسات
الإفريقي، وهو موضوع محفوف بالأمور الشائكة، لأن كل كتاب أوربي يُشير أو يشير فعلاً إلى أن العشيرة في إفريقيا آتيت بحالة بين الإسلام والمسيحية الأوروبية، أي بين الإسلام والتبتشير، فمن المعبد باللحن أن يدخل الأساتذة الجامعي ثيابًا كثيرة في هذه النار. وهذا أمر أدعه لم ينتبه أن ينتظروه في هذا الأمر. ولكن أحتذى أن تستمر لهذه الفئة الذين ضللاً عقولها وسائر المبشرين هذا الأسلوب، فلا تأتي أن تغرض بأسلوبهم لتاريخ المسلمين والعرب في الحبشة، ثم لا تزور أن تتقن بالتعريض والتعليم على رسول الله ﷺ بهذا الأسلوب المستحسن، لأن سلوك هذا الطريق مفتش إلى نار حامية في الدنيا، ونار حامية في الآخرة.

وعتى أن تكون هذه الكلمة قاطعة لكل من متقن في السر، لأن لم أكن من هذا الكتاب إلا صفحات قليلة، أما سائرها، فتعتى أن يبعثه صاحبه النظير، ويسير من جرائه إلى انساها فيه بلا حذر، كما أنساها في كتب له أخرى، لم أحاول أن أذكر منها شيئاً، لأن القصد لم يكن إليه بل إلى الكشف عن هذه المشاية العربية بين كتابه هذا، وما يكتب العلماء الآخر الذي حملنا على هذا المركب الوظيف.

حاشية: أمر عجيب! فهذا الأساتذة الجامعي قصبة، وذلك أنه كان قد تقدم طالباً إلى ترقي إلى درجة أساتذة مساعد، فألفت لجنة للنظر في كتبه التي نشرها، كمكمل هذا الكتاب الذي ذكرنا من خير شروط أدبه فيه ما علمته، فرفضت اللجنة طله، لأن كتبه لا تعد في شيء دراسات جامعية تناول احتراز أحد. ولكن ما كادت تنشر هذه المقالة، حتى أعيد تأليف لجنة أخرى، لمنحه درجة مساعد أساتذة، رغبًا على ما كتبنا، وتحذيرًا. كيف حدث هذا؟ لا أدرى وكيف وقع خداع اللجنة الجديدة عن عقولها؟ وكان المظنون أن تسأله الجامعة عن سوء أدبه، لا أن تكفه على سوء الأدب! ولكن طولغت التبشير لهم مكر خفي نافذ.

في صحيح مسلم، باب كتاب النبي ﷺ إلى ملك الكفار يدعوهم إلى الله

عز وجل!
حدثني يوسف بن حماد المعني، حدثنا عبد الأعلى، عن سعيد، عن قنادة،
عن أنس: أن النبي ﷺ كتب إلى كشرى وإلي قيس، وإلي التجاشي، وإلي كُل
جُنْبٍ، يدعوهم إلى الله تعالى = وليس بالتجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ.
في المغنى لابن قدامة 1:363:
«روى الزبير بن بكَرَ في كتاب النسب عن بعضهم أنه قال:»
«لا تلد لخمسين إلا العربية، ولا تلد لبنتين إلا الفراشية»، وقال: إن هَذَا بنت
أبي عبيد الله بن عبد الله بن زُمَّعة، ولدت موسي بن عبد الله بن حسن بن
علي بن أبي طالب، ولها ستون سنة.»
أم على قلوب أقف ألمها

الرسالة
الخميس 24 شوال سنة 1384
هذه أول مرّة أحسب لنفسى أن أجعل ما تستعهذ بهما ماده لبعض حديثي إلى الناس بالكتابة، فذلك ليس من شرمندي ولا خلقى، لأني أعلم أن اللجوء إلى هذا النمط، ولا سيما حين أننا نتناول أمرًا من أمور الأدب أو العلم أو السياسة أو غيرها، خروجاً على ما أذني به طول اعتزال الناس، من ترك العباقرة بما تناولت به جماهير من الخلق تعمّدهن خطأ في المنتمفين 0، وليسوا بهم، ولكنهم، إذا حصلت ما في صدورهم وقولهم وعقولهم، أصبحت ثروتة وثمرة ووازرة (6) هي ثلاثة ألفاظ متقارنة في معاني اللُّغة والإكنال والهدر، بين أن الفرق بين الثلاثة، تدل على أن هذه اللغة الشريفة غاية في براعة التصوير بأنفاظها الجامعة). وهم أيضاً، في حقيقة أمرهم، مزامير مزعمًا مختلفة الأصوات في المجالس، أو شجر مظهر مزروع على قوارع الطريق، أو أحلام مذهلة لكهوف المقاهي المنظمة أو المضيفة، ولكنها، على ذلك كله، أحلام ذات فحش أو ذات جمعة، ثم لا شيء وراء ذلك، إلا ما قدر المقدر من تكاثرها وانتشارها وشيوعها في حياتنا، لسماع يعجب المرء كيف جاءت، ولم اتفقوا؟ فإذا هي في زمن، أو مفكر، أو فيسوف، أو أديب، أو شاعر، أو كاتب، أو قاند، أو ما شئت مما للعلم وترى وتنصرا 4 وقد أجازنا طول اختباره له وتجربته (أجاحنا) أياً أضطربي إلى أضيق الطريق، أن اعتزل عصرها ومصاحبها منذ زمنين، وأن أتفق وثني من ثيابها، وأن أربع بعشرة أهل الفضل من قبل الناس، حتى جعلتم قد دخلت مع شيخ المعزة، رحمه الله، فيما دخل فيه، حيث وعظ نفسه وقال:

(1) أنتم يتنف في الغالبين من ذهب، وإنما جعل من ذرى شعب
(2) دعهم، فكم قُطعت رقابهم جدًا، ولم يعفوا ولا أبهوا.
قد مرحبوا بالتفاقي فامازتحوا، وألتقشا في العيان وأشتهوا
ونما لأقوالهم إذا كشفت عفائهن، بل جميعها شبه
وقد حملوا على استباحة ما أنا مشتبها به، هذا العقلاء الباغاء، السليمфессيا السام،
والوالح في أذار العرب وتاريخها، وعابث في جهل ببلغتها، وبقراتها، وبحث فيها
مستشارًا ثقافيا، وترك لى الجهل على الغريب يغرس، ويزعم ويلعب
وكانها هي لا تدري من هو، ولا من يكون؟ فصار هو لا ينال من القراء، ولا من
يعكونون؟ وبعدها ظن أنهم جميعًا بطلًا لا يعقلون!!
وسمحت هذه المادة الخيبة بيننا واضح، لأنى منذ كنت على هذه الأرض
لا أطيل أن أسأل إلا السائل الواحضة البازرة، ولا أذوذ بالظلل المظلمة متخفًا إلى
غابة أريها، فذلك شيء أغلبه وأشقه نفسى عن الني في خمس أموري وعاصمها. هكذا
عشت، وأسأل الله أن يسددني على ذلك ما بقي في نفس يبرد. ومنذ شهر جاء
ما لا ضير عليه، وخرجت من معتزلي، حيث أحببت أن أقضين تخيي عين مذكور
ولما معرف، وحملت القلب الذي كرم الله به عباده حيث قال لنبيه في تنزله: [أولاً
ربك الأكرم! أذى عذر بالذراع] على الإنسان ما لينعم، وذلك بعد أن نحنحن عن
أمامي دعا، مفاجأة أن أغمر فلا أطيل أن أقوم بأمانه، وهى أشرف أمامة استدعيها
الله حمله الأفلا من عباده. خرجت بوعيض وحملته، لا ليست إلا لأداء هذه الأمة،
لأني أحسب أن التكروس عن أدارها خيانة لأمانة الله سبحانه وتعالى، وأبين للعلم الذي
علمته رئي، وخيانة للماضين من آبائي، وللحاضرين من أهل وعرشتي، وللأين
من ذره وارثة نحن الأمة على تلبهوها وأداء الأمانات كلها إليها. وهذا أمر جد
كلله، لا يخلطه عندي هزل، لأنه ديننا أنا مستجلعه بين يدي ربي العالمين، وليس
مغالبة ولا خيبة جاهلية.
وعسير جدًا على خلقي كبير، أن بدرك اليوم معنى هذا النفوذ دين! عندنا نحن
المسلمين، لأن المسلمين منذ علوا على أمرهم بغلبة هذه الحضارة الأوروبية على
الأرض مسلمها وكافرا، تلمجج أستثهم بالفرق والدغر لتهول المفاجأة، فصار.
لسنًا أحدهم أحيانًا كأنه مضغثة لحم مطروحة في جبهة الخنق، ليس من عملها البيان!! فمن يرمى به في عنكبوت الناس معنى الدين، إذ لا يُنبغي عن نعشه، وذاع في الأرض معنى الدين، كما يراه سائر أصحاب الدينات جميع الإسلام.
واليدين عندنا، اسم جاء لمثله تصرف يظهره الرجل المسلم في حياته، منذ يستطيع من نومه، إلى أن يؤهب إلى رأسه وفي كل عمل يесьله، مما اختلفت هذه الأعمال، من أحرقها وأدناها إلى أشرقها وأعلاها، كل ذلك يبني هو مستوٍ عليه يوم القيامة، كما يسأل عن صلاته، وصيامه، وزكاته، وحجه، وإن كان في بعض ذلك على بعض فضل، فالدين عندنا هو الحياة كلها، فنظر الله على العباد، وحق العباد على العباد، وحق بلدين على العبد نفسه، كل ذلك دين هو مستوٍ عليه في الصغير الكبير، وفي أمر الدنيا وأمر الآخرة، وهذا فرق ما بيننا وبين سائر أصحاب الدين في معنى الدين، بلا مثنوٍة (أي بلا استثناء).

فمن ظن أن حين أحلل القلم، أحمله وأنا مستخفً بِهِ هذه الأمانة أو مهادن في طريق أدائها، فقد أخطأ. ومن ظن أن أفسق حين أفَّكر لأكتب، وأنا مستخفً عن نفسى وعن كاهلي عبده هذه الأمانة، فقد أخطأ. ومن ظن أن حين أكتب في أدب أو نقد، أو سياسة، أو ما كان من أقوال القول، لا أرى شيئًا من هذا آمانة ينبغي أن أؤدُّبها على وجهها وحذفها، فقد أخطأ. وكيث! وأنا أشيا أن ألقى الله رئي يوم القيامة في باقي وجهي الحساب، و إن من توقيع الحساب غُدِب، وصدق رسول الله نحن لن يحول بيني وبين أداء هذه الأمانة، إن شاء الله، إلا يُذْرِّ قاهر يغلُّب، أو خفف دائم يقضى.

وهذا أمر لا أظن لويس عوض وأساسي لويس عوض قادرين على إدراك حق الإدراك، ولا أظن أن لا يدركوه، لا لأثني أكرا لهم الخير، بل لأثني أن نفوسًا قد تزدهع على الهوى والفكر والنحت على الإثم، فهنا لا تكاد تتفقت إلا لما تزدهث عليه. فهذا أمر لا يزال يرون على الآذان يزمرون فيها (واتزمرة): تراون علوج الفرس بصوت تصغير في حلوقها وخيامهم فيها، فيهم بعضهم بعضًا، يشيشع على أنى عمدت فيما أكتب إلى التجريح الشخصي، وإلى التعجُّب على أهل دين من
الأديان، وإلى «بعث فتنة قومية ودينية» إلى سائر ما يُعَوِّض به، مما أعَلِّف عن التصريح به من إله تَمْرَع فيه الْسَّانِ. ولقد كنت أصرّح إلى بعض ذلك في المقالة، ثم زدته بيانًا في المقالة التالية. بعد أن وُجِّهت بما أذهلني، حيث رُذِّب هذا الكلام نفسه مكتوبًا، زميلي القديم الدكتور محمد مندور. وقد مضى على ما كتب شهرًا أو أكثر، ولكن هذا الغلام لا يزيد أن ينتهي، ويأتي الحُبُر بعد الخبر، فأجده ليزول على العهد مقيماً هو وشيئته، فيدور هو، ويديهم هو أيضًا، على الناس، ليصبوا في الآذان التي شفته الله للسمع، ما لا يجرؤ هو ولا أحد منهم أن يكتب معناه، يه، ويتعلّمون ذلك ويُعلَّمون عليه، إذ هُمُ صموم لا يردون على شيء مما أقول، لتبسن ووسعتهم ثبات الشكوى، فتكون في استغفال عقول السامعين أسرع، وفي إشاعة قالة السوء على أمض، وفي إقنا العاقل بأن ذلك كائن وأنه صحيح أفعل، على طول التردّد لهذه الألفاظ المهيئة المعانى، المجموجة المبهمة، السخيفة الجريئة، ودُعوها حيث سارت في الطروس والآذان. وأنا لا يسويون ذلك من فعلهم، فهي شياطين قديمة توارثت دائمًا طوائف من أبناء آدم منذ كانوا على الأرض، يبد أن العاقل من تأكد بأدب أخى سلولي حين لقي من هذا الداء القديم ما ألقى، فذكر قصته فقال:

وَلَقَدْ أَمَرَّ عَلَى الْلَّهِمْ يَشَّكِينَ فَضْتُبْتُ نُفْتُ قَلْتُ: لَا يَقِينُ

عَضْبَانَ مَمْتَلِقًا عَلَى إِيادَةٍ إِنَّ، وَخَفَقَ، شَخْطَهُ يُضَيِّنُ.

إِنَّهُ فُلُوْ لَا يَسْوِيُونَ قِلَامَةٍ طَفْر، وَلَكِنْ إِذَا سَمِعْتَ خَبِيرَهُ من سَائلٍ أو مَّسْتَهِمٍ، سَأَلَني أن أرُد، لَأَنَّهُ مَعْيِنٍ أن أكوَن كَمْلَةً مَسْتَحْفَهَا بِحُدُثٍ أَيُّهُ، فَمَن أَجِل ذلك عزمًا على أن أُكُرِّي هَذَا القَرْحَ المُدَّدَ بِكَلَمَاتٍ لا تَتَفَقَّعُ بِالظِّلَالِ، وَلَا تَتَرُكُ

إِلَى أَحِيدٍ بِالحَمْرَاءِ الحَفَقَ.

وَمَا يُذْيِبُ به هَذَا الإنسَانُ وَشَيْطَانُهُ الْمَبْلُوِّ، بِهِ من الناس، مِن أَثَرٍ عَدِيدٍ فِي مَقَالَتِي إِلَى "التَّجْرِيحَ الشَّخْصِي"، فَهُمْ شَيْءٌ مِن النَّبِيِّ بِبَلَّائِهِ إِلَيْهِ الْعَازِ، يَتَحَدَّيَ وَرَّدَّهُ لِإِجْعَالِهِ، فِي سَخَّانِهِ هَذَا الْفَظَّ، أَلَّمُ تَسْتَهْلِكَ الْفَظَّ، لِيَسْتَخْلِقَ شَحَّانًا هَذَا الْفَظَّ، وَسَبْلَةٌ إِلَى إِقْناَ السَّامِعَ بَيْنَهُ لَمْ يَتَوَفَّقَ عِنْ الرَّدِّ عَجَرًا، بِلْ يَتَرْتُمَا وَتَتَرْفُعَا عَنَّ النُّورِ فِي ارْتِكَابِ مِثَالِهِ، مَا تَتَكَرَّهُ.
النفوذ وتعالجوا. ونعم، فأننا لم أحب قلما عن تسطير كلمة بعد كلمة فيها وصفه
له بسواء هو أن بسمعه، لأنه شيء يحدثه أو يشمى أو يعرفه هو عن نفسه ويفكر
للتلاس بيبيه = ويؤذيه أن يسمعه الناس أو يعرفه، لأنه كان يتعجى أن يظل مكتونا
مضطراً. ولكني لم أبت في كلامي بصفة واحدة من صفاته، إلا أنها لها دليل يظل
عرض، بينما ذكرلاه من كلماته المقيمة من مقالاته وكتبته وحسب، بل
فما لم أذكره بعد، ونذكره بالدليل قاطع إن شاء الله.

فاليس «تجريحا شخصياً»، أن أدرس ما كتب عن شيخ المعرفة، فأجده قد
التقي متطاولاً، طولاً وعرضًا، وإذا هو بعد الفحص عن حقيقة تفFLAGicت وثالثاً
لا يحسن أن يقرأ كتابًا، ولا يحسن أن يفهم شرعا، فإذا قلنا ش قارنا، «شرمان»، وهي
كلمة معروفة المعاني عند أصحابها، وفي استنتاجه أن يقرأ شروحها في أي معجم
فيجد هذا الشرح مطابقًا لما كان من فعله في دراسة رسالة الغفارة وفي تاريخ شيخ
المعرفة، فهل يكون هذا «تجريحا شخصيًا»؟ وإذا رأيته قد أقوا على نفسه أنه مبسط
للغة العربي سنة رقة ببلاغتها، وإن إحساسه بها ضعيف بالفطرة، وأنه اعترف
نفسه بأنه «لم يقرأ حرفًا واحدًا بالعربية بين سن العشرين وسن الثلاثين
( وهي سن التكوين كما يقول في معرض ذكره لأبي العلاء)، ثم رأيته يهجم على
أعظم أثر أدبي وأثره مسلما في لغة العرب، فيحاول أن ينشره ويكشف غوائبه
فهل يعده «جريحا شخصيًا» أن أقول له: إن مجتر دعه؟ فإذا لم يقتصر على
هذا، حتى عمد إلى شعر الشيخ يشرحه بجحائه في العرقية، ثم سألته له نفسه أن
يفكر أيضًا أن من القرآن العظيم بلا تحجج، ومدعيًا أنه قد قرأ تفسير القرآن، وموجهًا
فلا أن هذا التفسير الفاسد مأخوذًا منها، فهل يكون «جريحا شخصيًا» إذا قلت
له: إنك جاهل جدًا، وجريء لا تستحي؟ هل أقص القصة كلهما من هذا الموضوع
إلى أن كان ما كان متى، إذ سلكتنه بالدليل من قوله وفعله، مع صبيان المبشرين
الذين عطفتهم وخبرتهم وأكتسبوا نبارهم منذ أكثر من أربعين سنة!

ما الذي يريد هذا الإنسان متي أن أقوله؟ أريدني على أن أدعه يتكلم ويعمل،
ثم أكتب لأحواره وأدواره وأسرته بأطراف البساط، لأنه عند نفسه إنسان منطق.
بينفذ أن يختاب مخاطبة الإنسان / المنقول ؟ وماذا أفعال يا سيدى، إذا كنت أجدك إنسانا غير مثقف، لأنك لست ممن يرغهم هذا الضرب من الثقافة ؟ هل تظن أنني قادر على أن أخدع لك عن عقلك، فأتمنى كله ما قرأته بالعربية وغير العربية، ولا شيء إلا لأعرف لك بهذا الضرب من الثقافة ؟ وإن خالف ما أعرفه من معنى الثقافة عند العرب والأعاجم، على اختلاف أجناسهم وملاماتهم وتخلواهم؟ فذُع هذا، فإنه لا ينبغي عنك فضلاً، ولا تتحمل على أوغر منا حملتى عليه بهجمك على ما لا تعرف وما لا تحسن. وإذا كنت قد كرهت شيئًا، فأنت ما كرته أن غمضت قلمي في صفائك، ولولا أداء الأمانة على وجهها وحقبها، لأعفيته مما أكره وبكره.

أما التخصص على أهل دين من الأديان، وإدارة بعد فتنة قومية ودينية ؟ فلا أدرى ماذا أقول ؟ أقول ما يقال في المثل: "رميُّي يفتىها وانتُلُذت" ؟ أم أقول ما عند خبيه، فأيى للناس أقول أحوالًا وأعمالًا تدل على المشروعة تحت أردة الثقافة، وتحت طيّسان الأستاذية ؟ كلاً، فإنه معيب، ولكن حسبى ما كشفت عنه في سالف مقالاتي، وفيما سيأتي منها، ليكون النظير المكتب هو البرهان الفاصل، لا الدعوى والشكوى والتباكى، واستغلال الدين الذي تنسب إليه استغلالًا مشابهًا، حين تلوح به في وجه الناس، كانّك أنت الذين نفسه، وكأنت أنت وحيدك الأمة التي تدين به، فكل ما يقال لك مما يكشف عن سوء خطتك فهو مراذ به هذا الدين وأهله. إنه لقيح بك أن تفعل ذلك، ولكن ما لي أعظك، إذا كنت امرئاً لا يبالي؟

وهذا المسكون قد استمرّا هذه الألفاظ المتكزة لعلة فإن لما خرج على الناس يبتغي بدرسته رسالة الغزارة، ووضع في رأس مقالته الرابعة بينا من شعر أبي العلاء، زعم هو أنه قاله في حلب، وهو في وصف ناقة!! وقرأ في "الصبلان"، وهو نبت ترهان الإيل، "الصبلان"، وهو جمع "صليب" = ابنه لي الأخ الأستاذ عيده بدوى في عدد الرسالة: (1387، 8 رجب سنة 1408) فكشف عن جهله وغروره، وتسوّه وسوء مقاصده. وتسامع الناس بما في هذه المقالة قبل أن تنشر.
وقع إلى المسكنين خبرها ، فبادر في وسط المقالة الخامسة ( الأهرام 9 رجب سنة 1384 ) فأعمال فيها " Mọiًا " في تصفيف ، وقال في آخره : " وقد تهيه إلى هذا الأستاذ الشيخ شاكر ، المحقق المعروف " . وهذا هذى زعامة ، لأنه بلا شك غير معروف عنده على الأقل ، لأن يهم كتبه كتبه كان هو لا يقرأ شيء بالعربية ; أو كما قال . ثم لو أنه عرفن ، لعرف أن است " الشيخ شاكر " لأن ذلك معروف به وأخي أخوك رحمهما الله . أما أنا ، فكل معرفة يعرف ، يعرف على حقائقها . وحسبه بهذا ادعاء وتفتيحا .

ولما استقر في نفس هذا الذكير المدقق ، الحقيقة أيضًا ، أن " الشيخ شاكر "، فنشرت مقالتي الأولى بعد ذلك بأسابيعين ، في عدد الرسالة ( 1989 ، 1 ، 12 رجب سنة 1384 ) ، ذهب بدور على الناس زاعما أن تعرضي للكتابة في شأنه وأن شأن شيخ المعرفة ، معنا أن أريد أن أجعلها " معرفة دينية " !! وظلّ امرئه يعلم أن لم أذكر في مقالتي الأولى كلها ، لا المقالة الأولى وحدها ، شيئا عن الدين ، ولا عن التبتشير . فمن أن جاء علمهم هذا من أن اسمه كان عند " الشيخ شاكر " ، لا بلا ريب هذا ذكاء خارق ، لأنه ذكاء " منفعة من كبار مثقفينا " ، كما قال الدكتور محمد مدنور . والحقيقة أن الأمر لم يأت على هذه الصورة وحدها ، بل أني أيضًا من أنني يعرف فنّشئ على حقيقتها ، ويعمل ما وراء " الخالوة المشهورة بين أشجار الدردار عند الشلال بكامبرنج " ، ويعمل أنني كتب عن شيخ المعرفة ، وعن غير شيخ المعرفة ، بوحي من " الخالوة المشهورة " ، وأنه قد وهب نفسه لهذه الخالوة منذ قديم.

فلم تجته أنا في أوهامه وسمادره في صورة " شيخ " ، انشق فؤاده عن مكتوني ، وذرعه ، وطافته به سعادة ، وجزي الفظاظ على لسانه من فرط الزعيم ولا يذكر . فلم أذه رأني قد شفطت عنه ما كان يتحفظ فيه طبّيسل الأستاذ المنذر الجامعي كان ، شفط في بديه ، وأخذته " الجذبة " وظلّ يذهب : " التعبّص " ، " الفتنة القومية " ، " الفتنة الدينية " !! واستحلت هذه الكلمات . ولكن هذه الحيلة لا تجري على مثلي ، وإن كانت قد جازت على زميلي القدوم الدكتور مندوري . هذا هو السبب ، وإذا غرّف
السبب، بطُر العجب! أليس ذلك مما يقال في المثل! وأسوأ شيء أن يضطر المرء إلى تحليل الشخض الذي ينحل صديده من العقول، ينهره إلى أصوله ومنابعه، ولكن
هكذا قَفَّر الله عليه أن ألقته، وإتقِي القراءة بي وما أكتب.

ولو كان هذا المسكين كاتب مقالة كتبها ثم انتهى، أو قالَ: كلمة نفس بها عن نفسه سكنى، لتركه حيث هو في سكينة، وغمراته، ولكن البولو أن صبيه
مشر، ثم انصرف حتى صار بغثة مستشارًا ثقافيًا لمؤسسة الأهرام، بعد جهالة أمه وشمول ذكره، فأخبرت بهذه الصحيفة العظيمة المذكورة في بلاد العرب وبلاد المسلمين، بلواء تلوي لا يدرى الرجل كيف يصفها ونظام التبيان، وهو
ويقادات في بلاد العرب معرفة، وهي ظاهرة علانية في مؤسسته، والثقافة في الجامعات وفي وزارات الاستعمار. ومن ظن أن التبيان، كما أوضحت مارًا،
يعمل ظاهرًا مكشوف الشتى عن أصحابه ورؤوسه وأعوانه وصابريه، فقد ظن جزًا !!
ومن ظن أن التبيان، بل وأنا إلى السراحيه في المرة، في نقد الدبابات
الأخرى التي باغها، فقد ظن به بسهًا شرقيًا!! بل هو خليج الشراب المشموم.

كيف نشأ، فأساليبه مظلمة مليئة غامضة مداخلة منافية! فمن أجل هذا الذي
أعلم، والذي خبرته بنفسى، لا بالسماع والقراءة، لم أترد لحظة في مباغتها هذا
العاب بالكشف عن حقيقة أمره، وباستنكار الدليل العيني من مجانده وريامي،
ثم حاولت في خلال ذلك أن أُبيِّن لمؤسسة الأهرام أي بلاء أنزل هذا اللاهي برمثتها
عند الناس! ومع ذلك، فقد أدرت أن أكون في محاولتي رفيعًا، ولكن كلمات هذا
المسكين التي يُوزعُ بها في الخلوان، ويوقس بها في الآداب، تحميلها آسأ على
أن أزيد هذا الأمر وضحا وانكشافًا.

قُفنا أقوأ صحفية الأهرام منذ وعي وقوأئ، على ما كان من فساد أمرها أيام
كانت في أبيد غير الساحة ولا مخالصة، مع ذلك فإنني لم أرى قطُ كانت في مثل هذه
الحالة التي صارت إليها، منذ صبيه، أو أمسيه، هذا الإنسان مستشارًا ثقافيًا
لمؤسسةها، فإن التعصب (أى الانحياز إلى عصابة من الناس لها هدفُ ظاهر
أو خفيّ) لم يكن قدئما مثأرا يعي فيها يومًا بُدٌ أتَكاد تخطئة. ولكن
منذ انطلاق عليها هذا الإنسان، أثرت صورتها، حتى صارت صحيفة الأهرام، هي الصحيفة التي كانت تكون منفردة بهذا الألوان الفاقع، الدالة على اتجاهه بعيد، سواء في مكتبتها، أو في كتاب هذه المادة. وأحيانًا يعتقد أن الجهاز كله بدأ يتحرك. وقد كان، فبعد قليل أصبح الأمر لا خفاءه به. وعلى مر الأيام صار للمستشار الثقافي صاحبًا ظاهرًا، وفاضل من هذا السلطان يستطيع أن يخضع له بعض أدوات الإعلام الأخرى، وظهور الأعراض في بعض المجالات، واستمرت فيها استمرارًا مثيرًا، وتباع المدى، وإذا كُل شيء بدوره في فلكه.

وتظهر أني أبالي وأرفع شأن من أصبه بما وصفته به، وكان تناقضًا رائع فيها!

ولكن أقول مرة أخرى، إن جهاز التبشير في العالم كله كاثبًا جهاز واحد، والتكافل بين مساعيات شديد الغزوة، وحث اله في مساعيهم من ذكر مؤسساتهم في المقالة السادة وما بعدها. فالعالم في هذا الجهاز لا يقتصر أمر قوته على نفسه أو منزهه، بل على التدبير المحكم، والسياسة البصرية، والأمور المداريين. وعندما يكون أظهر جماله الأمل، وأزمته سلطانًا، هو أطوله مكانًا، وأبعدهم عن موطن اليتيم، فليس في الأمر إذن غلبة ولا تناقض. ومجالس التبشير في مصر معروفة الأسماء والأعلام، وتشوهها الذي كفته ورده ونشأت لا ارتباط فيه، هذا فضلاً عن جمهرة من المخدوعين تعمل في ميدانها، وهي لا تبدي أنها تعمل لهذه أمثلة وبالأعمال، لأنهم قد أخذوا من السائح الشهيل الذي كشف عن كلمات نقاشها آنفة في مقابلة، وهو التعميم الذي تولاه معاهد هي في ظاهرة للأمم، وباطنها للتبشير المجرد.

وبعد سنة 1959، وهي سنة العدوان الثلاثي الذي تجمعته له دول الاستعمار والتبشير الكبرى، بدأت جرثوم ذات نشاط مفرط، كان من عقابها المستشار الثقافي لمجالس الأهرام، وأخذ الاتجاه بسيئًا فشليًا، حتى أصبحت الأسماء التي تدلى على أصحابها، والأساليب التي تنمو عند مكون ضمائرهم، والغنايا التي تنتشر إليها مقاومتهم، هي الغالبة على جميع أرباب صحبة الأهرام، وإن اتخذت أحيانا سمة البحث المجدد في مصالح الأمة، ووجه الإصلاح، مع
اللغة العربية في الاهتمام بالأهداف التي صحتت انتفاضة القومية العربية، وهي
القومية الجامعة لمئة وعشرين مليونًا من العرب، ثلاثة وتسعم في المئة منهم
مسلمون على الأقل، لا يظن أحد أنه سهل إذا أتقوا أن يحتفظوا تاريخ أربعة عشر
قرنًا من حياتهم، بجزء قليل من مؤسسات التغيير.

وهذا الصجيج العالٍ، وهذه الأسماء التي ابتُنِّت فجازةً أفصحت تُحايلي عيون
الناس يومًا بعد يوم، في هذه الصحف، وفي غيرها من المجلات التي كان لجهاز
المستشار تأثير ظاهر عليها، عادةً قديمة جدًا، ارتقبها "التشير" أو "الاستعمار"
مرات في مواضع كثيرة من الأرض العربية، وأقربها مثالًا صحفية الأهرام نفسها،
وصحيفة المقطم، والهلال، والمقتطف، وعشرات من المجلات والصحف في
بلدانًا وخير بلادنا، هنا، إلى الأبواب التي افتُتُّقت معها، للثقي في ذكر جماعات
من الكتّاب، والشعراء، والعلماء، والأدباء، حتى جاء يوم وقال فلان وفلان من
المستشارين المحذرين، وتابعهم فلاة من "المثقفين"، معنّين أن النهضة الأديبية
في بلاد العرب، إنما هي عالّة كتّبها على "نصاري لبنان"، هكذا قالوها تصريح
العبارة، وهي كلمة لا تزال تقال إلى اليوم، يقولها ذو الآفة المتعمد، والبريء مقلّدًا،
وهي مقالةٌ بطلة من جميع نواحيها، ليس هذا مكان الإبانة عن بطلانها، لأني إنما
أردت أن أدل على أن هذه الطريقة قديمة مألوفة، لجأوا إليها قديمًا لأغراض أرجو أن
أكشف عنها في مقالة مما سأأتي إن شاء الله.

وهذا الأساليب الذي استحدثه المستشار الثقافي لصحيفة الأهرام، وهذا الجهاز
الذي أداره في داخلها وخارجه، أدّى إلى التسامح في بلاد كثيرة من بلاد العرب
والصليبين، وهو شيء أقوله بعلمي، لأنّي أتلقى السؤال عنه من كُل مقيم ووافيد،
ما بين الهند إلى المغرب، وهو سؤال يتوجر المرء أن يجيب، ولكن ماذا يمكن
الناس إلا أن يسألوا، وهم إنما يجدون هذه الصحفة صفحتهم الأولى؟ سواء
صدّرت مشاعرهم مؤسسة الأهرام أم كتبت بها.

والطبع، لا يستطيع أحدٌ منهم أن يحصل على هذا الكتاب النفيس المطروح
على الأوصاف، ففعل أن يشعر قد انقلب الأمر فيها فجأة = فصارت نسبة عدد
السكان اليوم: 66 في العائلة المسيحية، و33 في العائلة غير مسلمة، بعد أن كانت النسبة منذ سنة 1917، إلى سنة 1947 في أربع إحصاءات، على عدد الاحتلال الإنجليزي البريطاني هي: 92 في العائلة مسلمة، و7 في العائلة غير مسلمة، وذلك لأن أستاذًا فاضلًا كان مهندس أثر، خريج جامعة بنسلفانيا بأمريكا، وهو مؤلف يقول برايري ما نصه: وتعداد الأقباط وروى على الثمانية ملايين، وديدون المسيحية، ويدعون شعائرهم الدينية باللغة الفارسية، رغم أن الغالبية العظمى لا تتكلم بها، ويحافظون على كثير من عاداتهم وتقاليدهم، رغم مشاكلهم المسلمين في التكلم بالعربية، ورغم وقوعها تحت الحكم الإسلامي مدة 13 قرناً.

وأنا أذكر للقارئ التأمل في الدافع الذي يدفع إلى مثل هذا الكلام، والنظر في الشعر الذي تحمله هذه الكلمات الأخيرة، وبفلسفة، ليس هذا تعظيماً أو بعث فتنة قومية ودينية، ولكن نقلت إياه هنا، هو التعبير، وهو الفتنة، وليس كذلك؟

...أحب أن أكون بيتًا عند هذا الموضوع، فإن القبط الذين يصلون مصر، منشورون في أرجائها من حدود البحر المتوسط إلى أقصى الصعيد، وآلاف مسلمة منهم يعملون في أعمالها دائمة لا تبالي ما يقول هؤلاء، المثقفين خريجو جامعات كامبريدج، وبنسلفانيا وغيرهما، ولا تفقه شبابًا مما يزعمون بههم وأشباههم، وقد عاشوا ثلاثة عشر قرناً أو تزيد، لا يحملون هذا الذي يحمله أصحاب الألسنة الفصيحة تفسيرًا وتأملًا، وتعرفًا، وتعطي مقداتها مستعمر لا يريد بها ولا بسائر العرب والمسلمين خيرا، وظلهم بهم، وهم سواء القبط، أن لا يمكنه هذه الفتنة الجاهلة من أسمائهم، فإنها إذا تمكنت منها أضلاًتهم، فإذا ضلوا بصلالها أساءوا إساءة لا يتخوها عذر.

إذن هذا الجهاز، جهاز التنشير، الذي يعمل بلا ملل ولا كلاً، والذي يجدد أساليبهم مع كل زمان، وعند المخافة من انتكاشها، ينبغي أن يتوقف وتشوف.
السّرار والدّسّ والخاطبة، التي عندها مفاتيح حركته، ينبغي أن تُنَّفِّذ. فالعالم العربي الذي بدأ يتحرك بملائمه، فيدخلون هم خفيةً في حركته ليوقعوا فيها الاضطراب والحيرة والبلبلة، يوشك أن يتنبه فجأةً، فمن يصعّبونهم يمتلك إذا أخذهم أخذةً رابعةً؟ إنّ هذا الأمر الواضح العواقب لا يستغلّ إلاّ على مثل عقول المبشرين المغالقة.

وعلى مثل قلوبهم الغُلَف، وعلى مثل ذكائهم الذي لا يحسن إلا المكر والخديعه.

وإذا ظنَّ هؤلاء الثيّة أنّ ما مَرّ بما من مكرهم في استعمارهم الماضي، وفي تجاهتهم بعدّ زواله عن أرضنا، سوف ينتهي إلى أن يتحوّل الإسلام إلى صورة جديدة في العقيدة، وصورة جديدة في الحياة، وعندئذ تكون نهاية وتبتلعه النصرانية، كما زعم لهم القسيس يُبِين في بعض تقاريره، فإنهم ليظلُّون، ولكن هلا ظنوا أيضًا أن الأطلال وحدها ترمى في المناف؟

هذه كلمة كنت أحبّ أن لا أكتبها، ولكني لانعّرض لشيء أثارني إليها مرة أخرى، ولو ظنِّ هذا الإنسان وافقًا على أفواه الطرق، يبتغى السالبة بالصباح والشكوك والتباكى، بل إنّ بشكال هذه الكلمات التي لا تُغْنِي عنه شيئًا، ولا تتألّف متي كبير كلّي. وليس على الأرض أجهل من قوم يستعرض الناس بالأذى، فتباهم من آدابهم، ولغتهم، وتأثيروهم، وديثهم، وآدابهم، فإذا زجَّوه زاجرًا وانسْمَركهم، راحوا يغولون ويضرون، ليستروا القلوب بالإعجال والضَّراعة، كأنهم مظلمون قد اغتال عليهم زاجرهم عن هذا الأذى الممقوت، ولا أجد فيما أعمل سيرة هي أولى بالمقت من هذه السيرة.
... وأقول لعذم!
لعل القارئ كان يتوقع أن تزود عنوان هذه الكلمة كما قرأ فيما أعلنته الرسالة في العدد السابق: "أباطل وأسماء". ولكن المرة لا يستطيع أن يخرج عن وحكة الحقيقة بإرادته، كما لا يستطيع الناس في بلاد العرب والمسلمين أن يخرجوا بإرادتهم من هاوية الرواة المتشرة في صحيفة الأهرام. وقد وعدت الرسالة قراءها في الأسبوع الماضي أن سوف أتابع سلسلة مقالاتي بها ابتداءً من هذا العدد، فأبحث أن أصدف بعض كلمتي بالكتابة في حاشية من حاشية السلسلة، ما دمت غير قادر على أن أصدف كلمتي كلهما في هذا الأسبوع، شاكراً ليا وشكرًا لما لقيت من مشاركة ومواقف.

يقول أحمد عرابى في حديثه إما لقي في سجنه بعد هزيمته: "وبعد ساعة جاء ليزورني بشارة تقلأ، محتر جريدة الأهرام، وذهب احترمه، وياتى عواطفه نحوى، وقد كان ممتن يدنيني بمبدئي قبل الحرب، وقد أقسم بدينه وشرف أنه واحد منا، وأنه يعمل لحرية وطننا، وقد عدناه في الحق من الوطنيين، ولكنه لما دخل عليهم توقف أشد التوقف، ثم قال: أيا عرابى، ماذا صممت؟ وماذا حلّ بك؟ ورأيت أن الرجل خياطر ولا شرف له. هكذا روى عرابى بأدب النجم، ولكن يقول بعض الناس من اللغات أن بشارة تقلأ بصدق في وجهه، شاملاً، وطالباً لشفاء ما في صدره.

والظاهرة أن "بشارة تقلأ" هذا قد عاد حيًا مرة أخرى، واستوى في صحيفة الأهرام بحررحها ويدريها بمكره وكبدة وغشه، كما كان يفعل في زمن عرابى، وبعد زمن عرابى، فإلاً يك قد عاد، فقد قام مقامه المستشار الثقافي لصحيحية الأهرام، حيث عاد بعد غياب وقت قامته! عاد المستشار في يوم الجمعة حاملًا معه الساعة المشهورة عند العامة، ونافتا جرائم المعهودة.
وإذا كان الشاعر بدر شاكر السباعي الذي بدأ بالكتابة عنه، قد ابتلى، كما يقول: "دون أكثر الشعراء بدائيين عجيبين غامضين ويلبسون مبرجين في وقت وآخر: هما داء النظام الذي زرعه في جسده، وداء الشعر الذي يرمي به أرواح عامة السباعي!! (وهذا شيء غث مكتوب بعلم!) فقد أتبث المستشار الثقافي بدائيين
أخبر من هذين الدواعي في وقت وآخر، وهم الحكمة الدفينة لا تهذا بابن، والمفكر الشوق الرباعي الذي يجلب الخيال. وإذا كان بشرة تقلا كان يتظهَر بأنه يعمل لحرية وطننا ويقسم على ذلك بدينه وشرفه، فالمستشار الثقافي أيضًا يتظهَر بتأمจบ الحب للأدب والوطن، وبالحرص على رغبتهما، ولكنه في الحقيقة لا يفعل إلا ما فعل "بشرة تقلا"، بعد قسمه بدينه وشرفه، من التوق على مجاهاة عرقي صادق، باللغة الفصيح والفعل المستعش.

ونحن لا نسأل صحيفة الأهرام: لم عاد؟ لأننا نعلم أنه لم يغيب عن العمل، فإن آثاره ظلَّت باقية طوال هذه المدة، فلا تكاد الصحيفة تخلو من دلالة على وجوهه، وعلى رقابته النائمة على المادة الثقافية التي ترفع قدر صحيفة الأهرام بما تتضمن من العلم والثقة والأمانة! فإذا كان هذا المستشار قد غاب، كيف كان يمكن أن تنشر صحيفة الأهرام خمسة أعدة في الشتاء على كتابٍ عظيم القدر جدًا، يعد فتكًا من الفتح، وإن كانت صفحاته لا تزيد على السنتين!! وحْتَذَل ما كتبه كابٌب من إنشائه في هذا الكتاب لا يزيد عن عبود أو عمودين في الأهرام!! كيف يتم هذا، إلا إذا كان هذا المستشار حاضراً بمستشارة به؟ ثم نسأل بعد ذلك، لم هذا؟ ومن الذي كتب هذا؟ ومن الذي أثبت عليه أمانة أن يضع على صحيفة الأهرام السابق إلى التوالي بهذا الكتاب الحاد؟ فيقال لك: إنه المستشار وأعوانه بلا ريب.

وإذا كان المستشار قد غاب، كيف كان يمكن مثلًا أن ينشر تحقيقًا صحفيًا يملأ صحيفة، وفيه من المعلومات الوثيقة عن المخطوطات العربية (لا الإنجليزية أو البندقية)، هذا القدر الهائل من التحقيق عن الكتب وأسماءها وأعمال مؤلفتها؟ وحسبك من التحقيق مثلًا أن صحيفة الأهرام الخاضعة للمستشار الثقافي الجليل القدر، قد عرفتنا أنه كان يوجد رجل عربي يقال له "ابن السكين"، ألف كتابًا...
مهمًا في علم «المنطق» (1) وإذا غاب المستشار الثقافي، فليت شعرى من كان يستطيع أن يُبدئ بما هذه المادة من المعارف، وإن يرفع قدر صحة الأهرام، بهذه الفرائد البهية (!!) التي تحددها على مثلها سائر الصحف! ولكن ما لنا ولهذا، فإن الله الذي أنت في الأرض العشب، خلق له من خلقه ما شاء!

وتشكل المستشار الذي بدأ مقالاته عن «نبر شاكر السياج» من تقدماً في مقالته، ثم موجزاً الصداقات على قراءة أهل العلم الواقفين بابه، كما يتوت هو بالطبع، فبكر رجاء النقاش، وأحمد عبد المعطي حجازي يذكرهما في صدر مقالته، لتصبح الأولى بأنه «النافذ الشاب»، وليفظ من الثاني موقف العلم العميق الذي يكشف عن خُلقه وبهاء عن الإسرار. ولا يفعل كُل ذلك إلا أن يعذب نفسه مرجعاً يُصائر إليه، ومجرّدًا عظيماً قد صار إلى ما قال الفزدقي: «أحلامنا ترُن الجبال زرانية!!» ثم يبدأ هذا المسكون المستشار في بُث أحاديثه التي استودعها بلينوند، ولكن يتعمّل وتتشامخ، ويضج بهامته رأس جبل الأولمب، ويسخر من شعر بدر شاكر السياج الذي التزم فيه نهج الشعر المألوف، قبل أن يبدأ في التحول! ويأخذ يملأه فمه بالقدماء، (مقاًًّا الدكتور طبيعة الحال!) لأنه إنسان لا أصالة فيه إطلاقاًً، فيقول: «بلاغة القدماء» («موسيقى القدماء»)، تدورة خلقه الذُكر من أول المقال إلى آخره على التقديم المتواصل في تحريقة لغة العرب، وشعر قُل شاعر التزيم بعض الانتزام بالعبارة الصريحة الخالصة من ركاقاً بعض الكتب المشهورة، ولكنه لا يفصح عن نفسه كل الإفصاح، لا ينفض عنها كل التنفس إلا في أول المقالة الثانية، حيث يبدأ في استعمال الألفاظ التي لا تنبأ إلا من عند مثله، كفهول: «بعد عشرين عامًا قضتها مدرسة المهجر، ومدرسة أبوزيل في مكافحة شوقى وحافظ، والكلاسيكية العربية»، وبالطبع هذا عُبد، ولا يعني بالكلاسيكية العربية، سواء الآثار الخالدة على وجه النهر يهتم أنف العالم المسيحي، الأولي كله، وأقولها كتاب الله الذي أنزله للجنة مسجلاًً للجنة والإنس جميعًاً.

(1) كتاب إصلاح المنطق في ابن السكين، كتاب في اللغة!!
ولا يكاد يمضي قليلاً حتى يكشف عن دفين حقده الذي كان قد استوده برولوند، فذكر الفترة التي عاش فيها جيل الشباب في صدر شبابهم، يقول:

فلم يكن بد من أن يتأثر كونهم الفني بهذا الفن الأعظم، قاموا على الفن الموروث صورة وماده، ولم يكن أمامهم إلا معارف شوقي والكلاسيكيين من ناحية، وأحلام محمود طه والرومانسيين من ناحية أخرى، لم يكن أمامهم إلا: زمي القضاة، متعت بجذوره أساساً، ثم يقول أيضاً، فإذا ما التفتوا إلى الكلاسيكية العربية الأصيلة، وجدوا من يقول لهم: السيف أصدق أنباء من الكتيب، دون أن يقول لهم كيف؟ ولماذا؟ وهل هذا حقاً في شريعة الأخلاق، أم هو قد أسف، كتب على يد الإنسان منذ عهد قابل؟ وما الرأي في كل هذا البارود الذي تطغ وجه الأرض بين 1939 و1945، فإذا ما التفتوا إلى الرومانسية العربية الأصلية، وجدوا من يقول لهم: أم يكن وصلك إلا خلقنا في الكرّي أو خلقنا المحلي، وهو شيء لا يقرون له نظيراً في البلاغات الحربية التي كانوا يطلقونها كل يوم (!!!)
ولا...! ويعطف على ذلك هلامات كثيرة.

وفي هذا الذي نقلت كتاباً فوق الكتابة، لن يعرف كيف يتم طباع الكتيب، ولكن المهم أن: زمي القضاء، رشح جذوره أساساً، الذي ذكره هنا، وذكره في برولوند أيضاً، في التجربة السادسة، وهي تجربة كسر رقية البلاغة، والتى اعرف فيها بأنه لا يوجد ما بين العشرين إلى الثلاثين، لم يقرأه حقيقة العربية!! وبأنه ضعيف فيها بالفطرة، وإن إحساسة باللغة العربية أجنبي جدأ على كل حال، فهذا لغرض واحي هو المعارض، لذلك من قصيدته المعروفة نهج البردة، التي عارض بها القصيدة الرائعة البردة للبوادي، في شعر ملكي لا يستحق أن يفعله، ولكن هذا المسكيين، لم يجد عند شوقي ما يشتكي، وعنده هذا البيت، وكونه هو عموم شعر شوقي وأجوده وأفضله وأدله على أسلوبه ونهجه: وهذا باطل بالطبع، فاهماهم بذكر هذا الشعر وجعله دلالة على شعر شوقي كله، ضرّ من الشخف والجهل والمغالطة، ولكن الدافع إليه هو أن نهج البردة هو في مديح رسول الله، فأراد هذا المؤلف، بما في قلبه من العداوة والبغضاء لله ورسوله ولهؤلاء، والمؤمنين،
أن يجعل هذا الشطر وحده، هو المتضمن لمذهب شوق في شعره. وهذا عبث، وهي طريقة في التعبير بما تكثف النفوس، فاشية عند المستشرقين والمشرعين وفيما عند المستشار الثقافي وعند ساجيه من عققه سلامه موسى، وعند ذيله وحاميل حقيبه غالي شكرى.

وأما شطره فيسرع أصدق أنباءه من الكتب، فهو أيضًا مطروح على لسانه وعلى لسان قائدته من عققه سلامه موسى، كلاهما ذكره، وكلاهما شرح معاها هذا الشرح المدهش، لأنهما لم يفهموا شيئًا، ولا قرأ شيئًا، ولا أظنه أحدهما كان قادرًا على أن يفهم إلا بتفهم، ولا أن يقرأ إلا بفهم، لأنهما جميعًا من معدن واحد، لا علاقة له بالأدب والنقد، في العربية ولا في غير العربية.

قصة البيت، أو قصة القصيدة كلهًا، مشهورة. فإذا جهلها هذان الخلفان، فإنما جهلاها بطبيعة النفور من العرب، والبغضاء لهم، لأنهما يعلمان أن هذه القصيدة إحدى روائع الشعر العربي، صور فيها أبو تمام ملحمة من ملاحمة الثور الغوثي في فتح غمرية، ووجه المعتصم جيزة البطارقة وجيوشهم من الروم وطائفة المشتاق. فمن أجل هذا زال عقل سلامه موسى، وهائجا سمايدور لويس عوض، على هذا البيت، فظلًا أن أبا تمام أراد تفضيل السيف على الكتاب، دون أن يقول لماذا؟ وهل هذا حقًّا في شريعة الأخلاق؟ أو كما قال المسكين، أي أن أخلاقه يعرفها، حتى يشهد الناس إليها؟ ولكن لما كانت القصة تُلزى بالروم والبيزنطيين، فإنهم هاجروا ووشوا.

وأصل القصة أن المعتصم الخليفة، كان في مجلسه، وفيه يد قدم بهم أن يشرب ما فيه، فجاءه رسول يبلغه أن الروم فتحت رتبة، وأخذوا النساء سبيًا، وأن أمرأهم مندهش صرخت: "ساعة معاصمها!"، فوضع المعتصم القذح من يده، وأمر بأن يحفظ حتى يوجب من فتح "عمرية"، فشهره، وخرج به جيشه من فوره يقضدها، فрасالة الروم بأنهم يجدون في كتب رهبانهم ومنجماتهم: "أنه لا يفتح مدينة عمرية إلا في وقت إدراك التنين والعنب، وبينما بين ذلك الوقت شهور، يمعله من المقام بها البرد والثلج". فهؤلاء المعتصم بجهل الروم، وأوقف عليهم ناز.
الحرب، فأكملت من صناديقهم تسعين ألفًا ذكرهم أبو تمام في راعتته؟ فقال:

يشغون ألفًا كأساء الشىء، فضحكوا جلوسه قبل نضج النين والعنب،
وكنه المعتصم على غموريه حتى فتحها، فأبلى بنصر الله إياها ما قالت كتب
البطاقة والمتنوين، فهذا كما ترى، فأبان منه سخيف ما قاله المستشار وساحبه من
عندك سلام موسى؟ ولكنه الحقد يحمى ويصم.

وليت الأمر يقتصر في جهل هذا المسكن بالشعر القديم وحده، بل هو أجمل
شيء في فهم الشعر الحديث الذي يكتب عنه، فبدأ شاكر السبب يقول في قضية
له سماها "المغبي "، يقول فيها:

ببغداد، في بادية كبيرة، لوحتها المغنية، كمساحة تلك في الجدار، في غرفة
الجولوس في محطة القطار، يا جئت على النهر المستنقع، الدود فيها موجة من اللهيب
والمحرير، بغداد كابوس، ردى فاماد، يجرعه الراقد، ساعاته الأيام، أيامه الأعوام،
والعام نيز! العام جرح، ناغز في الضمير.

فجاء هذا المسكن ليفسر طريقه "الأسماز "! يا للشراذة الظاهرة! مصدر
"شلاتن "، أي الاشتراش الغشائي (كما قال هو)، فقال: "فهذته المغنية،
أو القينة المستنقع في المغبي، ليست جنة هامدة، أو جنة عفنة، ولكن لوحتها
تنكر كمساحة الحائط، تحصى الثواب والدقات في النظر الشيء، رهيب يوشك أن
يقطع، يسخيم السبب: وصول القطار، أو انطلاقه، ولكن الصورة التي رسمها حقا،
هي صورة قنبلة زمنية هائلة راقدة تلك في الصمت الرهيب، تحت هذا المغبي
الكبير، ويشكو أن تنفجر وانفجار كل شيء)، إلى آخر هذه الفكاهات!

و "لواحة" المذكورة في شعر السبب، اسم مغنية بغدادية ولا شك أما "المحاوض"
bمعنى "الألحاظ " فأظهر السبب كان يُشُم من العربيه قدرًا، لا يملك
منه لويس عوض شيئاً بالطبع، يمنعه أن يفكيك اللواحة، الألحاظ. ولا أظهر السبب
أيضاً تبلغ به ملكة الانحدار إلى أقصى، أن يجعل العيون "تنك كمساحة في الجدار"،
ولا يملك هذا القدر إلا هذا المسكين المتعمّب بوسامه، فهو جعل لواحة المغنية، بمعنى عيون المغنية، ليستقيمه له الشبيهة، بالقبيله الزمنية، ولينسف بغداد، ثم تولى صحيفة الأهرام بعد ذلك نصف نفوس الناس وعقولهم بخواطر السوء وسمادير المخمورين، بعد أن تهار الحواجز التي كانت تحجز هذا الوباء وتمتعه أن ينتشر، والعقل الذي أخرج هذا هو العقل الذي تصور أن: "وردة كالدهان هي "روزا مستيكة"، وأنها وردت في القرآن بهذا المعنى، وكذلك في شعر أبي النعاس، وأنه بمعنى "الورد"، الزهرة المعرفة! وهو نفس العقل الذي يجعل الثوب المسمى "الصليان" "صلى الأئمة" تفضي بها حلب!! "عقل أدب متقلف كبير جداً، ينشر له في كل شهر شيء يوجز عليه في صورة مقالات، وياكل شئه مجموعه في كتاب، وتكون إطعامه في الحالين مراجعة الاشتراكي كصحيفة الأهرام، ومطبعة دار المعارف (وهما معا يدخل في نطاق مشاركته!) ودار الهلال، يحكم "التعصّب" الذي سراحته فيما سلف من مقالاته.

إذن لم أكتب هذا لأنقذ هذا الغلام الغزّ، بل لأني إلى هذه الآفة التي أخذت تستشرى استشراء دوارة القطن، لتهلل تراثاً ماضياً، وتعيش بعقول جيل آت، وإذا كان من تولّى هذه المؤسسات يظن أنه يدفع الأموال من جيبه لمثل هذه الأوبئة المهلكة، فليعلم أنه يظن خطأ، لأن هذه المؤسسات يملكها الاتحاد الاشتراكي نيبابة عن الأمة، وهذه الأمة لا ترضى أن تلعب بأموالها عصابات من الناس، بلا رعاية لحرمة، ولا إدراك نتيجة، ولا حياة للثقافة، ولا حمل لأمانة الدفاع عن كيان العقل، آن تخرجه في جرائم الفكر المسلط على عقول الناشئة، إن الأمة لم تَتَلّك الاتحاد الاشتراكي هذه المؤسسات، لتكون ألوية في مداريب الثقافي والذوّل باسم الثقافة، والتي هي في حقائقها ضروب من مخاوف الشراناثات التي شرحت أمرها فيما سلف.

مطالعته هذا المسكين عن بدر شاكر السباع، فيها فرجًا، فطيع رهيب، وهي اللحظة التي كررها في إحدى مقالاته أكثر من عشر مرات، وفيها من المغالطات
والأكافيب والأبطال والعث، ومحاولة إقناع الناشئة بأنهم ليسوا شبيّة إذا لم يعيشوا بقوتهم ونفوذهم وأمواتهم وطموحهم، مع العالم الأولي المسيحى، ثم لا بيدون في بلادهم شيئًا يحركهم، لا عروبة بلادهم، ولا وحدتهم، ولا فلسطينهم، ولا خيتها، ولا دينها، إلا هذا الذي يحرك، من صراع العالم المسيحي وصراع أمته. وأما الماضي، فهو أيضًا يُغرى أن يُمحى، وإذا أرادوا لأنفسهم الماضي، فإنما هو الماضي المنحدر من وثيقة اليونان إلى صلبية القرون الوسطى، إلى البابوية العصر الحديث، التي تعم الثقافة، هي الدين، أي الدين المسيحي الكاثوليكي!!

كما يُريد أن يفهم ذلك لويس عوض وشيعته، لا كما أراده صاحبه إليوت، وهم أجهل الناس بحقيقة رأيه.

ولا أرى بعد ذلك: ما الذي تريده مؤسسة الأهرام من نشر هذه البلايا على الناس، بل توقّف، ولا مراجعة! ومع ذلك، فإن كل هذا شيء معادّ مكرّر، منذ سلامة موسى، إلى لويس عوض، إلى غالي شكري، إلى سائر التواجد. وربما كان من الخبر، أن تنفي الأهرام عن هذا التكرار الممّل، بأن تأخذ مستشارها هذا وتوابعه، وترسلهم في بعثة إلى كمبردج، حيث الخلوات المشهورة تحت أشجار الدردار، أو إلى برستون؛ وما أدرك ما برستون!؟، فعسّى أن يغادر تدريهم، فأتى وقتًا نقرأ لهم فيه شيئًا جديدًا على الأقلّ، مكان هذا المكرر الممّل.

إنه الحياة لا تحتمل هذا الهزاء كله، ولكن مُن لمؤسسة الأهرام وتوابعها ولملاليك على دربها، أن يعرّفوا أن الأمر ليس لهوا، بل هو جدٌّ، وأن عاقبة اللبيب بكفاءة أمه، وبعقولها، وبنفسها، وتاريخها، وبجاذبيها، وعاقبة متخوفة، وقد خُلّت من قبلهم المثلات! وإذا كانت هذه المؤسسات قد خُلّت من القدرة على فهم هذه البساطة، فليت شعرى، ماذا يبقى لها مما يوجب لها الإبقاء والاستمرار! فإن تقول: أكّل هذا من أجل هذا المستشار الثقافي! أقلّ: نعم، لا لأنه هو في ذاته شيء، بل لأن السلطان الذي يملكه هو الذي الذي يَغب عليه أن نحوه بالرعاية، وأن يطلب له البقاء من الأفام، وتنلمس له تمام الصحة والعافية.

ومن جهل خطير هذا السلطان في الصحافة، فقد جهل شيئًا كثيرًا، بل لقد جهل كُلُّ شيء.
كَأَذَا النَّعَامُ يَطِيرُ!

الرسالة

الخميس 23 من ذي القعدة سنة 1384
لا بأس إذا أنشأ اختيارات الراحة، وجعلت هذه الكلمة أيضًا جمعًا من تعب، فإن الحقيقة قد أضطرعت للملل، فوق المل للذى كُنت أجدوه من مدارة تاريخ العصر القريب، منذ عهد نابليون ومحمد علي إلى أيامنا هذه، لكي أعد المقالات التي وعدت القراء بها، وجعلت عنوانيها " أباطئ وأسامار " وأنا مفترون على المل للمل من الشجاع المشابه، وأشد مثال من الغفلة عن إدراك هذا التشابه المنتاب. فاجتمع على من المل، ما أثرث معه أن تخفق من الضيق والجلد وشراعة الحقيقة بعض الباطل.

أليس من حقى أن أسلتي على ظهري، وأضيع سافا على ساقي، وأجمع كُتْب مثبتة أصابعهما من وراء رأسي، وأخلع نظارتي، وأغمض عيني، وأتحدث على السجية غير مكلف ولا محتمش؟ إنى من حقى أن أفعله، بين أهلى وزوائي وأصحابي، بلا ريب. فإذا كان ذلك كذلك، فيسحب عليه أنه من حقى أيضًا أن أفعله على الورق! بين قؤاً وأهل مؤثات مبني يقرأ الرسالة! أليس كذلك؟ وهكذا الديننا! ولا فضاعة شيء! فهكذا أنا، رضي القرآن ذلك متي أو كرهوها!

وخطر لي أن أقول للناس: " كاذ النجم يظهر "، بل قد طار، ثم أقت قصبة وقعت ورامها بعيد، على أن أرويها، وعليهم أن يصدفوا. ولم لا أليس العلماء طائرًا ذا جناحين؟ فما يصنع أن يظهر؟ ومن الذي يملك أن يكدنها فيما أقول؟ ومعى هذا الصدق، وهذا المنطق؟ وقد وجب ذلك، لأنه زمان اللعب، ولأنى لو حذفنا أن إنهان نظر في المرأة، فلم تعبه شخته، فانطلق عامًا إلى أقرب دار للتجمل، فدخل وخرج بعد ساعة وسبعة وضيأ ضايًه عين نفسه، قد عاد مسناً الوجه بعد استدارة منيرة، أضرع العينين بعد جروح وحول، أضحى النورين بعد الفطر، أظلم الشفتين (أي رقيقهما) بعد الهلال، (أي بعد غلظهما واسترخائهما كشفاه الزنجل) = لو حدثت ذلك بهذا، وأي رأيته كذلك، وأي نفته كذلك، لما
كان شيئاً عجباً، ولوجب عليك أن تصدقني، لأن الزمن الذي كان يقال فيه: إن
الخبر هو الكلام الذي يحمل الصدق والكذب، زماناً قد تمكّن كان يحمل: اللَّه
والعجن، ونحن في زمن إلى التبسيط ما هو، وإلى الشيعة ما هو، فمن التعقيد
وإتلاف الوقف أن تجلس مجلس التبليدة، لا عمل لكي إلا ابتغاء تكذيب، ولا
استهلالته تفيض وعقلك وزمانك في تقلب الكلام وتشقيقه وتقصيصه، تزعم أنك
تريد أن تعيّز الصدق من الكذب، والخياب من الطيب! أيّس كذلك! نعم! هو
ذاك وربّ الكعبة! لا، ولا تنسي أيضًا أن الذي يحدثك بهذا رجل مذكور غير
مغمور، وهو عند الناس رفع القدر، مشهور، بل بالعلم وصدق الكلمة، وهو أيضًا
متقادم المالك؛ قد حُبّ الدهر أشدَّه، عرف ووجوب، فن سرهُ أن تلجأ إلى
المحاكمة طبَّا فتطلّب ما يقول، فصاعد، وتوكّل على الله!

أوه! ضاحك صدري بهذا الكلام! وندد هذا التحدث في ضرب آخر، ولا أجد
شيئًا لمداني بصالح! في مثل هذا الموقف!! سوى صحيحة الأهرام، ولا سيئاً إذا
كان يوم جمعة، فإن جبّر المستشار الثقافي شاملة غامرة، قد عُمت وطقت!!
وتأثَرت فيها كلمة عليها توقع الأسناذ الكبير: توفيق الحكيم، يخطى بيد محفورة على
الزمن، وجعلها مقدمة للورقة. وإن كنت لا أرى: أثروة، هي المسرحية ذات
الفصول الخمسة، أم هذه المقدمة؟ وصدقني إذا قلتك: لا أرى، فإن الأمر قد
اختلط على اختلاطًا شديدًا، لا أملك معه سوى التوقف، والتماس المعونة من
متبعين، وبالطبع أنا لا أملك شيئًا سوى عقل، وعليه استعداد في المبادرات، قرأت
كلمة الأسناذ الكبير: عتابة فائقة، ولا داعٍ للنشر، وحاولت أن ابتعد على
عقول! مررت، مرة بعد مرة، حتى تعبت، وكذٌب مستعمر من إسرازي
على استخدام "العقل" وراوئتي نفيّس أن أقوم فأذهب إلى لويس عوض، وأسأله أن
يُزفني ويتعيني بعض هذا "السائل" الذي أُلغِيل عليه جمجمته، فإن رأيته نافعاً
للفهم، مبتورًا للطبيعة، صالحاً معيًا على إدراك الخروفي والغواص، ( مجزوب )،
كما يقول الطبيب ابن البيطار في مفردات الأدوية، إذا وصف لمرضى دواء ناجحاً
شافياً! ومرة أخرى: أوه، ضاحك صدري بهذا الكلام!
على رأس "ستين مسرحية" كتبها توفيق الحكيم، لم يزل يحاول ويبحث عن حل لمشكلة اللغة المناسبة للتمثيلية العصرية في بلادنا! مع الرجاء من كل صاحب رأى في المشكلة، إيجاد حل عملي، لا أن يكتفي بالاعتراف بالكلام، فإن الآراء السلبية لن تقدمنا خطوة. نحن الآن أحوج ما نكون إلى الحلول الإيجابية التي تقترب بمشروط تطبيقها، ومحاولة فعلية للمعاونة على إيجاد مخرج لما يواجهنا من مشاكل، وهذا نص كلامه.

ولا أدرى علام كل هذا؟ أليس الأستاذ قد وضع الحل قبل أن يكتتب كلمته بهذا الرجاء والمسألة سهلة جدًا، لا أدرى كيف غاب عنه الناس منذ تكلم بها البشرة الأولئ، من سبيلنا، إلى ويلكوكس، إلى لطفي السيد، إلى سلامة موسى، إلى لويس عوض، وذهبوا بعد ذلك، وفي خلاف ذلك، كثيرة!

مسألة بسيطة؟ فإن أهل اللغات الحية، كما يقول الأستاذ (وهم بالطبع أذكياء جدًا، وذوى بصر ومعرفة!) طالما عيزوبنا بأن لغتنا العربية صائرة إلى زوال، لأن الناس في تخطيطهم لا يتكلمونها! وهذا إنذار أشرنا إليه آنذاك، أشرنا به البشرة مثل سبيانا، ولا سيما ويلكوكس، البشر، محافظًا على حياتنا وحياة اللغة العربية.

ويقول الأستاذ الحكيم أيضًا: إن أهل المصلحة منهم (ي يعني ذوي الأغراض السيئة) يمتنون في إيهامنا بعقم الهمة بين الفصيح والعامية، وهذا أيضًا مما قالوه جميعًا وأشرنا إليه آنذاك! ولكن الأستاذ الجليل فكر كثيرًا، وتنتهي إلى أن الواقع الذي لا يحلوه اليوم، ولا يحله كثيرون، هو عكس هذا الرموز، فالعامة هي المضض عليها بالزوال وافقين بينها وبين الفصيح يضيق وهم بعد يوم! وكفى الله المؤمنين الأتال! ثم أخذ يدلّ على ذلك بأدله الكثيرة، بمهارة ودقة وتفاني، ليزيل الهم، كما قال، بوجود لغتين منفصلتين تقوم بينهما هزة سريعة، فإن هذا الاعتقاد هو الذي جعل كثيرًا من كتابنا يعمون في تعميق الهوة بدون مزيج أحيانًا، إلا لتأكيده انفصال العامية وإظهارها بمظهر اللغة المستقلة، وخلاص إلى شيء سهل.
جدا هو : أنه يرفض الاعتراف بوجود لغة منفصلة مستقلّة اسمها العامية، تترجم إليها العربية، كما لو كانت لغة أجنبية، في حين أن الموجود هو مجرد لغة تخاطب عربية، استخدم فيها بعض الرموز، والاختيارات، والاستدلالات، كاستعمال الحوار بدل السين في الفعل المستقبل، فيقول: حاكتب، بدل ساكتب، والباحة باء بالفاعل المضارع تأكيدًا للحاضر، مثل: بكتب... وهي على كل حال ليست من الضخامة التي تبيح الزعم والاعتقاد بوجود لغة مستقلّة منفصلة عن العربية... وإن كلما غلت النفس بملاحظة بعض المتكلمين عدننا، وجدتهم على غير وعي منهم ( هكذا والله العظيم )، قد نطقوا لغة عربية سليمة، تكاد تقترب من لغة الكتابة، فيما عدا ترك الإعراب، ونطق الفوق في قال، وقول، باللهجة، أو النجوم، حسب المنشأ والمنطقة... فاللهجة إذا ليست سهيلة إلى هذا الحد الذي يبيح العمل على تعميقها، وشرح اللغة الواحدة مشرفين، وجعلها لغين، وقسم الشعب شعبيين...! إنه كلام الأساتذة الحكيم!!

ولا أدرى، مرة أخرى، ماذا أقول! فمنذ أكثر من خمسين سنة، كتب المشروون مثل هذا الكلام، وأعاد ترديده في سنة 1913 أحمد لطفي السيد وسماه: "عند الصلح بين العامية والفصحي"، ولم يرد عليه الأساتذة الحكيم الكبير قلامة ظفر، فإذا ما كان خمسين سنة لا تزال تردد أقوالًا، ووضع مشروعات، قاد أكل الدهر عليها وشب، وتكمل فيها الناس كلامًا كثيرًا، فإذا يعني هذا؟ يعني أننا نتورية أفانًا نديّها في حلوان، ثم نرجفها على الآذان أو في الورق، بل أدنى محاولة للنظر والتفكير، والمحافظة والصبر، ولم يرد عمل الأساتذة الحكيم، على أن جلس ساعة وفكر، ثم أرسل اللغة العامية إلى دار التجميل، فلم عادت قال نفسه: هذه هي الفصحي! فقال لنا: هذه هي الفصحي، ولا نجادلوا، لأن الأمر لا يحمل الجدل، وقد جبتُ بالآلة، ونحن اليوم بسبيلاً بناة موثقة في التفكير والعمل، وتحدث عن إذابة الفوارق بين البلطينات ( الله، الله !!)، فكيف يتم ذلك بغير إذابة الفوارق في لغة التخاطب!! وللتدليل أيضًا أنhea، وردة مسرحية في 5 قصص، فإذا نرى أشيء وما الفصحي، ( وإن كانت بصريح العامية!! )، ويبقى أن نصدق ذلك، أولًا: لأن اللغة العربية، والفصحي لغة
عربية، كما أن النعامة طائر، والعقاب طائر! هذا له جناحان، ولها هي أيضًا
جناحان، إذن فهما شيء واحد أيضًا. فما هذه المشاكل التي يشبهاها الراغبون في
إقامة الحواجز، وفي القضاء على كل تشابه بينهما، وفي تشوبه معلم اللغة العربية!
كما يشبهها أيضًا هؤلاء «المتقرون» من يحلو لهم تجرب الشائع الصحيح،
للمجرد أن العامة عرفته! مسألة بسيطة!

وليس من هتي الآن أن أناقش في بيان فضيلة هذا المشروع الجليل، وليس هذا
أوأنه، وسيأتي أوانه في بعض المقالات إن شاء الله، وإن كان الأستاذ الدكتور على
عبد الواحد وافي، قد أثر وأجاد فيما كتب عن هذه الفروق التي يزعمها الناس بين
العامة والفصحي، ولا يزال يفعل. ولكن الأستاذ الحكيم غير مكلف بالاطلاع على
شيء من ذلك، لأنه كتب عظيم القدر، رفع الذكر، قدر مارس هذا الأمر دهراً
طويلًا استغرق ستين مسحية! هذا فضلًا عن كونه عضوًا في المجتمع اللغوي,
فليس عليه أن يطلب على ما يكتبه عامة الناس، وليس من حق أحد أن يستدرّك عليه
ما يتكلم به في اللغة!

ولكن بشروء خليقى، وبما قُطْرَت عليه من العناية والممارحة، وبما آثاني الله من
الغروب والجغرافى، وطباعة مولى، من أبرزه صديقين، وبالجذور المتمنية إلى عرق
النيري، وهو أبى إمساكً من إبراهيم حليل الرحمن عليه السلام، أحب أن أناقش
الأستاذ الكبير، لا في مشروعه العظيم، ولا في الفروق بين العامة والفصحي، بل
في أدله التي جاء بها، وإن كنت، بلا شك أيضًا، ممن يعترف على نفسه ( والأمر
له) بأنه يجب أن يتكلم فيما لا يعلم، فئةً واقتدارًا! وسأختير بعض هذه الأدلة،
لا على وجه الاستقصاء، ولا على الترتيب المنطقي البديع المتقن، الذي هو أحسن
بدائعًا وأشتد إتقانًا، من «حوار الحكيم» الذي اشتهيه عند الناس.
فمنها، يقول الأستاذ الكبير في بعض أدنه على جواب إلغاء الإعراب في الحوار
المثالي السيمي المتوقع والمكتوب: وتسكين الأواخر، أي الوقف بالسكون
وعدم الإعراب ( وهذا أسلوب فصيح جدًا) هو أيضًا من صفات لغة التخطيط.
السرعة في كلّ أمة عربية  (شراء عظمي أيضًا) ، والله الأمر كان كذلك أيام العرب 
القدامى  (تحذّر بالك) ، في أوج حضارتهم . فقد كان يقال :  "سكون تسلم " ، 
وقد نحنك الكلام والتشابك في الأسواق في أيامهم كان بإعصار أواخر الكلمات . 
فالسامح ، إذن ، (وهي نتيجة منطقية ، ولا يتأخذهن القرار في إقحام نفسي ، فهذه 
شيئتي كما وصفتها ) ، في الوقت في الحوار التمثيلي العصري المنطوق 
والملكون ، يجب أن لا يقدح في عربية اللغة وسلامتها ( بالطبع ، وكيف لا يكون 
ذلك كذلك ؟ ) ، وقد قال ابن البشير في كتابه "أسد الغابة " : إن اللحن لا يقدح في 
بلاغة أو فصاحة .

وليس أحدّ بالطبع أيضًا ، أعلم بأخبر قدامى العرب من أستاذا الجيل ، إلا 
يكن لطول تحصيله ، فلكونه عضوًا في المجمع اللغوي . فهو بلا شك يعلم 
ما يقول ، وإن كان أثهناً لا يعرفوا لم قبل : "سكون تسلم " فكاننا بالأمر من فضه ، 
وقدًا على أن هذه الكلمة ، قبّلت لن تكون منهجاً جايزًا يسير عليه المتكلمون ، والكتابون 
أيضًا . وكنا نظنُّ ظنًا ، والظنّ في هذا الأمر ، لا ينبغي من الحق شبيهًا : أنها قبّلت في 
رجل قرأ كتابًا فظل ببلحؤ ، في الواقع ، فيّلحن على وجه آخر ، فلم يضاف سامعه به قائل 
له : "سكون تسلم " ، يعنى باللغة العامة : (رجحتنا ، يا أخي ! ) ، ولكن هذا ظن ، 
والعلم عن العلم هو الذي جاءنا به الأستاذ ، فحقّ علينا أن ترك الظنّ المتواضع ، 
إلى اليقين الثابت ، وقد فعلنا إن شاء الله ، ورضي الله عن الأستاذ .

أما الديلل الآخر ، فهو كلام ابن البشير ، وهو حجة قاطعة في هذا الأمر ، 
وبخاصة أن كتاب "أسد الغابة " الذي ذكره الأستاذ ، كتاب عظيم جدًا ، درس 
فيه صاحبه مسائل اللغة والفصاحة والبيان . وقد كان نسمع من شيوخنا رحمهم الله 
وغير لهم ما أساءوا من ترتيبنا على الجهل ، إن هذا الكتاب الجليل "أسد الغابة " ، 
هو كتاب للحافظ عز الدين أبي الحسن على بن محمد بن محمود بن عبد الكريم 
الشجاعي ، المعروف بابن الأثير الجرري ، ألاله في ذكر الصحابة وتراجمهم وأخبارهم 
( ولد سنة 550 هـ ، وتوفي سنة 632 هـ ) . كان هذا ما علمناه سماحًا ، فالآن 
ينبغى أن نصير إلى قول الفقهاء ، لتعلم أن شيوخنا قد ضلّلونا عن الحق ، استهالة
منهم بالتعليم. ولو أن الأستاذ، أبناه الله، أراد لنا أن نصحح أخطاء شيوخنا، لما ذكر اسم الكتاب نساء، ولاقصر فقال: «وقد قال ابن الأثير: إن اللحن.» دون أن يفت، هل يعرف أن يكتب أحد أعضاء المجتمع اللغوي شيئًا إلا لهدف، من إصلاح خطأ شائع، أو إزالة وهم سابق، أو إذابة فوارق مبهمة الجهيل والتفخير.

ومن جهل شيوخنا، غفر الله لهم، أنهم حين علمونا، زعموا أنه كان لزمن الدين، أبو الحسن علي بن محمد هذا، أعت أخزُّ يقال له: ٧ ضياء الدين أبو الفتح نصر الله، ابن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى، وعرف أيضًا ابن الأثير الحضري، وزعموا أنه ولد سنة ٥٥٨ هـ، وتوفي سنة ٦٧٧ هـ، وأنه ألف كتابًا يقال له: «المثل السائر، في أدب الكاتب والشاعر.» وهذا خلقت قبيح! فليس هذا الكتاب في أدب الكاتب والشاعر، كما عرفنا اليوم، بل هو في موضوع آخر، لعله علم التاريخ، وعل صوابه: «المثل السائر، في أخبار الأوائل والأواخر.» هذا أكبر ظنًا، لأنه ينبغي أن نتعلم كيف نحسن النظر، وكيف لا، والظن على مراتب اليقين، إذا أحسن الإنسان كيف يظلع، ويقول: «عل الأمر كان كذا وكذا».

وحسبك ما قاله أوم بن خجر في رثاء صديقه له من الأذكياء:

الأنجع الذي يظلع بكظل، كان قد رأى وقد شبعا

ومن سوء تربية هؤلاء الشيوخ، ولا ندري أنتصرف لهم أم نسيء القالة فيهم، أنهم زعموا أن ابن الأثير هذا، قال إن النحو يقع فيه الخطأ كثيرًا، لا في الذي يخفي منه، بل في الظاهرة المشهورة، وضرب على ذلك مثلًا بيت المتنبي في صفة ناقة:

ونكشرَ وشكَبَانَها عن مُبَرَّكَينَ فيهما وَليَكَما أذَقُوا

فجمع في حل الثنتية، لأن الناقة ليس لها إلا ركبتان، فقال: «ركبتان» وهذا من أظهر ظهور النحو، وقد خفى على مثل المتنبي. وقد كنا نجادلهم في هذا الذي قاله ابن الأثير، ونقول لهم: إن الله تعالى يقول في سورة التحريم: «إن تلوى إلى أين؟ فقد صنعُ في قلبيكم»، فجاء الجمع، في حل الثنتية، فندعو أن هذا الذي قاله المتنبي هو الصواب المحض، لأن المتنبي أكثر من واحد، فهُو بمتنازل الجمع، وما دامت الناقة ليس لها إلا ركبتان، ولا يُنكرُ أن يكون لها أكثر من ركبتين، فاستعمال الجمع مراذًا به النثنية بلا ريب ولا استثناء، كما في الآية.
ثم إن ابن الأثير هذا، فيما زعموا، عقب على ذلك فقال: «ومع هذا ينبغي أن تعلم أن الجاهل بالنحو، (بهذا النص، والعدة عليهم)، يبدع في الفعل به نفسه، لأنه يسهم قوم تواضعوا عليها، وهم الناطقون باللغة، فوجب اتباعهم». 

ولا نذكر كيف علمنا هؤلاء الشيوخ مثل هذا الكلام الفارغ؟ ولا كيف نسوا مثل هذا الهراء إلى ابن الأثير؟ وأوقفنا أن الخطأ في النحو: جاهل، وإن هذا المخطئ في النحو: جاهل، يبدع فيه خطيئة إنهم قوم متفرقون، لأن الأساتذة الحكيم قد روى لنا حقيقة ما قال ابن الأثير على وجهه، فقال: ما نصه: «إن الله لا يبدع في بلاغة أو فضاعة»، ومعنى ذلك أن الكلام الذي يتعلق فيه المفعول وتصب الفاعل، وتنطق فيه الإعراب سكونا، وتقلب الذال فيه دالا، وجعل: «الذي»، «اللي»، وقوله فيه: «لي»، مكان: لماذا، (أو: أي) على الأصح، وجعل الدا ثائرة، ثائرة، ثائرة، ثائرة، سابتا، فقال: أطلق ثلاث وسبات، في ثابت، إلى آخر هذا، كله في قاعد على يافآلك اللغة، أو ناشفة في حضنها، ولا ينبغي التخلق عليه لجلج هؤلاء الشيوخ الجهلة! ولولا أن هؤلاء جميعًا جهلة ضربًا لازب، لصحروا أولاً الكلمة على ما رواها لنا الأساتذة توفيق الحكيم، لأنها هي المنطقة الصريحة المعقول، ولناضذوا بها على أن هذا الذي يدعى المذعرون من الأخطاء النحوية في كلام بعض الشعراء والكتاب، ليس خطاً، بل هو إذابة الفوارق بين لغة النحاء، ولغة الكتابة والشعر، سبقو به الاشتراعية بدهور طوال في «إذابة الفوارق بين الطبقات»!!

وكذلك تكون النتيجة المنطقية أن هذا "البن والبعض" في مسألة العامية والفصحي، إنما هو مضغٌ للانفاظ بلا قائدة، وأن العامية التي يعزمون، ليست إلا الفصحي نفسها: سهولة صحيحة لا غيب فيها، وقلًّا ما في الأمر أننا أخذنا بعض الطرش، والاختلافات؛ والاستبادات، وعدم الإعراب!!"، وفتحنا ما ينطق مصمومًا في الفصحي، وكينما ما هو مفتوح، وضمننا ما هو مفتوح أو مكسور، وإن استغرق ذلك كل كمية في القيادة التي تلقى في المسرح، أو في المدرسة، وبذلك زالت الفجوات، وذات الفوارق، وعاد ما يسمونه عاميًا شوقياً مبتذلاً، فصيحًا معرفًا في الفصحى! وانتهى الأمر!! ولا يضرك أبدًا أن يختلف الناس في ذلك أيضًا ما شاء لهم الاختلاف، وأن يتكلم المصري غير ما يتكلم الشامي، غير ما يتكلمه أهل الجزيرة، غير ما يتكلم المصري، غير ما يتكلم المصريين، غير ما يتكلم المصريون من هؤلاء وغيرهم جائزة، وهو بصحيح لا شك في فصاحته! وكيف لا، وهم جميعًا عرب؟ فإذا قلنا: لا، ليس الأمر كذلك، كان ذلك حقيقة على خيانتنا للمبادئ، وإنكارنا للوحدة العربية، لأن معنى ذلك أننا ما دمنا نقول إن اللغة التي يتكلم بها الشعب، ليست من العربية الفصحي، فالشعب المصري إذا ليس بعربي، والسوداني ليس بعربي، وال kapsاني ليس بعربي، والمغربي ليس بعربي! فهذا من أظهر الأدلة على أن الذين يفرون عن عناية هذه الأمم جميعًا أنها عربية، وإنما يخونون قضية الوحدة العربية، يفسرونها من جذورها!!

كيف لا؟ وهؤلاء الذين يدعون أنهم يدافعون عن الفصحي، قد خانوا الأمانة، وكمكان العلم، وتجاوزوا أن الأمر منذ قديم كان كذلك، وكان على هذا الوجه نفسه! وإنما هم أحضرو أن يجلس على الكرسي، ويبع دلهم عند ساق، يتلكون على عصاة؛ ويسرح في ملكوت الله، ثم يتألق بعون الناس بقليل هذا الظاهرة بالدفاع عن الفصحي، وهو لا يزيد إلا نحوة الخطاف، مع تسامع نعمة بالدليل القطاع، الدال على فساد رأيه، ولكن يكتسح هذا الدليل، مع وضوحه، وقوته أسماعنا بالليل والنهار، في التلفزيون، وفي الراديو، وفي المولد، والوائل، والأفراد، حيث يقرأ القرآن بالقراءات السبع!! وفي ذلك أوضح الدليل على أن
وعن 인정ن العربية من قديم، كان المنطوق فيها المخالف للمكتب، أبداً شائعاً! وهذا
أوّلًا يعرف الذي يدرس "الأحرف السبع" التي نزل بها القرآن، (1) ولكن المستفيدين
المستهنين العالمين، الذين لا يُعَيَّنون لشيء حرمة، يغاضبون عن هذا الدراسة،
ويكملون بما يُفضّل إلى إيجاد مشكلة لا أصل لها، فيما تُفريق قيبق يجعل الشعب
الواحد شعبي، بل شعبيًا لا عدل لها، يقدر ما في الشعوب العربية من الاختلاف في
نطق الألفاظ وتركيبها!

وماذا يرى هؤلاء المفسدون؟ أريدون أن تبقى العربية، دون لغات الناس
جميعاً، (وهذا شيء لا شك فيه)، فإن خالقها الواقع في كلّ أمة عند هؤلاء
المفسدين)، لغة مكتوبة ومتعلقة أحيانًا على هيئة عند "المثقفين"، ومنطوقة
على هيئة أخرى عند غير "المثقفين"؟ وما معنى أن تبقى "الناصري"، والطائفة
والذال" التي تخرج فيها اللسان؟ وقد باتت من لغات الدنيا جميعاً،
بالإنجليزية الآن لا يقول "ذى"، ولكن "زي"، ولا يخرج للناس لسانه.
وما معنى الفرق بين الجيم المتضعة وغير المتضعة؟ إلى آخر هذا الهراء كله؟
وقد مضى المثل، فإن "المثقفين المسيرين في أوروبا في العصور الماضية"، كان
لهم فضل الارتفاع بلغة التعاطب فوق المسارح، مما جعل الناس يحاولونها في
 حياتهم اليومية! وكانت وسيلةهم إلى ذلك أنهم استعملوا "الخوص،
والاعتزازات، والاستياءات، وطرح تكاليف قواعد لغتهم!! وجعلوا لغة العوام
غير المتورين، هي اللغة التي يعمال بها، ويكتب بها، ويدير بها في
المدارس!! وهذا شيء يعرّب عن كُل من سافر إلى أوروبا، ودرس لغة كُل قوم من
أقوامها، واتلّع على الطريقة التي تدرس بها جميع العلوم!! فأقحم هناك
متساهلون، لا يلزمون أحدًا، لا ينحن، ولا يصرف، ولا يخرج الألفاظ ولا يكلّ
هذا الهراء الذي يُبيّبح به المتضرون، لا يُفعّلون، تحت في كُل ذلك كذبة مبطلون!!

(1) هذه الحجة والبراهين، انتهى إليها الأستاذ الحكيم بلا استعجالة بأحد من الناس، لا عربهم!
وإذن فإن علينا أن نفعل كيفية ، حتى تكون لغتنا كلغتهم لغة حية ، فتقدُف
بكُلٍّ هذا الذي إدعوه من النحو ، منذ مسيوبيه إلى الأشموني ، وبكل هذا الالتزام
الكاذب بالذي يسمونه "مخارج الألفاظ" ، ونعلم الناس بأن يقرأوا المكتوب
بلاجيم معطشة ، ولا إخراج لسان في النداء والاظواء والذال ، ولا مبادلة مرفوع
أو منصور ، ولا ننظر إلى ما يقولون في كتب اللغة ، كذا على وزن كذا ، فإن هذا
التقيد ضارٌّ أشد الضرار ، مكلف للوقت مضيع للجهد ، بل هو أحياناً سوء أدب
فكيف تخترق لسانك للناس مثلًا ! أهذا أدب ! ولماذا تتحرق في نطق القاف مثلًا
فقول : "قرأه ، والأسلوب والأحسن "أرأ" وقول "الحقائق" ، والجيد في لغة
التخطيط والأنوار "، إلى أشياء لا تتضمن باقياً ، ينبغي أن تنحصر جميع وسائل
الإعلام على إنتاجها لإذابة الفوارق بين طبقات الناس من ناحية ، وطبقات كلمات
لغة من ناحية أخرى !! ولا يقمت لغة طبقية ، فيها ما يطنق مرة باللغة ، مرة
بالهمزة ، مرة بالناء ، مرة بالسبين ! هذا هو المنهج ، ومن ظن أنه يريد الاعتراض ،
فهو "اعتراض كلامي" و "رأي سلبي" ، مع وجود هذا "الحل الإيجابي" !

...
كانوا حقًا من أهل العلم، ومن محقى الحق، ومن الداعين إلى الإصلاح!! ورحيم الله شيخ المعارف إذ يقول:

من يُتبع عيندي تُحوّوا أو تُريد لغة فما يُسناعف من هذا ولا هذا يكفيكْ من الديناء ومنقتصة أن لا يبين لك الهادي من الهادي وآيُ اللَّهِانِ كنا فيه منذ اليوم!! والأستاذ توقيع الحكيم ذو حظٍ عظيم من الفضل، وهو الهادي إلى كل زيادة في الخير.
أمّابعد،

الرسالة
الخميس 19 من المحرم سنة 1385
أما بعد، فقد أعثثت تفكيك بضعة أسابيع من هم القلم وقلت النفس إلى الكتابة، لكى أفرَّغ لهم يبدن شعورًا بشدة الحياة وهيجتها، (1) وقلت: يزيد النفس توهجا تحت أنفاس العمر، ولست أرى بالماء ما يعثث القلب من ثقل جائع يبدن منافي الحياة حتى يكاد القلب يختنق، ولا بالقلب ما يخاف أو النفس حتى تشعث وتضطرب، بل أريد بهما ما يسود القلب والنفس من إحساس بأن الحياة جد لا يصلح معه الهزل والاستخفاف، وترك الأمور تجري في أعثتتها بلا وازع ولا خيب ولا ضابط. وعلني لا أكون مبالغًا إذا أنا قلت: إن كأني قد وفقت، في هذه الأسابيع القليلة، على قيمة من القمم الشوامخ، والأرض كلها من تحتي، فأرخى بصري إلى أفق بعيد مُعرق في البعد منذ عهد أبدا أدم عليه السلام، ثم أزلفه على عوالم من ذريته لا يعلم زمانها وآجالها ومصيرها إلا بارتها وحدده سبقانه. ووجدتني تجذب، في خلال ذلك، نشوة فخامة تبهم من عن بيني وشمال، فتذئب، كما امتد تحت البارح، القلب الزهري، ولا كششة جذبها الأبهي الوضاح.ملك العرب قديماً في الجاهلية، حيث وصف نشوة بخلطها طائف من الحزن، بهذه الأتيات الروائع:

[ سياتى شرحها بعد نهام المقالة ص: 320 - 327 ]

(1) كتبت هذه المقالة بعد أيام من مولد ولدنا الأول في شهر ذو الحجة سنة 1384 (18 أبريل 1965).
فأُمِّدَ نِعْمَ جَلِيلٍ فَخْرٍ مَتَهْدِئٌ لِليِّبَاتِ اهْتَدَى إِلَيْهِ هَذَا الْجَاهِلِيَّ الْقُدُّمِ بِمَا فِي قَلْبِهِ مِن الْهَمِّ وَالْقَلَقِ، ثُمَّ أَسْتَوَدِعَهُ هَذَا الْأَحْرَفُ الْقَلَائِلُ، ثُمَّ أَنْفُذَهَا إِلَى أَعْمَاقِ الْحَيَاةِ الإِنْسَانِيَّةِ، ثُمَّ سُلِّبَهَا كَأَنْ هَيْ ثَمُّ مَسْقُوفةً جَدِّادًا لِلْحَايّةِ بِصَيْصِيْصٍ يَلْبَعُ فِي ظُلُمَاتِ الْحَيْرَةِ؟ أَيْمَّ نَشُوَّةٌ يُبْدِعُ فِي عُقُقَاتِهِ دِيبِ الْشُّرْوَنِ الْكَامِنِ وَالْحَسَرَةِ المَتَرُقْرَقَةِ، أَطْلَقَ هَذَا الْعَرَبِيُّ الْشَّيْمُ أَنْ يُسَدَّ بِهَا وَجَدَانَ حَيَاتَهَا، بَلْ رَوْمَهُ الْبُنَانِيَةُ مِتَمَوَّغةُ فِي أُوْحاهِ الأسَاطِير، وَلَا رَوْمَزُ وَلِيْمَةِ الْمَنْتَابِ والْأَصُولِ، يَجِبُ الْحَيَاةِ البَشْرِيَّةُ جَهَيْرًا مِسْتَعْعًا مِن الْحَطَائِرِ وَالْذِنْبِ وَالْاَلْلَامِ، وَيَجِبُ الْحَيَاةِ الْفَلَقِيَّةُ مَطْيَةً عَلَى الْقَلْبِ، وَالْفَلْقِ السَّابِئِ يَدْمِرُهَا لِبِيْنَ الْحَمَاةِ الَّذِينَ أَعْطَى كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ثُمَّ هَذَا، سَبِعُهُهُ تَعَالَى.

وَمَا دَامَ الْقَلْمُ قد حَمَلَهُ هَذَا المِحْلُولُ، وَدَخَلَهُ إِلَى حَدِيثٍ ثَمَّ لَأَرْدَهُ حَيْنَ بَدَأَتْ، فَسَأَدَّهُ بِجَدُّ ذَكَرِهِ عَنْ عَرَبِيٍّ أَخْرِ، عَظِيمِ الْهَمِّ، كَرِيمِ الْقَلَقِ، وَهُوَ أَيْضًا جَاهِلٌ عَتِيقٌ، وَهُوَ جَدٌّ رَأْوَةُ لِلْكُفُوَّةِ، المَفْضِلُ بِنْ مُحْمَدٍ الْبَصِيرِ، واسْمٌ شَكِيرٌ بِبَيْنِ رَيْبَةِ بِنْ زَيْنَبِ الْبَصِيرِ، فَقَالَ يَصِفُ نَشُوَّةٌ أَعمّصُ مِنَ نَشُوَّةِ الْمَلِكِ جَذِيبًا الْوَضُّاحُ.

[سيأتي شرح الأيات بعد تمام المقالة ص : 308 – 310].

إِنْ شْيَاءٌ وَنَشُوَّةٌ وَخِيْبَةُ الْبَازِلَ الْأَكْفَرِينَ يُجْهِلُهَا السُّرُّ فِي الْحَيَاةِ مَسْأَلَةُ الْعَانِزِ الْبَطْسِينَ وَالْبَيْضِ يُفْلُحُ كَالْهَمْيَاتِ وَالْمَمْثُولِ الْمَصْوَونَ وَشَرْعُ الْمَسْرَحِ الْكُتُوْنَ إِلَّا الْأَلْسَنُ، وَالْنَّذَرُ ذِو فُونَانِيْنَ لِلْفَقْرِ، وَالْقُرْنِ لِلْمَثْلِ، وَالْخَيْرِ لِلْمْثْلِ أَهْلُهُنَّ طَّمَّهُ وَبُغْدَةُ عِدْيَٰهُمْ وَدَا جَدُوْنَ وَأَهْلُ جَشَابٍ وَمَلْأَهُ وَخَيْرُ لْفُحَامٍ وَالْفَقْرُونَ فَأُنْفِقَ كَيمَّةٌ وَايُّنُوْنُ رَفْقِيًّا؟ أَيْ ضَرْبُ رَفْقِيٍّ؟ أَيْبَعْتُ لْخُبُورُ الْحَيَاةِ وَشَرَّهَا بِلا خُوَفٍ وَلَا تَرْدُدٍ؟ أَيْ ضَرْبُ أَيْضًا عَلِيّ الْفُقُوْنَ الْعَرَبِيَّةِ الْفَلَقِيَّةِ، أَوْتُورِاً مَضْرَدَةً عَلَى قِيَامِ وَحُسابٍ، حَتَّى تَنْبِثُ مِن تَلاوَتُهَا أَنْتاَمَةً مِعْتِرَةً عَلَى الْحَيَاةِ وَالْحَمْرَاءِ بِأَضْواءٍ
من البيان لا تكفي ذكر الزمر المعينة التي يفتح فيها النقاش لتحفيز، وقد تأثر وتعقد في معابد الجهالة، وهياكل الضلال عن الحق. ولكن العجب لمن عنة للطغية تمثل هذه القدرة الخارقة، ثم يضم على إليها، إليوم وأشباه إليوم، ذوي إليوم، غير ثبت أن يخوض بنساء ولغة في تأثيرخرى بين التعاطيل النفسية المريض، ومن رجوع الحضارة الأوربية وصديدها المتلقى الذي يحمله بكل غثائه وغنيه فلان، وفلان، ممن أعرف وتعرف.

ولكن قد ذهب بالقارئ مذهبا بمجرد فلا بأمس علية إن قطعت الحديث منصرفا إلى ما كنت قد عزمت على البدء به. فقد كنت وعدت قاري الرسالة في أول المقالة النازعة، أي قد جعلت له عنا حقا، وهو أن لا أجعله من متابعة ما يقال عنها أما في الرسالة، إذا كان كاتبه قد استودعه مكانا غير مجلة الرسالة، ففؤاد بهذا الزهد، أوّلنا ما طال المد على الوعد به، وهى الكلمة التي جعلت عنوانها بأبطال وأسماء، وأولى وجهيه شطر شيء نشر في مجلة يقال لها العلوم في العدد الرابع بتاريخ إبريل سنة 1965، وهي مجلة تصدر في بيروت، أرسلها إلى صديقي كريم، وعنوان هذه المقالة: 'من همومنا الفكرية'، وكتابها معروف أحيانا، واسمها الأستاذ محي الدين محمد، ويبعد هكذا:

في مجلة الرسالة، التي تصدرها وزارة الثقافة والأرشاد القومي، حملت أسبوعية ضد بعض الكتاب، يحمل بعضها إلى حد الهجوم المحدود، المشحون بالحقد والغباء. وصول البعض الآخر إلى حد استعداد السلطات على هولاء الكتاب، مع دعوة الدولة إلى طردهم من أماكن رزقهم، أو إلى طردهم من الجمهورية العربية المتحدة، التي تؤثؤهم وتقدم لهم العيش الرغد.

وقد تسببت بعض هذه الحملات الاستعدادية إلى طرد الأستاذ غالي شكرى من سكرتارية مجلة الشعر التي كان يعمل بها. وتسببت أيضًا في الاستغناء عن الدكتور عبد القادر القط من رئاسة تحرير نفس المجلة، وإسنادها إلى الشاعر محمود حسن إسماعيل. وقد تسببت أيضًا في إبعاد الدكتور لويس عوض، وهو أمر

290
نخشئنا، ونرجو الله أن لا يحدث. وتتفاوت أساليب هذه الحملات، بين ما يظهره المهاجرون موقفًا عدائيًا من التراث القومي، ولأيما، بالمسيرة واليهودية، وبين ما يظهرونه موقفًا معاديًا من الشعر الكلاسيكي، وتشكل بالشعر العامي، كما يسمونه، وبين ما يحسبونه فهماً مغلظاً لقضايا الفكر القومي ولأمور التراث.

ولست أطلق على ما في هذه الكلمات من حسن التحرري وتمام الصدق، ولكن أدع الكاتب يبين عن نفسه فيما هو أعمق، بعد أن دافع عن حرية الاعتقاد والكلمة. قال: "إذن لماذا تكتب هذه الكلمة، ما دعما منطقين على مبدأ التصدى لكل رأي يتألف من التراث القومي؟ أو شكلك في أفكارنا وقضايانا؟". ثم أجاب فقال: "لا بدً قبل أن نبرز لذلك، من دراسة مفهومة للأراء والأفكار التي سببت مثل هذه الهجمات المتكررة، التي توشك أن تصبح ظاهرة لحوار المجلات التي تتعلق بسياسة الجمهورية العربية المتحدة في مجال الفكر والثقافة (وهي الرسالة بلا شك)، وتوشك أن تصبح، بل أصبحت بالفعل، أرضًا يجرو فيها التخريب والشتائم الشخصية والسباب، وكما قلنا من قبل، استدعاء السلطات على الكتاب، والمطالبة بطردهم... إلخ، مع ما في ذلك من تجن وضيغ، لا يجدها سوى فئة من الكتاب التائهين الذين يسكونون على أكاذيب الأسما الإلهمية، أو التي لقيت بعض الشهرة في هذا المجال.

ثم أفضت الكاتب في بيان تاريخ مسألة التراث القومي، والأطوار التي مرّت عليها، وظهور طائفة من الكاتب في الطور السابق لما نحن فيه اليوم، عند منهم سلامة موسى، وإسماعيل مظهر، وشبل شميل (بهما الترتيب!!)، ثم قال: "ثم مات الرواد، وجاء دور التلاميذ للسير على الدرب نفسه، والدفاع عن منطق الأسامة، والإفادة من وجهة نظرهم في الحكم على القضايا العصرية، وعلى المشكلات العميقة التي يطرحها التطور والتقدم، وكان من هؤلاء، الدكتور لويز عوض، الذي أثر تأثيرًا عميقًا في حيئتنا الأدبية، بدراساته الواسعة عن تأثير الحياة الاقتصادية والأجتماعية على الفنون والشخصيات الأوروبية، في وقت كان النقد الأدبي قائمًا فيه على الدوق الشخصي وحسب".
ثم أفادت بعد ذلك في الكشف عن موقف هؤلاء الرواد وتعلقهم، من التراتب القومي، وبين عدتهم في هذا الموقف، بما يُخيل إليه أنه عذر مقبول، وقال إن أكثر الشباب الذين تعودهم في هذه المرحلة، قد عادوا إلى دراسة هذا التراتب بعزل عن الأفكار التي قيلت عنه، وبعزل عن الساحة التي حكموا فيها على الأموр.

ثم قال: "ثم قامت هذه الرواية حول بعض الأفكار التي كتبها في الماضي كلامًا عن التراتب، وتكتب في الحاضر أبحاثًا تحتل التأويل، وتحمل المناقشة، وفرست هذه المقالات تفسيرات خاطئة ومشوهة، بعضها يتكلم بشكل شخصي، يحاول أن يهدم طريق السبب، وبعضها يشكل في قومية هؤلاء الكتاب، ويدعمهم بالتعاون مع الغرب، ومحاولة تشويه تاريخ الأمة العربية، إلى آخر قائمة الانتهاكات.

ثم قال أيضًا:

لافلا أبحاث المطلقة التي كتبها الدكتور لويس عوض، والتي يتكلم عنها بعض هؤلاء (الكتبة)، بصورة تستوقف النظر، لما فيها من استفاز واستعداد صريح، أبحاث أدبية يحقق فيها صلة الكوميديا الإلهية برسالة الغربان، مما إذا كان مصدر الكوميديا هو إحدى ترجمات رسالة الغربان، أم أصلهما واحد، وقد تطرق الدكتور إلى تفسير وشرح بعض أبيات من سقط الزند، ووقع في بعض الأخطاء اللغوية التي قد يقع فيها الناقد ببساطة، وخاصة أمام نفس قدمي: إذا لم يحل باللغة العربية القديمة، الذي أصبح كثير من مصطلحاتها قيد القواميس، ولا تمارس في حياتنا الثقافية الراهنة، وإلى بتسؤه في الكشف عن بعض هذه المصطلحات التي كانت تستوجب تثبيت وحركة وعقلًا أكثر."
بالمصرية المحلية. وقد تؤثر هذه الحملة البشعة في رقّة الدكتور، فيضطر تحت الضغط إلى الاستقالة من هذا المنصب الذي يشغله في جريدة الأهرام، وهو أمر لا يكاد الإنسان يجد له مبررًا معقولًا واحدًا.

ثم قال بعد: «ولقد أصبحت الأفلام الرجعية في مجلة الرسالة (وهي ليست ممثلا لمصالح اقتصادية معينة)، ممثلا نوع من أنواع الرقابة الداخلية، أو الضمير الكاذب، على ما يكتبه المتحرون واليسارون والاشتراكيون، وإنها لمصرية يجب بترها قبل أن تفند وتصبح داء عضالًا. ولو كان النقد الذي يكتب بهؤلاء (الكتب) الصغار موضوعيًا، ولم يكن قائما على الهوى، لطبثنا لذلك، وفقنا: الخبر في الموضوعية والنقاش، ومقارنة الحجة بالحجة، غير أن هؤلاء لا يكونون حرفًا واحدًا بدون الإساءة الشخصية والسبط العلني باسم الفكر، وهو أمر لا يصلح فيه الكلام، إنما تصلح إلحانه إلى القضاء».

ثم قال إنه ليس بحاجة إلى التأكيد بأن الشتائم لن تقنع فردًا واحدًا في الجيل كله، ثم اقتطف من مقابلاتي في الرسالة أربعة أمثلة عددها سبعة عائليًا وشبيهة، ثم قال بعد ذكر الميتاذا وما فيه من إعلاء شأن الفكر وحريته: «والنقد الهادئ وجهة من وجهة الحرية، يعبّر عنها ويحب منها، ولا يمكن أبدًا أن يقيد طفقات الكتابة الصغر أو الكبار».

ثم ختم هذا كله بقوله: «وهكذا وقعت في يد النصائح الذين يتكلمون باسم الفكر والثقافة. ثم ابتعد إلى الله، وتقدم إلى السيد الدكتور وزير الثقافة والإرشاد، أن يدخلنا في حمى فكرنا، ويحمينا ثقافتنا وعروبتنا واشتراكيتنا، واستبعاد هؤلاء المزينين من دوائر الإعلام».

وقد نقلت كل هذا بروحه، ولم أشفي من المقالة إلا ما لا يضفي إخفاءه مثنا، ولولا الإطالة، نشرت المقال كله كما جاء في مجلة العلم. وكانت أستطيع أن أغفل المقال كله، لأنه لم يأت بعد الذي قاله زميلي الدكتور محمد مندور.
منذ أشهر، وردت عليه مقالته في الرسالة. ولكن الذي أعجبني من الأستاذ محى الدين محمد هو جهبه لأستاذته ومعمله لويس عوض، وكبارته له، حتى أنَّ حين اقتطف ما اقتطف من مقالاته مما عده شائعاً قال: "الشائعات التي نقتطف منها، أسفين، بعضها منها موجهة لأستاذ جليل طالما علمنا وعرفنا". يضيف أن رأيته أخطأ فنشر كتابه في مجلة لا أظن لها تأثير، فقطًا عن أنها تصدر في بروت، فرأيته لزاماً على أن أنثر له خلاصتها هنا في مصر أيضًا، وفي حيث لا تبلغ مجلة العلوم من البلاد التي تذهب إليها الرسالة. وقد تساهلت، إكراماً له، فرتكب لفظ "الدكتور" ملصقاً باسم لويس عوض، وإن كنت قد عاهدت نفسني من قبل أن أيصر على هذا الفظ الذي أكتب، وأثره عن مواضع الاحترام والابتناء، لأنه لفظ يحمل عند الناس تراثًا من المهابة والطيب، وبعضًا حيًا من الأمانة والثقة والصدق، وبعد عن الهوى، كما قلت في بعض مقالاتي السابقة [ص: 28].

ولكن الشيء المعيب في مقالة هذا الأستاذ، هو أنه فعل ما فعله الدكتور متدور من قبل، فكتب دون أن يقرأ شيئاً من هذه المقالات فيما أظن. ولا فلاحديث أين وجد في كلامي استناداً للجمهورية العربية على لويس عوض؟ وأين وجد في كلامي أن أريد أن أقطع عيش هذا الأدم ( نسبة إلى أبيا آدم !) أنا أو أطور في رقية لا أصله يجد في كلامي شيئاً يشير إلى قطععيش والتآثر في الزرق، إلا ما ظننا هو من أن لويس عوض قد ضبط تحت الضغط إلى الاستقالة من هذا المنبر الذي ينفعه في جريدة الأهرام. وهذا ظن قائم. يدل على أن طول تعلمه على يد لويس عوض وتلمذته له، قد غشى ذكائه، فجعله عن الرجل ما كان ينبغي أن يعرف بأقل التأثيل. والذي يتقبل من عمل كهذا الفعل، إذا جاءه من يكشف له عن جهله وغيائه وادعائه، إنما هو الرجل الذي ابتلاه الله بذرو من الحياء (أي قبل جدًا منه) لويس عوض قد عرفي مما ابتلى به غيرة! فأي عقل يستطيع إنسان أن يقبل أن لويس عوض، يمكن أن يفكر في الاستقالة من وظيفته لم يكن بحلم مثله قط أن ينالها، ولو بقي الدُّهر الطويل يفتقده إليها غيظاه!

ومسألة التدليل على أن لويس عوض قد عرف صراحة ابتلى به غيرة من الحياء...
مسألة (أساسية) في حديثي هذا، لا من أجل الكشف عن حقيقة هذا الدعى بل من أجل الكشف عن أثر ما يكتبه وما يزعم أنه يعلمه للناس، كمطال أساتذة محبي الدين محمد. وقد تبت هجرة الأهرام ماراً في مقالاتي إلى خطر ما ينشره هذا الشكل في الصحيفة الأدبية، في أي موضوع شتى مما كتب فيها، وتبت هجرية الأهرام ماراً إلى أن مثل هذا الخط الخذال الذي يكتب به أساليب المبشرين، وهو أساليب تعقل المحرومين، نعمت الغفلة له أن يظل الأئمة في تفكير الشباب وأشباه الشباب كأساتذة محبي الدين محمد.

فليس عوض لم يستح قط حين كشفت عن جهله بتاريخ شيخ المعز، مع أن
بناء مقالاته قائمة على توضيح طبيعة العصر الذي كان يعيش فيه المعز، ليطابقا، فيما زعم، بعض المفاهيم التي تساعد على معرفة موقف هذا الرجل العظيم من أفكار عصره، ومن أحواله بوجه عام، أو كما قال، فإيذا أن كلاً فسأل فأمكنك، يا سيدي محبي الدين، هل يدخل في نطاق تصورك أن إنسانا
لا يستطيع أن يقرأ شيئا واحدا، هو خبر راهب في الفاروس، قراءة صحيحة، ولا يستطيع أن يعرف نظر المفعول به يدعى الخبر صادقا أو كاذبا، ولا يستطيع أن يراجع هذا الخبر وهو موجود في نحو ثلاثين كتابا، بألفاظ مختلفة، ولا يستطيع أن يفهم دلالة ألفاظ هذا الخبر، كما بينت إلى دلالة واحدة من دلالات شعر أني العلاء في صدر حياته، ولا يستطيع بعد ذلك أن يبين أسبابه منهج في الدراسات الأدبية.
أما بالعلم المتيدون في الدراسة الأدبية، فضلًا عن إنسان يزعم أنه أساتذة جامعي
كان هلم يدخل في تصورك أن إنسانا كهذا قادر على أن يعطي الناس شيئا يفهم، فضلًا عن منفاح واحد يربيي فيه على فهم مغالب أني العلاء، أن يظهر أن قادر ذلك مدعع عظم الدعوى، وأنه يأتي باشيا لا يملك الدليل عليها، ولا وسائل الاهتلاج إلى هذا الدليل إلا ب الكلام ملفق يلبقي متبنايًا، ويتجاوز متناق، ويؤجع يرتج، أنا تقول معنى، فيما يعدك شئظم وأقواله من مقالاته: أفي الدنيا إنسان يعقل، هو أصله من هذا الجريء الجاهل ونجدها؟ لا أظنك تستطيع أن تقول غضبًا لأنستاذك: لا أقولها البثة! أيدي، استنبطا لما قرأته لك، أعدك أذكى من هذا الدعى، إلا أن يكون قد أتلف عليك ذاك!
وليس عوض، لم يستحق قط، حين عرض لآية من كتاب الله ففسرها بسوء أديه، وبالمعروف من جهله، وبالتعاقد التبشيري الصفوي، فزعم أن «وردة كالدهان» هي «روزا مسيكا»، ثم لم يهين شيء حتى زعم أن أبا العلاء قد نسب على صورة الوردة حين وصف الأرض وقد غشتها الدماء في الحرب، فقال: هى وردة كالدهان؟ ونسب هذا الخابل إلى تفسير القرآن. أنظروا أن هذه من الأخطاء اللغوية التي قد يقع فيها الناقد ببساطة، خاصة أمام نص قديم، إما لجهله باللغة العربية القديمة، التي أصبح كثير من مصطلحاتها قديم القواميس، وأما لتسهيله في الكشف عن بعض هذه المصطلحات التي كانت تستوجب تبقياً ومهارة وعليمًا أكثر، كما تقول أم هذا إنسان مدع كاذب، لا يُعزى لشيء محرمة، ولا يؤمن على شيء قط، وهو فوق ذلك فاقد لمقومات الأدبي الأدبي، من شعر ونثر، لا في العربية وحدها، بل في كل لغة يدعى أن يعرفها، ألا تقول معي لصحيفة الأهرام أنه: ليس من حقها أن تشوغ معرف الناس وعلومهم وتاريخهم وآدابهم، بفعل إنسان مشوه الاسم والعقل؟ فلها معي وتتبَّع على الله.

بل إن لويس عوض لم يستحق قط، حين فشل ما لا يحتاج إلى مراجعة من مصطلحات أصبحت قيد القواميس كما تقول، أو أصبحت أيضًا لا تمارس في حياتنا الثقافية الراحلة، كما تقول أيضًا، وذلك حين عرض بدر شاكر السياب فورغلي في الإدعاء والمغطرسة وسوء الخلق، حتى عمد إلى أشيرته يشيرها، وقال فيها: «لا تحظى المعني، كعبيدة تتنك في الجدار، في غرفة الجلوس في حمة القطار»، ففسرها لواحد المعني، بمعنى: الناحية المغنية، أي عنونها، وزمع أن معناه أن عيون المغنية، كانت تتنك كمالة الصماد، تحصى النوانى والنقاط في انظار شيء رهيب يوشك أن يقع!!»، وأن هذه الصورة، أعنى صورة عيون المغنية: هي صورة كلمة زمنية هائلة تتنك في الصماد الرهي، وتوشك أن تتفجر!!» إلى آخر هذه (الهلوسة). ألا تقول معي: إن هذا كلام رمزي في البليمارستان كان، فإذا هو فجأة طليق من القبود، ملعنةً من الأسور؟

وقد يشتي عليكم أن تسمع هذه الألفاظ ملأقةً بهذه الصراحة، ونعم، إنها لألفاظ.
قاسية شديدة، ولكن إطلاق مثل لويز عوض على الناس، أعني من أفاظي وآفك. وأنا لا أقولها تلهمًا بإعدادها وتكارها، لويز عوض، كما هو الآن بين لك، فإن كنت جعلت ذلك من مقتطفات شنائية: ليس لحيئة بعد من حيث هو كاتب، لأنني لا أعد أمثال لا ممن، أو لويز شيخو، أو روبمر، أو ماسنون، أو من شنت من هؤلاء المبشرين التخليل المذيعين الكذبة، لا أعد أحدا منهم كاتبي. لويز عوض، من حيث قرائه، من أعلى إلى أدنى، ومن أدنى إلى أعلى، ومن يمين إلى شمالي، ومن شمالي إلى يمين، لا يخرج منه شيء يسمى كاتبي، إلا إذا كان معني الكاتب هو الذي يخط بالقلم، بلا زيادة، عددئبه يستوى لويز عوض، وأبسط بنو تبيع الكرافات في شيكاريل، كما قال لويز عوض نفسه في بولوند وقصائد أخرى من تأليفه!.

وليسي آخر معي، لا أحب أن أقول لك إنه وضعت عقله بك نازه، من جوار هذا الحدث، أعني صبي المبشر لويز عوض، حين رضيت لنفسك أن تكون تلميذًا له، وهذا الشيء هو ترك الإنصاف. فأتت قد حلَّت ما كنت أنا في محلة الرسالة، وعلمت أن مشحون بالحق والغضب، ووصفتي بما شاء لك تحديك إلى معرفة سرائر النفوس، من شر وتوهم، إلى آخر ما قلت، ألم يكن من الإنصاف أن تدعت وما هدائي إليه تحليلي لشخصيات لويز عوض، ووصفني إياها بما وصفته به من البناء والجراحة والحكم المستنكر على مدى ثلاثين عشر قرن، وأنه إنسان ملهم في فكره وأفكاره وطبعه، وأنه مخرب شديد التخريب، وأنه ضرب مبطرون يعمل لأهداف معروفة تقوم وصائر الاستعمار على عدائها وإمامها منذ قديم؟ ومع ذلك فقد كنت أقرب منك إلى التزام بعض الغدل، لأنني جبت بالأدلة على ذلك من نفس كلامه، ومن شرائه ما قال وما يقول، وما قاله المبشرون وما لم يزالوا يقولونه، مع التدبر على أن التبشير عمل سياسي، لا يستنتج من أن، بل يهامة أن الشأ (!!) ممكن يُعدّ قول مثله حجة، عند من يسلم غفلته وضميره لكل من لم يكن عريًا مسالمًا، وإن كان قوله إغراءً في الصلال والصحف.

وحضيلة أخرى من ترك الإنصاف، فأت ( بعظمة لسانك)، تستعد وزير
الثقافة والإرشاد، باسم هذه المرحلة العظيمة التي نحياها، وبكذا وكذا، أن
يحمي ثقافتنا وعروبتنا واشتراكتنا، باستعداد هؤلاء المريفين من دوائر الإعلام، و
وجعلنا مصيبة يجب بشرها قبل أن تستخف وتصبح داءً عضلاً، فبالذي جعل
لك عينينا ونسانًا وشفتين، أرأيت كلامي عن لويس عوض أقرب إلى الاستناد من
صريح للفلك الذي نقته كله أننا؟ لا أظلمك تقول: نعم، لأنك عندئذ تنحذ من
حدّ ترك الإنصاف، إلى شيء آخر لا أحب أن أسميه.
ولتعلم، أخذ ما علمت، أرى رفضت بك كل الوقين، لأنني لا أيش من صلاح
الناس، مما قبل عينك، ومهما قرأ لك مما يسوؤني أن أجد أحدًا من الناس
متروَّطًا فيه، جهلًا أو غفلة أو سوء طولية، كُل ذلك سواء عندى. وأظلمك تعلم، أن
لم يكن غيري، لترك مقالك هذا حديث حرام، لا أقول لك إنه كان خليقًا أن لا يرد
عليه، بل أقول إنه كان مما يخطر بالنال أن لا يقرأه. ولكنك، مع كل ما أعلم
عنك، ومع كل ما قرأ لك، وهو عندي كربية، لم أزل أجد لك فضلاً ظاهراً على
لويس عوض، وما دام الزمان الذي عشت به قد ضطرب إلى حمل القلم وغشبيه في
كلام يتضمن اسم هذا الأديمي، فانتناح عن الرأى عليك، وعن حمل كلامك
محمل الجد، مما أعدته مجانية غير محمودة للإنسان والغذل.
أما استاذك الذي علّمك، والذى لا يستحي، والذى يتعالج بعقل البشرى،
فقد جاء من طريق هو أخفى من طريقك، وليس خارج «المعلم يقرب» التالف
الجديد، قبل أن يصبر جنرالًا يسمى نابليون، وجمال دؤاً وقلمًا وطموحًا فديداً،
وتركه النشعر، والابروتي جابنًا، فنشد الحساب بالإزراع غراف أيضًا في
الصحيفة الأديمية منذ أسبوعين في جريدة الأهرام، وسماحاً: «كلمة هادئة عن
التأليف والترجمة والنشر» مرة، و»كلمة هادئة عن مجلات وزارة الثقافة» مرة
أخرى، والتصميمية وحدها دالَة على أن يرُد بعد طول احتجاجه، أن يظهر للناس
و وفوار عفائلاً متماسكًا متماسكًا للفؤاد،)؛ استاذك هذا كانت أهدافه ظاهرة معرفة،
لمن يُعجب أن يكتشف عن طبقان الصرب المدربين من أدوان البشير، وذمة
المتحركة في عالمنا هذا منذ قرن ونصف، وهو لم يقل مثلك بصراحتك.
المحمودة: أن أقتصا هؤلاء المرتفعين، بل أراد بالآثاث، كما يزعم، أن يطيع
بجذوره هذه المجلات التي قلت عنها إنها تنشّ حملات أسبوعية ضد بعض
الكتب، وتستعد السلطات عليهم = وأراد أيضاً أشياء فوق ذلك، ليس من شأنى
في هذه الكلمة أن أكشف عنها، ولكنه هو يعرف ما أعني.

واخر نصيحة أتصححك بها، أن تقرأ ما كتب عن هذا "الشرلتان" المتبنّى في
كل ميدان، بما لا يحسن منه شيئا، إلا إيماءة وتفيقاً وتفاقلاً، ذره عليه مدربته
"تحت أشجار الدردار بكامبردج"، لتعلم غداً، بعد أن تصل إلى الغاية في بيان
ما نحن بسبيبل بيانه، أنك قد وقعت حقاً وصدقًا في يد النصابين الذين يتكلمون
باسم الثقافة والفكر. فإذا كان قد بقي لك شيء لم يبلغه عليه أستاذك، فأنت بلا
ربب نازع عما أنت فيه، وعائدة إلى الحق، مع البراءة منى ضلال مخطئك، وانتشر
نفسك، وتركز في ظلماء ليلها كنهارها، والسلام.
شرح أبيات جذبنة الوضحاء

• جذبنة الأرض الوضحاء هو جذبنة بن مالك بن قُشير بن مُعَذم بن ذوسي، من بني الحارث بن كعب، من الأزد. كان أبوه مالك بن فهم أوَّل من ملك على فُضعاء في زمان ملوك الطوائف، ملك عشرين سنة، فمللك بعد حعه عمرو بن فهم ثم هلك، فملك بعدة جذبنة الأرض ستين سنة، واستجمع له الملك بأرض العراق، وكانوا منزل ملكه فيما بين الحيرة، والأبار، وفَلّة، وهي وناحيتها.

وعين النمر، وأطراف الرب إلى المُغَني والمُطيققانة، وحَنفية وما والدها. فكانت تجبى إليه الأموال، وتُهْيَد إليه الوفود. وكان جذبنة من أفضل ملوك العرب، ولبعدهم مَعَارٌ، وأشْكَمْهُنْ كِيَابَةً، وأظْهَرُوهُن حَرَماً، ضَمُّ إليه العرب، وغَزا بالجيوش، غزا ديار تَرْمَرَ، ملكها عمرو بن الَّذِي بَن حسان بن أَذَيَة بن الشميد العاملين، عاملة

العماليق، فقَطْهَا وفَضّ جموعه، فَلما وَلَت بشده ابنه الألَّا بنت عمرو، وكانت من أجمل نساء الدنيا، أرادت أن تُنْتَر بأيدها، ففيت بكمرها، وأرْغُبُهُ في نفسها أن تزويجها، فغوى ذلك منها لمجالها. فسار إليها، فلمما دخل عليها رأى الغُدّ منها.

وَكَانَت الملك للفتلك بَرْضُ الأعناق إلا في بنائي، تكُرَّمَةً للملك، فأمرت بقطع رؤاهشة ( وهي عروق بابن الذراع)، فنفَّن دمه في طسب أعدّته له إلى أن مات. وَيَنِى إن جذبنة كان أَوَل من غذا النعال، واتهمت المُجِبِّيِّين على الحصون، وأَوَّل من أذلَّ من الملك، وأَوَّل من رفعه له الشُعّاع. وكان بجذبنة برض، فهاب الناس أن يقولوا: الأرض؟، فقالوا: الأرض، والوضاح. وجذبنة الملك من أقدم من بلغها شعرة من شعراون، عاش في أواسط القرن الخامس قبل الهجرة وأواخر الرابع.

( ۴۵۰ - ۳۸۰ قبل الهجرة ) على التقرير.

• وكان من خبر شعره الذي ذكرناه: أن جذبنة غزا طُمِّعاً وجذبنا في منزلهم من جَوْر وما حوله (جَوْر، هي اليمامة)، وكانت طَمْشا وجذبنا يكلمون العربية، فأصاب جذبنة حسان بن نُجَيَّ أسد أبوه كرب قد أغار على طسم وجذبنا.
في هذه الموضع، على هذا المعنى = وقوله: في بلايا عُزوَة بائنا، يعني أنهم

1 - • أوفي الجبل، وأوفي عليه، إذا علاه مشترقاً على ما بين يديه من منظر.

و• الغَلَّم، الجبل الطويل الذاهب في السماء، وقال جذيمة: أوفي في علم، أخذت في الجبل حتى علقت قمةه، وأشرف على ما بين يديه من الأرض، لا يتنابى قلق ولا فرغ من شموخ الجبل، ولا من شدة هيبته الرياح المتناوبة

العاصفة، وبيت هكذا مستقرًا أبداً لأصحابي، فغذى الفعل أوفي بحرف الجر في، ليدل على حالة استقراره وطامئنته = وقال: ارتفع ثوب، ولم يقل

ترفع أثوب، وارتقب تأكد الفعل بالنون في غير موضع تأكيده، لأنه جعله في حي كلام مؤكد حذقه، ليدل على معنى ما حذف، كأن قال: ارتفع ثوب

شمالات، وترفعه هذه الرياح الدهور، مهما جهده أضمه على ثوب وأجمعه.

فلما حذف ولم ترفعه، ارتقب تأكد الفعل الأول في غير موضع تأكيده.

و• شمالات، = جمع • شمال وهو الريح التي تهب من قبل الشام، وهي أبريد الرياح، وجمع • الشمال، وهو اسم لرياح واحدة، ليست ما كان يذهب من أثر هوبيها عليه مرة بعد مرة بجمع ثوب، وبعاني أذنها على بدن متجددًا لا يقطع، فكانها رياح متعددة متجمدة العصف، لا ريح واحدة.

و• ارتفع ثوب، تطير به.

2 - • الغَرَّة، • البيَّان، • القي، • القُتُب، وهو الكمال الجزل من الرجال، كان أبداً في غنائم شأنه = و• الكالِئ، • المحافظ الساهر الذي يحرص أصحابه من الغنائم، وكان إذا خرجوا، بحثوا أجدادهم قتي، لئعل جيلًا أو شرفًا من الأرض، ليراقب مسائل الطريق، لمخافة أن يهتزهم عدو، فإذا رأى من ذلك شيئًا أذنهم، وقيل لهذا الرجل • الريثة = وقوله: في فتى، يذكر أنه خرج بهم لغوزته، وهو فيهم بمثل هذه القبل يحوّلونه إياكمهم وثقتهم واعتدامهم عليه، فلما رأى لههم على أعلى الجبل، كان كأنهم فهم لم يفراقهم، بأنش بهم وابتسون بعيانه، وهو يراهم حيث هو وهم يرونه. فدلّ باستخدام الحرف في، في هذا الموضع، على هذا المعنى = وقوله: في بلايا عُزوَة بائنا، يعني أنهم
باتوا مكانهم والمخاوف محجوة بهم، ويرى في بلايا غزوة، وهي عندي أجود، لأن "العورة" هو التغر الذي يأتي منه العدو، فيه خلق يتحطم منه، لأنه ليس بحريين وقد استعمل في في الأديان الثلاثة أجود استعمال وأبرعه، فȘس به الجمل والمعنى تقسيماً رائعاً جليل النغم.

3 - "خوات" يحققُف من بعَر فيه، ويقال: ما زال الذئب يختبئ الشأة بعد الشأة، ويتخلشها بأي ينقض عليها، فيختلسها فيختطفها، فيذهب بها يقول: مرونا حيث مز هؤلاء الذين هُلكوا، على ما كان في طريقنا من الغوايل فنجونا منه على غوايله كيف أصابهم ما أصابهم؟ ولم يَيِلَ بما كان من أمر تبع، فلم يذكروا، لأنهم جميعاً غزاة قد ألقوا الغزو والموم في المعارك.

4 - "أدلنا" أى سرينا الليل كله = أغقل ما كان من أمر تبع وقتَله هذه السرية من أصحابه، ونظر إلى مهلكهم، فعجب كيف هلكوا وما الذي أوردتهم جيائض المنايا وهم من هؤم. ثم استدرك على نفسه كالهازيء، مع شدة حزنه على فراقهم، فقال: سرونا جميعا في ظلمة المخاوف والأهوال، فثارنا نحن المسير حتى انشق الصباح عن فلل الأمن، وآثروا هم أن يبيثوا حيث أدركنا الليل المظلم، فألغوا وناقوا وادعين!! كأنه قال: لم يمثؤوا بل ناموا كما ننام نحن إذا شفتنا.
شرح أبيات سلمي بن ربيعة الضبي [ 

وَ مَ شَلْمِي بِنَ رَبِيعَةَ بْنَ عَمَرَ بْنَ ثَلَّةْ مَ حَرَّمَةً ، شَاعِرُ جَاهِلِيَّ قَدِيمٌ ، تَرَجَمَهُ عَزْيَزٌ . وَ وَجَدَتُهُ مِنَ الْوَلَدِ »أَيْبَ بْنُ شَلْمِي بِنَ رَبِيعَةٍ«  ، وَ »غُويَّةُ اَبْنُ شَلْمِي« ، وَ كَانَ شَاعِرًا ، رَثَى أَخَاهُ أَيْبًا . فَمَنْ وَلَدَ »أَيْبَ« فِي الْإِسْلَامِ »يُعِلِّي بِنَ عَمَرَ بْنَ سَلَمَى بْنَ أَيْبَ بْنَ شَلْمِي بِنَ رَبِيعَةٍ« ، كَانَ عَلَى خُرَافَ الرِّقَيِّ وَهَمْدَانِيَّةِ ، عَلَى عَدْبِ الْمُنْصُورِ أوَّلَ الْمُهجِّرِينَ فِيما أَرْجَحُ . وَ مَنْ وَلَدَ : »الْمَفْضَّلُ بِنَ مُحَمَّدٍ بْنِ يَعْلَى بْنَ عَمَرَ الْضَّبَيْيَةِ« ، الْرَاوِيَةِ . وَ مَنْ وَلَدَ »غُويَّةُ بِنَ سَلَمَى« ، »سلمي بْنُ غُويَّةٍ بِنَ سَلَمَى بْنَ رَبِيعَةٍ« ، جَاهِلِيَّ ، كَانَ شَاعِرًا ، وَلَهُ أَبِيَاتٌ جَيْدَةَ جَدًّا ، وَاخْوَهُ »قُرَادَ ، وَ يَقَالُ فُرَانَ ، بْنُ غُويَّةٍ بِنَ شَلْمِي بِنَ رَبِيعَةٍ« ، جَاهِلِيَّ أَيْضاً ، وَ كَانَ شَاعِرًا .

قالوا : إن هذه الأبيات خارجة من العروض التي وضعها الخليل بن أحمد ومما وضعه أبو الحسن الأخفش سعيد بن مسعدة، وأقرب ما يقال فيها أنها تجيء على السادس من البيضي، وهو : »مستفعدل فاعل فعون« مرتين.

1. النشوة »، أول ما يعد الشرب من نفحته السكر، وأقامها، هنا مقام ذكر »الخمر« »وإذا أستوت الناقة ( أو البيع) وتناولت فؤادها وتجرحتها، وقطرت ثابثها ( أي إنقل عشة اللحم)، وطعتت في التاسعة من عمرها، فهي »بازل« = و »الأمون«، هي الأمينة المؤثرة الخالقية، التي يُؤَمْنَ عيانها وكلاها »و »الخشب« ضرب من العدو السريع.

2. يُريعها »: أي يكلَّفها ركوب الشقعة في قطع المسافة البعيدة = في الهوى »، أي في سبيل لدّه ووهاب، من صيد وطراد = و »الغائع« الأرض المنخفضة المظلمة، يزل بها المطر فتكر فيها الرياض، ترعاها الغلال والبقر وتحتر الوحوش، فيطيح فيها الصيد = و »البطن«، الواسع البعيد الممتدة من نواحيه.
3 • «والبيض»، يعني عقائل النساء، نقيات العرض من الدنس والعوب، لكرمهن وحسبهم، ولا يعنون بيض اللون، فإذا أرادوا اللون وقفا قالوا: «بيض الوجه»، بالإضافة = «يرقان»، يبتخرون ويضمن ويجرن أذالهن جمان البشرى، من النفي = و«اللدنى»، جمع «دانية»، وهي الصورة المتقشة في العاج ونحوه، يباين في تحبينها وجمالها وملاستها = و«الرئط»، جمع «رطية»، وهي ملاءة من قطعة واحدة، تكون من نسج لين دقيق، وربما كانت فيها التصوير = و«المذهب المصون»، النبأ الفاخرة المطززة بالذهب، التي يطين بها وتصان من الابتدال.

4 • «الكبر»، الغنى وكثرة المال، وضده = «القل»، وهو الفقر وقلة المال، و«الخفض» لين العيش وسعته في ذحة وجشع = «أمات»، يعني: آمنا من الغوايل، مطمن القلب خاليا = و«الحزى»، العود = و«الشأع»، جمع «شاعرة»، وهي الزهور المشدوة على العود = و«الخنون» الذي إذا ضرب جاع صوته رقيقا جريبا يملأ القلب شوقًا ويجذب أشجاعه.

5 • يقول: المنام، والخروج للصيد، وعقائل النساء الرافلات في الرئط، والغني، والسعة، والدعة، ومجالس الله، كل ذلك = «من لذة العيش»، ونصيب المرء المخلص من نغم الحياة = وصواب قراءة هذا الشعر أن تقرأه متتابعا، ثم تقف على منتهى = «من لذة العيش» وقفاً طويلة، ثم يتأمل خبرًا جديدًا عن عاقبة هذه الحياة التي تفال طبيعتها اختلالًا، يقول: «والى للهدى»، أي غرَّض له، يرميه بنوائبه، و«الدهر ذو فنون»، أي ذو أحوال مختلفات، لا يدوم على أمر واحد.

6 • و«اليشر للعشر»، يعني أن ذلك لا يدوم، بل يصير إلى نقيضه = و«المنون»، حتوف الموت، وهي المتأيا والمهمالك، ويروى هذا البيت = «اليشر كالغفر، والغفر كالخضم، والحياة كالمنون».

7 • «طَسْمُ» و«جرين»، قبيلتان من عاد، من العرب الأول، كان لهما ملُك وغلبة، فهداوا وانفرضوا = و«عَرَبُّ يَهُم»، أحد أماكج جمير، كان يُنقَدُى
بلغمو البقوم، وهي أولاد الضأن الصغار، وذلك من الترهه، فعين العيش = وَوَذَوْ جَ دَنُ، أراد: "ذا جَدَن"، فجمع. وَوَذَوْ جَدَنُ، هو: "عَلْسُ بن يَشَرَح بن الحارث بن صفيّ بن سبأ". جَدَن بَلْقِيس، وهو أول من غُنِي باليمن، وَوَالجَدَن "حَفَّنُ الصوت، فذلَّك لْقُبٌ: "ذا جَدَن".

٨٠ - "جَهَش" موضع باليمن تُلَقَّاءَ مَأْرِب، في ديار مَدُحج = وَوَلَقَمَانَ هو صاحب النسور، وكتبته الشعراء إلى عاد، يقولون: "لَقَمَان بن عاِدَ"، وهو غير لَقَمَان الذي ذكره الله في كتابه = وَوَلَقَمَانَ جَمِعَ "يَقَم"، يعني أبناء "يَقَم" بن عاد".، بادوا في الزمان الأول.
أناّكّٓدُم رُضِيًّا

الرسالة
الخميس: 26 من المحرم سنة 1385
آربعون سنة 11 لقاء مفاجئ على غير ميعاد. غرباء جمعتهم الغزية على طريق...

تَظَرَّ بِعَضُّهم في وجه، بعض من بعيد وقرب، وعمدَ جَمْهُر قريباً من جمَّهُر، ونجىَ بِحِيَنُ يَلَقُّها أَحْدَهُم على بعضهم بالتساءل، ثم يَلَقُّهُم من بعيد لِيجِّهُ هذا السنمَّان المنتمين بِنظرة فاحصة. ثم يعودون مرة أخرى، فتفقد الوجوه وتتقالب، وتتصافح النظارات بالطرف الخفي، ثم يُعرَض هذا ويبقى هذا، ويُدَعَّم كُلّ أَمْرٍهُ لِيلَقُّهُ في أرض الشمش. ثم يعودون مرة ثالثة، فتُقَبَّل الأشباخ على الأشباخ، فوجدت الأيدي، ولكنها باقية في مكانها متشابكة لم تحركها. وتُقَبَّل مَرَّة ثانية، فتُقَبَّل ذلك مَرَّة ثانية. وتتونى الأيام يوما بعد يوم، وتزعم ما نَغْلِخ على هذه الغزيرة الرائعة الشفوة، وتزعم ما تكتشف الإعراس والإقبال عن صداقته بلبل ملمع، وعن مودة صافية بلا كِذِر. وإذا شابَت تسدير جهازية الصليب وغزارة الطِّباع، وأُسْلِسَةَ ثَرَارَة لِحَدَائِق عَهَدَها بالإبلة عنا في برَّ قَلُوبها وعقولها، وعَمَّرَت من الورف تَخْفَوُّهُم بِجِرَاء وَيْلا تَرَكَه، واختلاف وإنفاذ، ورُضَى غضبَه، وصوت يعلو وصوت يهيم، وليل يَنَبَّس في مَهْارٍ، ونهاي يَنْهَي شَلل ليل، وآتى متَّرظٍ يَتَقَبَّل الغِلَاء عن ماضٍ مَنَهَرٍ، وتوأَّ منقتُهم يَنْشِئ عن مَرَّ فِضْحِك، وانفاذ إلى غابة كَالسَّبَيل الجَارِف، وارتداد عنها كمُثَلٍ طحيَّة وفَقَرَ بَلَدُهُ تَحْرُه من تَحْجِّيَّة كَامِنَة، وطَّأَطَّ طُيقَ يَكَفُّ من غَلِوِّهَا.

أدب وحياة.

يومئذ لقيت ٦ محمد مندور ٥ وسائر إخواني وزملائي أُولٍ ما لقيتهم منذ أربعين سنة، في حديقة قصر الزعفران، مقر الجامعة، وكانا غَرَّ بَلَدَي المَراة، وكانا دون العشرين. ومضت الأيام، وتصوَّرت الشهور، ونحت سنة أَحتِها، واَنْتُبَأَت معالم الطريق تبدو لِحُطَّانَا من حيث لا ندرى ولا نحص. ولكن كنت أوُّلهم إحساناً
في الطريق، وأسرعهم إدراكًا له، وأمضاه عزيزةً على قطعته. وكما النقيباً جميعًا، فجعةً، فاقتِ إخوائي فجعةً غير ملتية إلى وراء، وغيثه عنهم جميعًا غيزةً طويلة، غير أخ واحد، قُدر لي ولل أن يؤمنني في بعض طريقي الجديد برسائله الطوال المتتابعة، هو «محمود محمد الحضيري»، بقيت لنا في كتب القدر سنوات من الصحة، لم يكن قد حان بعد حين انقضائها، ولكنها انقضت هي أيضًا بعد قليل بعثة، ثم سيرت في الطريق الطويل الغائم غريزةًا، وحيدًا، فمنفروًا عن زكَّبُ الغرباء الأول! كيف كان هذا؟ ولم كان؟ لا أدرى.

ورحل مندور، وأنا لا أدرى متى رحل، إلى بلاد أعدائه وأعدائي ليتزوّد من علمهم، وعدت أنا من رحلةً في أراض أجداؤي كى أقيم ذالماً عن زكَّبُ الغرباء الأول، منقطعاً عنهم إلى غربى، أحمل مغولً بعد مغولًا أخيل به عن عقله الأغلاب على طوقين بها علم أعدائي الملؤ، ونسانى طلب الحرية، وتهزُّج الدنيب للخروج من أشر الأوهام، ذكر الصبي الأول، وذكر إخوان الشباب، فلم أعرف عن أخي «مصدق مندور» خبرًا يذكر إلا في سنة 1361 هـ 1942 م.

بعد أن عاد إلى بلاده ولل فإنتقدنا على صفحات مجلة الرسالة في 2 من ذى القعدة سنة 1361 (30 نوفمبر 1942) حيث كتبت كلمة بعنوان «الطريق إلى الحق»، أردت أن أفضل فيها بعض معي «عثرت به» و«عثرت عليه»، وقلت يومنه:

وأحب أن أقول بين يدي كلامي بعض ما أعرفه عن مندور: فقد كنا زملاء في الجامعة، كان أحد الشباب الأذكياء المتقدمين. وإن لفي من ثورة النفس ما أرجو أن يبقى على الشباب والقوم. عرفته بعد تطلاعًا حريصًا على العلم، قليل العناية فيما لا خطيرة له، ثم هو ليلد يبدأ إلى الحق في غير هواة. فكل هذه الصفات تجعله على غير متنتب ولا مكابر. ولكن رأيته الأب أنستاس الكرملي قد سلك إلى مندور طريقًا، فاندفع كلاهما يطعن أخاه عن نفسي لا بدًا. وأنا لا أحب أن أدخل بين

(1) كنت قد هاجر إلى جزيرة العرب في أول سنة 1347 من الهجرة (متنصف سنة 1928 م)، ثم عدت بعد ستين.
الرجلين فيما هما يسبحان، ولكنني أحرص على أن أدل مندورًا على الحق الذي كنا، ولم نزل، نعمل إليه بكل وجه، ونسعى إليه في كل سبيل.

ثم ختمت كلمتي: وأحسبني قد سلكت إلى أخرى مندور طريق العلم إلى غاية الحق، وهي غاية التي أعلمها لا يعمل إلا لها، وسواً عليه بعد ذلك أكان الحق له أعم

عليه.

لم ألقه يومئذ، ثم انقطع ما بيني وبينه إلا ذكرى وقراءة، ثم التقينا في القراء.

بعد ذلك، فإذا بنا كأنما لم نفرق إلا ساعة أو بعض ساعتين، وتمادثنا الأيام، وكدنا سالكماً داريًا غير درب أخيه، حتى التقينا على صفحات الرسالة مرة أخرى كما بدأنا، في رمضان سنة 1384 (21 يناير سنة 1965)، في المقالة التاسعة من مقالاتي هذه، وأرسل إلى بكرم خلقه رسولا، يذكرني قديم موتتانا التي لم تغيرها الأيام، ولا طول الانقطاع. وكان حقًا على أن ألقاه، ولكن غليظين غزلني فأرتجت هذا الحق، حتى جاء الحق الذي لا يرجئه، وفارقى صديقى بغثة كما فارقه أول مرة بغثة، وتركتي على رأس ذري وحيدًا، غريبيا، متفردا عن ركب الغبار الأول، لا أجد ما أقوله إلا لوعة أرسلها غريب مثله منذ نجحو من ألف سنة، ظل صدامًا بترده.

بين جبال الشعر وقمحها الشواحم (1):

ما أشعر الأمان في طينًا، ثم تنضي شيا في كُلُّ يَمْوَمِ أَمْلِ قُدْ نَأَى أناذرنًا الذَّهْر ومَا تَرَغَّعَى، كَأنَّما الشَّهْرِ مَيْوَىٰ عَلَى ما لَوْضَ النَّارِ وَمَا أَكَنَّا إِلَى التَّغابِنِ النَّازِلِ، حَتَّى نَذَّرَ إلى الشَّغْبِ، وَمِنْ خَلْقِها إِنَّ الأَلْيَ شَاذَّوا مَبايِنٌ، تَهْتَمُّوا فِي الْهَيْمَةِ البَيْنَا لا مَعْدَمُ بِحِمْيَةٍ إِعْدَادُه،
لا أرى كيف أبداً، وقد قطعت هذا الطريق الطويل بين أطلال القناع. ولكن لا بد من ذلك في هذا العالم المحيط، وفي هذه الفترة من الاضطراب المهمة. أسبابه ورغباته. ففي يومين متتابعين، وفي صحيفتين مختلفتين، فأتى عجبًا من العجب،

(1) البيت لشاعر العربية، أي الطبي البشتي.
وإذا كان هكذا، فكيف لا أفعل إلى التأمل، فإن هذا العبء قد أذخري إلى النظر ومراجعة أمر الصبر وقراءة أبناء من عدننا، فنحن نعيش في عالم تировал بنا الدوائر، وإن زعم بعضنا لبعض أحيانًا أننا بعض هذا العالم، وأننا على مرحلة إنسانية شاملة من التطور. كلام، بل هو عالم يريده أن يبتلع عالمًا آخر، أن يفطره، ثم يفطره، ثم يبتلعه، يبتلعه بعد بضعة، والشاهد بعد الشاهد لا تأمل

المسلخ، فكيف تأمل لمضغ لحمها بين أنياب حداد؟

وأبدًا القصة، ففى يوم الأحد 25 من إبريل سنة 1965، نشر الأستاذ أحمد الصاوي محمد، في صحفه الأخبار رسالة من الأستاذ الحمزة دعس، وكيل نياية المخترقات، ضمنها المطالبة بإعادة حكم الله سبحانه، في محكم كتابه، بقطع يد السارق. وبعد أيام، نشر الأستاذ الصاوي في يوم الأحد 15 من الحرم سنة 1385 (16 مايو 1965) رسالة من الأستاذ ماهر سامي يوسف، وكيل نياية الجيزة الإدارية، جاء فيها ما يلي بصوص، بعد ذكر السبب الذي دعاه إلى الكتابة:

"كما كنت أباد، فأذكر أنى أوثر أن أعترض للموضوع من وجهة النظر القانونية، دون الوجهة الدينية، مغرفة أنى لا أملك أن أرغم أن لي بها إلماماً كبيرًا. (1)

أماسوق رأفة فيما يلي:

"أتكن أباد، فأذكر أنى أوثر أن أعترض للموضوع من وجهة النظر القانونية، دون الوجهة الدينية، مغرفة أنى لا أملك أن أرغم أن لي بها إلماماً كبيرًا. (1)

أولا: ذكر الأستاذ الزميل أن جريمة السرقة قد ذاعت وانتشارت وتفاقم أمرها.

ثم إن العقوبات السارية للحرية، لم تعد تحدى أن فهو في الحد من انتشار هذه الجريمة، أو زد مركبها. ومن ثم أصبح متغيّيًا إنفاذ حكم الشرعية الإسلامية الذي يقضي بقطع يد السارق، إن هذه العقوبة، في تقدير الزميل، جديرة بأن تزرع عقل نفس

عن مقاومة السرقة، فضلًا عن أنها كفيلة بردع السارق. وأحسب أن الأخ الزميل يتفق مع أن العقوبة لم تصبح في وقتنا هذا أداة انتقام من الفاعل، بل صارت وسيلة لتفويه ووقاية المجتمع منه. وتأيدًا لمعنى العقوبة هذا، نجد التشريعات الجانبية

(1) ليس لهذا الأستاذ بالوجهة الدينية إمام السنة، لا كبير ولا صغير ثانه، لأنهم من أهل دين لا يعرفون الإسلام دينًا، ولكننا أرادنا تغذية هذه الحقيقة بهذا التواريخ العظيم، وبهذا الإيام أيضًا، لسبب سطعته بعد قليل.
الحديثة، نُقرَد علمًا مستقلًا، هو علم العقاب، يُعتَني ببحث أهداف العقوبة وأوصافها وأنواعها، متكاملاً مع علم الإجرام الذي يفتقر على دراسة نشأة المجرم، وظروف حياته، ومقوماته الشخصية.

ومن ذلك نخلص أن هذه التشريعات (كذا) لم تعد تنظّر إلى الفاعل نظرة عادة، تحاول أن تقتضي عليه بمنطق السلطة والقوة الغاشمة، تسومه صنوف العذاب والانتقام تمنًا لنشاط الإجرام، بل أصبحت تعالمه كمدرب، وتجعله محلي دراسة واعية، واختبار دقيق، متوسّلة بهذا إلى إصلاحه ووقاية المجتمع منه. ومن ثم لا يكون مقبولاً اليوم، أن تجري محاولة نزدده بها بشريعا واما وصل إليها من تطور، إلى الوراء، متجاهلين كلاًّ للدراسات الجادة المحترقة التي بتهت إلى غاية العقوبة، والقصد من توقعها، والطريقة التي تنفذ بها.

هذه هي "الأزمة" بينها على سفّم عبارتها وفسادها. وهذا الأسناد قد أوهمنا في أول الأمر أنه سوف يتعرّض للموضوع من وجهة النظر القانونية، فكان حسبه إذن أن يذكر في مقابل حكم الشريعة بطعن بد السارق، حكم القانون في شأن السارق، ففيك الناس بأن حكم القانون فيه كذا وكذا من العقوبات، ثم يكفت لسانه. فإن زاد فائر أن يذكر الدوافع التي تجعل القانون يحكم هذا الحكم، عددها بلا فلسفة فارغة، ولا تهجم في حجم جدًا، بأنفاظ يقّددها بلا مجال، في أمر هو معرفته بأنه لا يملك أن يزعم أن له إلماماً كبيراً! (1) فليس له أن يقول عند هذه المقارنة: إن تشريعات القانون لم تعد تنظّر إلى الفاعل نظرة عادة، تحاول أن تقتضي عليه بمنطق السلطة والقوة الغاشمة، تسومه صنوف العذاب والانتقام تمنًا لنشاط الإجرام.

إن محصل هذه الكلام السليم هو أن الشريعة التي أجلتها الله في محكم كتابه، تنظّر إلى الفاعل نظرة عادة، وتنقض عليه بمنطق القوة الغاشمة، تسومه صنوف العذاب والانتقام، تعالي على ما يقوله هذا اللسان! فالله أرحمه به من كلّ سخف العقل يظلّ أنه يقول: دراسات جادة مخلصة، تتبّى إلى غاية العقوبة، والقصد من توقعها والطريقة التي تنفذ بها.

(1) انظر ص 317، تعليق 1.
وله قال هذا وسكت، فلما هل على سوء ما قال: أذهب حيث شئت! ولكنه جاء بقرة ثانية، لينفي أن أحكام القانون التي أذننا باتباعها في بلادنا، لم تكون من عجمل المستعمرين، ولا ما تفوذ علينا فرض بأن يكون الوسائط وأنهرها، فقد أطلقوا عن العالم الإسلامي من نواحيه، ثم تسربوا إليه، ثم توغلوا إليه، ثم تفتكوا به وتبادليها وملاذنا، فكأن لا مثل له في تاريخ البشرية، كانت وسائله إليه من أخصى المكر وأخيثته، حتى استولوا على كل ما نملك، وزادوا فاستولوا على عقولنا، واستيعدوا خطرات نفسنا، وتركنا وطاقة تحول يعقول قيد طال عليه المومث حتى أُندت. والقانون الذي يتكلم الأستانة نياحة عنده، جاء مفقرًا بسبيكة الأجنين، وإذا كان هناك شيء يسمى "تطور" "عشانها" فهو تطور في داخل النظام الاستعماري، الذي أنشأ لنا مدارسا كما ينشئ، وفرض علينا من التعليم ما ينشئ، وفاق مجتمعنا كالعظام في خلال مئة سنة كما ينشئ. وهذا القانون الذي يتكلم الأستانة نياحة عنده هو وكل ملخصات دراسته قد تبت وتما وترفع في ثوب أوربي مسيحي، لا فضل له ولا لأحد من أسانه منذ علمهم المستعمرين القانون، في نعشه أو برغبه. وغالب مره أنهم نقلة مقلدون، أتباع لسلاجقة سطوع وبي، يأخذون عنده كل جديد، وهو لا يقبل منهم شيئا ولا يفرق ولا يرضى أن يمشي. وإن فلست أُجد لما قال في فقرته الثانية معتى يفهم، حيث يقول:

"ثانيًا: ورد في رسالة الأستانة الزمرد أنه لا مفر من تطبيق العدا على السارق بقطع يده، دون مبالاة بالdutoات الاستعمارية، وأظله تنصير إلى التطور الذي أدرك التشريع الجنائي الذي أصبح يميل إلى استبداء عنصر القسوة من تنفيذ العقوبات. وفي تقديري أننا حينما نسبي هذا التطور، فإن الأمر لا يكون مبالية بالنارات الاستعمارية، وإنما فقط (كذا) استجابة للانتاجات الإنسانية التي ظهرت بعد المعاناة والبحث... لأن هذا التطور لا حقيقة له عندنا بل عند مستعمرينا، ولأنا ما زعيم من "الانتاجات الإنسانية التي ظهرت بعد المعاناة والبحث" لا تزال تحنيث مبنته على ما يسميه أصحاب المنطق "المعالجة الفنية". لأننا إذا اتخذنا مثل هذه الألفاظ حجة، كان في مقدورنا أن نسقط كل عقوبة في القانون نفسه، مما يمس البند، أو المال، أو النفس، إذ لا شيء من هذه العقوبات مهما
خفف، إلا وکلّ ذی لسان وعَقَل قادر على أن يدخله في حُرّ ما ينافض «الاتجاهات الإنسانية»، حتى الغرام القلبي أو خُلّكhem الی عُقَد، يمكن أن تكون حُكّمًا غير إنساني. وليس صحيحًا إذن أن تكون التشريعات الجنسية المحاصلة ، تجربة جميعها ، قادر ما تسند به الظروف ، ويكب لها التوقيف في محاولاتها ، أن تجرد العقوبة من كلّ مظاهر القسوة، فمَا هِي عقَد إلا وهي مقتَرنة بضريب من القسوة ، إذا نظرونا إليها من قبل ما سمى «الاتجاهات الإنسانية»، هذا اللحظ المغفول المهمهم ! والأشياء التي ذكرها الأستاذ ، مما أرادت «الاتجاهات الإنسانية» أن تعرق وطنًا عن أحكام القانون ، الأنماشغال الشاقة المؤينة ، والحب والحبسل ، كما ينقد اليوم ، وتكيّب المرتكب المحكوم عليه بالعفو والأغلال ، كُلّ ذلك مقتَرنة نشأته بالقانون الأبريء ، ولا أصل له البتة في شريعتنا ، بل ينبغي إزائه ، وإزالة الأثار الآثيمه المهلكة المحتملة عليه ، والتي هي أوّل بهجة الأستاذ وكيل النيابة ، ويبادرته إلى رفضها ، والدعوة إلى إخراجها من القانون بجزء قلم ، كما يقولون .

ولكن يظهر أن الأستاذ لم يكن له هم إلا تكرار الافتراض غير حسن ولا مقبولة، يكثّم بها شريعة الله وحكمه في قطع يد السارق ، فيقول للأستاذ الحمزة دعس:

و مع تقديري لخبرته ومحظوظه ومستحبه بحكم عمله ، فإنّ أحسّن أن هذا الطابع ، لا يبرر الرأي الذي استخلصه ( يعني الرجوع إلى الشريعة في الحكم بقطع يد السارق )، فأغلب الظن أن وكيل النيابة ، بمنطقعدل الذي لا يميل ( وهو وحده ) ، متجردًا عن كُلّ مشاعر الرغبة في الانتقام ، الذي يستطيع بما يقف عليه من أسرار وظروف المحكوم عليهم ، أن يقدر مدى تأثير هذه الظروف.

فمن الذي علم الأستاذ ، على ما في عبارته من التأويل ، أن القاضي أو وكيل النيابة ، يصدر في أيّ حكم من أحكامه عن «الرغبة في الانتقام»! أيَّن أن القاضي إذا قضى ، وهو من رجال القانون ، لا من رجال الشرع ، بالقصاص من القاتل مثلًا ، يصدر في حكمه هذا عن رغبة في الانتقام ؟ ولم يقف هذا الأستاذ عند هذه الأفاظ، بل أراد أن يسم حكم الشريعة بقطع يد السارق ، بما هو أشده من كُلّ ما قال فنذاك على ذكاء شامعًا، فساق في الفترة الرابعة تاريخ قطع يد السارق، واستباح أن يصفه بما يشاء فقال:
''إن الحكم الذي يقضي بقطع يد السارق، أو التنفيذ البدائي عمومًا، عرفه الرومان منذ قرون بعيدة في قوانين متعددة كانت تطبق عليه، مثل قانون الألواح الأثنتي عشر وقانون صولون، كما عرفه أهل آشور وبابل أيام قانون حمورابي. ولهذا اتسمت هذه القوانين دائمًا بالطغيان، وتفصّلًا عليها عنصر الانقام، وإن تمثلت صورها بشكل أوسع في المسائل المالية كالديون وسائر الالتمامات.

فبأى حقّ يستطيع هذا الأستاذ أن يصف حكمًا أنزله الله في كتابه، بأنه حكم وحضى؟ وإن تسرّ تحت ما ذكر من أحكام الرومان والأشوريين والبابليين؟ '' فإذا كان هو يستطيع أن يفرض ''بشدّة، الرأى الذي يطلب بإعداد توقّع عقود قطع اليد بالنسبة للسارق؟''، كما قال، فمن الذي أنشأه أن المسلمين يفرضونه بهذه الشدة؟ حتى يصبحوا على نعت حكم الله في حكم كتابه، بأنه ''أداة انقامه''، و''نظرية عداء إلى السارق''، تحاول أن تنصّ عليه بمنطق السلطة والقوة الغاشمة، وتسموه صنوف العذاب والانقام؟''، وأنه ''اتجاه غير إنساني''، وأنه ''قانون وحضي''! ما هذا الهجاء المقذوف من رجل يشهد على نفسه أنه ليس له إمام كبير بأمر الدين، والحقيقة أنه جاهل بأمر الدين كله، لا يستطيع أن يتحرّ بين النصّ الذي لا يقبل الاجتهاد والنص القابل للاجتهاد؟ (1) وحكم الله حقّ واحبة عليه إتباعه واتباعه، يبدأ أين لم أقصد هنا قدّم الإبانة عن مدى حكم الله، على وضوحه وبيانه، ولكلٍّ قصدت قصد هذه المرحلة الطاغية من التهجّم على كتب الله بتفاؤل متكرّرة، بلا حيّاء، وبانخذال لفظ ''التطور''، و''الانفجارات الإنسانية''، وسيلة للطعن في شريعة لا يأتي بها الباطل من بين يدها ولا من خلفها، أيّن الله لعبادة رحمةً بهم، وأيّنها بعجلّم سبحةه، ثم يجيء مفتوحًا فيقدّر بين أحكام أزلاؤها الله، وأحكام وضعها طواعية البشر ومن لا دين لهم على الحقيقة، ويجعلهم أعلمن من ربيهم الذي خلقهم، بما يتوجهون من ''دراسات مختلطة'' في ''علم العقاب'' و''علم الإجرام''، وسائر ما يتفطر بذكره المارقون من عباده، ومن لم يشلونا ووجوههم.

(1) بل إن هذا الأستاذ المذهب كهذه مساحة موسي ولويس عوض، رجل من أهل دين غير دين الإسلام، كما سلف ص. 317، تعليق 1.
لقاطر السموات والأرض، وانتفصا كل شيطان مزيد من شياطين الإنسان والجُن.

هذا هو العجب الأول.

أما العجب الثاني: ففيضنا من ما يقع عليه سلطان المبشر الثقافي، أعني المستشار الثقافي، صحيفة الأهرام، وهو لويس عوض، حيث نثر في اليوم التالي لهذه المقالة، فيما سماه " دائرة المعارف " وذلك في يوم الاثنين 16 من الحرير سنة 1385 ( 17 مايو سنة 1965 ) تحت عنوان: "الضريبة في العصر الوسطي: النظم الضريبية في العصور الوسطى كانت تختلف كلها بين أوروبا والبلاد الإسلامية. لم يكن في الإسلام تنظيم كنسي، يحبس الموارد ( عن ) السلطة السياسية " ووقعت حائزة في معنى هذا العنوان، ما معناه، ويبحث عن اسم الكاتب، لأتيضيف مقصدة، فلم أجد تحت الكلمة توقعها وآذان في كلمة مبهمة لا صاحب لها إلا الذي يقع سلطانه على هذه الصحيفة، وهو المبشر الثقافي، أعني المستشار الثقافي، صحيفة الأهرام "لويس عوض".

فلتأمل هذا العنوان قيلأ قبل أن ننفذ إلى المقال نفسه. "النظم الضريبية، كانت تختلف كلها بين أوروبا والبلاد الإسلامية "، أسلوب ركبت جدًا، كانه أسلاو " بلاولوند وقصائد أخرى " لمؤلفه لويس عوض " لا يقال: "الأمان يختلف كلية "!! هذا ليس بعري، بل يقال: "الأمان يختلف كلية "!! لا يقال: "الأمان يختلف بين محمد وعلى "، وهذا ليس بعري، إلا أن تزيد أنه يذهب إلى هذا مره، وإلى الآخر مره. وهكذا دواليك. فإذا قلت: "الأمر يختلف كل اختلاف بين محمد وعلى "، صار معناه على سقف تعبيره، المبالغة في الاختلاف إلى هذا مره، وإلى هذا مره. هل يعني المبشر الثقافي هذا، لا أظن بل المراد والله أعلم: أن النظام الضريبية في أوروبا كانت مختلفا كل المخالفة للنظم الضريبية في البلاد الإسلامية. فإذا كان ذلك كذلك، صنعنا ما صنع لويس عوض بمجلة "آراب أو بزرف "، حيث نشر صورة الصفحة الأولى منها، وصححها تصحيح مدثر، ومنها درجة (75)

ووقع بالأحرف الأولى من اسمه، فمنحناه " صفر " على عشرة، لا على عشرين بلا
יותك هذا العنوان الأعمجم، ويصبح قليلاً قليلاً، فقوله: 1. لم يكن في
الإسلام تنظيم كنسي، يجمع الموارد المالية (عن) السلطة السياسية، وكان فيه
خطأً، وضع 2. في مكان 3. عن وهو بيع قلَّم، فعفو له عنه! ولكن ما معنى هذا
العنوان: أريد أن التنظيم الوضعي في أوربة كانت فاسدة في القرون الوسطى، لأن
التنظيم الكنسي كان يجمع الموارد المالية عن السلطة السياسية، أم يريد أن التنظيم
الوضعي في بلاد الإسلام كانت فاسدة، لخلو الإسلام من نظام كنسي يجمع
الموارد المالية عن السلطة السياسية؟ وإذاً، فهو عنوان مخيب غير دال، ولا يستحق
أكثر من 4 صفر، لأنه لا يؤدى إلى معتق واضح مفهوم عند النظرة الأولى، كما
يتطلب ذلك فن 4 العنوان؟ ولكن يفهم منه شيء واحد: أن كاتبه ماكر، تأبه
المكر، كهل مهبهر.

ثم بيدأ الكلمة هكذا: 5 يطلق المؤرخون اسم العصور الوسطى عن فترة زمنية
تغطي عشرة قرون، اصطلح على تحديد بدايةها بعام 476، والثاريخ هذا هو
التاريخ الميلادي بالطبع، الذي شهد سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية بيد قبائل
الجريمان، وتحديد نهايتها بعام 1453 الذي شهد سقوط الإمبراطورية الشرقية بيد
الأترك العثمانيين. وأهم ما عزز هذه الفترة، من وجهة نظر تاريخ الحضارة البشرية
هو التقسيم البحران المحيطين بالبحر الأبيض المتوسط إلى نطاقين جغرافيين مختلفين
ومعترضين، تقوم بينهما العداء والحروب: أوربة المسيحية من جانب، والبلاد
الإسلامية من جانب آخر. وظاهر أنه يريد أن يدخل تاريخ الإسلام منذ ظهوره إلى
أن فتح الأترك أرض الإمبراطورية الشرقية في العصور الوسطى أوربية. وهذا
خطأ شنيع، وتحكم غليظ، وكان 6 الحضارة البشرية: مرتبطة بالعصور الأوروبية
وشهده، فما كان عنده عصورة وسطى منحة، فهو مستحث على تاريخ أهل
الإسلام، موصوف بما توصف به عصورة وسطى من الأنهاز والانحطاط
والجهل؟ وهذه إحدى الديسائس التي دعتها البشرية، والإتجار وتعميره في
مدارسنا وكتبنا، حتى كننا ندعها بديهية من البديهيات. والواقع فيها، واقع في
تحقيق ضغط، وليلغ من تاريخ البشرية أشراق عصورها وأكرمهها وأثبلها وأصدقها علمًا
ومعًا، في أمر الدنيا والآخرة.
ولكن، لا بد أن نبدأ هذا الكتاب المجهول بعد قليل فيقول: "والذي يعني من هذه الملاحظة التاريخية، هو أن نظام الضرائب قد استفاد اختلافاً كبيراً في بلاد الإسلام عنه في أوروبا. ولهام (ولأن ذلك إلى قوله: أهتم)، ولهام ما يميز البلاد الإسلامية في هذا الصدد، هو أن الإسلام قد أضفي على الأساس العامة للنظام الديني طابعاً دينياً، يجعل من اليسير على الحكام أن يتلاعبوا بها. (بهذا الأدب الجملي، أدب لامس وزويد وملحقاته!!) (1) وفي نفس الوقت لم يكن للإسلام تنظيم كنسيجي يحفز المحاربان المالية التي تجني باسم الشرع، عن السلطة السياسية، مما أعنى أن الحكام عن أن يفرضوا ضرائب مباشرة، لم يرد لها أصل في الفقه الإسلامي. ثم أخذ يضرب بيئاً وشمالاً، يتزايدان وتتطور، ويستقبل سناء تارة وثانيها أخري، يذكر الخراج، الجزية، الزكاة، في بضعة أطر، حتى انتهى فجأةً إلى قوله: "أما في أوروبا الغربية، فقد أدى انهيار السلطة الإمبراطورية، إلى انهيار النظام الديني الذي أقامه تدريجيًا خلال عدة قرون)، ثم دخل في ذكر ملوك البربر الذين قسموا الإمبراطورية الإسلامية، والتحق إلى النظام الإقطاعي، حتى قال: "وكان طبيعيًا في هذا السياق (يعني وضع النظام الإقطاعي)، أن يختفي مفهوم الضرائب الذي تكون خلال عدة قرون في ظل الإمبراطورية الرومانية». ولم نفهم شيئًا مما قال، لأنه لم يحدثنا بشيء عن الضرائب، ما هي، ولا كيف كانت بل سافر آثنا عجباً بلا مصوصول، ليقول هذا:

وفي هذا المجتمع الإقطاعي بقيت سلطة مركزية واحدة، هي الكنيسة الكاثوليكية، وكانت تقوم بعدد من الخدمات العامة: كتعليم، والصحة، والقضاء. وكانت الكنيسة تمتلك نشاطاً من مصادر الأوفاق التي ترجع ماتحتل إلى إقطاعات دينية، لأسقف فيها سلطة السيد الإقطاعي، والعثور، وهي ضريبة تقدر بالعشر من الدخل، أخذت الكنيسة في جوابها اعتماً على بعض نصوص الكتاب المقدس.

(1) وهو الوجه الآخر لأدب الأستاذ ماهر سامي يوسف السالف ذكره وتعليق عليه من: 4317، 318، 321 تعليق: 1.
وأنا لا أحب أن أتحكَم في الناس برأي، ولكن أسأل كل قارئ أن يتمسك هذا
العدد من الأهرام، ويقرأ هذه المقالة، ويحدثه بعد ذلك عن الذي جاء به هذا
الكاتب المتكافئ في موضوع "النظم السياسية"، وكيف كانت في بلاد الإسلام،
وكيف كانت في أوروبا ما بين سنة 426 إلى سنة 1453 من الميلاد، فإذا لم يجد
 فيها شيئا يفهم سوى ألغاظ مخمورة مرتاحة بلا معتن ولا ترابط، فلا يجد
 فيها هذا الكاتب؟ أكتبها ليقول: "إن الإسلام قد أضحى على الأمم العامة
للتنظيم السياسي طابعا ديناً، يجعل من السير على الحكام أن يتبعوا به"؟ أهذا
صحيح؟ أهذا شيء يسُلم لحضور الكاتب المتكافئ، لأنه قائد، وقسم ما قَضِي؟
أиковد يقضى هذا المسكن على ما يشبه الله ورسوله من حقوق الأموال ومصاريفها
بأنه نظام يتبعه الحكام أن يتبعوا به؟ ثم يعقب على ذلك بأن العبى أني من يقبل أن
الإسلام لم يكن له "تنظيم كنسي"، يحجب الموارد المالية التي تجلى باسم الشرع
عن السلطة السياسية، مما أغني الحكام عن أن يفرضوا ضرائب مباشرة لم يرد بها
أصل في الفقه الإسلامي؟ "أهذا كلام صحيح"، أم كلام مختلط العقل يريد أن
يدخل لفظ "تنظيم كنسي" في كلامه، ليبدع على غرار الإسلام وفساد نظمه، إذ
لم يكن فيه "تنظيم كنسي"، شريف؟ وأي شيء هذا "التنظيم الكنسي" الذي
حجب الموارد المالية عن السلطة السياسية؟ وكيف كان ذلك؟ ومنى؟ وأيضا
ما هكذا أن "الكنيسة الكاثوليكية"، بقية سلطة مركزية، تقوم بعدم الخدمة،
وتحمل من أوقاف صارت إقطاعاً، وعصار تجبيها من الناس؟

ما هذا الهوى الذي يكتب هذا الكاتب المتكافئ؟ أنا لا أعلم في أنه مبني
مسفح العقل جدًا، فإن لم يكن هو لويس عرض بلجمه ودمه وعقوله، فهو أشبه
شيء به، وإذا كانت صحيفة الأهرام، قد أنشأت هذا الباب من "دائرة المعارف"
لتصبح تراثاً للمبتكرين وذيلهم وأذنابهم ومخالبهم، ولا أظنها آرادت ذلك البلاد،
فخيرة لها أن تغلقه، وتكف عن الناس الشر الذي يهب عليهم من قبلة، أو أن تذفَ
هذا المشتر التفاعلي إلى خارج أبويها ، لأنه لا يثور عين سوء أدب يرتكيه موقعاً باسمه ، أو تطاول يقدم عليه مجهول الاسم ، بإشرافه على باب بذ هذته تدقيق الناس بكلا مفهوم ، دال على معرفة مفهوم ، لا إفلاس عقولهم بخطرات ورُهات ، وحديث جهلاء ، وهذان هذين ، وعرفة معربين .

وقد أصلحت في المقالة الثانية عشرة بيان معنى " دائرة المعارف " والتي أثارت تسميتها " الخشيرة " ، وبينت معنى هذا الباب ، وما يراد منه ، فإن لم يكن كشفاً مستقل عن هذه الصحفه ، فليقرأها إذن ، لعلم أول ما يعلم : ما معنى هذا الباب الذي نشأ في صفحته ، وكيف يتبغ أن يكون ، فهذا أول مهما ينقلدُها . ثم لعلم أن هذا الباب ، إذا تتبغ مبتغ ، لم يخطر على يد قصر من أن يذكر فكره كثير للباحثين وعقلهم الصحفه ، على قراء لا يزالون يظلون بآراء صفحته خيرو كثيرون ، ويعتنقون مصدرًا لثقافة صحية حقيقية بالاجتماع . فإذا كان ذلك كذلك ، فأما قلب يزيد أن يصاب من قراء الأشخاص من يصاب ، بعددٍ دافع عضالٍ من أهوته يبتغها يُبَثُّ حامل جرائمهم ، لا يؤمن على صحة العقول ، كما لا يؤمن متطب دجال على صحة أباد الناس ، وعقلية الشؤوب أولى بالحباطة من أباداهم ، فإن البلد إذا تلف منه عضو ، احتارت سائر الأعضاء نصبته من العقول ، ولم أخبز الأمر إلى تلف البلد كله يطلب هذا الدجال ، فلافع قاصد على صاحبه لا يعذب . أما تلف العقول بالآفات الحيرة ، فالعقل لا يشتبه عنه ، ولا يقوم شيء من الأعضاء مقامه ، ويقت صاحبه عناقي البلد ، ولكنه يشمس به في الناس لبست فبما يعذب جروحة يستلست داوه ، ولا يرتج شفاؤها ، إلا بعد وقت طويل ، وعلاج مُضيئ ، إذا تبُسُر الطبيب المتفرع لباشرة علاجه يومًا بعد يوم .

هذا ، كما ترى ، خُبِرّ ما قرأ من العجب في يومين متابعين ، ولم أجد مما يشتهى في ذهن ، ولا في عقل ، ولا في آمني ، أن أسكت عقولنا ، وأدع عرضهما على الناس ، لأن هذه ظاهرة بينة الدلالات . فتموضع مختصرين ، وفي صحيفتين
 مختلفين، ينشر كلامًا لا أصل له ولا هدف إلا الطعن الصريح في الإسلام، والتفصيل الواضح لأحكام الدين.

فإيام مبهم، لا يُذَرُ من هو، ولا من يكون، (1) كتب كتاب مهين رسالة لا شيء فيها من الجد، يعود على الترداد لو صف حكم من أحكام الله، بأنه قاسي، وناله صادم من الرغبة في الانتقام من البشر، وأنه حكم وحشي، وكتب بهسلوب لا أدب فيه، ولا يضمن علماً أو ذكاءً، وإنما هي أفواه مبينة على المغالطة، ومشمولة بالإبهام كاسم صاحبها، ولم يخرج كل ما فيها من الحجج للبنات عن الذي سمعته لأبرز من أكثر من أربعين سنة، من الفقه المisci المبكر الحبيب، زويمير ومن غيره من أشياءه ممن كان يترد في جمعة الشبان المسيحية، وعلى الجامعة الأمريكية.

ولا أدرى ما الذي يراد اليوم ينشره بين قراء صحيفة الأخبار، في هذه الفترة المضطربة التي اجتمعت فيها، نزى الشر على ما كلف أو ترابي النحل، و كثير من شباب القراء اليوم لا يملك القوة على رد هذه الشبه المتلفعة بالذات، التطوير، و البحث العلمي، و الدراسات المخصصة، و الاتجاهات الإنسانية، و وسائل هذه الضلالات التي نهبت على إسلام عقولنا لأمثالها، والتي أفضلت منذ قريب إلى قيم بعض الكلاسيك بإخلاص أ허جح، يجمع بين إنسان شريف وجعله علماً من الأعمال الفائقة التي لا يلام صاحبها ديناً، ويجوم جامع الناس لأن لا يستدركنا ذلك من فعلاً، أو يعتقد أو ي/Grid (2) هذه هي دروع البحث العلمي المخصص، وقمة الاتجاهات الإنسانية، التي يراد لها أن تنتفي أثارها، وتنخد أسسها في النظر أساسًا نعيش به، ونقيم أحكامنا عليه، مستقينن أحكام الله في كتابه وفي خبر رسول الله ﷺ بجراحة، smiled، وناماً بالمحفوظ من عواقب هذا الصراع الذي عاش فيه العالم الأوروبي المسيحى، ولم يزل يعيش فيه.

وبلاد اسم، وبلاد توقيع، يجترى مبشر مخيب على أن يجعل أكمل نظام للأموال

(1) هكذا قلت، ولكنه كان مروعاً عندى، كما هو معروف عند لويس عوض نفسه!!
(2) أعتى إخلال الكنيسة الإنجليزية، إنهان العمل المنكر بين الرجل والرجل!!
عرفه الحياة البشرية إلى اليوم، نظامًا "يجعل من اليسر على الحكم أن يتلاغوا به"، يرد عشائري ووجاية، وشوه أدب، فهوي إلى قارئ أن معلوٍ الإسلام من التنظيم الكنيسي الشرف!! هو السبب في فساد هذا النظام، يدعى تدلّ على تمام الجهل بتاريخ الكنيسة في أوربة، ليقول صراحة: "إن الإسلام لم يكن له تنظيم كنسي، يحجب الموارد المالية التي تَجيّب باسم الشرع ( يعني الركاة والخرج، والجزية!! )، عن السلطة السياسية، مما أغني الحكم عن أن يفرضوا ضرائب مباشرة، لم يرد لها أصل في الفقه الإسلامي"، وهو فوق ذلك كله، تعبير جاهل بمعنى الألفاظ، لمغوص عن حقائق هذا الدين، مملوء القلب والعقل بأسلوب التبيشير، وأسلوب الاستشراق، وهم شيء واحد في الحقيقة، ويسوق هذا المفكر الخبيث في موج متلاطم من الألفاظ التي لا يَحُشَّل من مجموعها معنى صحيح.

وفقه.

وصدق المبشر الذي قال، وقد أثبتت مكانة واسمه الآن، حيث قال: "أن المكان الوحيد في العالم الإسلامي الذي لا يكاد "التبيشير" يُتَقَيّب فيه شيئاً يذكر، هو مصر". فهمهم بعد طول استنتاجاتهم على الحياة بأساليبهم التي فتحتها آنفًا، كان لكل مبشر يُزال منه قوت هذا الشعب المسلم، ويُؤجر على عمله من ماله، في الصحافة، وفي المدارس، وفي المستشفيات، وفي كل باب دخله "التبيشير" وبث فيه أعراضه، متفاوتين بضربات مختلفة من أطباء، ولكل طاقة منهم أسلوب قد درسوه وأحكرهم ودربوه على، كما كشف ذلك حين نزعت طُينسان الجامعة عن لويس عوض، وأظهره مبشرًا مدبرًا ثم تدريبه "تحت أشجار الدردار بكمبردج".

وبعد، هذا أمر مكشوفٍ يتارى لمن يريد أن يُصر، وهو لم يتحدد قطًّا علينا بهذا القدر من العين، والراوغة، والتحايل، ولم يننيق شئه من كل وجهة، ولم مكان، كما انحر وانشق في هذه الأيام. وأنا أُجِلُرًا قومي، فإن لدليل هذا التبيشير واضحه في الذي ذكرت، وفي الذي لم أذكره، من كلام كثير يستفيض في صحف كثير، ومجلات، وأنا "التبيشير"، أبدا من أدوات "الاستعمار"، وهما أخوان لأب وأم، فإلحاح "التبيشير" علينا بأدوات وتمعان، صرية، ومتخفية، وأعية.
غير واعية، يحمل معنى واضحاً من إرادة التدمير والهدم، ونشر البلاء، وإفقد الأمة أسباب بقائها، وربما إلى هدف واضح، قد عمد إليه مرات من قبل في مصر وفي غير مصر، في خلال الانفاسات الكبرى التي يُخشى معها أن يسترخ العالم العربي والإسلامي قوته وبأسه، وينفرد بنفسه منشأه باتياً معيدًا لحضارة ترثُ هذه الحضارة الأوروبية المسيحية في أوان انهيارها هذا الذي تعيش. وقد ضربت الأمثال من قبل في بعض مقالاتي، أما أن تخوف أن نتهي إلى شيء غاية، إذا تركنا هؤلاء المفسدين العابرين يمرحون ويشربون، بلا رقيب على سوء أعمالهم، وبلا وارع يرددهم عنا يبعون لنا من الغوائل، ولا يرضى المرء إلا من غفلته، وشر الأعمال التهاون، ورب ما استمرت نازاً متضايضةً.
بسبب الفحص عن أجر مميت

الرسالة
الخميس : 3 من صفر سنة ١٣٨٥
كان كيلبة ودُعتة، من بعث أوّى، وكان أبو نور، وكان بينهما، وكان بينهما من الاختلاف
ما بين الخبر المحذق، والشعر المحذق. لم يُلَوّدهما مَنْحَلُصاً، صادقاً، صريح
القول، شخص النفس، والآخر خبث، محتال، كذب، فأحيى النفس، تمسك
الطاع، فكان من شأن دمنة أن يبقى ذاكرة يمشي بين أصحاب الملك (الأسد)
بالبشر، ويغيبه الغوايل، ويكشف مكره بعد مكر، وهو على مثل اليقين أن أفرك لن
يكشف، لما كان قد أحكمه من التختي والشراوة، وإبدائه ظاهرًا بريًا، يشعر به
ما بأكمل قلبه من السحائم والضغائن والحقوق. فلمّا طال على الأمد، وأدرك
أخيه كيلبة ما استشرى من خيائه، خلا به وقال له: لقد ارتكبت من صعباً، ودحلت
مدخلًا ضييًا، وانتهت على نفسك جنودًا مُثْبِئًا، وعانتها وخيمة. وسوف
يكون مصرعك شديدًا، إذا اكتشف للأسد أمرك وأطلع عليه، وفر عندرك
ومخلالك (البحال، بكسر العين، الكيد، والمحكر المفسد إلى إهلاء الناس
ويقبي لا تأتي لك، فيجمع عليك الهواء، والفتى مخافة شرك، وخذراً من
غوائلك».

وهذان الأخوان مثل دائر في الناس، ولم آت هذا المكان لآسف القصة،
وأسنده عبره، ولكني جبت لكي أنوّي كشف الغطاء عن الشرداب المظلم الذي
وصفه مرازاً، الذي تمسى في جنباته حطام وأضلاع وأفاع، لها دُّعَ في
الظلمات، وحشيُّ أن لا يكون لدعاتها طبيب. (والسرداب المظلم) هو هيئة
(التشير العالمي) التي نشأت منذ عهد طويل، وقصصُ خيّرها فيما سلف
وهذين، والأفاسي، والأصل، هي آوياهم المبينين في كل مكان، على
ضوء متعددة، وفي ثياب مختلفات الأشكال والألوان. وهذه السيوام القاتلة، هي
دمنة هذا الزمان، ولكن ليس له كيلبة بردته ويهبه وبعده.
وكلن ... ما هذه الجهالة! وهل تجد حسباً أن تقبل على الناس بهذه الأساطير المتقضية، وبهذا الحضّ الصلب، وبهذة الشراكة المضادة؟ هكذا قالت لي تفاصيل فأجبتها: ونذاك أملك، إذا كان أحب الأطفال، قد يضفي إلى إضرام نار تأكل الزيتون والبابس، وإذا كنت قد رأيت بعيني أول لسان منها قد هم بأن يدنع!؟ أليس لازماً على أن أقطعه قبل أن يُشتبَك بشيء فينطل، فيستقر في اللهُ بمينا وشمالاً، ثم لا يبقى شيء إلا قضى فيها قضى في تمسك؟ فأجابتي نفسى:

جاءنا، يا أبا هيشم! (أي تحل من فولك، ولا تغلد)، فإن الأمر لأهون على الله مما تصف! فإنك لا تخاطب نوايا ولا غافلين، وعنى أن يكون في الناس من بجد ما تجد، وعرف أكثر مما تعرف! فقلت: نعم، صدقت، ومن ظل في نفسه الظلمة، أو رده الظلم المهالك، وقبيح بالمرء أن يرى نفسه العاقل، وبئس الناس تبعاً له وعاله عليه. قالت: وإذا! فقلت: وإذا.

وأذن، فلتختِف بعض الباطل، ليكون ذلك معاولاً لنا على طلب الحق، وبعض الزلزال، ليكون أسرع بما في طريق الجلد. كان عجبنا عندى أن تتخنى صحفة الأهرام نفسها "مسيرًا في النائي" (وهو صمم مستر على الحقيقة، ولا أدرى كيف أخرجته الصحيفة من زمرة الصبيان إلى زمرة المتعلمين!!)، ووجه العجب، أن هذه الصحيفة التي أوجدتها "هيئة التبشير العالمي" (و لا تخطى فتبتشير والاستعمار أعوان لأب وأم، كما قلنا مراراً)، كان منشئها هو "النشرة تقا،" الذي أقسم لعراقي بشفه ودنه (!!) أنه واحد من الوطنيين المخلصين، وأنه يعمل لحرية بلادنا، فلما قضى على عراقي، دخل عليه وتوّج عليه أشد التوقَّف ثم بصق في وجهه شامتاً. فقال عراقي: الرجل المهدَّب ذو الدين والعقل، في مذكراته: "فرأيت أن الرجل خائن، ولا شرف له"، ولم يرد. ومع ذلك، فقد استمرت صحفة الأهرام منذ بثينة تقا تعمل، ولكنها لم تجرؤ أن تتخذ "مسيرًا في النائي" مستعذراً بجميع حماتها.

ولكن ما كاد الشعب يضيع يده على أخترُ أدوبل "الإعلام"، وهي الصحافة، حتى رأينا صحفة الأهرام قد اتخذت هذا الصبيع المفتول من الأسوار "مسيرا"
 الثقافيّ، يعلّم جميع حماقاته، على الناس، بل الحياة. كيف كان هذا؟ قلت: مباركًا إلى لم أر ذكر كيف كان ذلك، وعلّم ذلك عند من استخدمه، وحماية، وصبر عليه، مع شناعة ما بد من جهله وضغقه وهوسه دخّله. ولكن هل تُطلقنا إلا لتعجب؟ ومن فقد القدرة على العجب ؟ وقد قالت الحكيمة: «أجنب من العجب، ترُك العجب من العجب». وقيل لشيخ همّ (بكر الباهي، وهو الشيخ الكبير البالي) : أي شيء تستنى؟ فقال: أسمع بالأعاجيب! وصدق، فما خبر الحياة إذا بقي الإنسان فيها، لا يوجد شيء بحبوكة، ويستخرج منه البكاء أو الضحك. ورحم الله الشاعر الفارسي على بن العبد الغنوي، حين أبان عن هذا المعنى أحسن إبانة في قولها:

وهل هذا الفتي أن لا يرجال إلى التّلّة، وأن لا يّزيّن شيءًا عجبيًا فيفجّينا.

وقد كشف في مقالاته عن عجب لا يتفضّه بعينه هو هذا الطليّ من القيود، فيظهر، والله أعلم، أن مؤسسة الأهرام أرادت أن يبقى لنا في حياتنا شيءًا نتنبئ به لنبي، فحرصت على أن لا يفارقها هذا الصبي العاقل (هكذا جاءت صفحته هنا، وجربت بها القلم، والقلم سيد مطاعٍ!)، فكأنها نفشت إليها عين الرحمة والإشفاق، وخيّا في إطالة أرجائها على الأرض! فإن كان ذلك كذلك، فليس لها عندنا إلا الشكر، وأن نسأل الله لها مضافة الأجر.

* * *

وإذا كانت مؤسسة الأهرام قد نظرت إليها بعين الرحمة والإشفاق، فاقتمالها بها، نظرن نحن إلى قراينا أيضًا بعين الرحمة والإشفاق، وتأهّبت بالعجب الذي يحرّكهم، حتى تكونوا أجملهم. أليس هذا من العدل، ومن خسانت الخلق، ومن عرفان الجميل؟ وقد صنفت البيان عن شيء يهمني به بعض الناس، ويصوغونه في قضية لا أجتيا، لأنها باتطأة، ولأنها لا أعدم إلى هذا الضرب الذي يلقون عليه نُهِمهم. فبعضهم يرغب أن يقدّم الشيء المثالي، فيما أكتسب، وخرجت إلى سبيل هذا الشيء المثالي، لويست عوضًا، ووقعت في شيمته! وهذه قضية باتطأة، لأن شربت كلٌّ أمر

منذ كتبته عن رسالة الغفران، وعن العامية، وعن البشير، وشرحًا موضوعيًا:}
وتحتج إلى أن أستخرج طبيعة هذا الشيء المسمى «لويس عوض» من نص كلماته، عانته، فكان لابد من وصفه بالأخلاق، فإذا كانت هذه الأفكار نابية إذا وضعت في مكاتيبها، فهي إذا وضعت في مكانها عبر الحق لا يستطيع الطبيب، والكاتب المحلب كالطبيب، أن يشكو مرض الإنسان تتعلق أعضاؤه ويتولى نسائه، ويلوح الزبون أيضًا عند منتهئ شغفيه إذا هاجت مرته، وتساقط الكلمات من قبلي بلا رباط مفهوم، فيقول مثلًا: «هذه أحداث عرضة للبدن»، لأنه إذا قال ذلك، لم يفهم سامعيه شيءًا ذا بال، بل لعله قد غرَّب به. ولكن إذا قال: «هذا مجنون ينبغي أن يقيد حتى يُشفى»، فقد أفهم، ودلًا على الواجب عليهم في أمرهم، ووقائع شر العوض في شأنه.

فإنًا مثلًا قد قلت إن هذا الإنسان «شرلتان»، وهذه إحدى صفاته الكثيرة، وأوجدت الدليل على «شرلتان» في مواضع كثيرة جدًا مما سلف. واستحسن هذا اللفظ، لا لأني أحب أن أدخله في العربية، بل لأنني وجدت حروفه، ووجدت حركات حروفه، إنها دلالة على طبيعة كتابة هذا الإنسان، ووافقتها هذه الدلالة الظاهرة، باطن معنى هذا اللفظ الأعمى، فاستحسنني لذلك، واستخرجني له فعلًا ومصدرًا، ليكون حاضنًا به وحيدة دون سوا، إلا أن يدخل مع شبيبة، معن دخلوا مدخله، وعاىوا «النواح الغزيرة المشتركة على حديثة مدرس، في خلاصة مشهودة بين أشجار الصلال، عند الشلال بكامبريدج 1»، كما جاء في 1 بلوتولد، وقصائد أخرى!! وسواء أكانت الخلاوة المشهودة بين أشجار الصلال عند الشلال بكامبريدج حقية، أم كانت رمزًا لمكن شبيبة به! فإذا كانت الدلائل التي أُسلفها لم تكن مفصة بعدًا، فسأني بديلًا آخر على «شرلتان»، من آخر ما كتب، فعنى أن لا تُفهم بعد ذلك أحد بأتي أرضي لنفسى أن أست هذا الإنسان، مع أنى قد كرهت حمل ألمه منذ أجريت مداه بخط اسماه على الورد، ولا أقول هذا سخريته به، بل تزناها من مقاومة الغُنيم والخياشيم.

فنظرت الآن كيف كان هذا المخلوق «شرلتانًا». وقد سأني كثير من الناس عن معنى «شرلتان» عند الأعاجم، ولم يقعوا بمراجعته التي دكترها مقابلة له في
العربية، كالدَعَي، والمَشْعوذ، والَّذِين يُمِسّك بعضهما بِبِيَاب بعض، أو يَرقَب بعض إِذَا شَرَأ. فأَصِلَّ «الشَّرَطان» عند الأَعَامِج، هو المشَعوذ الذي يَقَف على أَقَم الطَّريق، والَّظَّن، بَفتح اللَّام والقاف، وِسْط الطَّريق أو رَأسه، يَحسُن بِبِذَاعِته لَتَنْقُع عند الناس، وَيَتَينُ غَواه وفساده بِأَفْلَاه مَفَكَّةِ مَحِبَّةٍ، تَحْلِبَ إِلَى أَسْمَاح العَالَم، وتأخذهم من عَفْلُاتهم، فِكُوْنون أَسرع استجابة لِلفظ، وَتَوْكِن أنْ يَدَّهِم أَعْجَل إلى تَجَيُوبهم، فَهُوُ سَارِقٌ أَموَالِي باللفظ المَحِي رُن، فَيَتَعْمَلُّ «الشَّرَطان»، لأَخْيَه وَشَيْبه، وهو الَّذِي لا يَزَال بِلَوْك أَنَافَاعَ يَتَقَلَّبُهَا، من هَنَا وَمَن ثَم، يَعْقُل، وَبَلا نَدْيِع، ثُمَّ يَتَحَذِّل الدَّعُوعِ العَرَضية وسِبْلَةً لِلإنقَع، ثُمَّ يَبِلْسَ من النَّظَاظر لبَعْضًا كَأَلْتِثَلَّ، ظاهره ضَخَمُ وَبَاطُنُه أَجْوَابُ فِي، ثُمَّ يَصْنَعُ مِن هَذِهِ الأَخْلاَفِ الَّذِينَ تَجْتَزَأ مَسْكِرةً لِلَّعَالَمُ وَأَشْبَاءَ العَالَمُ، لِيَقَالُ إِنَّهُ عَالِمًا واسع الْعِلْمِ، مَبْطَن، وَحَادِقْ لِإِطْفَائِ الحَذَّي مَرْفَقٍ، وَبَارَعُ تَأَمّ الْبَرَايَة مَفَقَوَٰلٍ فِي سَارِق عِقْوَٰلٍ بِالْفَظِّ المَحِيِّ، وَلَكِنَّهَا جَميِعًا لَا يَسْرُقُانَ إلَّا السَّخْيف العَقْلِ، الَّذِي لا يَرْنُ. وَلَا يَتنَاسِعُ.

فِي أُخْرٍ «شرَطْن»! هذَا الدَّعَي المَسْكِينَ، أَنْ كَبَّ في صَحِيْحِ الأَهْرَام، ومسَكِينَةً أيْضًا صَحِيْحِ الأَهْرَامَ!! وَذَلِكَ فِي يُوْمَ الْجَمَعَةُ ٢ مِنَ الْمَحْرُومٍ سَنَةٌ ١٣٨٥ (٢٨ مَايِٰض ١٩٦٥ )، كَلَّمْهَا عِن زَمَلِيِّ غَفْرُ اللَّهُ لَهُ وَرَحْمَه، الْدِكْتَوَرِ مُحَمَّدٌ مَنْدُورٌ، وَوَحْشَا مَا كَبَّ بِمَثْلِ الَّذِي وَصْفَتُ فِي يُوْمَ مِنْيِ «شَرَطْن»، أَنَّ «شَرَطْن» يُبِينُ أَنَّهُ يَكُونُ فِي الحِقْيَةِ خَفِيفِ الدَّمِّ، لِيَكُونُ كَلَّمَةَهُ إِلَى النَّفُوس أَسْتُرْحُ وَهُذَا «شَرَطْن» لِيِسْ بِخَفِيفِ الدَّمِّ، بِلَّدَمَهُ ثُقَالٌ جَدًا، إِنَّما اكْتَسَبَ دُوْهُ هَذَا الثَّقَالُ، مِنْ ثَقِلٍ دَمِّ «الْبَتْشِرِ»، الَّذِي أَفْرَعَ فِيهِ مَا أَفْرَعَ مِنْ الأَخَالِ الفَوْقِيَةِ، مَعَن وَلَوَجْ، الْغَزِيرَةِ المَشْوَرةِ عِنْدَ حُدِيثِ مُدَسْمِرٍ، فِي الْخَلْوَةِ المُشْتَهِيَةِ بِينَ أَشْجَرِ الْلِّدْرَادِ، وَمِنْ أَشْجَرِ الْلِّدْرَادِ، وَخَلْوَةِ عَقْلُهُ، وَأَعْجَبَ غَبُواً. فِي هَذَا أَبْنَيِّ السَّخْيِهِ بِهِذَا الْبَلَادِ. فِي أَنْفَاظِهَا الَّتِي يَتَنَقَّطُهَا، وَيَثْقِيمُهَا، لَا يَعْرِف مَعَانِيَهَا، مِعْ طُوْلِ تِبْجَحَهُ بِهِذَا
غرق في حضارة الغرب، وبانقطاع وسائله من ومآثر العرب، ولغة العرب، وأنه لولا الميلاد لكان ولدًا شرعًا للبرونين، والرومان، والقرون الوسطى، والحضارة الحديثة! من هذه الألفاظ لفظ "دكتوراه الدولة". ففاجأ هذا المسكنين بعد الدخول والكتاب وإدعاؤه ما لم يكن بينه وبين مندور، فقال: "وكم عرفت مندورًا في باريس، كنا عضوا فيما كنا نسميه مهدي من باب الديانة (ما أخف دمه)."

البعثة المنسية، وهي بعثة كان أوفدها أستاذنا طه حسين عام 1930 من خريجي كلية الآداب، ولم نعد إلى مصر إلا بعد تسع سنوات عام 1939، بسبب ظروف الحرب، وقبل أن نتم المهنة التي أوفدت من أجلها. وكانت مدة البعثات يوشك أربع سنوات قابحة للمد عند الضرورة (ما أنطف ستم الضرورة) وأرقتها من كلمة!، ولم يشا مندور أن يحفظ العلم خطأ، (كبعضهم) وكل ليب بالإشارة يفهم!، ومعه بعد أربع سنوات حاملًا دكتوراه الجامعة، أو حتى دكتوراه الدولة، في الأدب العربي، كما كان مقررا له أن يفعل، إلى آخر التلافية، (جمع "تفاقيح")، وهو جمع ابتدعته لهذه المناسبة الظريفة!

فهذا "الشرتان" المسكنين، يظن أن "دكتوراه الجامعة" في فرنسا، أعلن
واعف وأفسى من "دكتوراه الدولة"! ما أشد جرأة هذا "الشرتان" الكويت المحتال بالألغاز على عقول العامة وأصبحهم ممن احتفظ ببطولته عقده، وإن كان بهدنه وعمه قد أُوعّل به في حدود الزولجة المكتملة، أو التي كانت خليقة أن تكون مكتملًا! إن هذا "الشرتان" المتبتج بذكورة المناهج، وذكورة الحضارة الأوروبية، والمدعي ما ليس عنه شيء، من معرفة "أعمال الحضارة VBOR" والتأمل فيها، وله أن "دكتوراه الدولة" في فرنسا أهون شيء، وأنه ممكن للكلا سفيف العقل أن ينالها نيلًا بسيئًا، كما نال هو من مشترق التبشير في "برستون" تلك الورقة المخزية الخاضعة التي مكنته أن يسعي في مصر "دكتورًا"! (1) ما أعجب هذا "الشرتان" السفيف العقل! إن "دكتوراه الدولة" في فرنسا، فإن أن يقتدر على نيلها إلا كل من استحكمت أدوته، وبلغ مبلغًا يؤمن أن يكون في صفوة

(1) انظر ما سلف من 78، تعليق 1.
الضّفّة يمن الممثّلين. وهذه «الدكتوراه» هي التي تأقّل حاملّها أن يَدْرّج في
مّدرّجة أساتذة الجامعات. أما «دكتوراه الجامعة»، فلا تؤثّر لشيء من هذا. وإذا
ظَنّ هذا المسّكن، وهو خليّق أن يَنظّم ذلك، ويجعله حجّة لم يحيط به مّمن
لا يزال يحسّن به الظنّ غفلة وجهلًا. إذًا ظَنّ هذا المسكّن أنه ميّكّن أن ينال أرَّؤ
دكتوراه الدولة»، في الأدب العربي، من فرنسا، بأسرّّ معه بنال «دكتوراه
الجامعة» في أي شيء آخر، فقد ظَنّ ما لا تحمد عقّاءه، لأنّه يخرّجه من عداد ذوى
العقل السّلامة، وإن كان قد خرج من حدودّهم مئات المّرات، كما أسفّّّتّ بيانه
في مقابلات بالبراهين القاطعة.

أوقاتًا، إذن، أني صادقّ كل الصدق، حين أستخرّج من كلّم هذا المخلوق
صافةً نسبه، فأخذّلته في وجهه بلا مبالاة! وليس بـ إرادته إهانة، فإنه أشبه شيء
بما قال الطّطاح في هجاء بني أسد:

لو كان يخفي على الرّحشمي خافياً
من خابه، فخيفت عنه بني أسد.

والذي يقول فيه القائل الطّطاح:

قلت لـما رأيت في قصور
مشيريات ونغمات لا تُغاب
ربّ، ما أبين النبائين فيه!
نشيرٌ عامٌ وعقل خراف!.

وأما الذي أريء، فهو الفُخصّ عن حقيقة هذا «الشرتّان» الذي بقي خاملًا
الدّكر، لا قيمة له عند أحد من الناس، حتى جاءت صحّيفة الأهرام فينشائه من
حمأة الخمول والكذّارة، وأزّمت الناس قراءة اسمه، وممارسة خذّابه، أسوأًا بعد
أسبوع، مع ما فيه من الفوائد المّنكرة، سوى هذه «الشرتّان» المغضوحة.

و «شرتّان» أخرى، في نفس المقالة! فإنّ هذا «الشرتّان» المسّكن، ظَنّ
نفسه كاتبًا، فقدّم في صدر مقاله كلمة محفوظة بالرّموز، فذكر «طرودة»،
و «أحس»، و «أجاكس» و و «ميسا» و و «أغلى» على ميدان دُعوّي، هو، على طويل
كذب وإدعاه، الشاهد الفردُ عليها!! فهذا المسّكن الذي يُدعى العلم باليونان
والروم والقرن الوسطي والقرن المتأخر في العصر الحديث! هذا المسكن شبه مئذنياً به، محاصر طروادة، وشبيه نفسه بجاكم، وزعم وما أكدبه! أنهما خرجا معًا في صباح الحياة إلى قصر الزبة أيضًا! ورأوا تستعفر الله من ذكر هذه المظاهر الأخيرة، وخطها بالقلم! فإن الله قد عفا عنهم من عبادة الأوثان! وخلعنا من أعناقنا رفعة العبودية لغير الله الواحد! الذي لم يلد ولم يولد! ولم يكن له كُتمًا أحدٌ.

وعلَّم سمح ما كتب هذا "الشرالتان" من الرمز، ومع "قلة" احتكالي لهذا الشخّش اليووناني المشتدد الذي يلأجأ إليه بعض المغرورين في بلادنا! ومن أن هو لعلني أن يتزعم من شرف عريته إلى خسائس اليونان وخارطة أتباعهم! وابنائهم الشربين وغير الشرعين = فإن قد استحسنت أن شبيه نفسه بجاكم، لأنه طابق بهما الرمز كثيرًا مما ذكرته من صفاتهما في سلسلة مقالاتها، ولكن جاها بحا رمزًا، وشكتها صريحة وعلانة، لأسباب ستنعرفها! ولولا أن هذا "الشرالتان" يعنى "الشرالتان"! ولولا أنه مشعوذ باسم اليونان! ودرب اليونان مفتوح الشعوذة! ولولا أنه قادر في آداب الفرنجة بنفس شخّش العقل الذي يقرأ به آداب العرب! من أبي العلاء! إلى بدر شاكر السباق = لولا ذلك لم يرَد قبل أن يرمي إلى شخصه المهتر! أنشد الاهتزاز بجاكم.

كان "أجاكم"! كما صوره هوميروس في شعره! مخلوقًا شديد البطش! خارج القوة! متهور الجرارة! كانه ثور هائج محتشمل للنزال في عقبات مصارعة الشراب! ومن كان له بعض البعض بشعر هوميروس! علمًا ما يعني أنه شجاع جريء! شديد البطش! ولكن بلا غلق ولا حكمة! فإذا شفنا أن نفير ما ألقي على لسان هذا الشرالتان في تشبيه نفسه بجاكم! علمًا علمًا يعني أيضًا أنه قد أصاب التشبيه! وعلمت أن علماً يعني أيضًا أنه قد أصاب حين قلت في صدر المقالة الثالثة! أن هذا الشرالتان يخرج على الناس! كانه بطلًا باتجاه عليه أبهية الأفكار الميمون! الطائر! إلى الناس في كلامه راكباً حاضنًا! الشمال! وعلى "أبهية المحارب (أي سلاحه)! على رأسه الخوذة! وعلى بدنه من فوق رأسه إلى نصف ساقيه! سابقة
أجاكوس الباليوناسي، ليس إلاّ نورًا باطنًا بلا عقل، ولكن شجاعة أجاكوس انتقلت عنهُ تهوّرًا مجزأً، وشادّة بطشه، صارت فيه حقدًا تبدّأ في شخص بقرة ثلاثين عقدًا. وقوّة أجاكوس ليست لهُ مثّلًا إلا هذه الشرائلة التي ينتسب بها عقول الأطفال المركبة في أبدان كبيرة السّن، حيثُ يدّمّر حفظ المفردات والأسماء وبعض الصور، فيستدلّها في أثناء كلامه للتقويض الحرج، وليلقبها على أسمائها ليبهّرهم! وقد عوقب أجاكوس بعد قرون طويلة جدًا غبائيًا شديدًا جدًا، على ما كان من فجوره في التنوح وشفك الدماء، ففَصحت صورته في سمادي هذا الشرائلة أجاكوس القرن العشرين! وإذا كان أجاكوس قد حاصر طرودة القديمة، فإنّ مشيخ أجاكوس (بكسر الحيم وسكون السين) قد توجّه أنه لا يزال يعيش في عصر ما قبل العقل!، ونقوّه أنه جاء في جيوبه من أثاثه ليحاصر «طرودة» أخرى في هذا القرن.

ومن الشخّص أن كشف عن حقيقة «طرودة» التي يعبّرها، ونقول إنه يعنى «ديار الإسلام»، و «تاريخ الإسلام» و «أدب أهل الإسلام». وإذا كانت طرودة الحديثة، تفرّع من مثل هذه المکشوف فيما يتّوعم بـ «أجاكوس عوض»، ونخشى أن يصبحوا تحقيقًا ما قال، حيث قال: لا بدّ أن تُذكّر، ولا بدّ أن تُحرق كما احترقت طرودة في القديم!، فإنّها لا تكون عندنا إلا كما زمّر إليها، فلا تكون عدنان سوى قريبة خمسة في البلاد اليونانية لا أفقًا صحيحة الكيان، بريئة من الدُّنس. وإذا كان من ذهب في «الخلوة المشهودة تحت أشعاره الدرد عند الشَّالَل.
بكاميردج، قد أُوحى إلى أن الذي كان بعد هزيمة "عرابي" وتأخير العالم المسيحي الأول في عهدنا هذا، وأن هذا "الأجاكس"، اليسوعي، سوف يقف في مؤتمر مثير تحت مظلة بيت أُمّ قائم. كما وقف القسيس زويمر تحت مظلة بيت "عرابي"، ليقول هو يومه ما قال القسيس المبشر المختل عقله: "أنا كنت فترة الإلهية قد دعتنا إلى اختيار مصر مركز عملي لنا، لنسرع بإنشاء هذا المعهد المسيحي، لنتصور الممالك الإسلامية". إذا كان قد أُوحى إليه مثل هذا فصدا، وي채ع أنه مصداق بما أُوحى إليه، فإنه يكون فقد فقد كل ذرة من العقل، يكون بها معددا في أبناء أدم عليه السلام.

أيض هذا المسكين أن أُدرك على الناس بعض ما يقوله للشاب، وقد أخذ صورة الوعاظ البروتستانت في وقتها، فما عدا بين رجليه، عادل به وراء ظهره، وهو يطعن أنه يخطب الأجيال الصاعدة: إن الليمين قد تحرَّك، ولابد للناس من وقفة بدفع بها حركة اليمين، ولو أدى الأمر إلى خلل "السلاح" في الطرق! (1) "والسلاح بالطبع هو "الشوم"، و"العصي"، و"أغصان الأشجار"، وسيف أي خيِّة النميري" الذي كان من خشب، و"المعلم يعقوب"، أجاكس العروة الفرنسية في عهد نابليون!! ما أسفه هذا الإنسان الذي يرفع عنه القلم، أي الذي لا يحاسب على ما يقول!

أبحث هذا الخلق العقلاني الذي يخفيه وراء الرموز، أن أفتح للناس من الملك "ميادس"، الذي أرسل من خزائه ما يراه له من سماد المخمورين، فيرى جبالاً من الهواج، وخصائص الحشرات، منها الخنافس، والعقاب، والحيات الصغرى بحجم الكف، والجعابين الذهبية؟ ومن الملك "ميادس" الذي زعم أن مديوراً ناداة وهو في شاش الموت وقال له: يا أخرى، البس دروعك، وتأهب لنخرج معًا في غزوة جديدة عظيمة، ونطلب في هذه المرة الملك ميادس نفسه، ذا خربة.

(1) هذه الأفكار تكاد تكون في نفس أفكار لويس عوض، قالها لبعض الشباب في جلسة جمعهم به في إحدى المكتبات المعروفة.
لا يتم ترجمة نص المقال إلى الإنجليزية.

الجعوارات الذهبية الكثيرة ؟ وهو بلا شك لا يعني ، كما فسر ذلك بعض من
لا يعرف الأساطير اليونانية ؛ لأنه عنده من الأسراب التي أرسلته طروادة الجديدة :
بعد أن نصبت منها الرجال !! أما "ميداس" ، وسأبقى الرمز رمزا كبيرا (1) فهو
الذي يُغصى الطرف عن أمثاله ، ويدعهم مزيفين من قوى الأثثة ، ويصبر عليهم
صبرًا جميلًا طويلًا .. وإن كنت أنا أرى أنه قد أساء في هذا الصبر ، لأن ضروبهم
ينبعدون إلى جماهير الناس .. وكان خبرًا مذكورًا أن يشدد جموعهم ويوحدهم في
مثل ملاجئ الرغبة وذوى العاهات !! ولتبقى إرزاقهم كما هي موفرة مكافحة ، فإن
الرقق حق للعباد .. أما إلفاق العقول والتقوس .. فمن نبتة المستوى عن الوعي أن
يجتبها فقروه ذلك وعوائله ..

ومع ذلك .. فإن "أجاكس عوض" .. قد فشل .. ما يعني بطروادة .. 
الموت ، ذات الأبراج السوداء .. والأمور العالية .. فقيل : "هذ الناحية السوداء ذات
الأبراج الكثيرة ، والأمور العالية .. هي الروحية .. يا صاحبين .. ( ما ألقه كانا
وانتفقا !) .. ثم أعاد بيان ما هي "الروحية" .. فقال : "هي روحية الفكر .. وروحية
السياسة .. وروحية الفعل .. وروحية النظم الاجتماعية ..!! وكذا قال !! أو يظل هذا
الخفيف ظل أن لو كان الأمر كذلك .. وأنه كان صادقًا في تفسيره المبهم للروحية ..
كان عندئذ محتملا لكل هذه الرموز التسخينة التي جلب بها لنا العيان في صدر
كامله .. إذ "الرمز" لا يؤدي به لمثل هذه الكلمات القائلة .. النحوية المعاني ،
وإلا يجري به ليبقى في صور متعددة منداخل ، يكون "الرمز" كمخففي لها .. ليدع
النفوس تنسحب أكمل عدد ممكين من الأفعال .. يحدث لها أكمل عدد ممكين من
المعاني .. وإذا كان هذا "المثقف" بثقافة "الخلوة المشهودة تحت أشجار الدردار
عند الشلال بكامبريدج" .. لا يعلم هذا .. قلت شعري مذاا يعلم عن "الرمز" ؟

لا حل لهذا المشكلة "الأجاكسة" الجديدة .. إلا بالرجع إلى معنى
الشرلونان كما يثبت .. مخلوطا هذا المعنى بصيارة "التيشير" .. و "الاستعارة"
بما أسفلت البيان عنهما .. وحسب أن تعلم أن هذا الدعء المكتوم على الموتى ،

(1) لا ، بل عنى بالملك ميداس رئيس الجمهورية العربية المتحدة يومه في سنة 1965.
المحتال، لم يكن فكره قطع حين لقي مندوزًا، كما زعم، بفرنسا (سنة 1938، 1939)، إلا في التفاؤل باليونان وغير اليونان كما ذكر ذلك في مقالة، ولم يخطر بالله قطع أن بلادنا يوحدة. كانت تؤمن بأن سيغني المحسن التي نامت بلادنا! ولكن من يستطيع أن يفزع أن هذا الإنسان قادر على أن يشعر بشيء، إذا كان هو باعترافه في بلوتوند وقصائد أخرى، ظل ما بين العشرين، إلى الثاني والثلاثين لم يقرأ حرفًا واحدًا بالعربية، إلا عناوين الأخبار في الصحف السياسية، وبعض المقالات الشاردة، أثرت الضرورة السياسية بقراءتها، ومع ذلك أنه لم يكن يعرف شيئًا عن بلاده وما يجري فيها من سنة 1935 إلى سنة 1947، حين وضع الحبل في عمقه شقيقه البانس المسكين التالف، سلامة موسي، وزوجه إلى المجلة اليهودية التي كانت تنشر في مصر باسم الكاتب المصري، كما يتبث ذلك في المقالة السائدة.

[فائدة: ولد هذا المنسق لوس عوض، أباكس، في قرية شارونة، بمديرية المنيا، في 5 يناير سنة 1915، وقضى سنوات طفولته في الخرطوم، حيث كان أبوه موظفًا بحكومة السودان. فأحضر على هذه اللينكة التليفية، فإنها مفيدة إذا أنت أحسنت استعمالها!!]

فإذا كان ذلك، كما حدث هو عن نفسه، صحيحًا، وهو صحيح بلا ريب، فحذئي ما الذي كان وثبة بعد عودته من تحت أشجار البارد في عند الشلال بكامبردج في سنة 1940، إلى سنة 1947؟ وأي شيء كان يحتفي من مثقف (!! كذا والله)، ظلًا لا يقرأ حرفًا واحدًا بلغة بلادنا سبع سنوات هي أيضًا من أفضى السنوات في تاريخنا. وإذا كان فدى في العشرين من عمره (سنة 1935)، فقد انقطع عن متابعة الأحداث الكبرى في بلاده إلى سنة 1947، فأي شيء يستحسن هذا الفن في سنة 1965، أن يفزع يكتب، (بعدما وقف يلتئم على تلال أورشليم)، وهو يكتب عن أبي العلاء ودراسته على الريان!! (،) فيم يرفع أنه خرج هو ومندور: في صباح الحياة إلى قصر الزي أثينا، صانعة الدروع، لتتصنع لنا دروع الفكر، وتملاً جماعنا بسهام الحرية. وفي صباح الحياة عدنًا مغا لنا محاصر طرودا، مدينة.

(1) انظر ما سلف ص: 36.
الموت، ذات الأبراج السوداء، والأبراج العالية» ويعمَّ أن خاض ألف معركة ومعركة، وأنه نازل الأبطال، وصارع الأهوال، فله بحن عزم، ولم يكسر له إرادة، وحتى في الأيام الخاسرة، خرج بشريف الندوب!! أو كما كتب (أعني: أو كما قال !!).

أي معارك خاضها «أجاكس عوض» هو ومدور، منذ سنة 1940 حين عاد، إلى سنة 1947 وأي شيء قرأ لمدور منذ سنة 1940، إلى سنة 1947، إذا كان هو قد شهد على نفسه أنه لم يقرأ في تلك السنوات حَرَّفًا واحدًا بالعربية؟ أم ترى كان مدور يكتب باليونانية ونحن لا ندرى! فإذا صح أن مدورًا كان يكتب في تلك السنوات باليونانية الرومية أو اللاتينية فقد صدق!! وعسى وعلل!! ولكن هذا شيء لم يُحَظَّ به علماً، فهو عندما كاذب حتى يأتي بالدليل الذي يصدّقه!!

والكاتب، كما يقول العامة: ليست له أرجل!! فهذا الكاذب الكسيح الذي يحرف في أعمدة صحيفة الأهرام، ويُجرِّن «أجاكس عوض» على كتابته، ويتوَّلِّي حياطته من وَكَلُّ إليه أمر الإشراف على هذه الصحيفة، شيء غَبَّ جدًا، وبارد جدًا، لو تلاه تال؟ على مريض قد أُعدَّ لإجراء جراحة، لأغناة عن «البنج» ولقد هذا «الشيخ» مقام «البنج» خير قيام!! وإذا، فماذا عن هذا «الشرلتان» المتخصص في تجليد «أجاكس» نافعًا نفعًا ما، وعنى أن يندبرها بعض الأطباء، فإن صنف العمل بها، كان فحصًا مبيئًا في عالم الطب، وكان مضادًا لزَمَم من زعم أن بعض الأطباء لها خواص المادة، ولكن أختتم لنفسى بفضل السبق إلى افتراض هذا الفرض، فإذا صح أن كلامه مخّر شديد المفعول، جيد التأثير، نافع للجراحات، فأرجو أن يجعل لي «نيداش» نصيبًا من الذهب الذي يدره هذا الاكتشاف الجيد في عالم الطب!! وأنا مستعد كل الاستعداد، لأن أتقم بعدني لطبب جراح، ليس في فيه مبضع، وأنا أسعد هذا البدء المتواصل على تفشي من كلمات «أجاكس عوض»، وأرجو أن لا أقول: «حسن»، ولا «بس»، حتى تتم الجراحة بالنجاح المرموق إن شاء الله!!

***
ما الذي يحمل المرء على الكذب والتلفخ والإدعاء؟ أهي فطرة تغلب عليها الكذاب؟ أم هي نقيصة يجدها المرء فريدةً أن ينشرها بالأنفاس التي تحملها على القارئ أو السامع؟ أم هي جهد في الخروج كحل خوارج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو؟ في الخروج لا تثبيط منها إلاّ هو?:
كما أنشئ عن ذلك بعض البيان في المقالة التاسعة، وبحميد الله وشكره، ليس في الحقيقة إلا ضربًا من الكذب، كما قلت، ومرة أن يرى ذلك واضحاً مكشوفاً رأيه في "رموز" أجاكوس عوض التي افتتح بها مقاله، فإنه لو كان كما زعم أجاكوساً حقائقه باسمه، لسوى ولم يُسر في "رموز" اللغة، مع جمهور بحقيته هذه "رموز"، كالذي أوضحته من سقم تصوره لصورة "أجاكوس"، كما جاء في أساطير يونان القديمة!

فالحمد لله الذي برأنا من "رموز"، كما برأنا من الشرك به، وباعد بينا وبين أساطير اليونان، كما باعد بينا وبين إخضاع الأنداد، وترهبنا عن الكذب، كما ترهبنا عن الثعبان لغيره سباحانه، وتجيبنا الجبن، كما تجهينا البلدان لتطغيوت من طوايف الإنسان والجبن، فالحمد لله حمدًا لا يبلغ الكيل مئاه، ولا يدرك اللطف غايته.

وأنا بعد، فقد كنت أوشيك بحبل القلم، أن أقرأ في "أجاكوس عوض" مع أسباكم له من ذوى الضغائر الشديدة، فمن أتبع في القلم ستارًا، لنفث شمسه في الناس عن طريق الصحافة، لا في صحفته الأهرام وحدها، بل في كثير من الصحف، ثم أدل على أن هذا كله تابع لحركة التشهير التي استناد تشاعرها واستناد في هذه الأيام، وإن هذا "التشهير" مقترونا بأمور سياسية شديدة الخطير، تهدد العالم العربي والإسلامي (1)، ولكنها تأتي متزامنة تحت ضروب من الربيع، تسمى أحيانا مقاومة "الرامية"، وتسمى أحيانا أخرى "القاطرة"، وأخذت الكذب مدرجة إلى غايته، وسأكون إن شاء الله صريحاً، لا أرموز، وأطرخ "رموز"، لنستيقضها من "كله الرموز"، مثل البطل الصديق "أجاكوس عوض"، فهم أهلها، وهم أولى بها منا، بلا من عليها في الذي نطرحوه لهم من "رموز" تعافيًا.

(1) لم يمض على هذا التحذير كثير، حتى كانت نكبة 5 يونية 1967، ومع ذلك فأننا أعيد القول، بأننا نعيش في غزالة مطبقة على غزالة 1، وانتظر ما سيأتي من ص : 351، ثم ص : 382، تعليق رقم 1.
 رسالة

المحسب : 10 من صفر سنة 1385
من أشد الغفلة أن نعيش هذه الأيام المظلمة بأعين مفتوحة وقلوب مغلقة.
فالقلب إذا أغلقت الأبواب على تبصرته، ولم يُغْفِض يُنْبِثُ، وينغز إلى أعماق الحوادث العظام التي تُحيط به من كل جانب، كانت العين بعد ذلك أداة مجهزة من الإحساس، مكفوفة عن النظرة واللمس، لا تكاد تدرك مما ترى وتصير سوى التواريخ الحذاعة. وعندئذٍ يصبح الزمان خطانا من الساعات والأيام، وركاماً من الشهور والأعوام، وتصبح الأشياء كلهاء صمٍّ واحدًا، وتُبطئ متشابهة، قد خلا من الروابط، وغُزِّي من الأسباب. وإذا بلغ الأمر نبا هذا المبلغ، فقد يكون من أكبر الجهل أن يُفسِّر هذا غفلة، إنما هو ضربٌ من الموت يصيب الحجى، وينقله إلى أخذ مُظلم لا ترى العيون، وهو بعد مُقيم على ظهر الأرض يُشعى أو يتحرّك أو يتحكَّم. من هذا الذي طَمَّس الله على تَصِيرته، فعاش هذه الأيام، وهو لا يرى الدنيا من حوله بحرٍ رجاءً يموج بآحادٍ متلاطمة، تضرب شواطئ البلاد العبد والمسلمين بأعمال الجهل من لمَّا، ومن هذا الأعين المكفوف عن رؤية النار المتضمرة، وهي تتحضر، ومن حولها شرار الكهنة يفخرون في كبر لا يُبَدأ، (والكبر، متلاطمة الندى)، ليؤذّنوا شغاليها حتى تتوُّج هم هذا الترثى الذي أظهر به الحريق والغرق، وهو لا يجد ما يقله إلا ما يقلذه له سائر من أفاظيّ مشوهة العقل، تائفية في بدايه الخفلي، وهو يظلُّ أنَّه مميز عن نفسه أحسن الإبلة؟ فمن هؤلاء وراء عيون وقلوب يعقولون أو يصرعون! (1).

إذا كان هؤلاء قد صاروا، فما قادَر الله من قدَّر؛ وهم الذين يؤولون اليوم قيادة

(1) كتب هذا كله، كما أشرت إليه ص 347، تعليق: 1، في يونيه 1965، وكان الإعداد لللكنة بجري على قدم وساق حتى وقع ما وقع في 5 يونية 1967.
جمهور الناس بسلطان الكلمة المكتوبة أو الكلمة المسموعة، فقد صار واجبًا على من لم يطمح اللحن على بصيرته، وعلى من لم يقدر الله في عيني، وعلى من لم يرسل الله لسانه العقل ليبتليه بالثورة، أن يغفر عن نفسه أغلبه الصمت، لكي يتكلم ويكتب ويبين، بما وجد إلى ذلك سبيلًا. وقد رأيت ذلك واجبًا على، لأني عشت أكثر من أربعين سنة، وأنا أُجده هذه الحياة التي أحاطت بي منذ ولدت، وأني أُتبت أن أقبلها على علائها، لأني منذ بدأت أعقل ما أنا فيه، رأيت أن أنشأ في قطيع يُسلّم إلى المجردة وهو فرح بها نسواً، رأيت مجتمعًا يُلْتِجُّ وهو ينتشل عن كل تاريخه الماضي، بخطاطيف قد غلقت بلحبه، تجذبه من هنا وهناك، لا تكاثر تذكري الأمس، ولكنها على ذلك خطاطيف، كنت أجمد مغزولاً في لحمي، وأحترق جذبها في وجداني، وومتُم فزعها، فرعت قُوَّةً لا يُطْلِبهُ القُلُوبُ أن يُصوَّرُهَا في أسطُرٍّ.

رأيت يومذن «ذنوب»، المبخر الخبيث الذي تولّى قبل مولدات «وزارة المعارف»، يتعرض لأعمى تخطيطًا كاملاً بهدم كيانها، وليبر وجوهها، وتركها رمزة تتتحرك في ثياب زاهيًا من الغرور والشغف. رأيت يومذن هذا السيطان الماكر مماثلًا في كل علم تعلمه، وفي الأسلوب الذي فرض على أن يفند بذا العلم، وفي الهدف الذي يرمي إليه إنشاء جيل من «المثقفين» لا يمثلون شيئًا سوى الغرور بأنهم «مثقفون»، في أفقًا من «الغوغاء»، يخجلهم أنهم هم أصحاب الحق في التعبير عنهم، وهم أصحاب الحق في تعليمهم، وهم أصحاب الحق في قيامتهما والتحكم في مصيرها. فما رأيت جيل «ذنوب» صوابًا فهو الصواب لا غير، وما رأيت حقًا فهو الحق لا غير، وما رأيت خطًا فهو الخطأ الذي ينبغي أن يصحح، وما رأته باطلًا فهو الباطل الذي ينبغي أن يزول!

ويوم بدأت أعقل، كان «جيل ذنوب» قد انتشر واستوى على سوّه، وتولى هذا الجبل تعليمه، وصار له رأيت ظاهرًا في سياسة بلادنا، وانجر الأمور انفجارًا بعد ثورة سنة 1919، ووقع النزاع بين الفكرة الصليبة التي تسكن في قلوب الشعوب، وبين الثقافة المحتفلة التي تضرب على الأعين غشاوة، وعلى القلوب سدًا صفيقاً
من الجهل والغطرسة. بيد أن هذا الصراع كان مفهومًا على غير وجهه بومهن، لأن مهارة المستعمر، ودساته الخفية، ومكزكة البعيد الغور، جعل ظاهر الأمن صراعًا سياسيًا محضًا، أي صراعًا بين أحزاب تريد أن تتوحّل الهجوم تحت سلطان هذا المستعمر، مع أن هذا الصراع في الحقيقة كان صراعًا بين حضارتين، طال بينهما الصراع دهورًا طوالًا: كان صراعًا بين أرض العرب والإسلام، وبين أوربة المسيحية التي صارت لها الغلبة في الأرض. كان صراعًا بين العرب ودينيهم وأدابهم وثقافتهم وبين أعاجم أوربة ودينيهم وثقافتهم.

وكان عمّ «دنوب» ومدارسه، وما يمثله من قوى التبشير والاستعمار، هو أن يحوّل إلى صفته عن طريق «الثقافة»، أوعاً من أهالي وبعضهم وأبناء أبي وأمهم، ليتكفلوا بتبشيرهم، ويحاربوها بالكلمة أهلهم وعمرتهم وأبناء أمهاتهم وآبائهم. كان عمّ «دنوب» ومدارسه، أن يشقّ الأمّة بشقين: يشقّ يدوز في ذلك ثقافته، كما يريد لنا أن نفهم ثقافته، وتغطى هذا الشق كلّ أساليب بقائه من احترام وتقدير وتعني وسلطان ويهزّ بفتن العيون وينهك متحجر في «ثقافته»، يتشكل فيها يومًا بعد يوم، وتلقى على هذا الشقّ نبأ كلّ «تخلُّف» و«جهل»، و«ضياع» و«بوسي»، مؤبّاً ذلك بسّد كلّ الأبواب الداعية إلى بقائه فتشبّت جملّ احترام وتقدير وتعني وسلطان، حتى يتمكّن الشق الأول من قدّر كلّ يوم بما ينال له من مهجّمّ تزدايجًا جروماً تزرف، حتى يّهالك صريعاً متحفاً، قد أنقله الجراح فلا يطيب أن يتحرّك، ثم لا يملك بعد ذلك إلاّ أن يستسلم، ويركّب الرّمام للشق الأول.

من هذه العجلات الخاطئة التي أكثّها بغير تفصيل، والتي بنت في مقالاتي الساخنة بعضّ ملامحها الظاهرة في تاريخنا الحديث، كالدعوة إلى العلماء، وتحقير تزدايج العرب، ومحاولة بث الرموز اليونانية والمسيحية في أدانا، والإغفال الماكرو في الطعن على ماضينا أهله: نجاتهم وتاريخهم وعمرتهم وثراعه في هذه المعجلة الخاطئة، استطاع أن أقول للقارئ إلى حين بدأت أكتب، لم يكن من مтен أن أناقش انجكس عوض في انتظاره التي جمعها من كتاب جروسي الشهير في
تاريخ الحروب الصليبية، وكتاب ستيفن رنسان الشهير في تاريخ الحروب الصليبية، وكتاب الأستاذ داوني في تاريخ أنطاكية، وكتاب بريطة للأستاذ ليفتشينكو!! وماذا كتب فيه من ذكر «المصادر العربية المعتمدة» التي أخذت للمعزز وعصره؟ كما قال في صدر المقالة الرابعة من سماه: «على هامش الغفران». إن «أناجي عوض» ليس شيئًا ينقش! هكذا قلت لإخوائي الذين طافوا بي بفنانينًا، بجحّونى على الخروج من مغزلتي، وعلى حمل القلم بعد طول هجوعه، قبلت لهم: «إنني ما زلت عاقلاً يؤخذ من قوله ويربط عليه، إنه شرانتان يضحك، لا مفكر يحسكون!» [ص: 11]. قلت ذلك بخبرتي له منذ وقتٍ عينى على كوميديا المضحك، التي سماها «بلوتوثند وقصص أخرى»، من تأليفها، والتي كنت أراهًا مثلًا طبيعيًا جدًا! للهُتل في حالة تأليف!! أي أنه حُتلًّ يُؤثَّف، وترجع لنفسه، ويكتب نثرًا، ويكتب شعرًا أيضًا!! وعُمِّت من مكاني أبحث لهما عن هذه العجيبة التي هي «بلوتوثند وقصص أخرى» ليايعوها، فليس الخبر كالعبان، كما قبل في المثل.

فلم لم أجدُه، قرأت مقالته الرابعة كلهًا. وكنت أقصر على قراءة الجهل المكتوب بالخط النسخ في رأسها، والذي فيها ما لم ترديه من البث، حين ألقُل «الصلبان»، وهو النبت المعروف، بالصلبان، وهي بجمع صلبي في شعر أبي العلاء. فإذا قرأت، لا إنسانًا أحد الخيل أعضاه كلهًا، بل إنسانًا أعضاءه نصفها قد صبعت من الخيل، وإذا قرأت اسمائه (وهو ما يرادي للمخمور) قد أوحى أنه أنفر زرعين قد جاء بعد قرون طوال، ليقول للذين زرعوا الصليبيين على أعقابه! هنا! لا تنظروا أنتمهم هزائم الصليبيين يومًا ما، أن بها الحق، فإنكم في عنونكم مجدد كتم تحت أقدامى، فإن «الباسم فوكاس» كتب بكياً متهماً وجههن خليفة بغداد، شرح فيه برنامجه العسكري الصليبي كاملًا، وجعل فيه بأخذ دمشق، وهي مسكن أسلافي، والاستيلاء على نصيبهم، والمصول، وحراز، والجزيرة وبلاد الدليم، وعلى مصر، التي ساءت خبراتها أسلافي لي، والويل لكم يا سكان الصحرا، عودوا إلى وطنكم صنعاء، وهو بلدكم الأول، عودوا إلى الحجاز، واتركوا لنا بلاد الإغريق. ثم ترجع نبرته ارتفاعًا فاحتشاً يقول: «سأسير...
إلى مكة، ومن بعدها أتجه إلى القدس، سأفتح الشرق والغرب، وسأنشر في كل مكان دين الصليب !!

ومعروف بالطبع، أن الأمر لم يكن «بيانا ملئت وجهة الباسيل فوكاس إلى خليفته بغداد !! بل كانت قصيدة سخيفة قالها مأمون صلبي يقول له «الباسيل فوكاس»، مكتوبة باللغة العربية !! ولكن الفارس الصليبيّن «أجاكس عوض» كان يتحدث عن نفسه بلسان «الباسيل فوكاس»، وزين له غوروده بعد ذلك كله أن يسعى هذا الهراء: «ما نفيستو» صريع الأغراض والخطة، وأنه، كما كتب (أعني: كما قال) «يعد في ذمة أكثر المؤرخين البيزنطيين للحروب الصليبية !! وهذا هراء آخر. ثم يقول بعد ذلك الذي ساءه «بيانا» أو «مانيفستو»: قد كان ينتظر أن يكون له رداً فعل قوى !! ولكن التاريخ لا يذكر «رداً قولًا» على بيات فوكاس، إلا رسالة وضعها قبلي في طشقند، اسمه القال، يرد بها على دعاوى الباسيلوس فوكاس، وهي رسالة دينية تقارن بين العقائد. ومعلوم بالطبع أيضًا، أن هذا كله جهل وسوء أدب، فالقلاع أحد الأفكار الذين لا مكان للمقارنة بينهم وبين شيء من عظماء مفكري اليونان، فضلاً عن هؤلاء المشخّش البيزنطيين، كالباسيل فوكاس، وسأكشف خبره حين يأتي ميعاده. والذّي كتبه القال، إنما هو قصيدة ردة بها على هراء فوكاس، تشليك وضريّاً من الفكّة، لا رسالة دينية تقارن بين العقائد !!

فلمما قراءت هذا الهاء كله مصوّباً في زرع عمود من «صحيفة الأهرام» وعلمت ما وراءه، وتتبنت أشدّ بينه في سائر المقالات، راجعت لفسي، وتساءلت عن حقيقة هذا الإنسان «أجاكس عوض»، فعلمت أن له سلطان عي على بعض المغربين به، المخددون بالورقة التي منحها إياه إحدى هيئات التشير في «برنسون» !! وما أدرك ما برسون !! فقدروت عزمت على تزك كله ما كان يحمل بيني وبين الكتابة، وعزمت على أن أكشف عن حقيقة ما يجري في بلادى منذ عقتل، إلى أن كان «أجاكس عوض»، ثم أضع هذا «الأجاكس» الجديد في موضعه من الحرب الصليبية الدائرة اليوم، لا في ميدان القتال، بل في ميدان الثقافة والفكر والاجتماع.

(1) انظر ما سلف: 78 ; 338.
فمن ظلّ بعد ذلك أنى جئت أناقةً «أجاقس عوض»، فقد أخطأ النصّور، إنما جئت لأكشف عن ثياب الفارس المتحرف، التي كان يخفيها تحت لفظ
«الدكتور».

ومع ذلك، فقد أراد الله أن يحقق هذه الصفة التي استنبثتها من مجرد قراءة ما يكتبها «أجاقس عوض»، والتي كان بعض الناس يشكّك فيها، وظنن أن قد جمعت مهاراتي ليكي أبيض عنها، لا يشيء أكتب أنّا، بل يشيء يقال فيه ما يجري في المثل العامي: «مسكوا فروع بخطة»! فقد أراد «أجاقس عوض»، أن يشيع زميلي محمد مندور بيرئاً مثقفً، فكتب في صحيفة الأهرام (الجمعية 37 من المحرم سنة 1385) كلامًا يضجّ فيه رموزًا يونانية ويجعلها، فزعم أن مندورًا كان هو «أخيل» هازم الطرادة، وشيءٌ نفسه بأجاقس. وقد زعمت أن «أكلاً الرومز هذا» حين شبه نفسه بأجاقس، دل على جهل من ناحية، وكشف عن حقيقة نفسه من ناحية أخرى، ولكن مع ذلك طابق بهذا التشبيه كُلّ ما وصلت إليه من نتائج في تحليل «أجاقس عوض».

فإن هوميروس، كما قلت، قد جعل «أجاقس بن تلاموم» وهو «أجاقس الكبير»، بطلًا من أبطال الإغريق، إذ بأيًا شديدًا، وقوة عارقة، وعدة ملتزمة، ولكنه مسلوب العقل والحكمة، إذا رأى الدم نار فلم يقف له شيء، وشيءه بالاثب في النشيد الثالث عشر، وبالخنجر المنفصّل في النشيد السابع عشر. ومن كان يحسب قراءة ما يقوله الشعراء، عرف أن هوميروس حين صوّر أجاقس في ميادين القتال إنّما صور وحنًا وفاغًا في الدماء مصوبًا في مشلاع إنسان. كان ثورًا إغريقيًا بلا عقل، ولذلك كانت نهايته أبشع نهاية، وذلك أن ما تلل أنى أخيل، واجتمع القوم يتقاسمون أسلحته النفسية، أغطيت هذه الأسلحة لأوليس. فهاجت معر أجاقس بن تلاموم بالحقد والعداء والجوى، وظلَّ جوهره يحترب، فلمما جنّ الليل، هاج به جنوده، وخرج من عقله جفنة، فانطلق بلا عقل، فرأى قطعان الضأن المجلوبة، طعامًا للجيش الإغريق، فْعة أعداء، فراح يضرب فيها بميّا وشمالة، طمعًا وضرارًا، حتى وقعت على جنودها مُضربة. فلمما ذرّ قرن الشمس، ذرّ في جمعة هذا الثور،
الإغريقي شعاع من العقل، فأخذ السيف وبقر به نطقه (أي شقة)، فهلك غير
مأسوف عليه!!

ولكن علني أن يقول: "أناكم عوض، لا، لم أغني هذا النور الإغريقي"، وإنما عنيت الإغريقي الآخر: "أناكم الصغير، فأنا لا أستحسن هذه الأبقة وأبرأ من هذا التشبيه! فهو نطقه: "لعنكم ونغمة عين، (أي نقرع عينك بذلك)، ولكن هل يذلك هذا إلا جهلًا بمسير "أناكم الصغير"؟ فإنه في ذلك ما ملكه على جنونه حتى هجم على معد إلهته "أنيما"، منقضّاً على "خندوره" المتباهية، حين لجأت إلى مذبحةها، فحقّ جنون "أنيما" وضبعت عليه غضبها، فلاذ منها بالبحر فلمما كاز يفرق أنفده "بوزيوس" ووضعه على رأس صخرة ثابتة، ولكن "أنيما" أمرت "بوزيوس" أن يفقح الصخرة من تحت قدميه، لأنه دَعُّ حرم الإلهاء بعدوناهه، ففعل، وأرسلت هي عليه صاعقة محرقة، فهلك أغنياً محتقناً، كما أثروا في أساطيرهم. وقال بعد ذلك "أناكم عوض" آخر بينهما ما شئت، فكلاهما تثور إغريقياً شديد البشش، ولكنه زائع العقل، معروف المصري!!

....

هذا تفسير "الرمز" الذي أراده لنفسه "أناكم عوض"، ولكن لماذا اختار لنفسه هذا "الرمز"؟ لا يستطيع أن يقول إنه فكر قبل أن يتخطره، لأني أعلم أنه لا يستطيع ذلك، وإنما أتيت "الرمز" على لسانه، ليكشف عن حقيقة هذا الآدمي الذي يعيش به بيننا، والذي يكتب، والذي به زعم أنه نازل الأطلال، وصارع الأهل، فلم يلَه عزم، ولم تتكرس له إراده، وحتى في الأيام الحاضرة، خرج بشريف الندوة!!، إنه "رمز" جاء كالألهام، ليكشف لنا عن حقيقة هذا المحرق الصليبي، وبحدد لنا مصيره.

إن "أناكم عوض" منذ كان طالباً في كلية الآداب، في قسم اللغة الإنجليزية من سنة 1933 إلى سنة 1937، لم يزل هو، بل زاده أستاذته أمثال فرسن، وسكيف، ودافيص الأجرج، ويفيو، وسواهم، = وهم رجال معروفون وأحقادهم الصليبية، وبأسمائهم في المختصات البريطانية = زاده هؤلاء غزوراً وملاءه بأوهام
يعيش بها، حتى أرسلوه بعد ذلك إلى «كلية الملك» بكارمدرجة من سنة 1937 إلى سنة 1940، وهناك كان ما كان، حيث "عاهد النخجوة الغريبة المشهورة على حديقة مسمر، في خلوة مشهودة بين أشجار المردار، عند الشلال بكارمدرجة"!

هذا مختصر تاريخ "أغاجس عوض"، بلا حوائش، بلا زينة، ولا دكتوراه!

وهذه هي حقيقة صورته التي تلتقي عليها تجاهتته، والتي من أجلها اختاره من اختاره، ليكون، فيما يوهدهون، خليفة للتأليف القديم، والبمر المحرق، والذي لا يزيد عقله كثيرًا ولا قليلًا عن عقل "أغاجس عوض"، المعروف عند الناس باسم "سلامة موسى" و"سلامة موسي" هذا هو الذي وضع الجمل في عقب حين اختياره، وجهته من خوئمة الخنجل والتفاحة، إلى الظهور في مجلة الهوية المعروفة باسم "الكاتب المصري"، وذلك في سنة 1946، 1947، (1) تمهدل إلى إعداده للمهمة التي يباشرها اليوم، وهي مهمة "المثير الثقافي" في صحافة الأهرام!

فقد الأسمكين لا يزال يرتدي له أنه هو "أغاجس"، الثور اليوناني القديم، وأنه يحارب في حصار "طروادة"، وأنه سوف يدمر "طروادة" ويحرقها بيديه، فكان أغاجس هذه السماوية التي تفوق راححها حقدًا معتقلاً في ذنان الجهل والغور، لم يزل يلقي في كل شيء، يكتبه منذ "بولتوند وقصائد أخرى"، أنهم يكلمون بألفاظ شديدة، نظرية للدم، ولكنها تستدعي في ثوب من الجبن والذنليل أجلهم، حتى يندفع بها من لا يحسن أن يحل "الرمز" الحبكة المنتشرة في كلامه.

وقد كشفنا من قبل عما يستره في "بولتوند"، ولنكن بعد ذكر من كتابي جاهًا يُبُرِّق، وتورع، ويضرب الأمثال اليونانية، مستترًا باسم "محمد مندور"، لقول "خريجنا معًا في صباح الحبكة إلى قصر الذهب أتينا، صباحة الدروع، لتصنع لنا دروع الفلك، وتملاج جماهيرنا بهما الحرة. وفي صباح الحبكة عدنا معًا لحناصر طروادة، مدينة الموت ذات الأبراج السوداء والأسوار العالية. هذه المدينة السوداء ذات الأبراج الكبيرة، والأسوار العالية، لأبدًا أن تدمر، ولا يد أن تذكر، كما احتقرت طروادة في القديم". هكذا قال ! ثم قال بعد قليل : "ولكن طروادة الجديدة، بعد

(1) انظر ماسفل من: 115 و442.
أن نسب منها الرجال، غدت ترسل علينا من أبراجها السوداء، أسرائيًا من الخفافيش، ومن طاقاتها وكواها جيوبًا من الهوام وخميس الحشرات، ومنها الخنافس والعقارب والحيات الصغيرة بحجم الكف، والجماعرين الذهبية التي خرجت أفواجًا أمانًا من خزائن الملك ميداس، وهو عدوًا لا يقبل لأحد بنه في معارك الرجال.

مع الرجال، وليس في سلاح الرئة أنتما ما يصلح لقتال هذه الهوام».

ما طروادة الأولى، وما طروادة الجديدة؟ طروادة الأولى، التي زعم كاذبًا أنه خرج هو ومندور لتدمرها وحراقها، هي مصر العربية الإسلامية، فيما قيل سنة 1952، وطروادة الجديدة، هي مصر العربية الإسلامية أيضًا فيما بعد سنة 1952. فأبى كذاب يستنجد هذا الكذاب، أجاكس عوض، أن يذيع أن له شأناً يذكر أو يذكر في إزالة الفساد الذي كان في مصر العربية الإسلامية فيما قيل سنة 1952؟ أي كان هذا المزعج الفاجر الناس؟ وبأي شيء قائل؟ وأي عمل كان له فيما قبل سنة 1952؟ يستطيع معه أن يقول: إن قد جاهمت في سبيل تحرير البلاد من الطغيان والظلم والفساد؟ إن الثور اليوناني القديم، أجاكس بن تلمنو، كان محاربًا فائحاً لا ترويه المعارك، ولكنه لم يكن كاذبًا. أما أجاكس عوض، فشيخ أجاكس بن تلمنو الذي يعذبه بالدخول في مشاهده اللطيف، فكلَّفه قرة وبأمه في الكذب، والشرارة، وسواء الخلق وعراشه، (أنى شامتة؟)، ولا حرب ولا معارك، إنما يحارب بالذكاء، ويدخل معارك بالخادع والتفنّع والتداول الأجواف، على ما يدهب مدرّبه تحت أشجار الندراد عند الشلال يكامردرج، لكي يكون مبشرًا جامعًا لصفات المبشر وأخلاقه.

وأما طروادة الجديدة، وهي مصر العربية الإسلامية، التي هبت فيما بعد سنة 1952، فإنها مدى هذا الكتاب كيف أرسلت عليه من أبراجها السوداء أسرائًا من الخفافيش، ومن طاقاتها جيوبًا من الهوام والحشرات؟ ومن يكون هو حتى يُمَئى طروادة الجديدة تفسها، لترسل عليه ما شاءت له سماؤه، أن يقول؟ أهو أجاكس عوض؟ إن ليقيت في شوارع القاهرة، وفي جماعة شباب المسليحة، وفي الجامعة الأمريكية، وفي مواضع لا أحبها، رجلاً ونساءً من أصقق خلق الله.
وجوهًا من المشرين في ثياب قمس، وفي ثياب علماء، وفي ثياب مفكرين، وفي
ثياب مستثنىين، ولكن لم أُقَل في أحد منهم على هذا القدر من صفقة الوجه!
ولاَ سلاحة موسى* بلحمه ودمه! وإذا قال أحدهم شيء من هذا، فإنما يقوله
مخافًا به بين شعبه ومن يقع في حالته من الشباب. أما أن يقوله علانية، وفي
صحيفة كالأهرام! فهذا شيء فوق طاقة ما يملك البشير من صفقة وعارة!

أبتُل هذا المتكدِّب على الموتى، أن مندوزًا كان ممكنا أن يكون في مثل خفة
عقله حتى يقول له في وصيته وهو يحتضر: «مدينة الموت، ذات الأبراج السوداء
والأسوار العالية، ( يعتن طروادة الجديدة، أو مصر العربية الإسلامية فيما بعد سنة
1952)، لا بد أن تذكَر، ولا بد أن تحرق كما أحرقت طروادة في القديم، إذا كَن
أن تقتربهما كثيرة من حولكم الهواء والأشباح.» ثم يقول هذا المضطرب سائل
عقله: «ليت لي ميزة مثلك وسط الطعان!» ( يعني ميزة مُنذورة). أبتُل هذا
المسهك المحترق أن مُندوزًا كان يلبس تحت ثيابه سلاح صليبي محترق، حتى
تكون هذه وصيته وهو يحتضر؟

**

وفيما يقول هذا الكلام، بهذه الجرأة، بهذه الرعارة! أيقَل أنه يعلم أن تآمر
الأمة العربية المسيحية وذوتها من أنباء صهيون، قد أن أن يحقق ما يصب إليه؟
أبُتُل هذا المُناكَن أن إقامة العالم الأوروبي المسيحي على إعداد غزو شاملي للعالم
العربي والإسلامي، ( كما ينبغي ذلك من الوثائق التي تنشرها الصحفة التي يعمل هو
فيها مبشرًا ثقافيًا )، (1) يمكن أن يؤدي إلى تحويل «طروادة الجديدة»، وهي
الجمهورية العربية المتحدة، فهذا أن يصبح هو إلى فضل مذكور، بأن يجعل نفسه
هدفًا حقيقًا منبعًا، أو محاصراً شديد البأس والسسطرة لا تملك «طروادة الجديدة»،
بعد أن نضب منها الرجال، إلا أن يرسل عليه أسرابًا من الخفافيش، وجيلوًا من
الهواجوم وخبيثات الحشرات! أحمدًا تصدر عاقبًا مذكور، ثم تصدر منفية من أسوار
البيمارستان! 

(1) كان من طلائع ما أَشُر، أما أصلنا في يونيو 1967.
وأما "المملك ميداس"، فإنني كنت قد تركت حلّ رمزه إلا إشارة عابرة، ولكن قد حللت رموز أكل الرموز "أجاكس عوض"، فمن غير المستحسن أن أدع حل رمزة، ولكني أرى أن أحسن وجه لحل هذا الرمز هو أن أقصر القصة، وأدع للناس تفسيرها. وذلك أن "ميداس" كان ملك فريجيا، خرج يوما فلقت إياه (!!) يقال له "سيلين"، وجدته نائما، فلما استيقظ سأله أن يعلم الحكمة. فذكر له "سيلين" أمر مدنتين، إحداهما يقال لها "أوسيس"، وهي مدينة مسالمات تقليد، والأخرى يقال لها "مماخيموس"، وهي مدينة محاربة جارية. كان أهل المدينة الأولى سعداء، فإذا جاءهم الموت جاءهم بين ألحان الغناء ورقصات الضحك. أما الأخرى، فكان الوالد منهم بولد مديجحا بالسلاح، وتميل أرواحهم على طلب السيف. وكان شعب "أوسيس" وشعب "مماخيموس" يمذدان سلطانهما على ممالك واسعة متراحبة الأطراف، وكان لهما غنى لا مثيل له، وأرضهما نقيضي ذهبٍ وفضة، حتى صار هذان المدينان من فقرهما بمنزلة الحبد عد سائر الأمم. وخرج أهل مدنتين يوما ليئزوا طائفة من البشر يغدون Москحة عدّة من على الأرض من الغابات. فلما جاؤوا رأوا بوسا مهلكا بعدد أهلها سعادته، فانقلبوا راجعين إلى أرضهم، وعلموا أنهم بما هم فيه من الذهب والفضة أسعد أهل هذه الدنيا. فلما سمع "ميداس" ذلك، أحب أن يكون له من سعادة "أوسيس" و "مماخيموس"، ونصب "سيلين" أن يسدي إليه يداً، ويتخذ عنده صنيعة، فلا يعدهها بدء إلى شيء إلا انقلب غشدة (أي ذهبا). فلما كان ذلك له، لقي الغنث، فإنه لم يمضطن طعاما ولا شرابا إلا صار غشدة، حتى بلغ منه الجوع والعطش وكاذ بك، ولم ينفده إلا أن استرد "سيلين" ما وهب. وتمت فيه "ميداس" أنه خرج بعد ذلك فائلاً في الغابات حتى وجد نفسه على جبل، وإله هذا الجبل يقضي بين "بان" و "أبولون". في نزاع كان بينهما، فقضى إليه الجبل لأبولون دون "بان"، فثار "ميداس" لأنه رآه هذا القضاء غثاً فاحشاً وجوساً، وأعلن أن هذا حكم جائر. فجتن جنون "أبولون" ومسح أدوات "ميداس".
فصارا أنذر حمار! وارتاع ميداس! وليست خفائرًا يتدلى على جانبى رأسه، ليست ما ابتلاه بـ "أبولون". ويهدن أن لا يعلم ذلك عنه أحدٌ، إلا أنه، فإنه اعتمده على سرته. وأنذر إذًا ناه به أن يربر على النمر، فظفر السر في قلب الحلاق البانس، وأعياد طويل كمتهما، فبرز إلى الغراء، فاحتفر فضيئة في أرض بعيدة على حافتها يبرغ نبات، (و البراع : القصب الذي يتأخذ منه الزمرد )، ثم انكر على الحتفية وأدغى منها قفه، وسرّ إليها بسر الملك، وإن له أذني حمار، وما هو إلا قليل حتى جعل البراع إذا ما قطعته الربيع مرةً هنا ومرةً هناك، ( فيته الريح : أي جوءه بينما وشمالاً )، تغذى بسر الملك، واستوّهه الريح وعمر، تذيع الأسرار لا تكتم سواؤ، فف kako في الناس خبر أذني ميداس، وانكسلف لهم المستور من سرته!

و "أجاكس غوص"، أهلك من "حلاق ميداس"، لأنه لجأ إلى "الرزم".

و الرزم، أحيانًا أشد إذاعةً للأسرار من البراع والريح، ففي هذا الرزم قد كشف عن مكون سرته الذي في قلبه، من شدة بغضاه للملك "ميداس"، (1) وأنه يعد نفسه قريبًا له، يريد أن يقف على أطلال "طروادة الجديدة"، ملكًا متوهجًا، بنفس الجنون المطلق الذي تملك "المعلم بعقوب" حين انحاز إلى جيش نابليون، وأنشأ وقفة صادقة معه، تريد أن تزيل ملكًا يتوهمه قد بقي مطوقًا على أرض مصر، "أجناس"، فرقًا، فجاء هو ليره الملك، ويتوج على مصر ملكًا، له في أرضها الأمن والتهي!

وسل الذي يأكل قلب "أجاكس غوص"، ومن على شاكنته من ذمته التبشير، وضعه المنتشر في كل مكان، هو أن الملك ميداس قد استطاع أن يستمتع كلمته واحدةً من أقواس غواص كبيرين، كلهم "أجاكس"، كانوا قد ا卤نوها منذ سنة 1875 وما قبلها رفعة بدورهم بها في العالم العربي، ليشفى بشق عن العالم العربي الإسلامي، حتى جاء زمانًا، فكان في أرض العرب "أجاكس" و "أجاكس".

(1) انظر معنى "ملك ميداس" فيما سلف ص: ٣٤٢، تعليق رقم: ١.
و «أجاكس»، يريدون أن يعبروا في قلبه أعظم قبليّة مدمرة، أمّد فتانًا من لواحم المنغنيزة، التي تعمّى «أجاكس عوض» أن تنسب «العمي الكبير» وهو «بغداد»، كما جاء في تفسيره لشعر بدر شاكار السياط، الذي زعم أنه لا يقدّم تكيّب إليوت، بل يتماثله ويحتويه ويغذى به، بطريقة الأسمر، أو الانتشار الغشائي، أو كما قال هذا الشعران الأسمرى!!

أيَّ حقِّد ينبعث عن هذِه الإهاب المحيط بجثمان «أجاكس عوض»؟ فهو منذ كتب «بلوثوند»، وهو ينضِّح ضغينة متسلسةً راسخةً في أقصى غيب انضّح عليه بنيانه. منذ السطر الأول في «بلوثوند» ترى حقّدًا ينبّح نباح المسموع: «قدّا، مات الشعر العربي»، وهكذا وضع الصفة بين قوسين لتبنيه! ما أعجب حقده!!، مات عام 1933، مات بموت أحمد شوقي، مات ميتةً الأبد مات. انظر إلى ألفاظه، انظر إلى صرخات الجنون المتشفّق في تردد لفظ مات! و موت، و ميتة، ثم كلمة الأبد!! هل يمكن أن يصف هذا الشيء أحدّ غير ما وصفته؟ وهو لم يعود الشعر لأنه شعر، بل عاداً، وحقد عليه، وألقى عليه بغضاه، لأنه عريق، وأبان بعد قليل أنه قرش!! هذا المسكين البائس المحرق! لم يزل ينحّط في أحقاده وأضياءه، حتى قال: «والمحدنون ينسون أن النّلداني ( يعني شعراء العرب) كانوا صعاليك يتسكنون بين الخيام، أو في أزقة بغداد»، فهل تظنّ أن أكل رموز اليونان! «أجاكس عوض»، قد قال مثل هذا لأنه محبت للعرب!! دارس لأداهم!! أم تراها قاله وهو يفرّق من ضغاتهم، ولا يراهم إلا صعاليك يتسكونون بين الخيام أو في أزقة بغداد!! لا بالعين التي ترى بها هوميروس!! ولعلّه كان يعيش في القصور ذات الأبراج المشرفة، والأسوار المذهبة!! إن هذا الحقّد الأعمى لا يلد إلا الألفاظ المطبوخة البصر!!

فمن أجل هذا الحقّد المتلمّج في غيّب ضميره!، كل شيء ينذرغ من الوسخ فقد تلمّج!!، والذي يصبه على الورق صريحاً أحياناً، ومغطىً أحياناً، ومدسوساً في شنّايا السياق أحياناً أخرى، لم أرَّدّ فقط في الإبانة عن صريح تحليل لا ينطوي عليه «أجاكس عوض»، من عيون قادحة في أخسب الناس شأناً، فما ظلمّي بأدبيّ من
هذا النوع!! فرضت علينا مؤسسة الأهرام قراءته، وأناحت له ما لم يُتح لأحد من قبله: أن يتحالف في سطورها تحالف من قد تخطى الشيطان من المسار = وأن ينبي على تاريخ العرب وأدبهم ورواهم بيئة أفق أصيل وَكَانَ يَنْزِرُ بَلَدَانَ الْقُلم*، كما يقول العتيبي، فإن أرض العرب فظيَ في نفسه الظلم = وأن يركب مرساً أوجوداً الفن، فيتحدث في الشعر وفي غير الشعر بمسان ترتيحُ أفئذُه على، ويبعد بذَمَم العرب وشعر العرب بلا حياة = وأن يقدم إقامَة المستعينين الذي لا يبالي في فشأ القرآن بسوء أدبه وقلة حياته وتذوقه تصويره للمعنى = وأن يعمد بالمكر الخبيث البشع المستقدر، ليجعل إسراً رسول الله ﷺ ومعارجه، أسطورة مقيسة من أساطير البذاء اليوناني الذي يتعبد له = وأن يتأتي مهتمًا استهزاء الجبناء، محتواً أخْبَثْ التسمر، ليقول إن الإسلام قد أَضْفَى على نظمه المالية طابعة دينية، يجعل من اليسير على الحكام أن يتباؤوا بها uninterrupted أُهاذاً. وأخرى أن عبيد الإسلام أَهَل من «نظام كنسي» يحبث الموارد المالية التي تجيء باسم الدين عن السلطة السياسية!! وأن يختم جوهره في أرض «طرادة» مَشْتَرَا مثلاً، قليل الحياج، سبيل الأم، فيميلاً في مشالخ «أجاكس»، لا بدّ انهم المحارب، حاملً زوك أحاسيس، الذي كان طويلًا، وعشرين ذراعاً بذراع اليونان!! نافعًا بدقة، محرمة عنها، قاتبة ح름يقه، يهددون بأن سوف يدمر علينا طرادته الجديدة ويحرفها تحريًا، كما حرفت طراداته في القديم، طالباً «ميداس» ذا الجعارة الذهبية الكثيرة!! ما أسفه رامٍ!!

من هذا الطريق من القبو، عملت من الأسوار؟ من أجاكس غرق!! الذي يخطب علينا، ويبرد أن يُنْحِي وراء ألفافه وأسماه، التي يحاول أن يَرْدُدها في بعض كلماته، مكان ضيغته الدفين، وحقيقة جفده الغبي، ويظل أنه بذكاء بتبع الأسماء، قادر على أن يُحبج عن عيوتنا ما يبصري في قلب من نار، فإن أجاكس غرق!! ليس واحدًا، كما يدل عليه ما أكثه، ولكنه جمعية كثيرة، قد انثنوا في كل مكان، وهم يبطلون به إطلاق الوثني بالشمس، لا لأنه شيء في نفسه، بل لأن المدير الذي يدير هذه الدُّنيا، قد تجعلهم بمنزلة ليضلهم سهولة تحركهم في نواحي نشاطهم تحت ظاب يتحفون فيها، وهم جميعاً يستعدادون لوقت قد وَقعَنا له، ليتكملوا عرائشها، بما لا يُنْقَل فِه كَلاَمٍ أجاكس غرق!! ميلًا يذكرون، وليعملوا
يومًا عالٍ أُمِلٌ ما يقال فيه: إنه تحقيق كامل للسماح للتاجول في جمجمة أجاكس عوض. من ذلك أسوار طروادة الجديدة وأبراجها السود، ودخولهم يوميًّا معاقل طروادة الجديدة، بآفاق ثابتة، يخوضون في الدماء الخضر، والثوران، والأعلام الخضر، كما ذكر ذلك أجاكس عوض في خاتم مقدمته لبلوونندر وقصائد أخرى من تأليفه.

وقد قصرت هذه الكلمة على الفحص عن أمر دمته، وهو أجاكس عوض، ولكني سأنقل خبر كل دمته، وأكتشف عنه ما استطعت ولكن في إطار من بيان الأهداف التي يسعى إليها الذين يضمون لنا الشر، ويتهمون أن أوان الخلية علينا قد حان، وأن التاريخ قد أعدّ لهم صفحتين أيضًا ليستروا فيها لطروادة الجديدة، بعد تدميرها وخوضها، تاريخًا لا يذكر في اسم العرب، ولا اسم الإسلام، إلا بالنفيضة والمدح والثلب، وتيت بثدا أبي لهب وتبت.
علي أهلينا الجني براشين

الرسالة

الخميس: 17 من صفر سنة 1385


وضعاني: ما براغش، وكأنك لم تسمع بكلبة كانت لحى من أحياء العرب، كان بينهم وبين آخرين يزه، (أي ثار)، فأغاروا عليهم في بعض الأيام، وذروا بهم، فهرموا وقاتوا المغربين، ولكن تبعتهم براغش، فسفعت وقع حوافر الخيل، فجعلت تنبخ ويلعب نباتها حتى نبعه المغربون، فاستدلوا على موسم نباحها، فرجعوا يطلبون القوم حتى أحاطوا بهم، فاستباحوها. فضيبتها العرب، مثلًا لمن يعمل عملاً يرجع عليه وعلى أهله بالضرر.

ومعذرة براغش، فإنها كلبة لا تعقل، فإذا فعل فعلها من يطمح أن له عقلاً بها يدرك الأمور، فالأساطير مختلطة. فإن الدواهي إلى ارتكاب هذا المركب، لا تدل على الجهول وخفة العقل لزائده مؤثيرة، بل ربما دلت على ما هو أبعد من ذلك وأعمق، وعلى الذي هو أشع من الجهول وخفة العقل. ربما دلت على سرائر ركضها النفس في أقصى ضائرة، ثم تأتي ساعة تفضت بها النفس، فتنبأ، فتنفجر، فلا يملك العقل عندما أن برع من طغيعها، وإن كان صاحبها في ظاهر أمره ركيناً مكراً، ضابطاً لنفسه، فاذكر على سر ما يستمره حين، وأخشى أن أدخل في باب الرمز الأجاكسة وسمكه، وإنها لشيء تقيب، وأحبب شيء إلى أن أقول ما أريد جحرة، بل مداهنة ولا استخفاء ولا مداورة. بيد أن سياق الحديث يقتضين أن أوجه الكشف عما أريد، حتى يقع في مكانه من كلامي، فدعتها يتيه من تكون براغش الأخرى، براغش التي تدل على أهلها، وتجن علهم وعلى نفسها.

أما الآن، فمن الخبر أن نبدأ براغش الأولى التي دلت على نفسها، وجيزة على أهلها، منذ كتب بلوتولد وقصائد أخرى، إلى أن تدخلت بمنحوتة المهمدي، فيما كتبه عن رسالة الغفران، ثم جاء بعد ذلك ما جاء من كريه مساوياً، وخبث أقوالها وأفعالها. مرة أخرى، سأستبقي ما لم أكن له قط بمسبب: أن
انطلق عن شيء لم أقف عليه مكتوبًا على الورق، مطبوخًا في كتاب أو صحيفة، موجهاً عليه توقع صاحبه، أو شيء من الدلالات يقوم مقام المتوقع. لا أذكر هذا المركب لأني أحب أن أثبت رأي وأظهره بشيء خارج عقد في الصحف والكتب والمجلات، بل لأن سفاحة هؤلاء السفهاء، قد جاوزت كل حد، وبقت كل تقدير، وهي سفاحة مدمرة، لا سفاحة مرتطقة، قد اتخذها مملكة ذولًا إلى غاية يظهر أنهم بالغون، مما يرون من تهأومن بيوت زعمهم وتأديبهم، أو من إمتهانهم لهم ومدته لهم في الطويل، وهو الحجيل الطويل الذي ترتبط به الدنيا، لتعلو ما تزعج، ولكن في نطاق محذور. وقد يثبت مراً أن من وراء هؤلاء السفهاء شياطين قد تliğini وليستاً السيوغ في أدرة البشري، والاستعمار، وتراعهم كأنهم ضابط خاصون من الذل والعبادة، ضاععون من المسكنة والرحا، يلدونون بالجداران، قد تدؤبوا القفر، يراون الناس حتى يقال: هم قد لا أزولهم في غور الحياة الدنيا، ولا حظ لهم من حطمها، والحقيقة أن هؤلاء الشياطين هم الكهوف التي إليها يلجأ السفهاء. وإنما هذه منهم ختن ومخادعة، وإنما يتبكون حفاة، ويذرون الطاراة (أي يبترعون بالطيارين، وهو الشجر الذي يواريهم)، فنيًا للغيبة عن أنفسهم، وليكونوا في مأوى من الريبة والشلل، فالسابة رسمًا أفضت إلى اكتشاف سوءهم للناس، وهو أخرى ما يخافونه.

وعند هذه الكهوف تثبت أمور بآلي. لم أكن معهم، ولكنني أجد نقض هذه الحركة ظاهرًا في كل ما أقرأ وما أسمع. أجد في الصحف والمجلات، والكتب والأحاديث، لأن كهوف البشري قد اتخذت ضروًا وألوانًا من السفهاء تعالج لأدتها وأهداف ابن أها الاستعمار من كل صنف ولوان: منهم من يدرك لأنه مستواغ ميرو، ومنهم من لا يدرك لأنه لا يستطيع أمرهم إلا أن يقعد، ومنهم من يوسع أنه حيث يستميله الوجه، ومنهم من يخدعه في الطرق، ويعيش بها في الناس، ولكنهم جميعًا يعملون كأنهم يعملون على غير إتفاق، أدركه من أدركه، وجهله من جهله. ولو فعلت كهوف البشري غير هذا، وسلكت غير هذا المسرك، فإنها تكون عندنا، غير صالحة لشيء، وقد اكتسبت بطول الذرينة قدرًا على إحفاء معالم ما ترتبط به، فهي تعلق على الآثار التي تهدى إليها، فإذا أراد
أحد أن يتقن أثر الغادين إليها والراحيين، لينجد إلا الثرى الجفدة الذي لا أثر فيه للهلاوة أو هداية. وإذا أن كنت قد استطعت، وإذا كنت هما ما لم تكن، فأنا مكتوب هذا من قاِئل،أن أعرف مواقع الأقدام الذهبية والآلهة، وأن تسمع أصواتها، فقد أتراكِ على طول الإنصات لما أشتكى، وأختلف الأخبار إلى مرة بعد مرة، عن غير قصد من رأيها، وما ذُكرت عليه من ربط الحوادث بعضها ببعض بعد طول تمام. ومن أجل هذه يفزع من يفزع من مترهقة المبشرين، حين يرى قد أكثرت من إدماح بعض من أذكروهم في مكافحة التهور، قاطعاً بأنهم يقلبونه لا تنخفي عليه، ويبلغون فزعهم واستكازهم،يفزعهم واستنكازهم أعلم أابن أن قد أصبت بالظن ما لم أدرك أن اليتيمين حسن اليتيمين. وأن أدع هؤلاء لأذكروهم، فإنه وحدة كفيلة بإزالةهم المنزلة التي يستحقونها من الهولان.

أما أن أجاكس عوض صبي هؤلاء المبشرين الظاهر لأعيننا واسماعنا كابنًا ومكلمًا، وأشغاله الذين تتناول كشف مستورهم، وتعاطي صائحة الفرسان، وواضحة، في نسيته إلى ما نسبهم إليه من أصول يغتون إليها بنسب قريب أو بعيد.

ولكن، كيف يفهم أن نجد العالم العربي والعالم الإسلامي في هذا الموج الملائمة من الأحداث، تحيط به قوي العالم الصليبيين كله، وتأخذه من هذان، وتتهي من هناك، وتربن الفن في بلاده كله، وتتلمع على المكان الذي تشغله يlek إلى أسبار العرب والمسلمين من كل ناحية، وأن تميز عن جماعة بعيد وحيدة بهما مماسموة وغير مسمومة، ثم يأتي في هذا الوقت نفسه أفاق يتفقد (أي يُدعى أنه محقق، وهو لفظ جديد اخترعه لهذه المناسبة) فيحق فرصة موت زميلي القديم الدكتور محمد مندور، فيحق يخطب (أي يرسل الأكاذيب)؟ ندعم أن مندورًا كان هو «أخيل»، وأنه هو «أجاكس بن نايمون»، وأنهما خرجا في صباح الحياة (يعرف في سنة 1370)، كما ذكر في مقالته إلى قصر رمزه، وينبأ أن هذا القصر هو قلعة الاستعمار وكتيبة، والتيسير، هو أوربة المسيحية الصليبية، حيث أن نقيبة باريس سنة 1370. ثم ندعم أن رمزه هذه قد صنعه لهما.
وبرائهما كُلُّهَا، خيره وشره، فيما قبل سنة ۱۹۵۲.

ولكن lẽ لا يقتصر على هذا التاريخ الماضي، فإن كان كاذباً في ادعاءه ما لم يكن منه قط، بل يعود إلى التاريخ الذي تعيشه اليوم، فيشرّف نفسه صورة من الرموز، ويرسم لنا ولبلادنا صورة أخرى من الرموز، فديع على «طروادة الجديدة»، وهي مصر العربية الإسلامية فيما بعد سنة ۱۹۵۲، قد أرسلت عليه وعلى مدار خانفها وهماءها وخسية حشراتها من حرائر «الملك ميسان»، ويزعم كاذباً، إن شاء الله، أن مندوراً، وهو أخيل!!، قد استدعاه ويوحفر وقال له: "يا أجرى أجاكس، البس دروعك وتذهب لنهب لدى سوياً ( يعني: معا، ولكنها فضيحة!!) في غزوة جديدة عظيمة ( وتأمل هذا الوصف: عظيمة !!)، لنطلبه هذه المرة الملك ميسان نفسه ذات الجائعين الذهبية ».

ووبين لم من كان له أدنى حقٍّ، أن أمر «الملك ميسان» أهم عندنا من أمر «طروادة»، لأن «طروادة الجديدة» رهين بقاؤها بقاء «الملك ميسان»، فإذا ما عادا من طله طهرين مميتين، وأسالاً نفسه على نصال السهام وطيات السيفين، فقد سقطت «طروادة الجديدة» تحت أقدامهما راحة ذيلبة، ولم يبق إلا أن يحقق ما زعم من وصية مهرب وهو يحترض إذ قال له، فيما زعم هذا الكذاب: «مدينة الموت ذات الأبراج السوداء والأصور العالية لابد أن تدمر، ولابد أن تحرق كما أحرقت طروادة في القدم»، ثم يزعم كاذباً، إن شاء الله، أنه أوصاء أن يجمع كلاهيه وجوشه وفرسانه ليقول لهم: "يا ملوك أن تخطروا، مما كثرت من حولكم الهواهم والأشباح»، ويعني بذلك ما أرسل عليهما «الملك ميسان» من الخنافس والهواهم وخمس الحشرات!!

(1) أنظر ما يعني بالملك ميسان، فيما سلف ص ۳۴۳، تعليق رقم: ۱.
فحدثنا كيف يُلقن أن يتطلب العالم الصليبي الأوروبي كله اليوم على «الملك ميداس» وعلى «طروادة الجديدة»، وأن يأتي هذا المأمون في مشلا لثور إغريقية، فيتوجه نفسه «أجاكستن تلامون» فتؤدى فيما تريه سماحة أنه خرج بطلب «الملك ميداس» نفسه، ثم يريعه «طروادة الجديدة» ويبدوها ندمياً، فتُؤددها «أجاكستن عوض»: هذا يُشجعه؟ وما قيمته في الناس؟ وهو لو دخل قريباً من فرقة مصر ، وتكلم بقليل الذي يتكلم به، لغرق في بحر مما ترسله عليه أقوى الناس من شيء غير الكلام! وإذا كان هذا السفينة العقل يشك فيما يقول، فليحذرب.

ولكن السفينة العقل سفينة أبداً، إذا أفضح وإذا زمر، فهذا المسلس العقل، (وهو الذي يسيل عقله ويطلاقه)، المخلوقات النفس، (وهو الذي أصاب نفسه الهلاس، وهو داء كالسل)، خجل له ما برى، أو ما أُدخى إليه، من تأثب ديار الصليبيين الأوربيين على بلادنا وبلاد العرب والمسلمين، إن الأمر قريب سهل، وأنه إذا لجأ إلى الزمر، فهو قادر على أن يخرج من تبعه ما يقول بمهمته، لطبه أيضًا أنه متقشف ولقيته أن "الملك ميداس"، وشبهة من أهل "طروادة الجديدة"، لم يخرجوا عن أن يكونوا جماعة من الله الجهلة المحذوفة، الذين لا يحسنون شيء من الثقافة، ولا يستطيعون حل "رموز اليونان وأساطيرهم". وكذلك يتاح له أن يذهب إلى الكوفة المظلمة وراء أسرار أدبية "التبشير"، وإلى المقايخ التي يحبُوه على كرسها شبهه وأصحابه، فقول لهم: "انظروا إلى شجاعتي! آلا تسمعون؟ ألا تدركون؟ "طروادة الجديدة" هي هذه التي تعرفون، و "الملك ميداس"، هو هذا الذي يرهبون! ما أشجعني، ما أذكاني، ما أزعمني!! أنا أجاكستن عوض! هلرأيتم شجاعة كهذه؟ هل علمتم ذاكها كأنتم هم أصراعان رازى متحمسان! وسترون كيف أتحدد هذه الخناص والإمدادات فيضبحة على "الملك ميداس"! لقد قلت قديماً أشياء شنيعة وكتبتها، وكتبتها الخناص والإمدادات على ما كتب، فهل استطاع أحد أن ينالني بسوء؟

٠٠٠

ثم كتب "أجاكستن عوض" بجرته كلمة أخرى، كما وعد أصحابه، ودفاعها
إلى مطيعة الأهرام، لتخريج في صفحاتها الأديبية في يوم الجمعة، ولكن جاء ما لم يكون في الحسوان! أطلع عليها رئيس التحرير، فمنع نشرها، وخرجت الصحيفة بريئة من «أجاكس عوض». ماذا يقول لشقيقه؟ ماذا يقول لمن حزكه من رهبان!

» التبشير؟»

ولو كان هذا إنسانا عاقلاً لسكت، ولقلق ظهر يده وباطنها، حمد الله وشكره.

على أن وجد من يُمسك بيده حتى لا يُربى فشمخه في النار. ولكن ماذا تراه فعل؟

أحد تحرير المقالة من الصحيفة، واستودعها حقيقةً ذله ومعامل حقيته المسجية 
«فاعل شكاوى»، وأرسله يطوف على مجلس الشبيبة الفارغين ليفروها، وليبال إن 
«أجاكس عوض» لا يقل جرأة ولا شجاعة عن ذلك الثور الإغربي «أجاكس بن 
تلامون»، إلا أن «طروادة الجديدة» أبت إلا أن تضطهده، ولا سيما بعد أن أثر 
»أخيل» أن يقول: وداعا!! وترك وحده في هذه الحكمة الشقيقة، وتميل روياً لإلى 
أن يقول: وداعا!! كما جاء في مثبته المتمة بأساطير اليونان! لا فعل المسكنين 
ذالك؟ أريد أن يجعل ذلك رهبانًا ساطعاً على ما يلباسه في «طروادة الجديدة» من 
اضطهاد، ومن مصادرة لحرية في كتابة رأيه؟ ما شكره أن يقال: نعم!

يد أن هذه المقالة كانت تتضمن حادثة قديمة، حين أراد أحد كبار المسيحيين 
أن يُسلم، حتى يتمكن من طلاق أمهاته. وكان لهذا الخبر يومه شجاعة مشهورة 
ووترط مندور فكتب شيخًا باللغة العربية، وأقترح أن يحالي بينه وبين الإسلام لأساب 
ذكرها، ثم طالب بوضع تشريع شام للأحوال الشخصية، لا فهم ما في الدين.

(والذين هنا هو الإسلام بلا شك)، يسري في المسلم وغير المسلم على سواء.

فظن المسكيين، أنه إذا روى هذا الخبر من تاريخ مندور، ثم أتبعه بالتعليم عليه، 
وأيديه بايدًا ما، فقد بلغ غابة التحذير لخانقاً في빛ين وملك ميدان» وأن» أخيل» إذا 
كان قد وقع ومضى، فإن هذا الفعل ضرب من الشجاعة ينفرد به، وكان أصله 
النار في حراشى «طروادة الجديدة»، حتى تأتي الساعفة فتلميها النار وتُدمرها.

تدميراً! هكذا ظن! جملة لإنسان فيما ترى نوازير الرائيين، إلا أنها فارغة، 
مظلمة، كأنها «صالة صنيما» أعدت لعرض أفلام المسردات!
إن هذا كله سخف، ولكن ما معناه؟ فهذا فعل "أجاكس عوض" يومًا بعد يوم. ومنذ أشهر كتب عن "منتفع" آخر، يطاله "الدكتور زاهر رياض"، 1 ألف كتابًا عن الحبشنية وسماه "الإسلام في إثيوبيا في العصور الوسطى، مع الاهتمام بوجه خاص بالعلاقة المسلمين بالعديدين". ولم تتعذر ل كثير مما جاء فيه من البلايا والزراء، وإنما اقتصرت على ما يفنى في الدلالة على أنه هو أيضًا "صبي مبشي"، شديد الشبع بأجاكس عوض، وإن كان يقارن فيه هدوء الطفول، وخفة الخطوء، وملة النهور. وأوضح أن صبي المبشر هذا لم يستح، ولم يبال أن يضمن سياق كلامه طعنًا منزولًا من زعيم السيدชาย ابن إسحق الكسدي، حيث يعقوم أن رسول الله ﷺ إنما تعلم على راهب بقية له سرجيوس، فجاء هذا الأستاذ المبشر يدس في كلامه أن النبي ﷺ: "كان يباشر أهل الكتاب ويتعلم منهم"، أو كما قال (نهر المقالة الثالثة عشرة)، وأتى مع ذلك بحذاء كثير وسوء أدب، وحجم على تكذيب أحاديث رسول الله ﷺ، معتنًا على شيء لا قيمة له بقية له. 2 كبرانجست، وأحدث لنا فتاوى في ديننا بجهل، وسحرون مؤرخين المسلمين، وهو لم يفهم شيئًا مما قاله، بل كذب أيضًا فيما نقل عنههم، ورواه على غير وجه، ليضحكنا منهم بخفة دهش. ومع كل ذلك، فلم تكن تمضى أيام حتى منح هذا المبشر درجة "مساعد أستاذ"، بعد أن كونت الجامعة لجنة أخرى، عبر اللجنة التي رفضت أن تعد ما يؤلفه كتبا تدخل في نطاق تأليف الأسئلة الجامعيين! وكان الحق في شأنه أن يُفضل من الجامعة، ويختار بينه وبين إفساد عقول الطلبة في معهد الدراسات الأفريقية، لأنه لا يزيد على أن يكون مبشرًا ضالًا مع أدوات الاستعمار ووسائله وأراءه ودعواته، كما يتبين ذلك من قراء شيئًا من كتبه الأخرى، غير هذا الكتاب الذي كشفنا قليلًا جدًا مما جاء فيه. والصلة بين هذا الأستاذ وبين دفعة المبشرين "أجاكس عوض" صلة معروفة.

---

1) انظر ما سالف: 231-232.
2) انظر ما سالف ص 230.
ثم يجيء صبي آخر، تخرج عن كليه الحقوق منذ سنين، وهو من ماهر سامي يوسف، ذكرنا أمه في المقالة الثامنة عشرة (1)، فنجاء يشهد على نفسه أن ليس له إمام كبير بالأمور الدينية، وليس عده بالطبع أي إمام بها، لأنه غير مسلم، فيجيب أن رآى وكيل نيابة تشر كلمة في جريدة الأخبار، يطلب إعادة حكم الله سبحانه في محكم كتابه، يقطع يد السارق، فسر إلى الأسماذ الصاوي رالة يصف فيها هذا الحكم الإلهي بلسان سليم، بأنه انقضاض بمنطق السلطة والقوة الغاشمة على الفاعل، فيسوم صنف العذاب والانتقام ثمنًا لنشاطه الإجرامي، وبعدة تشريعًا لا إنسانية فيه، ويصفه، بعد مكر طويل، بأنه تشريعة ونحى. ثم ينعي أيضًا، في آخر كلمته، على من دمع أن القوانين المدنية أمر من أثار الاستعمار، ثم يخرج جونو فيختتم كلمته بقوله: “هذه وجهة نظرى أسوأها كما أراها، أوفق فيها بشدة الرأي الذي يطالب بإعادة تفعيل عقوبة قتل الرجل، بالنسبة للسارق” ، كأنه ينظر فعلا وحقيقًا وصداقًا أنه هو وجهة نظر، وأنه من أصحاب الرأى. وهذا الغلام السليم، يرى أكثر ما يرى أيضًا في أدبٍ (أجاكس عوض) .

* * *

ثم يأتي إنسان آخر يقال له: “سامي داود” ( وهو مشهور، ولكن سياق العبارة يقتضي ما أثبت )، فيتهنئ هو أيضًا موت مندوبي، كما فعل صاحبه صديقه من قبله "أجاكس عوض"، فقيل هو أيضًا على تلال أورشليم ليتكاب (1) ، وذلك في صحيفة الجمهورية (1385 من المحرم سنة 1939)، يقول ما نصه:

وكانت حياتنا الجامعية ( يعني في سنة 1939 )، وكان هو طالبًا في قسم اللغة العربية. فقد بدأ يتباهى الركود والملل، أشباح الرعية كانت قد بدأت تتشنّ إلى أجواء جامعاتها العزيزة، ممسكًا بأيديها غلالات قامه، تشتقل عن كل شيء. و بالطبع لا يستطيع أن يفهم هذا الرجل أنه يعني بالرجعية، ما زعمه جاكاس.

(1) انظر ما سلف ص: 372، وما بعدها .
(2) انظر ما سلف من الوقوف على تلال أورشليم ص: 344. التعليق : 1.
وعضو»، من أنه عني بالمدينة السوداء ذات الأبراج الكبيرة، والأسور العالية: الرجعية، وأنها هي رجعية السياسة، ورجلها الفكر، ورجلية المال، ورجلية النظام الاجتماعي. لا يستطيع ذلك، لأن مصر كلها على هذا الرأى، كانت تعيش في رجعية: في الجامعة وفي غير الجامعة، إنها تعني شيئًا بعيده، وصل إليه بعد أن تعب وأدرك ما لم يكن له فيه نافذة ولا جمل، كما يقولون، فقال:

وعلمت الجامعة من الحماس (وهذا المصدر أكسبه من دراسته في قسم اللغة العربية والصواب الحماسة). لم نعد نعرف من المعارك، إلا معركة تدور حول كتاب لبرناردو تقرؤه طلبة قسم اللغة الإنجليزية، فتأتي حجاج الرجعية (خذ بالك جدًا) تعتدي على كلية الأدب، وتقتسم مكتب عميدها، وتتهكم ما تستطيع تحطمه من آثارها.

وقيك بالمرء أن يكون كذابًا، وقديمًا كان يقال: «إذا كنت كذابًا فكون ذكروًا»، فالمرعة التي يذكروها سامي داوود = وهو إنسان مترفق جدًا، ناعم الملمع جدًا = لم نكن حول كتاب نكره لبرناردو. ولم يفرد بها هذا الكتاب وحده. فحينئذ أن نتقض القصة، ليقف القارئ على الروابط التي تربط هؤلاء الناس بعضهم بعضًا، على رغم ما يُفرز المترقب من سكان أديرة التبشير.

كانت كتابًا يدرسون معًا، في سنة واحدة، أحدهما هو: «جان دراك» لبرناردو، وفي سياق أحاديث هذه القصة، مقالة لرجل يقال له: كوشون، ذكر أن جان دراك كانت تبعث بكتبه إلى ملك الإنجليك، لكي يخضع لأمر الله الذي أوجيه إليها، فيعود إلى جزيرته، وإلا باء بغضب من الله، وأنها هي ستنزل عليهم غضبه ثم يقول ما نصه: «ألا فاعلموا أن إرسال هذه الكتاب عادة جري علىها قديماً محمد عدوى المسيح». ثم مضى يصف أمر هذه الفرنسية المتبعة فقال: «وبمثل هذا قام عريج جمال، فطارد المسيح وكنيسة المسيح، حتى طردها جميعًا من أورشليم، ثم مضى يضرب في الأرض، فيت، فيها الفزع والخراب، حتى إذا بلغ مغربها قام جبل الأبواب (وهي جبال البرانس) دونه، وقامت رحمة الله، وجلب بين فرنسا وبينه، فنجت من لعنة الله. فما صنع هذا الجمال العريفي في بداية أمره أكبر.
عندما صنعت هذه الفتاة؟ جاء لوحى من جبريل، وجاءها من القداسة كرتينة،
والقداسة مرغرت، والمبارك ميخائيل = وأذن في الناس بأنه رسول الله، وكتب
الكتب إلى الملك باسم الله. ثم يقول بعد قليل: "إذا والحمد لله الآن بخير،
فليس من الدنيا إلا محمد ومخدوعه، وإن الفتاة جان ومخدوعهها. ولكن كيف
يكون الحال، إذا خالص كُلُ فتاة أنها جان، وخلال كُلُ رجل أنه مخدود؟
ثم تأتي بعد ذلك أسطر قالها رجل من رجال القصة يقول له: "ورك"، فزعم أنه
هُجِ إلى بيت المقدس، ورأى بعض أتباع محمد ﷺ قال: "فلس أجهذكم من سوء
الأدب بالمكانة التي أفهمونها قبل، بل وجدت لهم أدبًا لا يفوق من بعض الوجوه عن
أديبًا".

وأنت هنالك شيء لا يثير سامى داود أو أجاكس عوض إذا سمعته أو قرأه ولكنه أثار
"الرجعية" أي المسلمين، ولكن هل كان هذا وحده الذي أثارهم؟ كلاً، بلا ريب.
كان فيما هو مقرر على قسم اللغة الإنجليزية كتاب آخر، لكاتب إنجلزي آخر
يقال له: "وثر سافيج لاندوري "واسمه "محاورات من الخيال". وفي الطبعة
المقررة على هذا القسم فصل كامل بعنوان: "محمد وسرجيوس"، يستغرق من
صفحة 187 إلى صفحة 201، وهي محادثة توهمة لاندوري، بين رسول الله
ﷺ، وبين هذا الراهب سرجيوس. ولا ينبغي هنا أن نقل من نصوصهما شيئاً، على
فتيح ما جاء فيها، ولكن هذه الصورة التي صور بها هذا الكاتب نبياً ﷺ، صورة
سنغفيه جدًا، لا معنى لها. وأمر سرجيوس أمر معروف عندنا من كتبه
عبد المسيح بن إسحق الكندي، وقد نقلته بعض من رسائله التي طبعها المبشرون
مرات عديدة، وكانوا يوزعونها في مصر مجانًا أيضًا (انظر آخر المقالة
الخامسة) (1) وخلاصتها أن هذا الراهب أحدث خذلاً أنكره عليه أصحابه من
المصاري، وأخرجوه من كنيسته، فأضقي إلى مكة ولقى رسول الله ﷺ، فلم يزل

(1) انظر ما سالف ص: 102.
يتميله، وتستنعي عنه نسطوروس، ولم يزل يخلو به حتى أمرنا عن عبادة الأصنام، ثم صبره داعياً وتلميذاً له، يدعو إلى دين نسطوروس. «تخريف لاندرو» لا تخريج عن هذه القصة، بل هي شرح مفصل لما يزعمون أنه كان كيف كان.

ثم في هذا الكتاب أيضًا محاورة أخرى بعنوان: «الكونت جلابيشيم، والكونتيس، وولدهما، و sưاد»، ولكن هذه المقاورة في طبيعة أخرى وقعت لبعض الطلبة، ودلمهم على بعض الأساتذة من سنين سيأتي ذكرهم، جرى فيها الحديث على لسان فلهلم ابن الكونت جلابيشيم (طبع مصممة ص: 276):

قال فلهلم: لنست طفلاً حتى أيّههم أن يفرّ فارس مسيحٍ من وجه متمدد تركي (أين مسلم) في المعركة، ولكن النصارى قد يستدان أحياءً بخيلهم وأحاتهم بكتابهم محمد.

وقول له أحدهم أنابلاً: «وأنا، وإن لم يكن بيّ وبنيك سوّى سنة واحدة، فليس يبلغ أيها الحمّان أن أصدق بوجود كلب يقال له محمد. وإذا صبح أن مجموع، فعندنا كلابٌ خير منه، وأكثر أمانة وأشد قوة».

قال فلهلم: مخاطبًا أباه: لا أراك أملك نفسًا في أضحك، إذا ما ذكرت ما يطول في رؤوس الغيتات من خيالات محمد! فنحن نعلم أن محمدًا ما هو إلا كلبٌ له ثلاثة ذيول كدبولي الخيل».

وأمضغ الله مما خط القلم، وصلى الله على محمد صالة طيبة نامية مباركًا، ولعن الله من يقول في رسوله أو في أحد من رسله مثل هذه المقالة. ثم نسأل هذا الادمي المعذب المسمى سامي داود أُرضي هذا؟ وإذا قلت: إن لم أكن أعرف! فقول لك: فما الذي أدخلك فيما لا تعليم، حتى ضربت نفسك مؤرخًا لفترة من الفترات التي عشتها في الجامعة؟ وإذا كان الذهول قد بلغ بك هذا المبلغ، وأنت تعمل في الصحافة أفتظت أحدى يأمثلك بعده ذلك على خبر تفقهه أو تزوّيه. ومع ذلك فانا أسألك: إذا كنت قد جعلت نفسك في كنمنك مؤرخًا، وجعلت نفسك
ممن كان يقوم شباب الجامعة، لتجمع الزعماء والذين يقودوا معارك الحرية، أعلم أننا نحن من الحقائق ما أكثر كلية الآداب وكلية الحقوق وغيرها، حتى جاءوا يطلبون بإلغاء تدريس هذين الكتابين = وأن أيا الزعم الشاب قد سميهم "غذاء"، جاءوا ليشتبكون مع طلاب كلية الآداب في معركة سخيفة تافية!! 

ولكن صحتك ، إذا لم تكن تذكر، بين فرض هذين الكتابين على طلب قسم اللغة الإنجليزية، أعرض أم تذكر أنك تعرف أيضًا، رجلاً كان يقل له "كرستوفر سكيف"، كان جاسوسًا بريطانيًا محترفًا، وكان شرطًا، كصاحب، وفتحاً سيء الأدب، وكان قد أمضى تجاوز لها "جماعة إخوان الحرية«، أدرها مشهور في محاكمات الثورة، وكان يختار من الطالب وغير الطلبة لهذه الجماعة شيعتها وأعوانها، وجعل للجماعة ظاهرًا وباطنًا: فالتظاهر أن أكثرهم ممن يحملون أسماء مسماة، والباطن لا داعي لذكره، فأتت أعلم به، ولا أذكر، إذا كنت قد نسيت أن أذكر بأن صاحب "آجاكس عوض" أهدي إليه كتابه "بلوتوند وقصائد أخرى" في سنة 1947. وهذا الرجل كان مثيرًا، وكان جاسوسًا محترفًا، وكان يقوم في الجامعة بعمل تشريئ سياسي في آن واحد، وهو أحد الذين فرضوا الكتابين، في سنة واحدة، على طلاب القسم الإنجليزى، هذا واحد.

آخرين، هو "فرن为您提供" وكان ناظرًا علينا في المدرسة الخيادية، وأصل أعلم به منك، وأعلم ما كنَّه على من الأتراك والشجود لا يرتكب بين طلبة المدرسة، وهو الآخر جاسوس مبشر محترف، وإن كان يظهر الركازة والبرامكة والصراعات، وهو أيضًا من أعداء "جماعة إخوان الحرية«، ومن الذين نشطوا فيها.

ثالث، وهو "دافيس الأعرج"، الذي كان يقول يومًا، لبعض طلبة قسم اللغة العربية، وأتت يومًا فيه: "أظنون أن قسمنا هذا كقسم اللغة العربية، يمنح الدكتوراه لكل من كتب كلمتين عن القرآن! يقولوها علانية بلا حياة ولا موارية، وهو أيضًا من الجامعة.

1 (1) انظر ما سلف ص 8، 12.
2 (2) كان منها لويس غوغو، وغيره ممن يسمع اليوم أسمائهم.
ورابع، يقال له "بيفن"، وهو معروف عند من كان يرتاد نادي الجزيرة، ويعلم عنه الناصر صلته بالمخابرات البريطانية، واشتراكه في كثير من المؤامرات التي كانت تُهاجم يومنا في بلادنا، وهو من الجماعة أيضًا.

أنذرك هذا كلهٌ أن تترك نسيته! وإذا كنت قد نسيته فلا تتضخّس نفسك مؤزّرًا، تشفّى باحتاجان الأخبار ثم سُقِّفها على غير وجهها الذي كانت عليه. وينبغي الآن أن تسأل نفسك: في أي أمر يقبل الناس أن يدرس في مدارسها أو جامعاتها كتابان فيهما من البداية والتعريف، ما فيهما؟ أو تظن أن رواج برناشدو، ليس فيها كتاب يستحق أن يدرس في الجامعة سوى هذا الكتاب؟ وهل تظن أن دراسة الأدب الإنجليزى في الجامعة المصرية، إذا هي خلت من كتاب "لاندور"، أصابها الخلل واضطرت ولم يُصبح لها معنى؟ وكتاب مقدمة النسخة المطبوعة في أكسفورد يعرف صراحة بأنه عند عامة القراء مجرد اسم، وأن المحدثين يغفلونه ولا يقدرونه حتى قدره، فما حاجة طالب مصري إلى مثل هذا الكتب؟ وما حاجته حتى يكون موضوعًا للدراسة دون سائر كتب الإنجليز؟ وما معنى أن يتضمن كتابان معًا، وفي سنة واحدة، طلعت به رسول الله ﷺ؟

وإذا وقف الطلبة المسلمون على مثل هذا البداية المكتوب، وعلى هذا الاتجاه المقصود الذي لا يمكن أن يأتي اتفاقًا باحال من الأحوال، فهل تراه مغدورين إذا نازوا، ورأوا أن الأمر قد خرج عن حدود الأدب؟ وإذا كان من كان قد اشترك في الاستجابة لطبعهم إلقاء تدريس هذه الكتبان، فهل يمكن أحدًا أن يؤده في امتناعه؟ إن قسم اللغة الإنجليزية، كان قسماً معدًا للتبشير الثقافى الصفيف، وكان معده لاكتساب مرؤجين للفقهاء بين المصريين وبين مستعمريهم، ولكن كيف أطالب أن تعرف هذا، وأنت لا تستطيع أن تتذكر شيئًا؟

* * *

وإذا شئت أن تعرف بعض ما أقول، فإنى محدّثك بأنك نشرت كلمتلك هذه في يوم الثلاثاء (24 من المحرم 1385، 25 مايو 1965)، وفي اليوم التالي ينشر من لا أراك تجهله، وهو الأستاذ أسعد حليم، وذلك في جريدة الأخبار (25 من المحرم 1385).
من المحرم 1385 ، 26 مايو 1965 ) ، وفي باب "في كلمتين" مقدمة للناس
خبرًا مهمًا جدًا ، عن موافقة مجلس اللوردات البريطاني على تعديل قوانين الشذوذ
الجنسي ، (1) وإباحته للبالغين الرشد !! فذكّر حفظه الله كتابًا يتحدث بصورة
غرية عن الشذوذ ، وعـدـه حالة من حالات الطبيعة !! وذكّر كثيرًا من الشخصيات
التي مارست هذا الشذوذ ، فكان من مذكّرهم "كتشتر" !! فأتى هذا المحقق
المؤرخ الكاتب فيقول : "هل تستطيع أن تصدّق المؤلف في كلمة عن "كتشتر" !!
الرجل الذي كان له دوره في السودان ، وفي مصر ، والذي أقيم مستشفى لتخليده
في شيرا !!

لحساب من يكتب هذا الكاتب ؟ وبأي قلب يكتب ؟ أصبح أن "كتشتر"
كان له دور في مصر والسودان ، يبلغ من النقاهة والصفاء والشرف ، واللغة ، والخلق
القومي ، والعدل ، أن يستكتر هذا الكاتب عليه أن يكون مصابًا بالشذوذ ؟ أيحسب
هذا الكاتب أنه يخطئ بـ"هـ" غافلين بهذا الكلام الصريح ، كما ظلّ "أجاكس
عوض" أن "طروادة الجديدة " وهي مصر أيضًا ، لا تستطيع أن تفهم ومضرة الخبيثة
التي يُلقّيها على الناس ؟ أصبح أن مصر قد أقامت مستشفى شيرا تخليداً لذكرى
"كتشتر" !! أم أن هذه كلها دعوة واحدة متروفة المصدر تثبت في الناس تحت ستار من
حرمز الرأي ، وحرية الاعتقاد ؟ أسلامك أبزر ، مثلا بعد مثلا ؟

إِنَّ هذا العبث الذي يجري اليوم في الصحافة ، وفي الكتب ، وغيرهما مما يقال
ويكتب ، شيء لا يتحمل . وإنها لأيام عصيبة نظرًا بالعالم العربي والعالم الإسلامي ;
أيام تقف فيها جميع القوى الصهيونية في العالم العربي ، لتنزل باً ضرّة قاسية ، (2)
وأقوى أسلحتها اليوم هي أسلحة الكلمة في الثقافة والدعاية بجميع ألوانها ، وهي
تُذْهِب لـها أوعانًا يبتُنون في كلّ ناحية ، ويعملون في كل ميدان ، وينفقون سموهم
بكل سبيل . فإذا غفلنا وأطْفَقنا وتركنا لكلّ حديث حوّية العبث بتأريخنا ، وبأدابنا ,

(1) انظر ما سلف ص : 327.
(2) نزلت القاسمة في 5 يونيه 1967 ، بعد كتابة هذا التذكير في يونيه 1965.
وبأخلاقنا، وبحاضرنا، يفعل ما يشاء، ويقول ما يشاء، ويتولى اختراع المناصب التي يكون للكلمة فيها تأثير في الشباب وغير الشباب، فقد جعلنا لعدوًا علينا سلطانًا يضعب الإفلاس من قضيته إذا أطلقت علينا.

وواجب كله أمرئ أن يبتعد هذه الأقول والكلمات، وأن يربط بينها، وأن يدل عليها من يستطيع أن يعبر عنها، أو من بيده زمام من الأزقة هو عليه مؤمن. فإن الأمر إذا انتشر بهذا التهاؤل في مدارسنا، وفي بيوتنا، وفي شوارعنا، لم نأمن على ذلك يأتي نحتاج فيه إلى جمع الكلمة، فلا نجد سوى الفُرقة. وقد كشفت ما استطعت عن بعض ما يربط «أنطeks عوض» بعض شيعته التي تعمل من ورائه، وبالتبينون الذي تبع منه آراءهم، وبالهدف الذي يسعى إليه «التبشير» و«الأستعمال» من بث هذه الآراء. والحياة اليوم ليست لهؤلاء، بل هي حياة مضطربة شديدة الغوايل، مخوفة الدقائق والساعات، فمن أخذها بجذوره فقد نجا ونجا الناس، ومن فُرط في شيء من صغير أمها أو كبيره، فقد هلك وأهلك الناس.
ليس الطريقي هنا كاب

الرسالة

الخميس : ١٤ من صفر سنة ١٣٨٥
إني لأجدُ حقيقةً على أن أشعر أشياءً، أنا في نفسى غنى عن تفسيرها لأحد.
ولكن الكاتب معلقًا بقارته، فإذا أغلق أن يجعل قراءته على مثابة من طريقه، كان خليقًا أن يصبح فيه بينهم سدًا مضروبًا، يعوقهم عن إدراك حقائق ما يقول، أو يتركهم في اختلاف يقطعون عن النفاد إلى الغاية التي من أجلها يكتب ما يكتب.
وكم من كاتب في هذه الأرض، على اختلاف ألسنتها أهلها، قضى عمره يستصفى للناس عصارة تجاريته في كلمات، ثم خرج من الدنيا وكأنه لم يقل شيئًا، ولم يكتب شيئًا. ثم يأتي على الناس زمنًا، فيجدونه قد أيرى ذمته، وأدرك الناس أقصى حقهم عليه، ولكنهم ذهوا عنه، وأغفروا أنفسهم من الأناة على فهم طريقته أو أسلوبه، بعفوةً قاتلة في يده عن نفسه، أو لعلةً قائمة في أنفسهم، حالت بينهم وبينبذل الجهود في متابعته، وفي تفضيل الوجهة التي يحملها كلمه، فلم يأخذوا عنه إلا أنهون ما يقول، وأقرب ما يرد. فمن أجل ذلك، ومن أجل الأمانة التي أجذب أحيالها، ومن أجل أهل وعشرتها، وجدته حقيقةً على أن أشعر شيئًا، أحسى أن يؤدى ترك تفسيره إلى الإخلال بحق هذه الأمانة.

يوم بدأ أكتب هذه المقالات، وأنا على مثل اليقين من أن بيني وبين الناس فجوة قد انكسفت وأتسعت، من سوء التقدير أن أغفلها وأسقطها من حسابي، لكي أخفض من عيب، كتب عليه أن أحمله. فلذلك بدأت حريضًا أشد الحرص على أن أسير خطوات، خطوة بعد خطوة، بلا عجلة أو تسريحة. وأحبر أن أجعل كل قارئ على محجة بضاء، لا يشتبه عليه فيها شيء، حتى تضيق هذه الفجوة التي بدأت واسعة، ثم ضاقت قليلًا، فوصلت بيني وبين كثير من القراء، ولكنها زادت إنساغًا بيني وبين آخرين، لأسباب ساذجة فيهما بعد. ومن حق هؤلاء على، أن أشخصهم
أقصى ما أجد من الإبانة، فإن وجدوني على حق، فذلك من توفيق الله ثم من فضلهم على، وإن وجدوني مبتناً، فأنا أحيث الناس أن أفارق باطل إلى حقهم غير مستنكر، وشت من مقارفة الباطل، إقامة المرء استثماراً وعلواً.
كان الأمر عندي منذ أول يوم واصفاً. رجل كتب شباً، فرأيت فيما كتب
أشياء. كان هذا الرجل عند الناس معرفاً على صورة، وعرفه أنا على صورة مناقضة
لما يرون تمام المناغسة. والطريق الذي عرف الناس به هذا الرجل على الصورة التي
توهموها، هو ما كتبه بقلمه، والطريق الذي عرفت به هذا الرجل على صورةه
عندي، هو نفس الشيء، هو ما كتبه بقلمه، فاجتمع لي ولناس أمران:
الأول: ما كتب هذا الرجل من شيء، رأيت أنا فيه شيء أعيبها.
والثاني: صورة هذا الرجل عند الناس، وصورةه عند.
وهذان الأمران موضوعان بل شكل، ولكنهما موضوعان مختلفان كل
الاختلاف، لا في جوهرهما فحسب، بل في الطريقة التي يعالج بها كل موضوع
منهما على جدّته، أليس هذا واضحاً؟ أليس هذا صحيحاً؟ أظن أن نعم! فإذا أراد
ناقد أن ينقد ما كتبه هذا الكاتب، فسيله أن يتناول مادة ما كتب مجرد، ثم
يقول فيها ما يشاء من تحسين أو نقيض، أو مقاومة أو مخالفة، أليس هذا واضحاً؟
أو ليس هذا أيضًا صحيحاً؟ أظن أن نعم! وإذا رأى الناقد أن ما كتبه الكاتب قد
خلالته شيء مما له صلة وثيقة بالصورة التي يراه بها الناس، والصورة التي يراه هو
بها، صار الأمر معقداً بعض التعقيد. لأن هذه الصورة نتاج طبيعى استلذه الناس
من كتابة هذا الكاتب، واستلذه الناقد أيضًا من كتابة هذا الكاتب. أليس هذا
 واضحاً؟ أو ليس هذا صحيحاً؟ أظن أن نعم! كلام الناقد في المادة وكلامه
في الصورة، كلام موضوعي بلا ريب. أليس هذا واضحاً؟ أو ليس هذا
صحيحاً؟ أظن أن نعم!
وإذا كان لكل كاتب هدف فيما يكتب، أليس من حق الناقد أن يستنكر هذا
الهدف؟ أليس من واجبه؟ أظن أن نعم! فإذا كان الهدف الذي يرمى إليه
الكاتب، متعلقًا أشد التعلق بنفس الصورة التي يعرفها الناقد عنه، أليس من حق الناقد، أو ليس من واجبه أن يستخرج من الصورة نوازعة ودوقاعها، لكي يستطيع الإبانة عن حقيقة الهدف الذي من أجله كتب الكاتب ما كتب؟ أظن أن نعم! وإذا كانت الصورة التي يعرفها الناقد، لا تنشأ إلا مما كتب قديماً وحديثاً، أليس من حق الناقد، أو ليس من واجبه أن يحلل ألفاظ الكاتب وأسلوبه، وطريقة تفكيره، وترابط عباراته وجمعه، حتى يتمكن من إعطاء صورة

كما يراه هو، لا كما يراه الناس؟ أليس هذا صحيحًا؟ أظن أن نعم!

وإذن فتحليل المادة، وإعادة تكوين الصورة، أمر لا مفر منه، إذا رأى الناقد أن الكاتب هدفًا فيما كتب، ولا سيما إذا كان الكاتب كاتبًا يضمن مايكتب كثيرًا من عواطفه وانفعالاته، بطريقة واضحة شديدة الوضوح، والنافذ عندئذ ناقش الموضوعي - لا يخرجه عن الموضوعية - أنمضطرب أن يناقش

المادة، في نفس الوقت الذي يحلل فيه الصورة، ويعد، تكوين معارفه

ومعالمها، ويأتي التعقيد الذي أشار إليه من شيء لا ينتمي من معرفته.

وذلك أن مناقشة المادة أمّر مأول فقد طال الأبد عليه، فالناس يأخذونه

م أخذًا قريباً لا يثيرهم ولا يضيعهم في شيء، أما تحليل الصورة وإعادة تكوين

معارفها ومعالمها فهو عسير بعض العسر، لأنه ربما أثار وربما ضدن، فأتى إذا أردت تحليل الصورة شاعر يكتب قد خلّا وتبعاً، وبناء على الناس بلا استنكار لما تقول فيه من معروف أو منكر، إلا أن يكون أحدهم له محبة، وهبة

معجبًا، وأليه مالًا، ربما أثارها ما تقول فيه ضدن. يبدأ الأمر يختالف اختلافًا كبيرًا إذا كانت الصورة صورة شاعر، حين بين الناس أو كاتب، فإن علاقات بين

الأحياء أشد توتراً، وأقرب إلى سرعة الاهتزاز، فبالبحث له والمحاضر، كلاهما سواء فيما يتعلق من الإثارة. فهذا يثيره إلى الإجابة بك ما تقول فيه، وذلك يثيره إلى الاستنكار على ما تأتي به. ولكن هذا أمر لا مفر منه، فالناقد يرتقي وهو على ثقة، أو يبني على ثقة من أنه مفاق من الإجاب والاستنكار، ما هو ضرورة

ملازمة للموضوع الذي يتناوله بتفصيل، وتحليله، وإعادة تكوينه. وهذه بدائته فيما
أظن، ولكن ربما جُرح الهوى في تُبّاره هذه البدائلة، فيزداد المفكّر على إكثاراً، فربما غلا في إكثاره، وربما خُطف بعض إكثاره، تبعًا لما عنده من القدرة على الإنصاف والعدل، ومن المنظر وحسن التهدّى إلى طبائع الأشياء، ولكن يبقى على كل حال مغالياً في الإكثار، سواء ساق إكثاره في صورة عتاب أو في صورة ذمّ ووقعة. 

ولما كان تحليل «الصورة» وإعادة تكوين معارفها ومعالمها، متعلقاً بشخص جهّز مناضع في الأرض، فمن المعقول الذي ينبغي للناقد أن يعرفه أن المفكر عليه إذا أراد أن يصور إكثاره في عبارة مؤثرة عما في نفسه، فهو خليق أن يزعم أن هذا التحليل والتكوين، ليس «موضوعيًا» بل هو «شخصيَّ» محض، وذلك إكثار لا مفر منه أيضًا، ولا سيما إذا كان الأمر شديد الظهور، وكان ناقصًا لكل ما عند المفكر من اعتقاد في الكاتب الذي يحمله ويعدّ تكوين صورته. ولكن ينبغي أن لا يترك الناقد من هذا اللفظ، إلاّ إذا كان دائمًا إلى النقد أمرًا شخصيًا» يقوم بينه وبين من يتقدّه، لأنه عندئذ خليق أن يركب في نقد ما ينبغي أن يخلو منه، وهو ترك الأنصاف وتحكيم عاطفة البغض أو الحب في تفسير كلام الكاتب. ومع ذلك، فالناقد نفسه، معرض لعمل ما فعله هو بالكاتب وصورته، وظهور تحرّه قريب، لأن الاحتمال إلى كلام الكاتب، خليق أن يكشف عن مقدار نعشه عليه، إذا أثبت المرء نفس طريق التحليل وإعادة التكوين، فهذا هو الضابط الذي يفصل بين الناقد الذي يتناول «صورة»، ويعالجه معالجة «موضوعية»، والناقد الذي يتناول «صورة» ويعالجها معالجة «شخصية».

وأخيرًا ما يُخاف في وصف هذا العمل «الموضوعي» بأنه «شخصي»، فإنما يأتي من الأمور التي تتعلق بشخص الكاتب، من حيث هو كاتب تدل كتابته على شخصية كاملة. فالكاتب ربما كان سيئًا الهدف، وكان مع ذلك عاقلاً شديدًا العقل، وربما كان مضطربًا العقل مستمرًا في الفروق، مع خلوه من سوء الهدف، فليس لسوء هذته يوصف الكاتب بما لا تدل عليه عباراته من استحكم العقل والنظر، ولا لحسن هذته يوصف الكاتب بأنه ركين عاقل. وكذلك أمره فيما أصاب
في وما أخطأ، فالأصابة لا توجب له صفة ليست له، والخطأ لا يستدعى إليه صفة هو منها برى.

بيد أن الناقد لا يستطيع أن يتخلى عن استحداث الالقافات لكتاب يتقدم ويدعو ويعيد تكوين صورته. لأن الصورة إنما تعرف وتستعين وتظهر بالألقافات التي تسمىها "الصفات". ولهما كان ذلك كذلك، فالناقد إذا لم يجد بذا من "الألقافات"، فما استعمال الالقافات بينهما، هي لكتاب "الصفات". وكانت هذه "الصفات" مما ينكره الناس أحيانًا، فهو مهدد بهدفًا شديدًا بأن يقال له: إن الذي كتبه ليس موضوعيًا، بل هو "شخصي"، لأنه ينال من "الصورة" شخص يتولى الإبانة عن نفسه بالكتابة. فإذا أثار ضيق، يقع فيه الناقد، إذا وقع هو على "شخص" فيه "الصفات" متكررة، لا تظهر إلا من تحت بناء الألفاظ والترابيب وظهورها من تحت بناء "الألقافات والترابيب"، ليس من البشر بالمكان الذي يجعلها قريبًا المتناول لكل قاريء من القراء، أو صديق من الأصدقاء.

وإذا كان ذلك كذلك، فمن البشر بمكان، أن يأتي المحب فيقول للناقد صادقًا أو غير صادق: هذا نقد "غير موضوعي"، بل هو "شخصي"، ومن البشر بمكان، أن يأتي هذا المحب، فيلقى بين الناس مقالة يقولها صادقًا أو غير صادق: هذا نقد "غير موضوعي"، بل هو "شخصي". ومن البشر بمكان، أن يصدق ذلك ناس، فإنا لأنهم لم يقرأوا مكتبته الناقد متابعة = أو قرأوه متابعة، ولكن عرض لهم النسيان = أو قرأوه متابعة، ولم يعرض لهم النسيان ولكنهم قرأوه متعجلين = أو قرأوه متابعة، الذين نسي الصور أو قرأوه متعجلين وقفوا، وليس لهم لم يعرضوا موضوع الفصل بين ما هو موضوعي في علاج "مادة" الكاتب، وبين ما هو موضوعي أيضًا، في علاج "الصورة" الكاتب، بمحلها وإعادة بنائها وتكوينها، وظنا أن كل علاج الصورة، إنما هو "شخصي" لا "موضوعي"، وأنه ربما كان "تييجي"!

فإذا بلغ الأمر أن يكون الكاتب إنما تكون صورته عن طريق الكتابة وحدها، وكان منتميًا إلى عصابة من الناس ذوات أهداف متعاقبة متقاربة، وكان لهذه العصابة في الناس مظهر ورأي، فامرأٌ أو غير فامرأ، وكان لهم نشاط وسمعة في الأرض.
وروابط تخفى أو تظهر، وكانت لهم آلسة تجول وتتنقل من مجلس، ومن مكان إلى مكان، وتزور أقوالا مرتين، وتلقين بها أسماء غير متأثرة لحسن الاستماع، إما عن عجالة، وإما عن كثرة تشاغل، فإن الناقد يقع عنده في خلية نَخل من الأصوات التي تقول وتتكلم، وفي ورطة من الأسماء التي لا تعطى الكلمة خلقا من حسن الاستماع، وهو الأناة، الصبر، المراجعة، وتلذ الأقوال الملائمة إليها، وتميز أصحابها من هم ومن يكونون وهم قالوا وهم صادقون فيما يقولون أم كاذبون مزعون؟

ويّن مثا حاولت الإبانة على أن علاج صورة الكاتب، أمر موضوعي لا شخصي ولا ذاتي، وأنه ليس تجريح للكاتب، إذا كانت الصفات التي يستحثها مستخرجة من نفس كلامه، من نفس منطقه، من نفس تفكيره، من نفس ضميره، من نفس هندته. وكل لفظ يتضمن صفة من صفاته لا يمكن أن يعد تجريحا، إذا كان متأثراً بتحليل الكلام والأهداف، مما بلغت هذه الصفات من القسوة، أو الغربة، أو الاستنكار. بل الأمر المستنكر كل الاستنكار على الناقد، والأمر القادح فيه وفي نقده، أن يخون الأناة، حين يجد كاتبا مختل التفكير، بين الضغينة، بذيء النفس، قبيح الأغراب، سيء الأدب، ويجد يستخدم ذلك كله في كتابه، ليبلغ إلى هدف سيء مقص، فيدع ذلك مستوراً، ويتداول كلامه مجدداً، وينقده نقداً موضوعياً، بل أقول أكثر من ذلك: إن الناقد إذا فعل ذلك كان أضر على الناس وعلى عقولهم، من الكاتب نفسه، لأنه يظهر هذا التائف الواقع بمظهر من خلا من كل قادح في تكوين ما يكتبه، وهو أشد خيانة للأمانة، وأبعد إيجالاً في الغش واللوم وخسارة الطباع، وهو فوق ذلك مدلّس.

---

وأنا حين بدأت هذه المقالات، نظرت لما فيه مصالح الناس، ولما فيه أداء حق القلم، ولكل شيء آنف لنفسى أن أفع فيه، فأتجهت مادة ما كتبه أجاكس عوض، فأثبت عن تهافتها وسقوطها وانحجارها وجشتها، من حيث هي درامة.
أدبية، لأن صاحبها ادعى « منهجي »، فانكشف لي وللناس أنه لا يحسن شيئاً على الإطلاق مما يسمى « منهجي » بل هو جاهل كل الجاهلين بالدراسات الأدبية على الأصيح. فلما فرغت من ذلك في مقالتي الأول، أطرت، عن هذا « الطالب سابق الجامعي » الذي أعلم كيف جاءه، ومن الذي ألبسه إياه، ولم ألحقة به؟ وأتيت، إلا أن أخذته مجزوءاً، لأن أخذته وهو في هذا « الطالب سابق الجامعي » غشى فاضح، وخيانةً لأكبر أمانة يحملها صاحب رأي أو قلم.

فلما فعلت ذلك، فقد ذاته من كلامه كله، قديمه وحديثه، فكشفت عن "الحالة المرضية " التي عاش فيها منذ بدأ، ولم يزل يعيش فيها إلى هذا اليوم، وحليسته مكان « الطالب سابق الجامعي »، صفاته التي استحققت من تحليق « صورته » الناتجة من نفس كلامه، لا من أهوال ولا من معلوماته الخاصة، فإذا كانت هذه الصفات برأي مستغبر بالطويل إلى بعض الناس إلحاق لفظ "دكتور " باسم هذا الأدمي، فإلى إزالة هذا الإلهام نفسه عددت لا لنسي غرشه، لأن هذا الإله كان كابنا صاحب " صورة " عند الناس. وكان واجب لتبنيت أو أن أهتم إلى تحليق هذه الصورة منذ نشأت، استخرج حققتها من أفاظها التي كتبها بتعالج في "بولتوند وقاسل أخرى "، ثم في سائر ما كتب، ولم تتجاوز قط الهد الذي يبينه آنفًا في الحديث عن علاج " الصورة "، هله هو " موضوعي " أم " شخصي "، فمن ابسط أن يجد أن حالت هذا الطالب، وسلوك غير يعجب بالعدة سلوكه، فليأتي بذلك في شيء مما كتب، وإنما الصمت أولى به من الكلام سواء أو علانية. ومن عرف لعلاج " الصورة "، وتحليلقها وإعادة تسكونها، للدلالات على حقيقة صاحبها، طريقة غير الطريق الذي سلكته، فلهذه إلىه، فإن فعل، فله على أن أخرج مما كتب للاكبار أو عداد.

وأما، بل أربى، لم أدخل في بيانا هذا شيئاً من الوسائل التي يستدل بها على " الصورة " الباطنة التي يهدئ إليها من ينادى من طول تجربته وتبانه إليه ما يغلب عليه غيره. فينفع هذه الوسائل يحتج إلى خبرة، كالخبر الذي بقا نطقته، فيعرف ما يدل عليه الخط من مكونات الشخصية، فهذا بحث آخر، وإن كنت قد
استخدمته في إنهام صورة هذا الأدمي، على الوجه الذي أعتقد أنه أخلصته له البُنية، بالله تعالى، في حُلمي. أو أخبر في قضية، أو ظلم له في صدفة، ولكن العيب الذي داخل مقالاتي، إنما جاء من أنى خلقته الأمرين جميعًا حاليًا واحدًا، فاقتبست المادة، وحللت الصورة وأعدت تكوينها، في سبيل واحد، فربما سبق شيء شبيهًا، فربما كأنى جفت به بلا دليل عليه، ولكن المتبع، خليق أن يجد ذلك كله يستنفها واحدًا، إذا هو أنعم نفسه بعض النعم، فقرأ كل ما كتبته متابعةً، بلا عارض نسيان، ولا سائق عجلة، ولا تعصب لإعضاها لها رأى، تناصر عليه بالحق وبالباطل.

***

وكان هذا حسبي، إلا أنى قرأت منذ ساعات قليلة كلمة لرجل عرفته، منذ كان ناشئًا، ثائرًا شديد الحفاظة بالمعرفة، مقبلًا عليها، على حِرة كانت تتباهى وتموج به، وكان معذورًا في حِرَته، لأن زمانًا ذلك، كان فيهم من الأحياء، من لا يجد في نفسه شيئًا من الحِرة التي قد تُضجى إلى نفْض اليد من كل شيء. ولو بلغ أن يرفض الحِياة كلها بفراغ الحياة، لكان معذورًا أيضًا، وأصبحه يومم، ولكنه ضل على سنوات وأضلائه، ولم أثبت في الناس إلا بعد سنوات طويلًا، ولم تُفِض غيبه على شيئًا مما كنت أعدد له في نفسي، مع أنه جانبي وقد تغير أمره، وحمدت من أمره شيئًا وانكرت شيئًا. وهذا الصعيد القديم هو الأخ الأستاذ محمد عودة، فقد كتب مفطولاً أعظم الفضل في صحيفة الجمهورية، في يوم الأحد 20 صفر سنة 1385 (20 يونيو 1965) كلمة لا تستطيع أن أؤدن حقها على، وذكر فيها القوس العذراء، القصيدة التي نشرتها منذ قليل، فقد فاجأني بشيء أتكره كل الإنكار، لأنه وضع عن بُعدًا لا أستطيعها في تاريخ أتيت العبر، ولا أراني أبلغ فين ذكر مبلغًا ينظر إليه بعين المبهر، ولا أقول هذا تواضعًا للنعة، فلست تواضعًا، ولكن أحاكم نفسي إلى نفس أبي وأسلاف، فأجدني كلافاً التي لا نفع فيها ولا خير. وإذا كنت قد جيت في زمن خلا مما ترين، فإنما مثل حارثة بين بدر الغدائي، وقد اجتاز بمجلسين من مجالس قومه بين تمعين، ومعه
مولاه كجحت. فكلما اجتباز يقوم قاموا إليه وقالوا: مرحبًا بسيدينا! فلما ولى، قال له مولاه كجحت: ما سمعت كلامًا قطًّا أقرب لعيني، ولا أحبّ بسمعى، من هذا الكلام الذي سمعته اليوم! فقال له جارية: لكنني لم أسمع كلامًا قطًّا أقرب لنفسى، وأبغض إلى مما سمعته. قال: ولم؟ قال: وحيدًا يا كجحت! إنما سألوني قومي حين ذهب خيارهم وأمائيهم، فاحفظ عن هذا البيت:

خليط العبارات تُشدّت غير مُسْتَدِرٌ، وَنِيَمُ النََّّمْعَاء تَقْرُدُ، بالشُّهدَأ.

ثم إلى رأيت الأعذاب الفاضل، بعد أن قطعت عنقين بثناه، كما جاء في الخبر عن رسول الله ﷺ، وقد أثنى عنده رجل على رجل فقال له رسول الله ﷺ، وأتيت قطعت عنقين صاحبك! قطعت عنقين صاحبك! قالها مرارًا ثم قال: من كان مكّمًا أهله لا محالة، فقيل: أحسب فلاذًا، والله حسبه، ولا أركي على الله أحدًا، أحسبه كما وكدًا، وإن كان يعلم ذلك منه = رأيت أحد محمد عودة يقول في آخر كلمته: وإذا كانت القوم العدء قد أفسدتنا، إلا أن بعض ما يكتب صديقنا العزيز الآن، يترك في نفوسنا حَزَرًا من الوجود حامزًا، وذلك مثل هيجومه على الثقافة الغربية، وأنها فقط كتابات المبشرين المعادين للإسلام والعرب، ومثل مساجته مع لويس عوض التي توقعنا أن تكون إثارة للمبحث والأدب، فانقلب إلى مهاجمة يستغلها البعض، وكنا نجل الأستاذ الجليل عنها.

ولا أدرى من أي أفراد أعجب? من قطيعه ظهري للناحية والاجراء، أم من أتهامه بإتباع واللغز والغيب، حتى صرحت عنه، صورة من "أنا أراك عوض" عندي! فهل يعتقد الأستاذ الصديق أن أهاجم الثقافة الغربية، لأني لا أتحمل هذه الثقافة إلا من كتابات المبشرين المعادين للإسلام والعرب؟ هل يتصور حقًّا أنني لا أعلم شيئًا عن الثقافة الغربية، وكل ما أعلمه عنها هو ما يكتبه المبشرون! هل يفضل الصديق بإطلاع على شيء من كلامه يتضمن هذا المعنى السحيق؟ وإذا شاء الصديق أن أصرح له بعبارة أنا، لا عبارات هو، فإني أقول له بمال فلا: نعم! أنا أعد أو الثقافة الغربية، ولا أستطيع أن أكف عن مهاجمتها.
لا لأنها معادية للإسلام والعرب، بل لشيء آخر غير الذي نتوهم. وقد كنت يُثبت بعض ذلك في مقالاتي، ولكنني أغلقت أن تلقى إليه بالأمس، إذا كنت قد قرأته، أو قرأته وأغلقت أن تعرف أسبابه.

وابطالع، أنا أعلم أنك أذكى من أن تخلط بين العلم الذي هو رُتُب إنساني، وإن كان ربما رُتُب المزيجين فأدخلوا في مفهوم العلم، شيء ليس منه وبين الثقافة التي يزعم رجل مثل إليوت، في تحديده لمعاناه: أن الثقافة الشعب، ودين الشعب، مظاهران مختلفان لشيء واحد، لأن الثقافة في جوهرها تجسد لدิน الشعب، ويُزعم أن الشيء إلى الإيمان الدبين عن طريق الانتزاع الثقافي، ظاهرة طبيعية مقبولة، سواء أصاب إليوت كلا الإصابة أو خلط في إدراك هذا المعنى بعض الخلط، فإن جوهر رأي سليم ظاهر السلامه، عند من خالفه في مذهبه ومن واقعه. وقد نقلت في مقالاتي عن توضيبي وغيره أقوال مشابهة لما يقوله إليوت، لا لأنه أحب أن أستظهر على صوابه رأي بأقوال هذه الأعاجم، بل لأنه أرى بعض الناس أسرع استجابة للأعاجم، فأصيب أن أضع طرقاً من ذلك بين أبيديهم، إلا أن الجماهير التي يخرون عليها صفة غريبًا.

إذا كان الأخ الأستاذ محمد عودة يعني بالثقافة في هذا الموضع، ما بكر البحث فيه، وطول النجاح في معرفة حذاء ورشيحة، في غضب هذه الأعاجم، وفي لغتنا أيضًا أحيانا، فذلك = وإن كان يعني باستعماله لفظ الثقافة ما يستعمله العالم عدنا من قولهم للشاب الذي دخل مدرسة، فقضي بضعة أعوام، فتعلم القراءة والكتابة، وشدا شيئًا من العلوم والمعارف: هو شاب مثقف، فذلك شيء آخر = وإن كان يعني بها ما ينوي ضرب آخر من العاطفة، من قولهم للرجل الذي يقرأ بضعة كتب بلغة أجنبية، وكتب أحيانا مقالات أو كتاب، يترجمها من اللسان الذي تعلمته ترجمة دقيقة قيحة فاسدة، مثل أنجاكو عوض، وسلامة موسى، وأشبههما، على اختلاف دلالات الأسماء! فذاك شيء ثالث! وهم مجزأ.

ولكن أحسن الظن بعقل الأستاذ محمد عودة، لأنني أعرف معرفة جيدة، فمن أجل ذلك عجبت كيف غاب عنه هذا كله؟ وكيف غاب عنه أنى بطبيعة
نشأني في هذه العربية الشرقية، وفي سرارة هذا الدين الذي لا يقبل الله من عباده سواء، يوم يقوم الناس لرب العالمين، لا من عاشئ ولا من متعلم، ولا من مفكر، ولا من عالم ولا من نبي من الأنبياء كيف غاب عنه أليس بطبيعة ذلك عددٌ للثقافة العربية، لأنها ثابتة في مدارج نموها، في بيئة وثنية مسيحية، أتى عقائدها وأرفعتها، وأعتقد بطلانها كل البطلان، لمخالفتها للذين طالبنا به ربي وخالقنا، والمنعم علينا بالله، ونعمه من عقل وبيان. وإذا أنا داهتل في ذلك أقلّ مداهمة، فإلي على يمين من عذاب الله الذي لا يُغنى عنه في دفعه ثناي صديقي الأستاذ (عودة) ولا إعجابها، ولا موكدها. فإن الله يقول لبه خلاصاً: "إنّ ربك هو أعلم بما صلد عن سبيله، وهو أعلم بأمهاتِنَّينَ لا تعلَّلْ الكِرَّاتِينَ وَذَٰلِكَ لَعَلَّهُمَا يَفْتَحُوهُنَّ".

فإذا فعلت فإن رهين بعذاب كبير.

وخير الأستاذ (عودة) أن يتناول أي كتاب من كتب "الثقافة العربية" التي تتناول هذا الأمر بالبحث، يعلم أن "الثقافة العربية"، بهذا المعنى، هي الحقيقة التي لا يختلف عليها أحدٌ من كتاب العرب وأفلاستهم ومفكريهم. فإذا فعل ذلك، فهو خليق أن يعلم أن إذا فعلت غير ذلك، خلت أمانة ديني، وخلت أمانة عقلي، لأن هذا الدين جاء بعدم "العقل" أولاً، أي خسرين الفكر، ومحمدن النظر، قبل أن يطلب الناس إقامة الصلاة، وإبادة الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلًا. ولو أراد الأستاذ الفاضل أن يجعلني أفهيم معنى "الثقافة" على المعنى الذي تقوله العامة، أو الذي يقول به ذوي "أجاكس عوض"، بين المبشرين، فاننا غير معطي له في الجهد، إذا كان الأمر أمر جدًا لا نلازم فيه. وهذا كافٍ إن شاء الله، لفظت من بذكاء "عودة" وإخلاصه في الفهم.

وأنا انتهاء إتيان، بأتي قد غصت في الوحل إلى أذى، أعني انتهاؤه إياي بأنى "أجال أجاكس عوض"، فهذا أعجب العجب! فاننا لا أجال شقياً كهذا، وهو أيضًا استعمال للطفل في غير موضعه، فأصل (المعالجة)، أن يستثنى ساقين من بئر، فخرج كل واحد منها في مجلة (أي كلها) مثل ما يخرج الآخر، فأيهمًا
نكمل فقد غليب. فإذا قيل في مجاز اللغة: "فلان يساجل فلاذا"، فمعناه أنه يخرج من الشرف مثل ما يخرجه الآخر، فأثناهما نكل فقد غليب، ومثل ذلك يقال في المجادل بالحجج والبراهين. فهل ترى شيئًا من ذلك كان بيني وبين هذا الآدمي؟ أظن لا. فإذا لم يكن، ففيما استعملته إذن، وما كتبته دالًا على أن إنا عمدت إلى كشف اللثام عن خيالة فساد، ممثلة في كلام ومي شخصي، أي في "مادى" وفي "صورة"؟ أليس كذلك، أم تزاك نسيت؟

وأما إنهاثك أن ما زعمته "مساجلة" قد انقلب "مهاجمة"، فهو أيضًا من وضع الألفاظ في غير مواضعها. فمثلك لا يمكن أن يجهل أن الطريق الذي سلكته، والذى أثبت عنه مرازا في ابتداء مقالاتي، وفي الرأى على زميلي القدم "محمد مندور"، غفر الله له، وفي غير ذلك من المواضع، يقطع بما لا شبهة فيه، أنت أعلج يرسِ "صورة" صحيحة لآدمي، أنت أول من يعلم مقدار ما أعرفه تعرفه؟ ويقطع أيضًا بأن المهاجمة ليست لي بغرض بل الغرض هو الدفاع عن كيان أموي، وإنما، أنت أحد رجال يعملون من ورائها، اخترؤتهم "الثقافة الغربية" بالمفهوم الذي دلت عليه، أعني الثقافة الوثنية المسيحية، ليحققوا لهذه الثقافة غلبة على عقولنا، وعلى مجتمعنا، وعلى حياتنا، وعلى ثقافتنا، وبهذه الغلبة، يتم انهيار الكيان العظيم الذي بنى آباؤنا في قرون متطاولة، وصمخوا به فساد الحياة البشرية في نواحي الإنسانية والأدبية والأخلاقية والعلمية والفكرية، وردوها إلى طريق مستقيم علم ذلك من علمه، وجعله من جهله! ولا يفوت ذلك أن علم أن هذه الغلبة لا يردع بها الهوى للناس، كما يوهم هؤلاء الأغرار من يتبعهم من الأغرار، بل يردع بها تحطيم شيء، هو في طريقه إلى الظهور في الأرض مرة أخرى. وهذا، كما تعلم، هو في جوهره عملي سياسي محض. فمن أجل ذلك، ابتريت، بعد عربي، لهذه الدعوة، لأعتقل عنها أستارها! وأ هذا حسبك، كيف يجهل مثل هذا في جملته ووضوحة. وقد ساءننا أي اضطررت إلى أن أخرج فضلك على، بر قد كلام لك لم أره بليغ.
وأما دام الأمر قد جُزى إلى ذكر الألفاظ ووضعها في غير مواضعها، واستفساد معانيها بفساد المقاصد التي تَكَشَّر من ورائها، فقد بدأ لي أن أعود إلى لفظ سلف في مقالات الماضي، (1) وهو اللفظ الذي استخدمه "أجاكس عوض"، واستخدمه المسَّني "ساحي داود"، وكلاهما يضمر في هذا اللفظ معنى بعينه، إذ جعل العموم تورية عن الحصوص، وكلاهما سبب المقصد في هذه التورية، لأن يريد أن يُشفى غليل صدره من شيء، وإن ساق كلامه متناقِث تُؤَرِّق إغريقى محارب، أو متناق مرُوح ودبيع يكتب ذكرى سائره، ففيها شُفَافَة ألتّفت ظلَّها الكثب على بعض كلامه!!

ونفس الإنسان وعاء لخير والشر، ولكنه يستطيع بالعقل الورع، الذي نسُبه أن نحن المسلمين "الدين"، أن يصر شيطان شره بالقول. بيد أن هذا الأمر فقلا يُمسكنا إلا من أليف تسبيخ الله وتحمده، وإسلام وجهه إليه، منيتنا إليه ضارعا، مستعيِّنا به مخلصا، وعندئذ يعلم أن أسوأ الخلق ارتكابات التورية لشفاء الغليل، فإنه عندئذ يكون غاشمًا محادعًا لفهم الطباع.

(1) انظر ص ٣٢٣.
وقد رأيت من الخبر أن أتبع تاريخ هذه اللحظة، بقدر ما تتحمله ذاكرتي. وقد كنت خليقاً، أو كانت هذه الأمة خليقاً أن تعمد إلى هذه الألفاظ المستقبلة، فتعرف تاريخ مجيئها إلى استعمال أهل اللسان العربي، ومن أول من استعملها ولم يستعملها؟ وفي أي غضب كانت تقال؟ وفي زيادة لحقت معها الأول؟ وذلك لا يهم إلا بتبعت الصحافة والكتب، واستعراض المواضيع التي ذكرت فيها مؤثرة. وإذا فعلنا ذلك عرفنا مصادر هذا اللظف، وجدنا معاً معicals في زمن بعد زمن، وأدركنا أثر استعماله في تجلية المعاني، أو زياتها غموضاً وفساداً. ولكن هذا شيء لا يستطيع بيانه في أسرع قليل، فمن الخبر أن أصرف عنه إلى ما أريد.

و «الرجعية» لفظ بأنه الناس اليوم على غموضه المختلف للقلم، المؤدّي إلى اختلاط الإدراك، المهمّد لكل ذي تجوّي أن يبلغ إلى هواه باستعماله، لأنه يحمل معنى من معاني الفساد في مفهومه الحاضر. ولكن شهدت مولد قديماً، فمن المفيد أن أسجل بعض تاريخه بلا تحرير حتى يتحرّي القارئ لنفسه إذا قرأه، ويتجهه الكاتب الذي يريد الإفهام دون الإبهام.

كنا يمتدّ في زمن صراع، وذلك منذ نحو من خمسين سنة، نشأت طفلاً في صراع ثقافي وصراع اجتماعي، وصراع فكري، وصراع ديني، وصراع سياسي. وكان لكل صراع طابعة وألفاظه وكتابه وجماعته، فلت أو كثرت، وتمتدت في الأيام حتى علقت، وذلك في مطلع الثورة التي شملت مصر والسودان في سنة 1919، وأظهر أنه قد بقي في ذاكرتي شيء من الألفاظ التي كانت تدور في هذا الصراع الضخم، ولكن لا أجد بينهما لفظ «الرجعية»، ولا أفهم كان ظاهراً يومذ، أي في سنة 1919 أو ما قبلها، إلا أن يكون شيئاً نادراً لا يكاد يستقيم.
أو يستعين، أو لا يكاد يستعين أو يستعين لي أنا على الأقل، ولكنأذكر أن أكبر
صراع كان قائماً بوحدة بين أهل هذا الدين، أهل الإسلام، كان يستخدم لفظاً
اشتقاقه الكتاب، أو أتوا به على النسبة إلى «الشلف»، فكانت طائلة كبيرة تستمي
نفسها «السلفيون»، وهو لفظ يراد به رجوع أصحابه إلى سيرة «السليف» من
أصحاب رسول الله صل الله عليه وسلم ونبعهم على الحق في العقيدة، وفي تجريد الإيمان من
ذوائب الشرك، وفي العمل بالشريعة، وفي إحياء منهج «الشلف» في الرجوع إلى
الكتاب والسنة دون سواهم. وكان للسلفيين ظهور وغلبة في فترة من الزمان،
وكان أكثرهم من أهل الحمية والجد والسنت والإخلاص في القول والعمل، وإن
شابهم من ينتسب إليهم، ويَدعي دعاءهم، ولكنه لا يقوم مقامهم، ولا ينتمي
التسليم، بل ربما خالفهم، وأقام على البدع وسوغها وجعلها من شئة الشلف.

***

وعاصر هذا الصراع صراع آخر بين الحضارة الغازية، وهي الحضارة الأوربية
المسيحية، وبين بقايا الحضارة الإسلامية العربية المتمثلة في السلفيين، وأهل
البدو، وأهل الأهواء من كل ألون ونخيلة. وكان هذا الصراع قائماً في الميادين
كلها. في الميادين الاجتماعية، والفكرية، والثقافية، والدينية، والسياسية جميعاً.
وكان محور هذا الصراع، هو الغازى المحمل ببلاشمه وفرضها عليها
في مجتمعنا بعضه، أعني أنه كان يستخدم وسائله السياسية الظاهرة، وهي هيئة
الاستعمار، ووسائله الخفية، وهي التبشير، بالمعنى الذي شرحته مرات،
ومثلت على أنه ليس أداً دينياً، بل كانت وسائله الثقافية هي الغالبة عليه،
لأنهم وجدوا أن الثقافة التي يتساوي إليها، تابعة من الكنيسة في جميع أطوارها،
ومنها للدين المسلم، ولفظية التي تسري في خلقه على طول القرون.
فإن اللاحج على نشأها نشأ من ثمها عميقاً، نشأ لخلاصية المسيحية الأوربية الوثنية،
بلا تجد كذب دعوة إلى الدين، صراحة، بلا مزاحية. وهذه الخطأ نفسها،
هي من نتاج النظام الكنسي الذي عاشته الحضارة الأوربية في جميع أطوارها
السالفة. وإذا كنت تنسي، كما ينسى الأستاذ عودة، فذكره يقول «إليوت»
الذي أشرت إليه بؤًا في تفسير لفظ الثقافة، وزعمه أن ثقافة الشعب، ودين الشعب، مظهران مختلفان لشيء واحد، وأنهما تجسد لهذا الدين، وأن من الممكن أن تجذب قومًا إلى إيمان ديني معين، بوساطة نشر الثقافة التي تجسد هذا الدين. وهذا هو البشير الثقافي، فلا تخطيه ولا تسنه ولا نغلبه.

وكان هذا الصراع من أخطر ألوان الصراع التي عشانها، ولا تزال تعيشها، والذي من أجله كتب ما كتب إلى يوم الناس هذا. ووجه خطره من أشياء كثيرة لا استطيع أن أعدها في مثل هذه الكلمة، ولكن أظهر هذه الأشياء أن جمهورية كبيرة من المثقفين، أي الذين ارتدوا شيئاً فلما أو أكثر من أبناء الثقافة الأوربية المسيحية الوثنية، كانوا من جلدها هذا الشعب متشابه وتصارعهم. فمن هذه الجلدة التي تريدهم الناس، كان لهم من الإفاضة على الكلم والإبانة والدعوة، ما ليس يملك منه من جاء من جلدة أخرى، كالجلدة الأوربية المسيحية الوثنية، وله من التأثر على أهل جلدتهم وسالاتهم، ما ليس يملكه من لم يكن من أهل جلدتانا وسالانا.

فنشأ من بين هذا الصراع بين الحضارة الغازية وثقافيا الحضارة الإسلامية العربية التي ذكرتها، جيل دخل في الصراع الدنيوي، بين السلفيين، ومن ناوأهم من أهل البعد والأهواء، ولكنه تكلم في الشفوة التي هي عند المسلمين دين، بلسان آخر غير لسان أهل هذا الدين من سلفيين ومبتعدة، وأدرك الذين كانوا يقودون حركة الصراع بين الحضاراتين، أن أقوى الفرقاء المتصارعين من سلفيين ومبتعدة، هو فريق السلفيين، لا من حيث كثرتهم وغلبهم، بل من حيث القوة التي تشتمل عليها دعوتهم، لأنها تؤدي إلى إعادة بناء اللغة الامة، إذا لم يعد للانساب إلى طريقة السلف، إلا أن يملك السلفيون ناصية اللغة، تأمل يوسفه من الاستخدام المباشر من القرآن، والسنة، على نفس النهج الذي كان السلف يستمدون به من القرآن والسنة في آدابهم، وأخلاقهم، وثقافتهم، وفقههم، وعلمهم، وتفكيرهم، وفي سائر ما يكون به الإنسان حيًا، وثيدًا قادرًا على بناء الحضارة، ولا تؤدي أيضًا إلى اتخاذ شمس نابع من القرآن.
والسنة، تكون به حضارة الكتاب والسنة ممثولة في رجال يُغدُون بين الناس
ويروحن، وبغضبون وبربون، ويتنازعون ويصطلحون، ويشعرون عيشة كاملةً
معمّلة لخلاصة الرحلة الطويلة جداً في استياء طريق للحياة الإنسان الآدية الصادقة
من الفطرة التي جعلها الله كامنةً في الطبيعة البشرية، وطوبيّةً في هذا التنزيل المعجز
والذي جاء من الله، وهو القرآن، وفي جواع الكلم التي أوتيها نبي الله
معبّةً عن كتاب الله ومفصلة لجمله وهو الحديث. وهذه الفطرة هي التي ذكرها
الله سبحانه في سورة الروم فقال: "أَقَبَرْنَا وَجَهَّزْنَا لِلَّذِينَ حَمَيْنَا قَفْتُوهُمْ آتِيْنَاهُمْ فَلْيَتَّبِعِنَّهُمْ أَوْ لَا تَتَّبِعِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكيِّمٌ.
فُضْرَ التَّنَاسَ عَلَيْهِمْ لاَ يَذَّلِّلُ يَلَعْنُهُمُ اللَّهُ ذَلَّلْهُمْ أَنْ نَأْتِهِمْ أَحْسَرُ
الكتاب لا يعلمون". غنان

هذه الفطرة التي اشتملت عليها دعوة السلفيين كانت مصدرًا لمخاوف
 والاستعمار و التبهير، فأرادوا أن يقابلو هذه الدعوة القليل عددًا أصحابها،
والذين هم مع قاصتهم يصارعون جمهورًا غالبًا من المجتهدًا، يؤيدهم إله العافية،
وهم الكثرة. ما عندهم من الدعاء المعركة التي يكرها السلفيون أشدً
الإنكار فعمدوا إلى بث فكرة قريبة إلى النفس، سريعة إليها، تؤديها جميع
الظواهر، وهي أن السلفيين قوم متشددون يريدون أن يهروق الناس بما لا طاقة
لهم به من التكاليف. وهذه المهمة في إدراك الوسائل التي تقوم بها الأفكار، كانت
معروفة مدرسةً في دوائر الاستعمار والتاهير، وإن كان كثيرًا ما يزال
غافلًا عنها، غير قادر على إدراك المحيط الذي تستعمل فيه هذه الوسائل، وذلك لما
طبعنا عليه المستمعون والمبشرون من الانتهاك والغفلة وقلة الصبر على جلد الفكر
ومعناه، والغفلة به إلى غايات البعيدة المغفرة في الغفر.

فمن معسكر الصراع بين الحضارة الغازية، وبين الحضارة الإسلامية أو بقاها
يومز، ظهرت كلمة السلفيين مقرونة بتبغيها إلى العامة، وتصورها في
صور مبكرة تكراهها النفس، لأنها تشتّت عليها. ثم بدأت الكلمة تدخل في
محيط الصراع الاجتماعي، فمن أول ما أذكر من ذلك أن تعالج الكلمة المسمى
سلامة موسى، صنيعة المبشر ويلككس، كان أكثر الناس استعمالًا للفظ
«السلفين»، (1) للدلالة على التأخر والتشدد والتخلف، في مقابل الدعوة إلى أرسله يقى بها من اصطنعه. وليس هذا موضوع تفصيل ذلك، وإنما أردت التاريخ وحده. وأظن أنى قرأته له ولغيره من شيعته، وكان زمانها كرماننا الذي فيه «أجاكع عوض» وشيعته من جياثين الفشرين، مقالات كأن يستخدم فيها هذا اللعنة بهذا المعنى في نحو سنة 1922 أو 1932، أي بعد دخول ثورة سنة 1919، في انتهازها وانفصالها عن حقيقة الشعب الذي أشعل نارها، ثم أخرج هو بنارها ونار المستقرين عليها غدرًا وغشًا، بلا سابقة شريفة في الصراع السياسي.

ولكن هذه اللعنة كانت شديدة على الألفسة، لا تلبس بها كُل لين، فبعد قليل ولا أرى كيف كان ذلك، لأن الأمر يعتمد على التتبع التاريخي للعبارات يومًا يومًا، وظهرًا شهراً، كما أسلفت بعد قليل رأينا لفظ «الرجلين» يحل محل «السلفين» فقأل، وهو لفظ مثول على لسان العامة وغير العامة، وإذا فنا رأى مستعملًا على أيScan contributing words from the image 90x67 to 531x725 المنصبشين» وسفنائه الذين يسفوهون عنه، وعلى ألسنة أصحاب الصحف من نصارى لبنان العقليين في مصر، والمستقلين على صاحبها كلياً يومًا. ثم لم تلبس إلا قليلًا حتى رأينا هذا اللعنة ينتقل للدلالة على الحياة الإسلامية كلياً، واشتكى منه مصدر هو «الرجلين» يستعمله الكتاب إذا أرادوا التورية عن الإسلام» نهارًا من أن نتالهم شهية التغلب في دين الدولة، واستشهد الأمر زمانًا طويلاً، فصار كل من نظير شقيقًا على هذه الحضارة الأوروبية المسيحية الوثنية، المقترنة بالغزو العسكري والغزو السياسي لبلادنا، من أخلاقي، أو فكر، أو عادة، أو طريقة للحياة (كما يقول توميتي) صار يثأر بأنه رجعي. وظل هذا هو معنى «رجعي» إلى نحو من سنة 1943، حين بدأت الحركة الشيوعية في الظهور، فاستخدمت اللعنة للدلالة على الأنظمة التي كانت تقف بها، لما فيها من النسب والتعقى، وإن كان الفظ

(1) لا يزال تلميذه «لويس عوض» يستخدم هذا اللعنة حتى أيامنا هذه، ينام الأسلوب الوقح الذي درج عليه أستاذه.
عندهم أيضًا كان دالًا على مثل ما كان يدل عليه عند أئمة الاستعمار والتثبيت بالحضارة المسيحية الوثنية الغربية.

ثم اتخذوا اللوفظ معاني كثيرة لبسها، ولكن بمعنى "الأولى الدال" على الإسلام عن طريق التواريخ، فرآه من طائفة العقوبة، هو الذي يستعمله ويدل عليه "أمثال الموسيقى" "سماء داود"، والمسمى "أباكس عوض"، تميزة على الناس، في خلال استعمال الناس له بمعنى الفساد الذي شمل حياة الأمة في الميدان السياسي والاقتصادي، ويبذل أمثال هؤلاء التالفين، أن يكونوا غير صدورهم، بيدا长途 المغلفة في لفظ معيتهم، بعد أن خلعوا الملوح التي ألبسها إياه الجاثوس البريطاني المحرف، كريستوفر سكيف، وجماعة إخوان الحركة، والملاحصون، معروفة بمسح جديدة اتخذها لأنفسهم، بعد طول التدريب، من شعارات ظاهرة معروفة يسترون وراءها، بل عقيدة، ولا مباشرة، بل ليتمكّنو من العمل على إحراق طروده الجديدة)، وهي مصر العربية الإسلامية بعد سنة 1952، وتدميرها كما دمرت طرودة، في القديم.

فمن ظن أن أخذ هؤلاء الدعاء، منذ كتب عن مسألة "العامة" و"الفصحي" في أوائل مقالاتي، لكي أجرّهم أو أقدّهم تقدّمًا شخصيًا فقد أخطأ، ومن ظن أن الأمر مقصور على هذه الفئة بأسمائها الظاهرة، فقد أخطأ لا أفرق بين رجال هذه "الحالة الجديدة" وإن اختلفت دلالات هذه الأسماء على أسبابها وصلاتها وعلاقتها بالحياة العربية التي نحن اليوم في سراحها وفي خوضها الكبرى، ومن ظن أن ساقف عند "أجاكس عوض" وأشهد_continuous في "العامة" و"الفصحي"، وأخرج النهاة إليها في حياتنا السياسية والأدبية، منذ نشأت هذه الدعوة، فقد أخطأ. وإنما شغلني كما ذكرت في مقالات مختلفة، كثرة الدروب التي تنشئ على جانبي الطريق الأعظم، ومن يكمَن في هذه الدروب.

(1) انظر من هم إخوان الحركة فيما سلف.
من الأفاعى والحيات التي نشأت في سراديب «التيشير» و«الاستعمار». ولا أظن القارئ، مهما طالَ بي التعريج على بعض الدروب، بناس أتى قد خرجت به في رحلة، في مقاتلة، إلى أفق بعيد، فإن شقت عليه الرحلة فليقف وقد هَلك، وإن أطلق فلبمست وقد نجا، أما النهاون والعقلة والاستخفاف، فذلك هو الموت الوُجى، والبلاء الماحق؛ والحالة حالة الدين لا حالة الشغف.
لم ... ليس الطريق هنا انتِ

الرسالة
الخميس 9 ربيع الأول سنة 1385
اللغة هي أداة التفكير، وأداة البيان. لا يكاد أحد يرتيب في أن هذا حق، وأنه واضح نسبيًا. و من أجل حق، تتفاوت بهديهة العقل بالتعليل، ومن أجل أنه واضح، تستشعر النفس أن معنى سهل يسير قريب. بيد أن الحذر هنا يتلدون (أي يتلفت دقيقًا ومتأثرة من حيته وإبلاغها)، لأن هذه القضية على سلامتها ووضوحها، تنتهى إلى نتيجة معقدة أشدّ التعقيد. وذلك أن اللغة ألفاظ، وهذه الألفاظ مركبة في جمل، ومن الألفاظ والجمل، يخرج المعنى. والنظرة الأولى توجب أن يكون胎儿ظ محدود المعنى المفرد، وأن يكون التركيب محدود الوجه الدالة التي تُفضّل إلى استحداث المعنى المركب الذي يُراد إبلاغه السامعين أو القارئين.

لكن، هل هذا صحيح؟ أصبح أن ألفاظ اللغة محدودة المعاني حقيقة قاطعة واضحة في كل لسان. وفي كل زمن من أزمنته هذا النطق؟ أو صحيح أيضًا أن تركيب ألفاظ اللغة، أي الجمل وأعمالها المختلفة، محدودة هي الأخرى تحديدًا قاطعًا واضحة في كل لسان. وفي كل زمن من أزمنته هذا النطق؟ إن أقل الناقل يهدي إلى بطلان هذه النظرية الأولى، وفضلًا تفضّل أماً إلى الأкал من قدرة اللغات على الإبادة، وإلى الشكل كل الشكل في القضية التي سُلّمت بها بديهة العقل، واستشرفت تلألألها سهولتها سرائر النفس؟ ومن ذلك أن أكفاءً أن اللغة هي أداة التفكير وأداة البيان، قضية غامضة، قضية مُوضحة، قضية إذا امتحنتها وجدتها غير مطابقة للواقع.

والناس، منذ كانوا، لا يزالون يختلفون على معاني الألفاظ، يختلفون عليها وهم يستعملوها ساعة بعد ساعة ويماما بعد يوم، ويختلفون أيضًا على الجمل المركبة من هذه الألفاظ، وهي تجري مركبة على ألسنتهم في حال بعد حال، وفي
حديث بعد حديث. ولم يمنعهم اتخاذهم على معاني الألفاظ ودلالات الجمل من الأ героين جميعًا: من أن يفكروا باللغة التي لا تستقر حدود ألفاظها ولا حدود جملها، ولا من الإثبات بهذه اللغة التي لا تستقر حدود ألفاظها ولا حدود جملها. بل لم يمنعهم هذا الاختلاف أيضًا من التفاهيم بهذه اللغة التي لا تستقر حدود ألفاظها ولا حدود جملها. وهذا أمر معقد أشد التعقيد، يحتاج بيانه وأفضل فيه إلى أبحاث قاسية لأسسها، قد تكمل فيها الناس قدمًا وحديثًا، فأصابوا وأخطأوا، وبئوا غامضًا، وراؤوا البيان منها غموضًا.

ولست بصدد البحث في هذا الشأن، ولكن قدمت القول فيه، ليكون جليًا أن الألفاظ، لها خطر شديد، لأن البداهة توجب أن يكون مناظر اللغة الذي نستعمله مجردًا، فيرثما وقع المجرد ضعف سلطان هذه البداهة، فلم يلقي بالب إلى هذا الأمر المعقد الذي يقضي إليه الواقع الذي تعيشه اللغات. فاستعمل اللفظ، أو يقرأ، ثم يفكَّر فيه وتفكِّرُهُ لمبتسمًا بالفصوص عن إدراك هذه الحقيقة المفروضة، وهي حقيقة الاختلاف التي حثت في جميع الألسنة، وفي جميع الأزمنة. ونعلم، إن الناس قد خرجوا من هذا المأزق المحيط بالتفكير والبيان، بمحاولات جمة قاسية عنيفة، خاض العقل الإنساني غراماتها، ليحكي ووجود من الناس والشك، أي من العوامل المتفرعة في كيانه، المؤدية إلى تدمر ما جعله الله سبحانه وتعالى بين الإنسان النامي وبين سائر الموجودات: من حي نام، ومن حي غير نام، أي من حيال أوعجم، وحجام نصفهم. وهذه السبب المثير بين الإنسان النامي وبين سائر الموجودات نامية وغير نامية، هو البيان، وهذا هو الذي يبين الله تعالى في شكوك تزيله، حيث من على عباده بأعظم آلهة ونعمة فقال:  آ ذَٰلِكَ الْقُرْآنُ الْعَلِيمُ  عِلْمَ الْقَرْءَانِ  خَلَقْنَاهُ إِلَّا لِّيَسْتَغْنِ  فَلَوْلَا الَّذِي يُبِينُ الْبَيَانَ أَلَٰذَٰكَ لَا تَكُونَ مَثَلُ الْبَيَانِ  حَلَفْتُ إِلَى اللَّهِ وَلَقَّيْتُ اللَّهَ عَلَى الْبَيَانِ. لكان الإنسان خلقًا غير هذا الخلق، ولولا قدرته على استغلال حكمة البيان، أي مبحة اللغة التي لا تكاد تستنقُّر حدود ألفاظها، ولا حدود جملها، وتقف في دمار الآيات من اللغة وقدرتها على الإبانة عن نفسه، وأُهِّنُي في هُؤُلاء الشك في هذه الأدلة، وفي نفعها لما يريده من الإبانة عن معانيه.
411

وعمن البُنيان، وأنا في شك من أنَّهُ بُني لكل أُحده، ولكن هكذا نقول! من البُنيان أن الأمر لم يكن كذلك في أولِ الإنسان منذ القدم البعيد. فنَظَرَ يوجُب أن يكون أَوَّل* "البيان"، أي أَوَّل اللغة التي بُني بها الناس على أنفسهم، مضبوطًا صريحًا الحدود ظاهرًا، لا يكاد يكون فيها اختلاف يذكر، ثم يوارى اللغة جليل بعده بعد جيل، يستخدمها لمعانٍ متجددة تتجدد إدراك النفس المبين لآسرار ما يحيث بها يومًا بعد يوم، فتحملها إراده البيان عن جديد ما اكتسب لها، على أن تتحسر "لفظًا" تركيه في جملة، لتمنح هذا اللفظ طرفاً من المعاني الجدد، يُنحِّي معناه الأول، ويزيده فيه ما لم يكن، ثم يمضي "اللفظ" في اللغة مركبًا، حتى ينفصل عن التركيب الذي أحدث له معنى لم يكن فيه، ثم يستقل بعد حالٍ معنىً زائداً، مركباً من المعاني الأول، والمعنّي الجديد.

وهذا أشبه شيء بما نسميُّه في العربيَّة "المجاز"، أي اختصار معني حادث إلى معنى قدِيم في اللفظ، وتكرر المعاني الحادثة، وتتلاحم على اللفظ الواحد، فربما انتهى الأمر إلى "لفظ" تراكمت عليه معاني حادثة متعدَّدة، تجمع بينها روابط قريبة المثال، وأوَّل المعاني المطلوبة، ولكن "اللفظ" يبقى لفظًا كسائر ألفاظ اللغة، يتكلم الناس به، ويستعملوه في بيانهم، ولكن ينشأ العلماء والإباحيون، من عدم القدرة على بلوغ كله هذه الروابط القريبة البعيدة، ويستعملون النظر في الفكر من استخدامه هذا "اللفظ" أداةً للفكر، تبعًا لقصور القدرة على بلغ كله هذه الروابط التي تشد معانيها القديمة والحدثة بعضها إلى بعض شديدًا محكمًا، للدلالة على معنى مركب تكون له في الذهن صورة جامِعة.

وهذه الصورة الجامِعة، هي منشأ كل اختلاف في اللغة، وكل اختلاف في الفهم، وكل اختلاف في الفكر. فإذا بدأ المرء يفكِّر مستخدمًا لفظًا ينطوي على صورة جامِعة، وعرض له في إدراك هذه الروابط عرض من الوهم، أو من سوء التقدير، أو من إساءة فهم الروابط، أو من تغلُّب بعض المعاني الحادثة فيه على بعض، أو ما شاب ذلك من وجوه أخرى كبيرة، كان تفكيره مهدأ بسلسلة طريق غريب يجزيه إليها بعض ما بني عليه تفكيره، وعلى قدر ما يعرض له من الوهم، أو سوء
التقدير، أو إساءة فهم الرواية، أو تغليب بعض المعاني الحادثة فيه على بعض، يحدث له انحياز إلى جانب من الفكر، ممّا يكمن في بعضه براءة مشوية بالنقش. وعلى ذلك يكون شأن الذي يثول كلاً، ويحاول أن يفهمه، أو يحاول أن يفسره، فهو عرضة للانحياز إلى جانب من الفهم أو التفسير، يريد ويتنقش على قدر مبلغه من كُل الأفاظ، التي يحاول أن يفسرها أو يفهمها، ولا سيما إذا تضمن الكلام أفاظاً تتنضم على صور جامعة.

وإلى هذا الباب يرجع أكثر ما تجد من افتراق الفرق في العمل الذي دان بها الناس، وأكثر ما نشأ من المذاهب المتباينة مع اتمامها إلى أصل واحد تصدّر عنه، وأكثر ما يعرض لمفسّر النصوص من الاختلاف الغريب المتناقض، حين يحاولون حل الإشكال بالتأويل. فالإشكال عدهم ينشأ من القصور عن بلوغ كُل الأفاظ ذوات الصور الجامعة، فبحاجون إلى تأويل هذه الأفاظ تأويل لا ينسب ما عند كل منهم من قدر من القصور. فإذا قُل القدر، خف التأويل، وإذا غلا قدر القصور، أفضى إلى غلو في التأويل.

أو الاضطراب أو الهوى، ثالثًا ورابعًا وخامساً، إلى أعداد كبيرة من البلاد والمصابين. بل إنما عرضت له في المقالة السالفة من الحديث عن "النقد الموضوعي"، واختلاف وجهته، حتى يعرض للك أن تسمى "النقد الموضوعي"، تقدماً شخصياً، إن هو إلا ضرب آخر من التطبيق لمفهوم هذه القضية الكبرى في اللغة. بل إنما استخرجته من كلمات "أجاكس عوض" من الدلالات التي تدل على صورته العقلية النفسية، إنما قام على هذا التطبيق نفسه.

وقد وجدت أنى قد استعملت في المقالة السالفة لفظ "الدين"، وما يقال من أن ثقافة الشعب، إن هي إلا تجسيد لتدين الشعب، ولكن لم أكن شيئاً مما يمكن أن يكون زيادة في مفهوم هذه العبارة التي قالها "إليوت"، لأنني لم أقرر لبيان معنى "الدين" نفسه، وعانيته عند أهل الإسلام، فلذلك أثرت أن أعرض لمعنى "الدين"، لأن أكثر مقالاتي قد حاول على ما يليه هذا المعنى مثلاً دانيلا أحياناً، ومداخلاً أحياناً أخرى، ومع ذلك، فأنما لم أتدع أن أوضح طرقاً من معانيه فيما سلف، كاذبي جار في المقالة الناسعة حين عرضت لأفكار التنصاري في ديناتهم، [ص: 166]. وفي المقالة العاشرة حين عرضت لبعض ما قاله توميتي من ذكر اللغة الدينية، وظنه أن اللغة العربية "لغة دينية"، وهو باطل شديد الظهور، ثم ما قتله في المقالة الرابعة عشرة عن معنى "الدين"، وفرق ما بينا وبين سائر أصحاب الديانات في معناه [ص: 256].

ولفظ "الدين" من أفكار اللغة التي لها في الذهن صورة جامعية، أو بمعنى أن تكون لها صورة جامعية. فأجاب أن يُعرف تمام المعرفة دقيقة معنى "الدين"، وما تراكم عليه من المعاني الحادة المتباعدة، وأن نحاول محاولة صادقة تؤدي بها إلى بلوغ كله الروابط التي تجمع هذه المعاني، وتشتت قدم معانيه وحدينها بعضها إلى بعض شيئاً محكماً، حتى يدل هذا الفظ على معناه المركب، وهو المعنى الذي له صورة جامعية في الذهن، يدركها عند سماعه.

فالذين، على قدر ما بلغنا من اللغة، هو في الأصل الحال التي يخضع لها.
الإنسان خضوعا طارئا أو مستمرًا، هكذا قدرته. ومن شوارد ما رواه النص بـ
شّملي أنه سال أعراضا عن شيء، فقال له: "لَوٍّ أَفْتَقَتْ عَلَى دِينٍ غَيْرِ هذِه
لأخبرتك"، أي على حالي أو عهدي غير الذي وجدتني واقعا تحت سلطانه. ثم قيل:
"دان للحكم"، أي خضع له وذل، لأنه دخل تحت حاول قاهرة
لا يملك الخروج من سلطانها، ومنه سميت العامة "دينا"، لأن الخضوع لها أظهر
شأنها.

ثم سمى السلطان نفسه "دينا" لأن الناس يخضعون له وذلون.

ومثبّت الطاعة "دينا" لأن المطيع خاضع.

ثم سمى حساب الناس على أعمالهم ومكافحتهم بها، إن خيرا فخير وإن شئا
فسر: "دينا"، لأنه لا يكون حساب ولا مكافأة ولا جزاء إلا من قاهر على مقبول
خاضع.

ثم صار كل ما ينزمه المرء من عادة يخضع لها، أو أسلوب من الفكر
ـ أو الحياة لا يفارقنه مريدا أو غير مريد "دينا" وهذه معان مشتركة، كما ترى،
يمكن أن يتناول كل التزام يخضع له البشر أو غيرهم على وجه من وجه الخضوع
غير المريد، فهو خليق أن يسمى "دينا" كالآكرم والشجاعة والوفاء والعدل، وسائر
ضرور الأخلاق خصّها وقيّبها، كل ذلك داخل هذا في معنى "الدين".
والعرب في جاهليتها، قد استعملت لفظ "الدين" بهذه المعاني المفيدة،
وبالمعنى الجامع لبعض هذه المعاني المفيدة أو لجميعها، وإنما يبين المرأة في كل
موضع من ملاساة الأفكار بعضها لبعض في تركيب الجمل، فلما نزل القرآن العظيم
جاء لفظ "الدين" فيه هذه المعاني، على الوجه الذي ألقته العرب في لسانها.

ف جاء تارة بمعنى الحساب والجزاء، كما في قوله تعالى: "مَايَا يَوْمِ الدُّقُوبِ"، وهو يوم جزاء الناس بأعمالهم التي عملوها في دباؤهم وحسابهم
عليها.

وجاء تارة بمعنى الطاعة، كقوله تعالى في [ سورة لقمان: 32] "وَيَوَّاٰ
فيهم موهج كالفلكي دعوا الله خاصين له أذنباً، أي الطاعة والخضوع لفهوره وحكمه وسلطانه سبحانه، وجاء بهذا المعنى في غير موضع من الكتب.

وجاء تارة أخرى بمعنى الحكيم، كما قال سبحانه في [سورة النور: 44] "قلبناً وطمعناً وليت يبتغوا إلى الله مأوىً، ولله خير المأوين، فإنكم تشركون بالله من دونه"، أي حكم الله الذي أمركم أن تطيعوه وتعملوا به خاضعين، وافق ذلك ما تحبون أو لم يوافقه.


ثم جاء تارة أخرى بالمعنى الجامع لهذا المعنى في غير موضع من كتابه، كقوله تعالى في [سورة النبوة: 122] "قلت: من كل قوم ركث فيهم طاعة وأسلموا في الذئبين، وهو الإسلام، دين الحق، كما ساء الله سبحانه، وهو الدين الذي أنزله الله على محمد رسول الله منذ أول بعثته، وجعل تاماً على يوم الجمعة، التاسع من ذي الحجة سنة عشر من الهجرة، حيث تزرت عليه ووافق ببركة آية تمام الدين، وهو قوله تعالى في [سورة المائدة: 3] " الذين كفروا من دينكم فلا تمسواهم ولا آخروا لهم دينكم ما كنتم لا تمسواهم وآخروا لأولئك بأيمنكم ورضيت لكم الإسلام وديناً، وهو الإسلام الذي بين الله الحكيم فيمن أتي أبوابه من أصحاب العمل جميعاً، فقال في [سورة آل عمران: 85] "ومن يثبت غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخسرين".

***

وهذا اللطف الجامع عند المسلمين، لا ينفك عن معنى الخضوع لله سبحانه وتعالى بالطاعة، وسلوك السبيل الذي هدئ إليه صراطًا مستقيماً، فيما أنزل إلينا من كتابه على نبيه ﷺ، وفيما أميرنا به نبيه ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا
فصار بيتا بهذه الآيات وغيرها: أن 'الدين' عداً، وهو الإسلام، إنما هو ما أنزل الله على نبيه من كتاب، هو 'القرآن'، وما نطق به رسول الله من أمر ونهي، وهو 'الحديث والسنة'، ولما جمعا 'الدين' الذي رضيه الله لنا، وأمرنا بتباعه، والخطوب له، فيما أحبنا فيما كرهنا، وأن ليس لأحد أن يختلف حكماً أنزله الله في كتابه، ولا حكماً قضيًّا به رسول الله في شتى، سواء كان هذا الحكم قضية في أمور الناس، هو 'الشريعة'، أو قضية في أخلاق الناس، وهو الآداب، أو قضية في الخطوب لله بالقلب والجوارح واللسان، وهو العبادة. ولكن كل هذا لا يُستقيم وحده، لأن العباديين بأن يسلموا وجهاه الله، وأن يطيعوا الله والرسول، لم يطالبوا به عن طريق الإكراه والقوة والعلمة، بل تولوا به عن طريق المحجة والبرهان والدلالة، أي عن طريق العقل والتفكير والتميز بين الهدي والضلالة، والحق والباطل، والرشد والغلو، ولذلك قال سبحانه في: [سورة البقرة، 256] : لا إكراه في الدين قد تبين أصل الدين من أيدي كتبنا بإIRE.
وًيُقَوْرُ. يَأَلِينَ فَقُودُكَ ۖ أَسْتَمَسِكْ بِالْعَقْلِ ۖ أَوْقَنِقْ لَا أَنْقِسَمُ هُمَا. فصَارَ وَاجِبًا إِذَنَ، أن يكون الكتاب والسنة، متضمنين لأسلوب يهدف إلى العقل عند الفصل في الأمور المشتتهة، لأنه عن طريق هذا الكتاب، وعن هذه السنة التي جاءت بيانًا عن مجمل الكتاب، طول ذرو العقول أن يعلموا علماً لا شك فيه أن الكتاب الذي أنزل إليههم، إنما أنزل بعلم الله، وأنه هو كلماته سبحانه المفارقة للكلام عبادة من البشر = وألآnodes وأنا أجلما أن هذا الرجل الذي جاءهم بالكتاب عن سبيلهم، إنما هو رسول الله أرسله إليهم، لا ينطق عن هوى، بل حديثًا وحيدًا يوحده إليه، لكي تبين عن معاني الكتاب الذي أُمر أن يقرأه على الناس على ن-reader، غير بباحة له أن يرده فيه أو ينقص منه، بل أُمر بتبليغه إلى الناس ب Vânغه ونصه، كما تلقاه من في جبريل عليه السلام.

ولا كان الهذي والضلال، والحق والباطل، والرشد والغيب، أمرًا لا تُخَذَّ كَرَةً وَتَشَدَّى، وكانت وسائل التمييز بين مختلفاتها ينبغي أن تكون شاملاً لأصول وثيقة محكمة على اختلافها وتباينها، كان بيتاً، بعد هذا، أن هؤلاء، لا بد أن يشمل أيضًا على الدلالة على هذه الأصول الصحيحة المحكمة التي يسترشد بها العقل في طريقه، أي في التفكير والنظر والاستدلال. وإذا كان ذلك كذلك، كانت هذه الأصول الجوامع هي أيضًا قضاء من الله ورسوله، لا تختلف في وجه اتباعها عن قضاء «الشريعة»، وقضاء «الآداب»، وقضاء «العادات»، وإذا كان التفكير والنظر والاستدلال لا يتم إلا عن طريق اللغة وألفاظها وتركيبها، كان لا بد من اضطلاع هذه الأصول الجوامع على سبيل يهدئ به العقل عند التواتر في المشكلة الكبيرة التي تنشأ من تباين الأسلوب التي ينمى بها تركيب هذه الألفاظ، طبًا للإياب عن المعانى. ولهذا قريب الشبه جدًا مما نسميه «علم المنطق». فصار بيتاً أيضًا أن تدين، لا بد له من أصول ضابطة للتفكير كأصول المنطق، لا عن طريق النص، بل عن طريق الاستنباط من نص القرآن والسنة. ومن عند هذا الموضع المشكلي الذي لا يضططر انضباط قضاء «الشريعة»، وقضاء «الآداب»، وقضاء «العادات»، أظهَر، والله أعلم.
نشأ الخلاف الأعظم في الإسلام بين أصحاب أرى القياس، وأهل الظاهر. الذين يبطلون القياس ويقيمون على دلالة النص. ولكن هذا شيء ليس مما يمكن بيانه في مثل هذا الموضوع، أشرت إليه كالنادرة للبحث.

... 

وهذه الجمل التي ذكرتها في معيى الدين، علينا، محاجة بلا ريب إلى تفصيل، ولا يستبين معناها تمام الاستبانة حتى يعرف على وجه منهج التحديد والدقة، تفصيل هذه الأفكار الأربعة التي ذكرتها، وهي: قضاة الشريعة، وقضاة الآداب، وقضاة العبادات، وقضايا أصول النزاع والاستناد. والطريق إلى هذا أن نحاول محاولة صادقة في تقييم جامع البيان عن هذه الأفكار، فإذا فعلنا استطعنا أن نحول على وجه الحق في معيى هذا الفنون الدين، ما هو؟ فإذا تبين معناها، كان تبيه عاصمًا للفكر من الزوال عند الكلام في أمر أموى الدين. ثم كان تبيه عاصمًا أيضًا من الضلال في بحث الأفكار التي يدخل في بعض بيانها لفنون الدين. ثم كان تبيه عاصمًا أيضًا من الخلط في المعاني التي يدخلها الناس في الدين من قبلي تأمل الأفكار، أو يخرجونها من الدين من قبلي نفيه التأويل، وهو إبطال معاني الأفكار تحكمها وعزامه، أو جهله منشئ الوسط عن طريق الاعتراف بالعلم، وتأويل الأفكار حتى تخرج عن حلها ذاتها، وإبطال معانيها عزامًا حتى لا تكون لها دلالة البينة، داءن قيديمان، ولكنهم اليوم أكثر شيء تفصيلًا في كتابة الكتابين، مثَّل جعل دينه الكتابة في الدين والتحقيقه له بلا عقل صحيح، أو علم عاصم. أما أهل العناية والمحالفة، فهم أشد إيلات في البعد عن الطريق.

فمن أهل ذلك رأيت أن أكتب هذه الكلمات، ثم أتبعها بيضاء بيان عن معيى الدين علينا، وهو وإن لم يكن مجهولًا منذ جاء رسول الله ﷺ بالحق من ربه، إلا أنه قد انتهى إلى أن يكون كالمجهول، بعد أن غلبت على دار الإسلام حضارة تابعة من ترات أهل الكتاب المذكورين في كتابنا المنزل، وذلك لأنهم يستخدمون لفنون الدين لدلالة على شيء يأتي ديننا نحن أن يسليم بدلاته إياه مطلقًا. ثم
شاعر اللظف عند عامة أهلنا بالمعنى الذي جاء في تراث أهل الكتابين، فدخل على معنى "الدين" ما ليس منه، وحدث اختلاط وفساد، كلاهما يؤدي إلى شوذة التفكير، وإلى ضلال النظر عن الحق الذي أمرنا باتباعه.

من أجل ذلك، ينبغي أن ندل على معنى "الدين" عند أهل الكتابين، كما هو ظاهر في كتبهم، لكى يظهر الفرق بين معنى "الدين" عند أهل الإسلام ومعناه عندهما. وإذا ظهر هذا الفرق، استطعنا أن نحدد مكاننا الذي ينبغي أن نقف فيه، وأن نزيح الأركان الذي يؤدي إلى اختلاط معاني الألفاظ على المتكلمين والسامعين، أو على الكتابين والقارئين. وليس هذا الأمر من البشر بالمكان الذي يتوجه المرء عند النظرية الأولى، بل هو أمر شديد التعقيد، أرجو أن أستطيع حلّ عقده، حتى لا يتورط القارئ فيها، وحتى لا تشبه عليه المشعل في زمن نحن أن نجح ما نكون فيه إلى اللهد والتعلّم والنفع إلى أعمق المعاني والألفاظ، بحيرة ولا بلبلة ولا يبيع.

عند بلوغ أقصى ما تطبيق من التمييز.

وفي هذا الصدام بين إذن وجودنا، وإذن حضارتنا، وإذن ثقافتنا، وبين هذا الغازى الصليبي المحرق الشديد الدهاء، الكبير الوسائل، المتلفّ بالإفراز والتدجيل، المتدلل بدرجات الغلبة والسيطرة على النقوس والقلب والأهواء. في هذا الصدام الممزق لا يبق لنا إلا إحدى الانتقان: إما أن نستسلم، فتكون لنا غلبة أهل الحق على شيعة الباطل = وإما أن ننتصر، وتنتصر فيما بيننا فتذهب ريحنا، كما ذهبت ريحنا أعم من قبلنا، فضي عليها الفشل والتنازل أن تصبح أثرًا بعد عين. والله نعتصم، وإليه ننجل، وعليه نتوكل.
ثبتت .. ليس الطرق هنالك

الرسالة
الخميس ١٦ ربيع الأول سنة ١٣٨٥
أيحقَّن بالكاتب أن يشكِّك نفسه إلى قراءته؟ سواء كان ذلك مما يحقَّن به أو مما لا يحقَّن به، فإنِّي لست، نفسي إلى القراء، فأنا حين أنَّني لكتابتي، يخيل إلى أن الموضوع قد استقر في نفسي وصوتي، وأن الوجه قد استنبل واستنمت لني مذاهبي. وعندما أكون كالذي يرى جنة مترامية الأطراف من المنظر الأعلى (أي عن بعد)، من مكان عالٍ (، فإنها رؤيتى ليُ في رفقة يحيط بها البصر، فيرى أهلان شجرها، وتدوير أثمارها، وتخريج ألوانها (أي تدخل ألوانها وتخريجها من لون إلى لون) (، ولاء جداولها، ومسارب طرفها، ومذهب حضياتها، بل أكاد أسمم شادها وغزها وطرها. فإذا أخذت مكاني، وأمسكت القلم، وبدأت أكتب، فكأنى قد انحرفت من سماء موفقتى، وأفضيت إلى سواها، وأجذبت وقعت على خواشى حرجتى مظلمة الجوانب (، والرجحة الشجر المجتمع المنتف (، لا يقدر أحد أن ينفذ فيها (، وإذا تلك المعالم التي كانت منذ قليل بيئة مظلمة لا يضل فيها بصري قد انحرفت، فأذهب أحقَّن منفذا في سوادها المتخليق بها، أغيض لنفسى مدخلا، فإذا وجدته، فمن قبلي تألى البلوى (، فأنا عندنف يستخفى الفرح بهذا المدخل الذي اندلعت إليه بعد طول الصلات عنه، ويعود ما كنت فيه من طماينة الإحاطة، بمشاعرها من ذلك المنظر الأعلى، ويشبى فيها ومدى أن قادى على أن أسلك فيها طرق واضحة بقدمى (، كما كنت أسلكها من موفقتى بالصرى المشرف = وأرى قادى أيضًا على أن أحيط بنت هذه الجنة في لحظات (، كما كان بصري يحيط بها في لمعة خانتها. ولكن، لما أضع المروء بين اللعب والنصب وألّق المدخل على ثقة (، وتأتي بي المدخل إلى منظر غير المنظر، وأسرى في مسارب أراها كأنها غير المسارب التي كانت تلوح لعيني (، وأجد شداً غير الشدا الذي كنت أستروخ (، ويفتتى الحاضر القريب عن غائب يتبع، كلما أوثقت المسير في فيرث نزاهى (.
وأما أكاد أُتوغل حتى أرى بين المشهدين فروعًا عجيبة ، لم يكن يخطر لي أنها كاذبة ، وأنا حيث أنا في وميض من المنظر الأعلى !

هكذا أنا بين التفكير في الموضوع الذي أنهيًا له ، والإقبال على كتابة الموضوع الذي تهيأت له . أراه مجتمعًا واضحًا قريبا سهل المسالك ممهدًا ، ثم لا أكاد أحمل القلم وأمضي ، حتى ينبعث سهله أحيانًا عن زعورة جارحة ، وأذهب آنذاك ما كنت أراه قريبا ، فإذا هو أبعد بعدًا مما أتىهم .

كذلك كان شأنى حين بدأت أكتب المقالة السالفة ، كنت أتوفى أن أُسأرُغ من الموضوع كله في مقالة واحدة ، لأن معرف وجهه كانت عديمة مسبقة كل الأسئلة وأنا أنهيًا له = فلما دخلت إليه من حيث دخلت ، اس تدع معارقته عن مجاملة يضل فيها الدليل الحاذق ، وعن وعورة يغيب عنها السالك البصري . وأقبلت أجمع أطراف من هنا ومن ثم ، وأنا أكتب ، حتى لا ينتشر ويبتعر . فقد رأى هؤلاء كأنه بدأت في إنشاء كتاب قائم برأسه ، لا في إنشاء مقالة يتعجلها قارئها ، على عادة أهل زماننا في العجلة . والملجأ شرٍّ مخلص ، أنؤاف مغيبته وأنا أكتب ، وأصهر أن أجد القارئ وقد استبزعت به العجلة الداعية إلى الكلال ، فأجيدي أداريه وأتباطأ بالصدب وضرب بين الملاطفة ، وشبه من المسألة والمبادئ ، وربما عمدت إلى إدخال بعض الهزل في مواطن الجد ، لتأخذ النفس من خفقة الباطل جحمة تسعي فيه على معايحة الحق . ولكن أخفقت حين مضيت في كتابة تلك المقالة ، فلم أستطع إلا أن أقبل بعدًا هزل فيه ، وكأنى طالب القارئ يعذب لا راحة معه ، وبأناة في القراءة لا ينشؤها طائف من عجلة . وأظن أُسأرُغ ذلك اليوم ، حتى ينسى لي أن أفرغ من هذا » الكتاب » الذي جاء في صورة مقالة ، والله المستعان على لأواء القلم ، وعلى الذي أعاني من هُم الكتابة وأداء الأمانة .

وقبل كل شيء ، لما صاحب بعث الرضي ، (1) مقبل على الدنيا بوجه واحد ، لا ينفت بعضا ولا شمالًا ، إذا نظر في شيء رأيته كان يحتفظ إلى أعماقه ، أو هكذا

(1) هو صديقنا الأستاذ: الحسناء حسن عبد الله.
يفز، يفكر صم غلطة حقنة، فهو بذلك أكثر شيء جدًا إذا خاصم. وهو إذا قرأ ما أكتب، لم يُلفتني من جذاله، وإن لم يكشف لي عما في نفسه، فانًى أي لا أكر أراه، حتى أرى الجدال قائمًا نافذًا مطلأًا من أسارير وجهه، وتجليد ظلمته. فإذا ما أردت استثارةه، ثائر عن حشد حاشد من وجه الاختلاف، ومن النصوص الماضي على الاختلاف، لا ينال أن يستمي بنلامي لبركة فكره إلى فكره. وليس عجيبًا أن أجد متناحلا لا يمل في أن أحس بغيضته، ويَلََّه إذا ما أكنني إلى مضيق رأيه. وذلك لأني أجد تعبيرنا عن نفسه نشوةً تحملني على مقارعة جنثته بجنثته، ولا أزال الذين شغث الكلام المبعثر بينه وبينه، فإنا تراضينا واصطحنا على شيء، وإنا تركنا على غير رضى، حتى يردج جداله بينه وبين نفسه غمًا وغثأ. فما قرأ المقالة السافقة زانى كعادته، ولكني رأيت وجهه يُلطف اعتراضًا وجدالًا، (أي بطر)، وكأنى عقله قد ذرت لفظ الدين ُ بابًا من الفروع من حيث أردت البيان! فمن أجل ذلك، أثرى أن أوضح ما أردت في هذه الكلمة حتى يخرج من المأرب الذي أوقعنا فيه اللغة، كعادته كل لغة، كما أعلمت في صدر مقالتي الماضي.

لفظ الدين ُ، عندما ما يطلق اليوم، لا يكد الناس يوافقون في فهمه والمراد من معناه. فهو عند أكثرهم: ما يضمن عبادات فئة من الناس يلزمونها في أداء حق الله عليهم، وما يتبع ذلك من رسوم يقيمونها في حياتهم، ومن عقائد يعتقدونها في رؤيتهم، ومن أصول يؤمنون بها في نشأة الإنسان، وفي حياته، وفي معاده بعد الموت والمصيرات الحياة إلى أن يتشكل ذلك من أداب وعوارف. وإذا لم يكن الدين ُ هنا معنى مركب من تفاصيل كثيرة جدًا، لكل قوله في تفاصيله، غير المعنى بالذين عند آخرين يختلفونهم. فالله يرى أن الذي عده من ذلك الدين ُ، والتصريخ يريد أن الذي عّده من ذلك الدين ُ، وكذلك المجهوس والبوذي وسائر أصحاب العمل، برون ما هم عليه ديناً.

ولكن إذا عدنا فنظرنا، وجدنا أن معنى الدين ُ عند أهل كل بلدة، معنى مركب معقد أشدّ القيمة، ووجدنا أن كل ملة تختلف صاحبها في أكثر الأصول والتفاصيل في العقائد والعبادات. وإذا فهمت لفظ الدين عند كل منهم لا بد أن يكون
مخالفًا كل المخالفات لمفهومه عند من يختلفه في الملة، وعسير جدًا أن تجد بين أصحاب الملل، إذا حقت، تشابهًا في معنى الدين بمعناهم الجامع عند كل منهم. ومن ادعى أن معنى الدين واحد عند جميعهم، فقد أبطل، فإنه إذا كان معناهم ومفهومهم واحدًا، لما كان هناك معنى لاختلافهم، وإدعا كل منهم أن الذي عند صاحبه بطل، ولوجب ذلك أن يكون جميعهم يرتكبون على السوّيّة في الأصول والتفاصل في العقائد والعبادات جميعًا. وإذا كان ذلك بطلًا، يبيّن، فلفظ الدين إذا أطلق لا يعني البتة شيئًا، إذا أريد التعبير عن معنى جامع مركب، وإنما تدخل الشبهة على السامعين والمتكلمين، من الوقوف دون هذا المعنى الجمع المركب الذي وصفناه، أي من الوقوف عند معنى الدين من حيث هو طريق عبادة، سواء كان هذا الطريق صحيحًا عند قوم، بطلًا عند آخرين، أو كان عبادة الله الواحد القهار، أو كان عبادة نفي الله من الأنداد والشركاء والأصنام والأوثان وسائر الضلالات التي تتسم بها البشر.

وإذا كان غير المسلمين، ممن يتكلمون العربية ويعبرون بها، يسرون ما عندهم ديناً على هذا الوجه، فهل يصحّ عندنا نحن المسلمون أن نسمى ما هم عليه كنفاح الدين؟ لأن نفهف فظ الدين يعني نحن الجامع المركب الذي يدل عليه فظ الدين عندنا؟ هذا سؤال ينبغي أن يجاب عنه بوجوه واضح لا لبس فيه ولا غموض. ولكن ليس من دينا أن نجيب على مثل هذا السؤال بل استجابة له بدلاً يجب التسلم له، والدليل عندنا هو كتاب الله وسنة رسوله، ليس لنا أن نخالف عندهما، ولا أن نبتعد عن عند أنفسنا معيّنًا لم يبيّن لنا في كتبنا الذي أزته على نبينا.

ولكن ينبغي قبل أن نصل إلى البيان عن ذلك أن نعيد ذكر المراحل التي مر بها فظ الدين في اللغة، قبل أن ينتهي إلى معنى العبادة، ثم إلى المعنى الجمع المركب المعقد الذي يطلقه أصحاب الملل على مللهم التي يتبعونها. وليس هذا الذي نقوله في ذلك استبعادًا واستفسارًا، وإرجاعًا إلى الأصل الأول الذي بنى عليه المعنى، فعسى أن يشئ ذلك لأنه مطلب عسير جدًا أن تخلص فظ الدين مما تراكم عليه في مراحله بعد مرحلة، حتى تنتهي راجعاً إلى ذلك الأصل الأول.
المجرد من التركيب. ولذلك نعود إلى أقرب المعاني إلى الأصل الأول، ونعده
بمنزلة الأصل المجرد من التركيب، ثم نسلسله مرحلة بعد مرحلة.

استظهرت أن المعنى الأول للفظ «الدين»، أنه الحال التي يِ خضع لها الإنسان
خصوصًا طارئًا أو مستمرًا، مريرًا أو غير مرير.

 فإذا ألف المسلم تلك الحال وذرب عليها، وزمرها مرة بعد مرة، خرج إلى
معنى «العادة» التي لا يكاد المسلم يفارقها، بل يأتيها كالمقصور عليها.

ثم جاءت المعاني تتراكم على لفظ «الدين»، فداخله معنى القصر والقهر من
ذى سلطان لا يملك المرء خلافه.

ثم حق بهذا معنى الخضوع لذى السلطان بإرادة أو بلا إرادة، خضوعًا
ظاهرة أو باطنًا.

ثم أدرك ذلك معنى الغلبة من ذى السلطان على من يَ خضع له، حيث يكون
الخضوع له عادة دائمة لا يكاد المرء يفكر في الخروج عليها.

إذا ذلك قد جمع إلى معناها معنى الطاعة ممن خضع للسلطان.

ثم دخل على معنى الغلبة من الغالب، والطاعة من المطيع، معنى جديد
مؤسسات على هذه المعاني المتراكبة. فإن صاحب السلطان بحسب المطيع على
طاعته، والعاصر على عصاباته، وكافئ المطيع، ويعاقب العاصي، فصار معنى
الدين إلى الحساب والمجازاة على الأعمال التي يعملها كل منهم، مما يرضى
عليه ذو السلطان أو يخطبه.

ولكل معنى من هذه المعاني المتزامنة في التركيب، ظلَّل رمَّا غلبت اللفظ
على بعض معناه، كاستعماله مثلًا في معنى «الذل» و«الاستياء»، كقول
الأعشى في ذكر ما كان من أمر المثير بين الأسود في إخضاعه «الرُّبَّاب» فقال:

هم ذانى الْرُّبَّاب إذ كَرَهْوا الْدُّنْيَا، دَرَّاكَا يُغْرُوهَا وَصِيَالِينَ
هم ذانى بعد الْرُّبَّاب، وَكَانَا كُبْعًا عَفْوُوهَا الأَقْوَالِ
أي أذل الزيات واستعبدهم، فذلوا له.

• أو كاستعمال الدين بمعنى السياسة، تقول: «كانهم» إذا ظلوا

يستعملهم، لأنه لا يتوهم إلا بالطاعة له والخلاص.

وإذن يوجب علينا المعنى الحادي على المعنى الثاني، مكان استعماله في العبارة المركبة، ثم يستقل بعد إذا غلب استعماله مرة بعد مرة، حتى ينفرد يكون معنى مركبتة يدل عليه اللفظ بمجرد ذكره في الجملة. ويصير اللفظ بعد ذلك مشترك المعاني، لابد لصاحب اللغة من أن يميز أي هذه المعاني المشتركة هو المراد في العبارة، بل غفالة عن المعاني الأخرى التي تتناول اللفظ وتركيه.

وقد انتهى معنى الدين إلى معنى الخضوع لمعبد معظم لا يملك المرء خلافته ولا معصيته، ولكن لما كان الخضوع لمعبد معظم قد احتاج إلى وسوم من العبادات والتكاليف، وإلى أصول من العقائد في المعبد، وإلى عقائد في نشأة هؤلاء العبادين ومكانين من معبدهم، وإلى ما يتناول إذا أطاعوه، وما يصيبهم عند معصيته، وإلى شيء كثير جدًا من التفاصيل في هذه العبادة = صار جميع ذلك دينًا، لأنهم يخضعون له بالتسليم، في أنفسهم، وفي عقيدتهم، بل في جميع أحوالهم. فكل من خضع لهذا المعبد وما توجه عليه عبادته من تكاليف: في العمل، وفي الإيمان، وفي سائر العقائد المتعلقة بمعبده = يفهم معنى الدين مركبًا من كل ذلك، وإن كان كان لا يفتك يعرف أن أصل معناه راجع إلى طاعة هذا المعبد طاعة خاضعة تترى إليه، ينال بها رضا ويتيح سخطه.

ولأ يرتبط عاقل في أن كل عابد يتوجه بعبادته إلى معبد بما هو عنده دين، لذلك المعبد، فإنه إذا سمع لفظ الدين، أخذ مأخذ أهل مبته في إدرك معناه مركبًا، دون الاقتصر على معناه السابق قبل أن يلحقه تراكم المعاني المختلفة التي يلفتها، إذا ذكر أمر عبادته ومعبده. فأتت إذا قلت للمسرحي الدين، وأنت تخاطبه، وأنت تعني الإسلام بأعماله وعقائده، لم يفهم من مجرد اللفظ شيئاً.
مما تعني أنك من معنى الدين، الذي هو الإسلام عليك. وهذا بين جدًا، فيما أرجح، وذلك لأن معنى الدين عند النصارى مركب من جماع عقائد النصرانية وأدابها وأعمالها وعباداتها وطرق ممارستها على الوجه الذي ينفعه. ثم لو أدرك أنك إذا تعني تقولين الدين الإسلام، فإنه يقتصر في فهمك معنى هذا اللفظ على الأصل المشترك بين النصرانية والإسلام وغيرها، أي أنه ليفهم من معنى الدين عندئذ إلا إذا طرق من طرق التعبد والخضوع، ولا شيء فوف ذلك، فهو عنده معنى مبهم غير واضح تمام الوضوح، إذا قيس بما هو مطلوب منه أن يفهمه عفك. وهكذا شأن المسلم إذا سامع لفظ الدين من نصارى أو مهودي، أو عابد وثن، لا يفهم معنى سوى معنى التعبد والخضوع لمعبد بعده، دون الذي يسميه النصراني أو اليهودي أو عابد وثن، لأن معناه عند كل منهم مركب على صورة مباهة لصورته عند المسلمين.

وذلك إذا قال القائل: النصرانية دين، واليهودية دين، والمجوسية دين، وعبادة الأوثان دين، فإن هذا اللفظ له أربعة معاني، ومنها: مباهة للفظ واحد، إذا كان المراد بلفظ الدين المعنى المرموق الذي يدركه كل منتسب ينتمي إلى واحد منها. لأن هذه الأربعة لا يكاد يتشابه معناها المركب، وإنما يأتي الخداع من حيث أنك تجري كل واحد من هذه الأربعة من كل ما تركز منه معاه الجامع، وتظن عندئذ أنك فهمت شيئًا أو أدركت على وجهه الصريح، وهذا باطل، فإنك إنما قصرت معنى الدين هنا على معنى الخضوع والتعبد لمعبد غير معنوي، وهو لفظ لا يؤدي إشراك هؤلاء الأربعة البالغة فيه على شهادة لواحد منها باليشابه صاحبه، ولا على شهادة واحد من هذه الأربعة على أن الثلاثة الآخر حق أو باطل.

فبينما إذن، أن يكون واضحًا تمام الوضوح، أن لفظ الدين عندئذ، مفهوم عند الثلاثة الآخرين، في جهته المفرد، دون جهته المركب، وإذا كان الأمر كذلك، فإن في تسمية المعنى في أحد هؤلاء الأربعة ما عند الثلاثة الآخر
ديناً، وذلك من فعله ضرب من الخداع في التعبير، يُفضِّل إلى الخلط في فهم المعنى المراد من تعبيره، إلا إذا ذكره مقيضاً ووضاع التقييد، حتى يرجع بالمعيّن الجامع، إلى المعنى المفرد، وهو مجريّ التعبد والخضوع من العباديين، دون ما يكون به التصرائط نصرائيًا واليهوديّ يهوديًا، والمجوسبيّ مجوسياً، وعابدين الوثن عابدين وثنيين.

وهذا، وليس مجرى التعبد والخضوع بكافٍ في أن يجعل كلًّ واحد من هؤلاء متميّزًا عن آخره، حتى يقال هذا نصرائيًّ، وهذا يهوديًّ، وهذا مجوسياً، وهذا عابيد وثني، فإذا كان ذلك كذلك، وجب أن يكون المعنى الموجب لوصف كل منهم بما وصف به، شيئًا خارجيًا عن معنى التعبد والخضوع. وهذا واضح جدًا.

وإذا اختفت، مع ذلك، صفة العبود عند كلٍّ منهم، امتد أن يكون بينهم اشترك في معنى «التعبد والخضوع» نفسه، واتسهبت سُقّة التبادل أتتًا بوجب أن تنتمس لممعنى «التعبد والخضوع» نفسه، نعته مبجيًّ لكل واحد من هؤلاء الأربعة، لأن التسعود والخضوع نسبة إلى شيء، يتغطره المفهوم من معناهما بتنسيك المنسوب إليه.

وقد دارست مكان هذا اللفظ: الدين وموقعه في كتاب الله سبحانه، ووجدت مصداق ذلك فيه بل شبهة تعرض. ففيت وقعت هذه اللغة من كتاب الله، وقعت في منزلها الذي هو منزلها، دون سائر المنازل التي يقع عند الناس الخلط فيها، وصريح النظر كان يوجب أن يكون ذلك كذلك. فإن الله سبحانه حين أرسل رسوله بالهدى، وأوحي إليه هذا القرآن العظيم، أرسله على حين فقرة من الوُسْع، أي على انقطاع في رسالة الوُسْع، وقد انتسبت معالم الرسالة التي أرسلوا بها، وتحول الناس إلى غير العبادة التي أمرتهم بها رسول الله، فكانوا جميعهم، غربهم وعدهم، ففي جاهلية، مصداق ذلك ما جاء في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه، من حديث عابدين المجاشعي عن رسول الله ﷺ:

إن الله نَفَّذ إلى أهل الأرض قَفْطَتَهم، غُرِّبُهم وعَجَّبُهم، إلا بقايا من أهل
الكتب ، (إي عدد قليل قرأ إلى الصوامع بعد الاتفاق في كتابهم ، وبذلك خرج عامة أهل الكتابين). وقال الله لرسوله: إنما اعتذرت بأبيه وأبنيه بك ، وأنزلت عليه كتاباً لا يغيب عنه نافذًا وناظرًا.

فكان أهل الكتاب يدته على يدك مדלתا من دين موسى وعيسى عليه السلام ، وكان العرش يدته على يدك مسجد من الحضرة سنة إبراهيم عليه السلام ، علّب عليهم الشرك بعثت إليه ولم يهود ونصرى جميلة في يدك جاهلية ، فجاء بإبّان ما تبينه به العرب وغيز العرب من أصحاب الملل ، قدم أجله شيخانه و تعالى شيخًا من هذه الملل الجاهلية .

بدر » في شيء من كتابه ، مع أنه جاء بمجانبه وبطل دعواهم في آيات المكية والمدنية جمعًا . وفي المجي من التنزيل خاصة ، لم يسم ما جاء به من عند الله » دينًا » ، بالممي الذي يفهم الناس اليوم ، ولا بالمعنى الذي سوف يأتي ظاهرًا في بعض آياته المدنية.

---

من إنكار البث بعد الموت ، وإنكار ما يبتلى ذلك من الثواب والعقاب والحساب والمجازاة .


3 • وجاء أيضًا معرفًا غير مقويًا بذكر »الخلاص« « في معرض اتخاذ إلهين اثنين ، وهو العضل الشوبي ، ووضعه بعضنا أخرى ، وذلك قوله تعالى في سورة النحل : 52 : " وَلَهُ عَلَى أَلْيَامِهِ وَأَصْبَحَهُ " ، أي له الطاعة دانمة ثابتة واجبة لازمة لكل خلقه ، أن يطيعه ويحضرونه له ، مع تمام الرعاية في إنวาده بالألوهة أمراً لازماً من الله . يقول تعالى : " وَقَالَ ابْنُ مَيْلَيْنَ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَيْهِمْ أَثْنَىَ إِنَّ هُوَ إِلَٰهُكُمْ وَإِنَّكُمْ إِلَٰهُ الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ " . فهذا هو المعنى الثاني .

4 • ثم وجدت شؤون من القرآن جاهزة فيها ذكر الشرك بالله ، واتخاذ الشعاع ، وقول الكافرين » أُنْصَدَى اللهُ وَلِدًا وَلَدًا « ، وذكر اختلاف أهل الكافرين من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم ، وذكر أتباعهم أهواءهم غير علم ، وذكر الذين اتخذوا كتاب الله الذي أنزل إليهم قرآنيeties. كتبناها ويفتركون كثيرًا ، فرأيت لفظ » الدّين « قد جاء معرفًا وموصوفًا حلالًا صاحبًا بأنه » خليف « و » الدّين « نفسه موصوفًا بأنه » قيم « ، وذلك في سورة يونس : 105 ، وسورة الروم : 30 ، وسورة يوسف : 40 ، وسورة الأمع : 161 ، وذلك كقوله تعالى في سورة يونس : » أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ يَهْجُّوكَ «
لدين حنيفة ولا تكون من الشيركيين، وقوله تعالى في سورة الروم: 
«فأقد تجدون من مسلمين废 الإخوة فطلبت أن تنظر الناس علي ما تريد. إلا أن الله دللك على النور. إن الفتيان وليكونوا أحسقاء الناس لا يعلمون».

ولما كان ذلك قد جاء في صدد البراءة من الشirk، واتخاذ الأنداد والشفعاء، واعتقاد الولد لله سبحانه، واتباع الهوى بيبرعلم، فلذ ذلك على أنه أراد إقامة المطيع وقيق خاسعاً، خاضعا لله وحده، مستقيما على ذلك غير معوجة إلى طاعة مسجحة في يهودية أو نصارى أو عبادة وثني.

ولما أعلان هذه التعرف وأضافها إلى ياء المجمل في الآية التي قبل الآية التي ذكرتها آنفًا في سورة يونس، جاء أيضًا هذا المعنى، وذلك قوله تعالى: 
«هل تأكلون أناساً كمكم في شكل من ديني، قال اذهب إلى الذين تجدون من دون أن تكين أسعد أن اللهي يتوبكم وأبى أن يكون من المؤمنين»، أي إن كنتي في شك من طاعة وخصوص في العبادة، فإني أفرز الله وحده بالعبادة، دون ما تطعونه في عبادتهم من الأونان والأنداد والشركاء، دون ما يوجهه له بالطاعة والعبادة، القوم الذين قالوا: اتخذ الله ولدا من أهل الكتاب. فهذا فرع فيه زيادة على المعنى الثاني.

5° ثم جاء الدين معروفا غير موصوف في موضوعين من سورة الشورى: 

١٣، ٢١، وذلك قوله تعالى: 
«أين الذين في أنفسهم ما يتقين وكيما ولائي؟ أما الذين الذي سبقوهم في إخون الله، أبوهم إنهم أشياء لكم ولكله من بينيكم، وحده من إخون الله بينيكم» ثان ينبي، ثم ذكر سبحانه بعثت هذه الآية تفقن الناس عن الدين الذي وصى به إبراهيم وموسى وعيسى، واتباعهم أهواهما، ومحاججتهم في الله بحجة داحسة عند ربيهم، وتمارهم في الساحة والبيت، ثم قال: [سورة الشورى: ٢١] «أم لم تكن شركوكما سبقوهما، ما من أليين ما لم يتوبوا إلى الله؟»، فدل هذا الشباق على أنه أراد به الطاعة والخشوع لله سبحانه على وجه واحد من الطاعة والخشوع، أمرهم أن يقوموا ووجههم عليه غير معوجين عنه، ولا متوافرين فيه. فهذا حد لمعنى الدين الذي هو الطاعة والخشوع، وأنه واحد لم يختلف عليه الأنباء جميعًا.
كما جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: "أن أولاً الناس بعيسي ابن مريم في الأولي والأخرة قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: لأنبائي إعهدة من علابت، (العائلات: هم الأبوة لأب من آمنيات شتى) وأمهاتهم شتى، وديهم واحده، فليس بنياً نبياً. ومراة بالنبنين في ذلك كله: هذه الطاعة المعروفة في عبادة الله وحده، على وجه الذي وصى الله به أبناه جميعاً. فهذا فرع على المعنى الثاني، مع تحديد واضح.

6. ثم جاء الدين في سورة الأعراف: 151، وفي سورة الأعراف في ثلاثة مواضع: 70، 137، 159، وفي سورة الروم: 32، مضافاً، كالذي جاء في ذكر المشركين في سورة الأعراف: 159: "وقد أورداهم ليزعموا أنعم لنا ونها "وغرهمPCIYUIOLO "محلية الدين"، والذي جاء في ذكر اليهود والنصارى في سورة الأعراف: 159: "إن الذين ظنوا أنهم ورثوا ضربنا عليهم شيعاً مسألة فناوء"

7. وإنما ما جاء مضافة في سورة غافر (26) على لسان فرعون، وذلك قوله: "وقد تبسوتم زوجتي وأتلتم موسى وجعلتم رباه ويعيدكم آلهة. إن أقدم أن يسيدك أن تزعم أن أستمتبب مثالك أو أن تظهر في الأرض الظلمة. فإن سبق الأيتام بدل على أنه أراد بالدين هنا الخضوع والطيعة في العبادة، ولأنه هو الذي كتب موسى وعاصي: "فيما أدرك نسمت حلم قدان، فقال أنا ركب أصل حتى أدرك الله تكاء الأجر والأток. إن في ذلك غوره لم يحترق، كما جاء في سورة النازعات: 22-27. فهذا أيضاً فرع على المعنى الثاني، من وجه مخالف.

8. وأما ما جاء في سورة يوسف: 76 في قوله تعالى، عند ذكر خبر يوسف وأخيه: "ما كان يصعد أخاه في بين اليمين إلا أن ينسكب الله"، فمن اليدين
الواضح أنه أراد سلطان فرعون وقضاءه في السارقين، لا شك فيه، لأن يوسف كان
نبيا على ما عليه آباؤه من الأنبئاء، لا على ملة فرعون وقومه. فمحال أن يكون أراد
بالدين الطاعة في العبادة.

وأما قوله تعالى في سورة الكافرون، وهي السورة الثالثة فيما نزل بمكة من
القرآن: { لا يعلمون } فإن مقا، 3، فإنه مقا يشكل على بعض من لا يوقف
وبعث، فيبقى دائما لا يسمع الله تعالى ما كان عليه المشركون من عبادة الأوثان
دعاً، بالمعنى الجامع الذي كانوا عليه في بلتهم، هذه واحدة، ويبعث أيضا، ليمكن الأمر يومئذ قد اكتمل بيانه لرسول الله { } بل كان في أوله ليس
عندئم الأمر شيء إلا أمر التوجيه بالعبادة والخضوع والطاعة لله الواحد القهار، دون الأصنام
والآلهات التي جعلوها لله شركاء، وتعبدوا لها لتقربهم إلى الله زلالي. والسورة كلها
في معنى العبادة لا غير، أي في معنى الطاعة والخضوع، دون ظاهر التفاصيل
التي تتصل بالطاعة والخضوع، من تكاليف وعفاوى وأعمال، وهو
لم يذعهم إلى المماركة، قدَّغ لهم بلتهم التي هم عليها وزدغوا له بلته التي هو عليها، ولما
كان الأمر مماركة، فكان ضرباً من الإقرار لما هم عليه، ولم يكن لدعوه إياهم
إلى التباع معنى يُغلق، وإنما أمر أن يقول للكافرين: { يتباهوا الصبرون } لا
أطيع ما تحبون، وآثر عبودكم ما أطيع { } كل أنا عبادا ما عبادكم } فهو
بهذه الآيات يري أن يكون متوجهين بطبعه وتحضوره إلى ما يتجهون به بطلب
الطاعة والخضوع، وهو ليسا سواء، فهو يُقيم وجهه بالطاعة والخضوع وحمد سبحانه،
وهم يتجهون إلى ما لا يقبل من أصنامهم وأوثانهم، وإن زعموا أنهم إنما يتوجهون
إليها، ليتبرعوا بها إلى الله. فأمر { } أن يقولوا: { لا أطيع ما تحبون، وآثر
عبودكم ما أطيع } فهو دعوة للبادر، مع زعمهم أنها تتبرعون إلى الله زائفًا = ولن يبتر أي في التوجه
إلى الله وحمد سبحانه، لأنهم برون بشكركم مما أعبد، وأنا برى مما تعدون
فالدين في هذا الموضوع قريب المعنى من الشيرة والطريق، وهو أخص في
المعنى مما مضى كله، وآتيه معنى رايع.

•••

وإذن فلفظ الدين { } فيما نزل من القرآن بمكة، لا يحمل غير هذه المعاني.
فلم يسمى الله تعالى شيئًا من عبادة المشركين أو أهل الكتاب دينًا بالمعنى الجامع الذي أشارنا إليه، ولم يسمى الإسلام نفظه فيما نزل بمكة دينًا بهذا المعنى الجامع، لأن جميع شرائع الإسلام لم يتمتم أصولها وفصلها إلا في المدينة بعد زمان طويل. فمن ذلك أن تمام الصلاة أربعًا، على ما تحن عليه اليوم، لم يتم إلا بعد شهر من مقدمة رسول الله ﷺ المدينة مهاجرًا، وأوّلت صلاة المسافر ركعتين، كما كانت الصلاة في مكة. والركاية أيضًا لم تتم فرضها إلا بعد الهجرة بمران، وعصبان رمضان وياة الغفران، إنما فرضها في شعبان على رأس سنة عشر شهرًا من الهجرة، ثم تابعت أحكام الإسلام كله بالمدينة، بلا ريب في ذلك. وإنما أقتصر الأمر بمثابة على المحاضة في التوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده، سواء الصلاة المكتوبة قبل فتحها، فترك الله نسبتاً ذلك دينًا بالمعنى الجمع كما رأيت.

أما إذا جاء ذكر ما كان عليه أهل الكتاب وغيرهم من الأمم، فإن الله سبحانه لم يذكره حين ذكرهم بل ذكرهم الدين، بل لبـَذَّرُهُم دينًا. وذلك كالذي في [سورة ص] 5-7، وذلك حين ذكر الذين كفروا، وتعجبهم من أن يجتيبهم منهن قولوا هذا ساحر كاذب، قال الله تعالى بعد ذلك، يذكر مقالة الكافرين: إنما الكافرون هم الذين إنما عربوا، وقالوا إنما كنا نحن الذين نعتذر على الظلم الإسباطي، إذاً كنا نعتذر، فما يعترض علينا في أبل الله الأجراء إن هذا إلا أخيلنا قلماً، فلكلمة الآخيرة، هي النصرانية، وهي لا تأتي أن تجعل لله ولع، كما قال الله تعالى في [سورة البقرة] 62، فقد أتى الله هو السميع العليم، صميم وقول السميع يحيى إبراهيم أنبرأنا الله ربي وبيتكم إنا من يد الله فتركنا الله على الجنة وما أ Hóaائنا الآخر ما إله إلا الله وإنا نزحنا في هو الذي نزحنا، وإنا نزحنا في هو الذي نزحنا

وسمى الله ما كان عليه قوم شعيب من الشرك ملة في سورة الأعراف 88، 89، وكذلك سمى كل ضالة كان علاآها قوم ملة في سورة يوسف 37، 38. وفي سورة الكوثر 20، وفي سورة إبراهيم 13، مما نزل بمكة، بل سمى الذي كان عليه إبراهيم وولده من الحق الذي لا اختلاف فيه ملة.
كقوله في سورة يوسف: "إِنَّكَ تَرْكَتَ مَلَأَهُ قُوتًا لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَهُمْ يَخْرُجُونَ كُلَّ يَوْمٍ سَبِيلًا..."، ومثل ذلك في سورة الأعراف: 111، وسورة النحل: 136، من القرآن الذي نزل بِمثابة، ولم يسَمَ الله تعالى شيئًا من ذلك (دينًا) بالمعنى الجامع.

ثم لما نزل ما نزل من القرآن بالمدينة، لم يسم الله تعالى شيئًا من ذلك (دينًا)، بل سمى ما عليه اليهود والنصارى (بَلَّغَهُ)، كالذي جاء فيما نزل بِمثابة، نحو قوله لرسله والمؤمنين (سورة البقرة: 120): "وَلَوْ قَتَلُوا عَلَيْهِمْ نِفَاطِمًا وَلَوْ تَحَمَّلُوا هُمْ عَلَيْهِمْ لَلْيُوْمُ الْيَوْمُ الْأَخَمُّ الْآَخَمُ، ثُمَّ تَحْمَلَهُمْ عَلَيْهِمْ أُمُورًا مِمَّا نَعِدَهُمْ بِه، ثُمَّ كَانَ لَهُمْ مَا كَانَ لِذِيٍّ يَدُونَ فِيهِمْ". فسمى ما عليه اليهود والنصارى (بَلَّغَهُ)، ووصفهم بابن الأُمَهاء، ولم يسم ذلك (دينًا) بالمعنى الجامع، وذكر "بَلَّغَهُ" في سورة إبراهيم: 120، وسورة النحل: 135، وسورة آل عمران: 95، وسورة النساء: 125، وسورة الحج: 78، هذا مع قوله في هذه السورة: "وَمَا يَتَّقَطِعُ عَلَيْهِمْ أَلَّا يَنْفَعَهُمْ فِي الْأُمُورِ التَّناَفُعِيَّةِ الَّتِي حَزَنَّهَا يَزَالُونَ فِي قَلْبِهِمْ وَالْأَلْبَاسِ الَّتِي كَثَبَتَهَا اللَّهُ مِنْ بَعْدِ الْأَلْبَاسِ، وَالْأَلْبَاسِ الَّتِي كَثَبَتَهَا اللَّهُ مِنْ بَعْدِ الْأَلْبَاسِ".

وإلي هذا نظر ابن حزم فسمى كتابه "الفصل في الملل والنحل" وكذلك الشهريين في كتابه "الملل والنحل".

فهما قد تحدثنا عن ملل اليهود والنصارى والمغوس وغيرهم.

فإذا انتهى إلى ما نزل بالمدينة، وقد مضى نزول بِيست وثمانين سورة من القرآن، فيها أربعة آلاف آية وسبعة وثمانية عشرة آية (418)، جاء أكثرها في جماعة الكفار من أهل المجلج جميعًا، في شأن التوحيد وتوجيه العادة لله وحده، وسائر العقائد التي اختالف الناس عليها بعد أن تماموا بينهم، فيبناوا دين الأنبياء وعَينوه، واتبعوا أهواءهم وجدنا أن نلتقي "الدين" فقد جاء فيما نزل بالمدينة في مواضع من القرآن، وكانت عدة الشور التي نزلت بالمدينة ثمانيًا وعشرين سورة، فيها ألف آية، وستمائة وثمانية عشرة آية (418)، لم يتخلل من جماعة أهل المجلج من الكفار وأهل...
الكتاب، وتضمن معظمها أحكام الله وشرائطه التي قرواها على عباده، وارضاها لهم، وبيان عنها رسول الله ﷺ في حديثه الذي كتب عنه، ومعظم حديثه في المدينة بعد الهجرة، كما هو مظاهر لمن يتأمل الحديث، ويتبعه. وقد كنت أحب أتبع هذا النهج في آيات القرآن الذي نزل بالمدينة، وفي الحديث أيضا، ولكن رأيت الأمر يطول، فأثرت اختصارا.

وقد وجدت أن ذكر الدين معنى مضافا إلى يوم الدين بمعنى الحساب والمحاسبة ( وهو المعنى الأول) قد خلا منه ما نزل من القرآن في المدينة.

وولم يأت بهذا المعنى إلا في آية واحدة في سورة النور: 25 وهي قوله تعالى: (لا يؤمنون إلا من يعبدهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المحقين). فوافق هذا تاريخ الدعوة، لأن الأمر بعد الهجرة قد اختلف، وصار إلى إتمام العبادة الصحيحة التي يخفى بها العبد عابد الله، لا في العقائد وحدها، بل في الشريعة كلها: عقائدها، وعباداتها، وآدابها، وأصولها في النظر والاستدلال، وذلك بعد أن ضرب الإسلام بحارة، واستقر وقويت شوكته في دار أنصار الله بالمدينة.

ثم وجدت لفظ الدين قد جاء معنى مقرراً بذكر الإخلاص، ( وهو المعنى الثاني الذي ذكرته أعلاه فيما نزل بمكة)، ومؤسفًا بأنه قيم، ( وهو الفرع على هذا المعنى)، في سورة البينة: 5، وذلك قوله تعالى في ذكر أهل الكتاب والمشاركين جميعاً: (ويستمدون إلى ربه تعالى، ويعبدونه). فهذا معنى الطاعة والخضوع، وإفراد الله بالله، وخلع الأنداد والشركاء، واتخاذ الوحدة واتخاذ الجبهة خاصاً لله وحده، مستقيماً غير معوج إلى طاعة معروفة في جهودية أو نصرانية أو عبادة وثن. وما ذلك أيضًا ما جاء في آية سورة التوبة: 36 في ذكر عدة الأشهر، قوله تعالى: (ذلوك الذين أتبعهم غيورًا).
أما "الدين" معرفًا غير موصوف، وهو الفرع الثاني على المعنى الثاني، كما ذكرت، والذي يراد به الطاعة والخضوع لله على وجه واحد لا يختلف، وذلك هو الوصى الذي وصى به أبنائه جميعًا ولم يختصفوا عليه، وأبروا أن لا ينفرقو فيه، فقد جاء في آيات كثيرة في سورة البقرة في ثلاثة مواضع: ١٣٢، ١٩٣، ٢٥٦، وفي سورة آل عمران: ١٩، وفي سورة النساء: ٤٦، وفي سورة الأعراف في موضعين: ٣٩، ٧٤، وفي سورة التوبة في موضعين: ١١، وفي سورة الحج: ٨٧، وفي سورة الأحزاب: ٥، وفي سورة الحلفاء: ٨، وفي يسوع المبتدئة: ٩، وهو يتضمن بيان معنى "الدين" بأنه "الإسلام"، وأن "الدين الله" ولذلك جاء هذا المعنى في سورة آل عمران: ١٩، فإن الله يستسخر وحده ولا يتخفف الله ستستسخر أبناؤه على الكلّ إلا بالنظر إلى ما جاءهم الله تعليماً يعيهم، وذلك دال تمام الدلالة على أن ما سوى الإسلام على الوجه الذي وصى به إبراهيم ويعقوب ودناه من الأبناء، كما جاء في سورة البقرة: ١٣٢، وعلى الوجه الذي سبحانه سبحانه يعدها بيه إبراهيم (مسلمين)، كما في سورة الحج: ٨٧، لا يمكن ديناً قبل هو ملة لا غير. يصح ذلك قوله الله في سورة آل عمران: ٨٥: وَمَن يَتَّبِعَ اللَّهَ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي السَّبِيلِ يُؤْمِنُونَ بِلَهَٰذِهِ الْعَبْرَةِ وَهُمۡ فِي الْغَيْبِ مِنۡهُمۡ مُتَّضَفِّيٓاً، ثم زاد الله تعالى بيانًا في سورة الائمدة: ٣، وهي من آخر ما نزل من القرآن، وفي الآية التي هي تمام الدين، وذلك قوله تعالى: فَإِنَّ الْيَوْمَ لَا يَسِيرُ عَلَيْكُمْ كُلُّ شَيْءٍ كَأَنَّكُمْ فِي رَفَاتِ مَيْمَامٍ ۖ وَأَمَّا يَوْمَ الْيَوْمِ أَكْثَرُكُمْ عَلَىٰ الْيَدِينِ صَيْطَاحٍ، فَمَنْ أَرْسَلَ رَبُّكَ مَعْلُوًٰ إِلَيْهِنَّۢ وَرَأَىٰ مَلِئَتَهُمُ الْحَلَٰلَةَ، وَهُمۡ مِنۡهُمۡ مَذَاتُخَاً وَرُضِيَتُ لِلَّهِ إِسْلَامًا وَذَا كُتْبًا ۚ وَذَٰلِكَ لِيُضَحَّى مَثَلُهُمُ الْيَوْمِ. "

ثم جاء "الدين" مضافًا إلى "الله" سببانه، وعلى "الحق"، في سورة آل عمران: ١٣١، وسورة التوبة في موضعين: ٢٩، وفي سورة النصر: ٢، وسورة البقرة: ٧٩، وسورة الأعراف: ٢٨، وسورة الصدقة: ١٣٢، وسورة الآية: ٤، وسورة الحج: ٦٨، وسورة الإخلاص: ٨، وهي جميعًا من آخر القرآن نزولاً: فَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولًا إِلَيْهِنَّۢ وَرَأَىٰ مَلِئَتَهُمُ الْحَلَٰلَةَ، وَهُمۡ مِنۡهُمۡ مَذَاتُخَاً وَرُضِيَتُ لِلَّهِ إِسْلَامًا وَذَا كُتْبًا، فَمَنْ أَرْسَلَ رَبُّكَ مَعْلُوًٰ إِلَيْهِنَّۢ وَرَأَىٰ مَلِئَتَهُمُ الْحَلَٰلَةَ، وَهُمۡ مِنۡهُمۡ مَذَاتُخَاً وَرُضِيَتُ لِلَّهِ إِسْلَامًا وَذَا كُتْبًا ۚ وَذَٰلِكَ لِيُضَحَّى مَثَلُهُمُ الْيَوْمِ. "
به الإسلام، ثم ذكر على الدين معروفًا، مفرداً، ثم وصفه بلفظ كل على معنى الجماعة، فكأنه قال على كل دين. ولكنه سبحانه لا يسمى شيء من هذه الضلالات في عبادته وطاعته دينًا، ففاجأنا بالحق في العباران عن هذه الملل التي يدعي أنها من الذين هم على عبادة لل سبحانه، فجعلها كلها ملة واحدة في الكفر.

 إن اختفت أسماها، ونافضت طرقها، فيما يزعمون أنه عبادة لل سبحانه، وليست هي العبادة، إنما العبادة التي ارتفعاها الله، وجعلها ظاهرة علية على كل عبادة باطنة، هي عبادة الإسلام دين الحق، على الوجه الذي أمرناه ربيًا أن نعده عليه، في أعمالنا وفي عقائنا، وفي أحكامنا، وفي أصول تفكيرنا ونظرتنا.

 فصار بيتاً بعد هذا أن الله سبحانه لا يرضى لنا أن نسمى شيء من الملل من نصرانية ويهودية وغيرهما: دينًا، سوى ملة أبنابه إبراهيم عليه السلام، وملة أبنائه جميعًا، وهى الإسلام الذي لا يقبل من عبادة دينًا سواء، والذي أرسل به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم كلها، ولا يكون شيء منها يسمى دينًا سوى الإسلام. وإن فقول المسلمين مثلًا: الأديان السماوية، قول مخالف لعقيدة أهل الإسلام في حقيقة هذه الملل التي عليها الناس أحمرهم وأسودهم، فإن الله لم يرسل نبيًا من أنبيائه بدين غير الإسلام، وكلا ما خالف الإسلام من الملل: في عقائدها، وعباداتها، وأدابها، وأصول تفكيرها ونظرتها، فالله يممت عليه وعلى صحته أو بطلانه، هو القرآن كتاب الله، والحديث حديث رسول الله، والدين القديم، هو ما جاء به رسول الله ﷺ، وما كان عليه هو وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وكل من فارق دينه الذي يبعث به ﷺ من شريك، ووثني، ويهودي، ونصراني، ومحتسب، ومن ابتدأ في الدين ما ضل به عن الصراط المستقيم، فداخل في قوله تعالى في سورة الأ Aynı: 159 إن الذين فروا ونعمل في مقتضى.
وعزّتهم الحياة الدنيا، والذين قرروا بما عندهم من العلم، والذين غضب الله عليهم وزادهم بفضلائهم ضلالة، مع ما عدننا من الدعاء اللازم في كل صلاة مرتين: «إِنَّهُمْ لِلَّهِ الصِّرَاطُ الْمُتَّقِينَ الْمُصَلِّينَ الْغَيْبَ لَا يَشْتَهِيُونَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْمَطَاعِمُ عَلَيْهِمْ وَلَا الْعَشْرَانَ»، وَيَلَوْنَ أنّ «المعضوب عليهم» هم الذين جاءهم الكتاب فكتبوا ما فيه وبدأوه وهم اليهود، وأن الضالين هم الذين جاءهم الكتاب من بعده فأضاعوه، وابتدعوا لهم عبادة غير علم موروث عن أئمة الله.

ونحن اليوم أحرز ما نكون إلى تخليص أعناقنا من رئة العبودية للأهواء: بعد أن أذقنا الله لباس الجوع والخوف. ولن نتّبِعُ لنا شيء من ذلك حتى نصحح الأصل الذي ننظر به إلى الأشياء من حولنا، وعلى وجه الذي أثمن الله أن ننظر ونفكر ونعمل، فإنّ النظر والفكر والعمل، كل ذلك عدننا عبادة قد بينها الله في كتابه وسنت نبيه، بيانًا شاملاً كافياً، لأُجرِي فيه إلاّ من وقع عليه ما قاله ‏مُفْرِع‌ بن عَطْيَة: «مَنْ فُتَّدَ من عَلَّاماتنا ففِي شيءٍ من اليهود، ومن فَسَدْ من عُثْيَانًا ففي شيءٍ من النصارى».

ونحن اليوم أولى أن نَّحيَ وجوهنا للذين حنيقًا، مخافة أن نقع فيما أنذرنا به نبيًا، في الحديث الذي رواه معاوية رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ ذكر افتراق الفرق في الدين، ثم قال: "إِنَّهُ سيخرج من أئمن أقوام تهاجم بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلْبُ بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مَّقَسُول إلا يدخل، ثُمَّ قال: والله يا مَعْشر العرب، لن آتمنا ما جاء به نيجكم ﷺ، لَعَافَّكم من الناس أخرى أن لا يقوم به". وأعنا الله أن نكون من هؤلاء.

وأرجو أن أتمن هذا في مكان غير هذا المكان، وفي وقت غير هذا الوقت.
ضفافٍ يغُطِّي نهرًا ليلًا...
ما دمت قد عزرت على أن أركب الكلام في شيء لم أكن أحب أن أذكره، فلأركب بعض ما لا أحب من الحديث عن فترة من عقود، ليتمتعي في الحديث عنها ما أجذب فيها من العودة، ولأنها كانت مختصةً أوقد علقت نارها نظام التعليم في بلادنا، ووقع هذا النظام تحت سلطان المستعمر، المحتشرين جنباً لجنب لا يزالون ممتدةً في حياتنا إلى هذا اليوم، ولا يزال أمثالها تستذرو عنا بعد عام، حتى كان أصبع ذلك الزجل اللعيب، لم تزل حيّة ممسيكةً بالرمال، وهو رمزًا باللائل تحت الثرى

فمنذ بدأت أعقل بعض هذه الدنيا، وأرى سواها وياضها بعيني باضطراد، شغلتني الكلمة وتعلقة قلبي بها، لأنني أذكر أول ما أذكر أن الكلمة هي وحدها التي تنقل إلى الأشياء التي أراها بعيني، وتنقل إلى أيضًا بعض علاقتها إلى ترتبط بينها، والتي لا أطيق أن أراها بعيني. وكان هذا إدراكًا فتىً، لا تستطيع طفولتي يومذ أن تستطيع كل الاستبانة، ولكنك لا أزال أذكر لفظها كلامي. يلقوه ويخلقه، من غير أوائل طفولتي، إذا كنت أشععها لسانًا غشً قريبًا غدي بضمنة الطفولة الطويلة ويعجزها المثلج إلى الإبانة، ويزعجها الدلق إلى محاكاة الكبار، ودائمًا، يزوغها إلى منذ ذلك الحين، صوت الجرس! صوت مصلح، ممؤن، جاف، أبكر أعجم، لم يعنى له، وإذا هو غلى بطولتي ويثبت إرادتي. رفع بمنك سرى بالفزع في نفسى، وردت الوحشة الخائفة في قلبي. كدت أكره المدرسة من يومذ يوم، من جروء هذا الجرح الأعمى الخيбин. وبعد قليل عرفت أن أكثر ليالي في المدرسة قد وجدوا من صوته الصرخة مثل الذي وجدت، ولم كنت أعلم من أمر الناس
شيئاً، لأمرت من فورى بإبادة هذه الأدَاءات الخبيثة، وإلغاء استعمالها في المدرسة خاصة. والعجب لوزارة التربية والتعليم، كيف تبقى على هذا الوطن الشعبي الممقوت المثير لفروس النشوة وقوله، بلا مسؤولا محتفل. ولكن كيف نعجب، ونانا أفتى بانتقاده، وإن كان التقليد لا يهدى إلى خير، بل لعله من أكبر الأدلة على شغف العقل!

هكنا أحذن أول البلاء، ثم زاد وربا حين سأولنا إلى الفصول كالقطيع صفوفًا صفوفًا. ولكن لم يلبث قرُعَني أن تبَدت بعد أن ذُكِرت الفصل، واستقرَّنا الجلوس في بدأ الدروس الأول، على الرَّيق، وهو درس اللغة الإنجليزية، وهي ثابتة كل ما تاني، حين سمعت هذه الحروف اللغوية الناطقة التي لم آلمها، وفتشت وغبني الاهتمام بها، وجعلت أُسْرَع في ترديدها وحفظها. اعتقلت هذه الحروف الجديدة وكلماتها كلها هكذا، اعتقلتها بالفرح الشعور بفطيش الطفولة، وكان يحتفظ الأجداد الذي لم آلمه، قد يزال حضورات الانتباه إلى القديم الذي ألمه منذ ولدته، فقلت انتباها إلى لغتي العربية، ومضة الأيام فقهر انتباهها إليها، بل على استقلالها يومي، وكدت أثير فيها، وكذلك صرخ في العريض ضعيفًا جدًا؛ لا أكاد أجازها انتباهها إلا على غفر، وعلى شقى. وهكنا أنفدت «دلرب» اللعين أول مبأها في قلبي من حيث لا أشعر، ودرجه على ذلك أربع سنوات في التعليم الابتدائي، والبلاء يطفي على عظام أعمى بعد عامين، ولكن كان من رحمة الله بي، أن أدركنت ثورة مصر في سنة 1919، وأنما يوجد في السنة الثالثة.

فما كانت السنة الرابعة سقطت في امتحان «الشهادة الابتدائية»، ولا ملحق لها يومي، وأعدت السنة على مضض، لأنى كنت قويًا، (كما كان يقول)، في الرياضة خاصة، وفي سائر العلوم عامة، سوى العربية. وضعت الله لي حيث سقطت، وأحسنني إصلاً قلاني مثلًا من الدروس المعاد، وأُسّع الوقت، فصرت أذهب حيث يذهب إخوتي الكبار إلى الأزهر، حيث أسمع خطبة المُتْوَار، وأدخل «رواق السنية» وغيره بلا خرج. وفي هذا الزواق سمعت أولاً ما سمعت مطارحة الشعر، وأنا لا أرى ما الشعر إلا فضلاً!! وكتب الله لي الخير على يد أحد
أبناء خالى، ممن كان يوطئ مشتعلًا بالأدب والشعر، فأراد يومًا أن يتخذه وسيلة إلى شيء يِرئه من غَمِّه، التي هي أمى رحمها الله، فأبى إلا أن يعطيه هذا الدُيوان الذي سمعته يقولون شعره وتناشدوه. وقد كان، فأعراضه ديوان المتنى بشرح الشيخ اليازجي، وكان مُشكَّولاً موضَّعاً جيداً للرق. فلم أدرك أظفُر به حتى جعلته وقَدة، في ليلة وفي نهار، حتى حفظه يِومنى. وكان عينًا ذهبية في أعمق نفسى قد تِمرَّت من تحت أقاتل الجدد الجامع، وطريقت أنغام الشعر العربيَّ تَرَكُّبُ في جِوانبي، وكان لم أجهذها قُدُم، وعادت الجماعة (الكلمة) العربية إلى مكانها من نفسها، وإن لم أجدها زارحت شَريَّة من الكلمة الإنجليزية التي غرسها دُنْلوب، أيَّه في غاية برغٍّة تآنُعَّر لَعْطُه على لسانه قيل أن يُصَوَّت فيه، ويتقَمَّدَها على لَغته إذ جعلها الدُّرَّس الأول المَكْرُوم = وعلَّمه أن نَقْص الطَِّين تواغيه إلى الجديد، سريعاً الانصراف عن القديم المألوف. وكذلك يُفضِّل الأمر إلى تختُّل لَعَطُه وأغداده عندى، وتقدُّمَ لَعْطُه وغليَّته على لسانه. هكذا كان مكَّرة، ووافق أن يكون هذا المَكْرُوم هو الأسَّاسُ الغَلَبُ إلى هذا اليوم على مدارينا، مع ما فيه من الرقة والجهالة. ولكن كيف المخرج، والمسيطران على الأمر، هم الثُّمر التي جَنُّها أُنثى من غَنْس دُنْلوب، وَغُرِّ دُنْلوب، يُمكن معَ تَعلُّم إلقاء هذه الأمة العربية معاَمَ لِطريقتها إلى الحياة الصحيحة السليمة من الآفات؟

ثم انتقلت إلى المدارس الثانوية، فظل هذا التنازل المركَّم قائمًا في نفسى، يأخذني هذا ثم يطَّلسني، ويُطِبَق على ذلك ثم يُطيِّني، وبدأت أن أتهب بعض الأنتبهاء، ولكن أثر اللعين (دنلوب) كان ضارًا، كان يخيل أنَّى حتى تغيرت نعم أحبت العربية حَنْكًا شديدًا، ولكن الإنجليزية كان لها نقَّم ذاتِها، والغلبة أحيانًا، ثم كان ما أراد الله أن يكون، فاتبأ أيها ثُلُث جاء يُباغعهما جميعًا، ويضُهُّ عن مكانه مصاولة خَصِم شديد اللذَّد. وهذا الثالث هو (الرياضيات)، فقد الله في قِبلُ تجنُّبها، فكان لها كلُّ هُم، لم نَظْفِه إلقاء، ولم يكن لهُم سوى إتقانها وتَوجَّع فيها والتزود منها ما استطعت، فوقف ما استطاع، وإن كان ذلك لم يصرفني عن قراءة تراث العربية، وعن الشعر خاصة في العربية وغير العربية. ومن أجل
الرياضيات أثرت في كثير من الأحيان على الفنون. ووجدت هنالك علاقة بين الرياضيات والفلسفة. ولكن الذي أدركه أننا في حزمة هذا النزاع الغامض في أحياء نفسي، أن اللغة العربية (كما كانوا يسمونها، وكأنها لغة أجنبية!!) كانت تتأثر من قبل الحضارة الطبيعية بها، واستشهاداتهم بدراساتها، ما يثير المثال! وكان هذا الإدراك! وطلب انغماس في شؤون السياسة التي كنا نتغنى فيها بومفريد انغماس من لاحقة لم يفيها، قد نفد في سر تفويض برجرانها رجاً شديداً، وأحاديث بن الحيرة أين أنبه! وانتقد الجامعة قد أنشئت في تلك السنة، فاختار لي أبي، ما احتكارنا اتجاهي إلى التعليم العلمي. ولنا أن نبتغى فجأة إلى تنفيسي، فأثبت ما احتكارنا اتجاهي إلى التعليم العلمي، وما احتكار أي، وأثبت إلا أن أنتحق بكلمة الآداب، قسم اللغة العربية، دون زملائي في الدراسة الثانوية جميعًا. لقد انتقدت في الأبواب المعلقة على إحساس القدوم بخطر الكلمة، فإذا هي التي تثني بشريتي، فتري وتذكر مالى يذكره الكلى، وما لا يقع عليه الحش. ولنثم كتبنا سبيسيه. ويومند أن اللغة هي الوحجة الآخر للرياضيات الغالي، ومن يومند صارك الكلمة عنده هي الحياة تنفقها، هي نفس، هي الحياة، هي الفكر، هي يرى وجودة ووجود ما حوالي.

كنت بومفريد قد كتب أثري من محتجي بالمستثمرين والمجهولين، وانكشف لي

ويومد أن العالم الإسلامي العربي كان عالماً مهذباً بالتدبير من عالم أورين مسيحي ماكر شديد البطش والصورة الهاوية، وب البعث في قلب عدوانة هؤلاء الغزاة الاسم الفجرة، وزادت عدوانهم شامسة على شرستي التي في⋯⋯ أو حظها و⋯⋯ أدركت بعض ما وقع في نفسى من التدبير الذي أحدثه مدارس دنلوب التي تعلمت فيها، وعلمت عالمًا هكذا أن نظام دنلوب لم يكن نظامًا براءًا تخرج موجيلاً، كما كان يحلو للاعثة وأشباه العادة أن يقولوا، ولا يزال يحلو لهم إلى اليوم أن يقولوا ويضقو في الصحف والمجلات والمجلات والأحاديث. بل عنى أن يكون الأشياء أن دنلوب وأعوناه هم الذين حرصوا على تصوير هذا النظام بهذه الصورة، لنخفي حقيقة الهدف الذي من أجل وضع الخبير دنلوب نظامه هذا.

علمته يومد أن دنلوب أراد نظامه هذا أن يظل رأواً عن طريقها الذي ينفع أن
تسلكه في تعليم أبنائها، وأن ينشئ جيلاً مدرّمًا للظهور والباطن، لا يستطيع أن يدرك حقيقة التفاف الذي وقع في بنائه وتكوينه، ثم يكون هذا الجيل نفسًا هو الذي أعد لكي يتوه لإسم الأمامة والتفكير لها والعمل على إصلاحها والنهوض بها!! وكذلك كان، فمات القديس المبشر "دنوبر" وليت عظمه، وبقي نظامه إلى اليوم قائماً، لم يتقض منه حرفًا واحدًا، بل استمرى وانتقل إلى كل بلاد العرب والمسلمين، يفعلنا، ويفعل أشخاصاً الذين نتّخذهم ما نتّخذ فتى، وقد أدرك إلى أول هدف كان يسعى إليه هذا النظام، وهو أن يجعل الإنجازية هي صاحبة السعادة في التعليم كلّه، ويجعل لغة البلاد، ولفه القرآن، لغة أجنبيّة تدرس في غرفة صغيرة على نفس الناشئة، فلا يكاد يطول بها زمنًا، حتى تكاد تصبح لغة عربية على أبنائها وأهلها، وهكذا كان! [ انظر ما سلف: ۲۰۴ - ۱۹۴ ].

نعم أدرك الخطر الذي كان يهدّد بلادنا، فكان ذلك سببًا من الأسباب التي فُضّت عن "الكلمة" العربية مغلقًا، فتبُلّب لم سرًا وجمالها، ومع ذلك بقيت "الكلمة" الإنجليزية بمنزلة لم يتّخذها موضعًا من جملة هذه العادات التي احتقنتها أهلها الذين دمرواها، وذروها أهلها وغروتها، ثم لم يغمر عن رفضها وإنزالها المنزلة الدنيا على حباه، إلا بعد زمان طويل، وتاريخ متداخل مستقلٍ لا أُجدُّ لمسًا لروايته الآن، وعند أن أفرده بالحديث عنه يومًا ما، وإن كان بعض ما كتبه في مقالاته قديمًا وحديثًا، قد استُغل على طرف دال على شيء من هذا التاريخ المتّشابك المتّعدّد الوجه، ولكن كتب قد ألقيت عدوى على لغات أعطان، فهجرت جميع ما تعلّمتُه من في قليلًا، فإن ذلك لم يُفسِّر عن طريق "الكلمة" العربية أن الحضارة كُلها، والثقافة كُلها، بعلاهن ما أدرًا ولدًا، وفسّفها، عالِجها.

على "الكلمة"، فلا "كلمة"، لما كان من ذلك، كُلّها وجود يُفقّل، ومهمها تُلغي عدائي لعدوى في ذات نفسه وفوق لغته، فإن ذلك لا يُضْيُفُ على الحقيقة التي أجد جهلًا، أو فقدان تصرُّفها، فضوضًا إلى أكبر الوضوء في الغلظ، فالمرأة لا يستطيع أن يعرف حقيقة عدوها، إلا بعد تمام معركه لحقيقة كلمته، أي الله، وهو أيضًا إذا ما وقع تحت سلطان كلمة عدوها، فقد وقع في أسره الذي لا فكاك منه، إلا أن يحتفظ بجذوة الغلظ حيّة تتوقد. بيد أن هذه العداوة لا تقوم إلا بكلمة...
أُخرى تستطيع أن تتمثل أنه عددٌ على الوجه الذي ينبغي أن يتحمل عليه، وتستطيع أيضًا أن تلقيًّي لشاطِئ كلمتها فنقضُّه، وبقية لها هي السَّلطان الأعلى. وعني ذلك أن تكون حضارته "كلمة"، وثقافته، وأدائها وفلسفته قادرة في مدت تاريخها الماضي وتاريخها الآتي، على أن تقوم في وجه حضارته "كلمة" العصر، وثقافته، وأدائها وفلسفته.

وحسبى، فإن أرى الفيلم قد جرى إلى الإطالة من حيث كنت أريد الاختصار، وغالب الفيلم هو أني، على ذلك كله لا تستطيع أن أحتل العلم بشأن "كلمة" سواء كان ذلك في عربي، أو في تغة غير عربي، ولا يحمل علي على النتيجة في ذلك شيء من عدُور أضرها لهذه اللغة وأصحابها، ولا ضياعاً للإجابة الذي تتجه إليه "كلمة" عدو أعداءه، لأن "كلمة" هي "البيان"، و"البيان" هو نعم الله الكبري التي أنعم بها على عباده من كل جنس ولون، وكذلك علمنا رينا سباحة إذ قال: "خلق العُمُوم بالمَوْعِدَة، وخلق الإنسان بالمَوْعِدَة ألفين ألفين". فمن استفاد بالكلمة، فقد استفاد بافضل أطلاع الله على عباده، وبالعمرة الكبيرة التي أخرجته من حد البهيمة العجماء، إلى حد الإنسان الناطق.

ويبقى أبي لا أعني بلفظ "كلمة"، مجرد الألفاظ، ولا مجرد ما يقال، أو يكتب. فإن الإنسان كما تولى بالإنسانية كدبة كبيرة مما شكر له وسلط عليه، تولى أيضًا إفادة "كلمة" التي أوتي القدرة عليها، فصرَّفها في وجه كثيرة تجنب من الفساد قدرًا عظيمًا، وإنما أعنى بالكلمة، كُل ما حرس الإنسان على تجربته واصحة، وأعطاه حقه من الصداق والإشراف، في أتي باب كان من أبواب الإبادة. وسواءً عندى بعد ذلك أن تكون "كلمة" بيانًا عن شيء أرضاء أو أكره، وأوافق عليه أو أخالجه، وأعدًا حسبًا يقال، أو قبيحا يعاف.

ثم أقول للقارئ: مغزوة، فإنني ضربت بك في بيت طويل الندى، لا أرى أرضاه أم تسخطه، ولكنني تعودت أحيانًا أن أحمل الفيلم، وأكتب لأعبر عن شيء
في نفسي، لعله لا يعني كثيراً من الناس، بيئات أتى محاولة الإبانة عنه. وكان قد فعل ذلك منذ بدأت، ولم أبلغ هذا المبلغ حتى رأيت من حق القارئ أن يعرف ما الذي دعاني إلى كل هذه الإطالة.

وأخير ذلك أتى منذ وقت على الشعر المستوي - بلوتوس، وقصائد أخرى -، ولكن ذلك قلت عن مؤلفة في إحدى المقالات: إنه «خجل في حالة تأليف»، و«خجل في حالة شعر» أيضًا، لم أزل على يمين من أن صاحبهية أجاكس عوض، الذي كان يسمى فيما عُبرٍ في لويج عوض، خجل لا يبلغ أبداً، لأنه شرطناً بالطبع، فضلاً، وفقاً، عليه مدعبوه تحت أشجار الندادر عند الشلال بكامبردج، من أخاذة القارئ ما ينصي بها ما أعتى أن يغزو من الحياية من خارج! وهي إحدى خصائص الشعر، كما عرفتهم.

وأظل أتى أذبح المستوين، فإنما بابأت أكتب، أردد أن أقبل به، فزعمت أن له سلطاناً على Ionian، وحراً من اللغات، فصدر ذلك من تتابع فضائيه، وأرى أن يمارس هذا السلطان على الشاعر اليوناني المعدب البانسي أرسطوفان، أو أريستوفانيس، كما يكتب وفقاً إلى أسرتيه الضفادع، وترجمها. وقبل أن أقرأ بها شيء، وذلك حين بلغني الخبر، علمت أنه الآن خجل في حالة ترجمة، فإنه إن يكون مسولاً على بعض الناس، كالأستاذ عبد العظيم أسيل مثالاً، أن يسلك هذا الأدمي في عداد الشعراء، وليس سهلاً على أن أصلكه فيمن يفهم أبسط الشعر، فضلاً، عن عريصه، فضلاً عن تقصيد الفصائد!

ثم مثلك المسرحية، وفوجئت أيضًا بعض أفراد العصابة، يعتن هذه الترجمة بأنها «معجزة اللغة العربية»، في المكان الذي نرى لهذا الشعر الثقافي الموضح سلطانًا عليه، وهو صحيفة الأهرام، وهذا الكاتب هو بعض بقايا العهود الغارفة، وهو الأستاذ كمال الملاخ! ثم تتبع النثأ على هذه الترجمة، فقلت لنفسى: يا أبا فه، إما أن تكون أنت أزة لم يؤت حظاً من حسن الإدراك، ولم أأن يكون حضارات المقرطين، هم الذين أخطأهم مصلى الإدراك، وليس بين الأزامين، وسطاً. وكأن الأمر يقف عند هذا الحد من مناجاة النفس.
ولكن ما فطرت عليه من اللغة بحكى على الآداب التي أُطلِق مدارستها، والتدرب وراء ألحانها، جعلني فقهاً إلى تحقيق هذا الأمر. ولكن كثبت قد انتهت وتفقدت يدي منذ قديم عن اليوناني وغير اليونان، مُكتَبهم وقديمهم، وهذا أمر يتطلب مني أن أعوذ النظر في أشياء طرحتها على جانبٍ طبيعي. فتُركت، ولكن كثبت أعلمت أن "أرسطوفان" عالم من أعلام اليونان في نالت، على وجه الذاكر في عهده. لا يعنيه إلا أن يزيد وجهه صلابة، كُلما زادت الحاجة إلى الحياة، وأنه سوف يُخدِع في رقة الشيخ "أرسطوفان"، ما أحدث في رقة الشيخ المعمرة وغيره، من إهانة وظلمٍ.

فمعظم هذا السكين "أرسطوفان" أن يلقى البلاء على يدي هذه "الجملة" المترابطة بخليل الزُّهر والدارغ. فاستمرت الله، وأقنعت على أن أجعل نفس مدافعا عن "أرسطوفان"، لانسباه إلى "الكلمة"، أي إلى "البيان"، وإن كنت أنا لا أبالي بأرسطوفان في ذات نفسه! ولذلك جهدت حتى أخذت نسخة من ترجمة هذا السكين، كما ألقبت على المسرح، وقرأتها، وعاقدت قراءة "أرسطوفان" في ضفاعة بعد يومنا، في نفس التراجم التي أذنت هذا الماهر أنه ترمج عنها، أو راجع عليها، وهي ما ترجعه عن اليونانية: "جابطة مري"، وهو الأصل الذي اعتمدته، ثم "بنيامين بكلي روجرز"، ثم ثالث يقال له "دافيدي بارت". وكان من توفيق الله أنني أطلعت أيضًا على ترجمة الأستاذ محمد صقر خفاجة إلى العربية، وهي التي أُقَبِت من محطة إذاعة القاهرة قبل وفاته، وأخرجها الأستاذ نور الدين مصطفى لبرنامج الثاني. فرأيت عند ذلك عجبًا، تزوجت "حضارات المقرطين" بمنزلة لا يحسبُ عليها أحد! إذا كانت رقة السكين "أرسطوفان" قد عذَبَها هذا الشكلان، كما عذَب من قبلها رقة شكسبير، ورقه علٍ، بما كتب عنهما، فإنْه قد عذَب "حضارات المقرطين" بعدما فيني، لأنه أبَد لهم على باب "الشرك" باندون الغاذى والرائع حتى يُخدِع أصواتهم، ودخل الناس مسن خدوع، فإذا هو "سرك أونطة"، كما كان يقال في بعض العامية.
وقد وجدت في emph; تشخض ضفادع أرسطوفانأ، شيئاً كثيراً جدًا، لا يكاد يرضية لنفسه مطوق عاقل، وحريثي الأمر، ولم أدر ما أفعل، ولم أدر ما نسي حتى انتهيت إلى أن خبيطرة تدل على ما في هذا العبث من إهدار كل قيمة لآبد الأمر، وإهدار كل مصالحة في هذه الحياة، وإهدار كل فضيلة للعقل، وإهدار كل احترام للناس الذين يلقى عليهم مثل هذا الكلام أو يثير = أن أخد الأمر كله من أولاهم، فأثبتت نص تشخض ضفادع أرسطوفانأ، ما يستحق عليه من البلاد، وأكتشف عن هذا الذي يدعى نفسه، وتدعى له العصابة، أنه علمنا من أعلام هذا الجيل الذي جاء مع ثورة سنة 1952، كما نشر ذلك في البيان الرائع (أي المشاهد!!) الذي رضيت صحيفته الأهرام أن تتحلى به الصحافة الأدبية في أهرام الجمعة (24 ربيع الأول سنة 1385 / 23 يوليو 1965)، تعبران «الثورة والثقافة»، والذي بلغ فيه أقصى ما بلغه» الحالة التي ألمت ببولتوند وقضائاه أخرى!!

وبحق ما قال الأستاذ حمزة الدين محمد، في مقاله الذي نشره في مجلة العلوم، وذكره في مقالة ساكنة بعنوان «أنا بعد»، قال: «وهكذا وقعنا في يد النصائبين الذين يتكلمون باسم الثقافة والفكر»، ولن أحتال شيا، بل سأكتب بنقل فاتحة هذا التشخيص لمسرحية أرسطوفانأ، حتى لا يقال إلى أخباره لموضع الزوال! وهذا هو «التشخيص» نفسه، وقد رمى الحنوار، لكي تسهل الإشارة إليه فيما بعد.

المشهد: في الخلفية يبتان: بيت هرقول وببت بلوتو. يدخل ديويديس متخفياً في زي هرقول، لايشي رؤى جلد الأسد، وحاملة الهراء، ولكنه يجلس الحضان العلالي الكثوري الخاص بالتزاجيديا، وتونيكية من الحبير الأصفر بلوون الزعفران، يتبعه أكسنثيماس أو خانتيايس راكبا حمارًا وحاملًا زكيه ضخمة مليئة بالأمتعة، معلقة على عكاز حمالة.

يتقدمان فترة في صمت.

أكسنثيماس: (يطلع خلفه إلى حمله وهو يتنائب): سيدى هل أحسكي لك نكتة من الكتبت التي تضحكت الناس دائما في المسرح.
(2) ديوينيروس: أحكم ما تشاء إلا نكتة ظهرى انقسم، إياك، أي شيء.
إلا هذه النكتة. إنها بكل بساطة تجعلني أتكلم.
(3) أكسانتياس: (في خيبة أمل): لا تريد شيئًا مضحكًا؟
(4) ديوينيروس: ولا نكتة، آه يا فقهي!
(5) أكسانتياس: لماذا تقول لو حكيت النكتة المهولة؟
(6) ديوينيروس: ولم لا. بالتأكيد. لا تخف، فقط أستعذبكم.. لا.
(7) أكسانتياس: لا أفعل ماذا؟
(8) ديوينيروس: لا تنقل العكاز من كتف لكتف وتقول: أريد أن أنف...
(9) أكسانتياس: (تشتهر خيلة أمله) حتى ولو كنت سأعطيك إذا لم يرحمني أحد فربًا من هذا الحمل التقي بالظهر؟
(10) ديوينيروس: لا: أرجوكي. لا تعتقد أني أحترم النشوق.
(11) أكسانتياس: إذن، ما فائدة حمل كل هذه الكرانيك إذا كنت لا أستطيع أن أكتب نكتة واحدة مشعة على المسرح، كما يفعل إخوئنا الكاتب مثل فرينيكوس وأميليس وليسيس.
(12) ديوينيروس: لا. لا. لا تقلدهم، فأنا كمدة جلست هنا (يشير إلى قاعة المسرح) وسمعت هذه الدرر (يقولها بتهمة) أعود إلى بيتي أعجز بسعة.
(13) أكسانتياس: (مخاطباً نفسه) آه يا رقيتي. فقحة في كل مكان، ومع ذلك لا أستطيع أن أقول، فقحت، لأن هذا مضحك.
(14) ديوينيروس: تطأول. وقاحة أنا الإله ديوينيروس، ابن الجدالان العظيمة،
لابد أن أشتهل بنفسي، وأمشى وأتركك يركب حتى لا يعجب أو يحمل الأشياء ثم أراه يشكو.
(15) أكسانتياس: أنا لا أتحمل الأشياء؟
(16) ديوينيروس: الأشياء هي التي تحملك.
(17) أكسانتياس: (يعرض ركبيته) أنا أتحمل هذه الركيبة.
18) ديوينزويس: وكيف تحملها؟
19) أكسانتياس: على ظهري الذي انقسم تقريباً.
20) ديوينزويس: الواضح أن الركيبة يحملها الحمار.
21) أكسانتياس: حامل الركيبة التي أحملها ليس حماراً.
22) ديوينزويس: أظن أنك تعرف أن الحمار يحملك.
23) أكسانتياس: (بتعوض) لا، لا أعرف. أنا أعرف فقط أن كنت يلمسني.
24) ديوينزويس: طيب، إذا كان ركوب الحمار غير مفيد، فاقلبي الأوضاع.
25) أكسانتياس: (جانتا) أنا حظي صعب. كل عذر اشتراك في معركة أرجنوزا أعتقوه. يا ليتنا اشتراك في أرجنوزا. كنت عرفتك شغلك.
26) ديوينزويس: ازل يا وغد. هذا هو الباب على بعد خطوتين، ولايد أن أتقدم أنا أولئك هو الراكون، أنا الراجل. هيه! (يرك ع)
27) كنا في الأصل والصواب: يطرق !! بواب. بواب.
28) ديوينزويس: (بيرجص من البيت) من الطائر؟ أنا كان، هذا ثور مجنون يضحك الباب.
29) ديوينزويس: يا أطلاف الله. ما هذا كله؟ (بيرجص)
30) ديوينزويس: (لأكسانتياس على حدة) يا غلام.
31) أكسانتياس: نعم يا سيدي؟
32) ديوينزويس: هلاً لاحظت؟
33) أكسانتياس: لاحظت ماذا؟
34) ديوينزويس: الرجل خائف.
35) أكسانتياس: نعم يا سيدي. (على حدة) خائف أن تكون مجنوناً.
36) هرفل: (باقوم الضحك حتى لا ينفجر) ساقوم الضحك إذا استطعت.
أن أضيق نفسى. أنا أضرع شفتي ومع ذلك لا أستطيع...
( ينفجر ضاحكًا ) : 
(35) ديونيزوس : لا تكن سخفًا. تعال هنا. أنا أطلب شيئًا.
(36) هرقل : أحب أن أقرب منك، ولكنني لا أستطيع مغالبة الضحك.
 تصوروا جلد السبع على حريص زعفراني. تصوروا هراوة هرقل
مع الحذاء العالي، إيه الحكاية؟ من أين جئت الآن؟
(37) ديونيزوس : كنت في البحر أركب «الزعيم كليستينا»، أقصد المركب.
(38) هرقل : حاربت في المعركة؟
(39) ديونيزوس : نعم، أغرقنا 12 أو 13 من سفن الأعداء.
(40) هرقل : أنت معا؟
(41) ديونيزوس : نعم أقسم بأبولو.
(42) أكسانثياس : (على حدة بمعنى يالك من فضلك) ثم صحوت من نومي.
(43) ديونيزوس : بينما كنت في السفينة أقرأ رواية لندرويدي أحسست فجأة
بقلبي يشتعل برغبة كبيرة جدًا جدًا.
(44) هرقل : رغبة كبيرة؟ من أي حجم؟
(45) ديونيزوس : يعني .. كبيرة بدرجة معقولة، تقريبا من حجم الشمام.
(46) هرقل : رغبة في امرأة؟
(47) ديونيزوس : لا.

مسكين أرسطوفان! لو كان يعلم أنه سوف يلقى كلاً هذا البلاء بعد دهر من
هلاكه، لأضرب عن قول الشعر وكتابة المسحريات بمرعة، ولأغمى نفسه من
الكرب المتوقع، ولفت من أبقيه بالأكل والشرب والنشوة الدائمة، حتى يلقى خفته
في مستريح. وإلاً فما الذي كان يحمله على هذا المركب الصعب من معاناة البيان،
وصياغة الكلمة، وتجويد البناء، إذا كان مصير هذا الجهد المضني أن يأتي عليه آتٍ
غليظَ تفضيل الجُنةِ، فبطأ في حرْب يانه بأظافِر مفطحة عراض جاهِلة، تجَّر كلماته
عَجِبَتُ حتى تجعلها محِرة، واحدة من الركاكة والخشف والنقل؟

إِنَّ لَوَّاهُ لأَورسطوفان وما لقي يانه، فإن لم يكن متى، ولا أنا منه، ولكن
كلمةً عندى نسَب واشْطَبهن. فمن أُلْجِهَا رُقِّ لهُ قلبي، ولكن ماذا نملك له، إذا
كان الناس قد وَلَدْتُهم أمهاتهم أهُرامًا؟ فهم أهَرَام في جميع أفعالهم: أُهِرَام في
الصديق، وأُهِرَام في الجذاب، وأُهِرَام في الدعوي، وأُهِرَام في خطة الدم، وأُهِرَام
في الشريرَة. أيضًا؟ ماذا نغني عن أَروسطوفان، إذا كان الحياً لم يَعْيَنَ أحدًا،
فعم شاء أن يعرَى على قارعة الطريق تعرَى بلا حرج، فقد غاب الوارِج، وَلَقى
مشتَأهَ (أي عصاء) لتأكلها ذات الأرض! ومع على أَيْنَا لا أَغْنِي عن هذا الناس
أَرسطوفان شيقًا، فقد رأيت أن أَلُّ نسب كَلْمَة بِعض يلاحُلها، وأُبرَى ذئبًا
بِأَضْعَفَة التغيير لمبكر، وهذا البِعْض، أيِّنْ نُفِدُ هذا الغَيَّاء، فعَتْى
أَن يقومُ في الناس واشْطَبهن في بدء مشتَأه بطرد بها عن هُؤلاء الموتى المساكين، الذين
لا يملكون عن أنفسهم طرادًا ولا دفاعًا!

وَهُدْةَ الشرداران المعروف، عندِ ترجمة جابِرت مَرِي، بالإنجليزية، فَدِهن
مسح الضفاضِع، (أَغْنِي ترجمها فيما أظلُّ)، ولم يجد كلمات يمسخ إليها
الضفاضع، سوى: "الكلمات العربية" أيضًا مشكَّة لا نظير له إلا في "بلوثولد
وقصائد أخرى"، ثم سائر ما يكتب هذا الشرداران.

وقد فاجأنا في المقدمة التي سماها "المشهد" بِتقلل عَلَمَه، فكتب
"اكسنتشياس، أو خانيتاس"، كأنه يريد أن يقول للقارئ، وللممثل: "انظر
يا جدًا، أناعالم، أنا أعرف أصلع اليونانية، انظر: خانيتاس"، ولا فحصة مذا
يهم الناس من ذلك، إذا كان هو سَيْكَتُها في طول المسرحية وَعْرُضُها
"اكسنتشياس"، ومنطقها الممثلون في الحوار كذلك!! هذا شيء تقلل جدًا،
لا يفعله أحد له خصَّاء صغيرة من العقل.

ثم ذكر بعد ذلك لفظ "تونيكَا"، وهو لفظ مُعَمَّل لا دلالة له في العربيَّة،
ولا يعرفه لا ممثل ولا غير ممثل، وهو أيضًا ليس "اصطلاحًا علميًا" مشهورًا، حتَّى
يُنقل كما هو. ولفظ «تونيك» يطلق على لباس خاص اختلفت أشكاله على مرّ العصور. فهو عند اليونان شيء، وعند الرومان شيء آخر، وهو في الكلاسيك شيء ثالث.

وإذا أراد جلبرت موري ذلك اللباس الذي كان على عهد اليونان: وهو قميص يلبسه الرجال والنساء، فقميص الرجال قصير إلى الركبتين ولا مكشّه له =  وقميص النساء طويل إلى الكعبين، وله كمّان مفتوقان. وهذا الأخير هو المراذا هنّا، وهو باللغة العربية «القزّة»، أو «المزّع» من لباس النساء، فكان أولئك أن يستخدم ذلك، فإن أي إلا الانطباع بإجراء، فقبل الستّان! وهذا شيء لا يدّمه، لأن هذا اللباس هو الذي سيستخرج الضحك من فكّى هرقاً، حين يدّع عليه ديوتيروس ياباه.

والسبب في إلقاء أرسطوفان، ديوتيروس هذا اللباس، أن «زيوس» حين نزا على سمايلة، ولد له ديوتيروس هذا لغير رشدة، وخفّ عليه غيرة أمرته وحدها. فعهد به إلى هرس، فأخذه هرس، وفبعّه إلى أساماس وزوجته ليكفيلاه، وقتلهم إليه أن يجعلوا لباسه لباس النساء، دفعاً لحشد امرأة زيوس وغيرتها. فمن أجل ذلك أظهره أرسطوفان في ثواب النساء.

ووهذا الشرطان المشاه، مترجم مستهين بما يفعل. فقد ذكر الزكية و«العکاز» في ترجمة هذا النص القديم، و«الزكية» عندنا في مصّ أكثر من الشوال، ولا يقالان إلا في الوعاء الذي يوضع فيه الأرز والقمح والشعير وأشباه ذلك. ولم يردّ جلبرت مري شقٍّ طريق السخرية حين ذكر ذلك، بل أراد صورة فيها مناخ هذا الإله المخيخ ديوتيروس، أو كارة، وهي صورة الثواب خاصة، فلا معنى لحققة الدم التقبل في ترجمة مثل هذه النصوص. أما العکاز، فكُلُّ طفلي في الطريق يعلم أنه عضّاً يتوكّأ عليهما الهremium ذو العباءة، ولا تجد أحدًا من أسفخ الناس عقلًا يسيس العود الذي يحمله الحمال عقدًا. إما أن يقول: عصا، أو العود، أو قصيد أو ما شئت من الألفاظ التي تصلح للحمل، ولا تدّل على معنى محدد في العربية وفي العامية جميعًا. وندع هذا الغثاء إلى الحوار، وقد رفعته لتسهيل الإشارة إليه.
فمن رقم (1) إلى رقم (13) شيء كتبه أرسطوفان لغرض مفهوم، إلا أن هذا
الشرطان الذكي = المتذكّر على الإنجليز واليونان والروم، وعلى أهل عقيدته من
قطب مصر، والمذعى لنفسه سيادة أدبية تجعله يرى أن انتهاج ثورة سنة 1956
إلى مناصرة التقدّم، كما جاء في الأهرام = والمشهور نفسه بالثور اليوناني = أجاكس
ابن تالمون = بلا غفل = والمتفرserialize يا خرج ليطلب = الملك ميداس = نفسه !! قبل
أن يبقي طروادة الجديدة ويحرقها تحرقًا = هذا الشرطان المناطن جدًا ( !!!! ) لم
يفهم شيئًا مما أراده أرسطوفان. ولو كان صحيحًا أنه يقرأ الإنجليزية ويفهمها، لكان
من أول ما يمكن أن يهتدي إليه أن يفهم نص ترجم أرسطوفان، التي جهده أشخاصها
في محاولة التوفيق بين دلالات النص اليوناني القديم، ولغرهم التي يتلقون إليها هذا
النص، بحذر وخوف ودقة. ولكن هذا الدعى مخلوق يفترى لنفسه ثقافة ليس منها
في شيء.

فارسطوفان، في هذا الحوار، أراد أن يسفر برملاه وأفراد من كتاب الملكة،
مثل "فرينيكوس" و "أمسياس" و "ليسيس"، الذين يلجان على إضحاك
الجمهور بوسائل متعددة، وحركات مموجة، وأفعال معيبة منكرة = وأن يقدّم
أسلوب "بوريدس" خاصًا ب، في إنطلاقة الخدمة في مسرحيات بلغة مجهرة بلغة، فيها
من الماجزات والبسيطات، ما لا يتفق لأمثالهم من الشرقي. وقد بدأ بиск
بوريدس" والشخرية منه. فليس في الأمر "حكاية نكتة"، ولكن هذا الشرطان
الجاهل ظن أن أرسطوفان قد ألف مسرحيته "الضفدع" للجزّ ! كما يفعل
إسماعيل بيس في قصص مسرحياته !

والحقيقة أن أرسطوفان أراد أن يظهر أكاسيات علىمسرح، وهو خادم
دورنوس، ليتخذه وسيلة لندق "بوريدس" ثم مأثأ كتاب الملكة من أفراده،
فجعل هذا الخادم يستأنس بسه في كلمة يقولها، أليف المتفرجين من رواد المسرح
أن ينصحوا من أفعالها. فكان ذلك ميدا "دورنوس" يتضمن التعريف ببوريدس،
فنهان أن يتفاصل ويأخذ في باب المجازات، فيكون كالخادم الذين يطبقهم
بوريدس" في مسرحياته بالكلام البلغي، والمجازات الدقيقة، واللغة الشريف،
فكان حق ترجمة الأسطر الأولى، على هذا النحو:
وليعلم القارئ أنني أكتب على عجلي، ولا أريد الدقة كُلَّ الدقة في التعبير بالعربية، عن فحوى لغة أرسطوفان.

1- أكسانياس: أياًذن لي سيدى أن أقول شئاً مما ألف رؤاد المسارح أن يضحكون له إذا سمعوه؟

2- دينويروس: قل ما تشاء، ولكن إياك أن تقول: لقد أُفِضِّل الحمل ظهرى، فتكون كالذي يجعل عن مر الحنطل، وهذا نقد لاستعمال الخادم المجاز.

3- أكسانياس: أياً فكاهة أنت؟

4- قل ما شئت، وإياك أن تقول: لقد تنفيق كاهلي. (وهذا نقد لاستعمال الخادم فصيح الكلام).

ثم ينتقل إلى نقد أقرانه من مؤلفي الملحمة، واستخدامهم قبائح الأفعال لإضحاك الجماهير، فيجعل الخادم على شكًا الإيثان بشيء مما كانوا يستخدمونه في مسرحياتهم، وهو في الأصل اليوناني دال على يُغلِّب قبيح يسمعه الناس ممن أثقل الجمل، فأخرج ريحنا له صوتًا. ففاجأ هذا المسكين بلا غفلة، فترجع عن جلبته مرتين، النجف، و، العطاس.

وجاء بالطائفة الكبرى في رقم (101) فجعل دينويروس يقول: انظر حتى أحتاج للشوق، وظن أن هذه نكتة تضحك! وبين جدًا ما فيها من النقل والجهل والغباوة أيضًا. فإن جلبته مرتين استعمل لفظ الصخري في ترجمته تقررًا من الصراحة، وعلق عليه بصريه اللفظ في استدراكاته على ترجمته، ولكنه عاقل، فلم يقل: انظر حتى أحتاج للشوق، فهذا كلام لا معنى له بل قال: رويذك لا تفعل، حتى أحتاج إلى مقتئ، فإن يكن تصوَّف في بعض الكلام تقررًا، إلا أنه لم يستغ فنفسه أن يردف بشيء لا معنى له، كالذي فعله هذا الشرتان الوصيف العقل.
ثم جاء في ترجمة رقم (11) من الحوار بأكبر السخيف، لا في استعمال لفظ 
"الكراكيك "، التي أراد بها "الأفعال" الفادحة، بل في التصريح مرة أخرى بلفظ 
"النكتة" و"التكتيك "، مع أن الأصل اليوناني لم يرد على أن قال ما معناه:
ما دمت خادماً يحمل الأفعال، فكيف تحرم على أن أفعل ما يقوم بالدخان والتجوالون
في مسرحيات فلان وفلاين، ممن يلجأون إلى استخراج الضحك من زوايا المسرح.
بمثل هذا "الفغل "، ثم لا تزال الركاكة تسعى في رقم (12) و(13) ، فستعمل 
"الفقهاء "، كما استعمل "يا يا فقهاي " في رقم (4) ، مع أنه لم يرد إلا ما ذكرت.
من تفاصيل الخادم! لا استعمال ألفاظ مضحكة من يذكّرها كهذه النظف (أه
يا فقهاي !!!).

ثم يأتي رقم (14) فتراه يقول: "أنا الإله دينيزوس، ابن الجُمَدَانَة العظيمة 
"وبدلاً من "باب البقر "، و"خلع ورقة "، لا نغفل في حفظ نفسي،
ويحترم سامعيه، ويبين الأمر أن "الله دينيزوس " هذا هو ابن الإله "زور "، لِثْنَأ
وهو عندهم إله الحكيم والكرم ( وهو باحوس).

وقد استعمل أرسطوفن مكان "أنا الإله دينيزوس سليل الإله زور ": "أنا
الله دينيزوس سليل الدن "، سخريمه، والنظف الذي استعمله للدلالة هو
STAMNOS، وهي آينة من أوانى الإغريق القديمة، قصة العنق، لها عروتان في
جانيها، تستعمل للحكم، كالإبتر، وظف أسل نظف "زور " اليوناني، معناه
"الدن " أو "الزؤوق " ( وهو من "ثْنَأ "، كما استعمال لفظ "الجمدانة " ثم
وصفها بالنظف، فهويش لا معنى له إلا سخيف العقل.

ثم يتم حل هذه الفقرة بقوله: "أنا لا أريد أن أشغله بنفسي وأمشي وأتركه
يركز حتى لا يتعب أو يحمل الأشياء، ثم أراه يشكو " ولا أرى كيف أطلق
المثل أن ينفق هذا الغناء المتركل على المسرح؟ ولكن هذا شيء لا شأن لنا به
"مثنا. ولكن المهم أنها ترجمة قيمة جدًا، دالة على تمام جهله باللغة التي تترجم
منها، فإنه زاد "ثم أراه يشكو " لا بسبب معقول، ولا وجود لها في الأصل.
اليوناني، ولا في ترجماته الإنجليزية، ولا تقع لها في إيضاح شيء منهم أو غامض، فإن النص يقضي أن تكون ترجمته هكذا: "ألا يرضى هذا اللى، بأن أكون أنا الإله دينيزيوس سليل اللدن، ثم أتحمل المشقة والمصاعب راجلاً، وأنه بركيها، حتى لا يتعب، ولا يقلق حمل المنائع".

(1) وقد ترجم لفظ "الأشياء" في هذا الحوار رقم (14) و (5) و (16)، ويعلم كل من له علم قليل بالإنجليزية، أن هذا اللفظ على صورة الجمع، لا يرتكب به "الأشياء"، بل يراد به الثياب خاصة، وأمتاير المسافر أيضًا. وهذا هو المعقول هنا، كما جاءت شرواقاته في جميع التراجم، لأن دينيزيوس كان قد خرج بحادمه أكاسنيةس في رحلة طويلة إلى العالم الآخر، فحتى أن تعنته من ثياب وغيرها.

متى يتطلب هذا السفر الطويل.

ومع ذلك الجهل باللغة التي تترجم منها، فإنه لم يفهم أيضًا مقصود أرسطوفان من هذا الحوار، ما بين رقم (14) إلى رقم (20)، ولذلك أساء فيه غاية الإساءة.

إذا أرسطوفان أراد أن ينطق دينيزيوس بجدال كجداول السفسطائيين، ليسخرا من "يوبيديدس" الذي كان تلميذًا له، فهل حوار مسراحيته بأن لهم الخطابي، ووصف "الخطابة" بأنها علم الكذب والخداع الذي يقلح الحقائق، ويجعل الباطل حقًا والحق باطلاً. ولذلك فإن أكاسنيةس لما سمع عليه يزعج أن قد خلق عنه بركب الذائبة، وأنه أعفاء بذلك من حمل مثاعه له، قال من فوره (رقم:

(15): "أنت لما بهذا المثاع حاملاً؟"

(16): فقال له دينيزيوس: "أنا، بل هو الذي يحملك! (و هذا وجه المغالطة، فإنه يعني أن هذه الأمعة، هي السبب الذي من أجله تحملك هذه الدابة إلى تركيبها.) ولذلك قال له أكاسنيةس متعجباً من خططته ومجالاته، ورحفاً لعنيده عصاة التي علّق عليها تعنته (17) "وهذا، أنت حاملاً؟ فبحاوره دينيزيوس على طريق السفسطائيين (18) و كيف حملك إياه؟ فقول أكاسنيةس (19): "بما ألغاء من عنيد ومشقة، فيغالبه دينيزيوس محاواراً، (20): "أليس صحيحًا
أن الحمار يحمل ما تحمله؟ أنت؟ »، فقول له أكشايتايس منكوأ (21) : « كلاً، لا يكون الحمار حاملًا لما تحمل عقبة كيفك! »، فغالظه دوبنيزوس مرة أخرى (22) : « كيف تدعي أنك تحمل حملًا وأنت نفسك محمول؟ »، فباحزال أكشايتايس في جدل هذا السفسطائي يقول : (23) : « لا أدرى، كل ما أعلم هو أن الحمار قد أطلق كاهلي! »، فعالظه دوبنيزوس مغالطًا (24) : « إذا كان الحمار لا يحمل ولا يحمل ما تحمل، فانزله واحمله على كتفك! » (25) أن يجعل نفسه مكان الحمار، فبخال الحمار المناغ، ويتبدل أكشايتايس بال منزله كان فيها الحمار : لا يحمل الحمار، ولا يحمل ما يحمله. 

وقد تعجلت في ترجمة هذا الحوار، وهو صعب المرتقب، ولكن انظر ماذا فعل به هذا الجاهل الغير الذي لا يدرى ما الإنجليزية، ولا ما اليونانية، ولا ما حوار أرسطوفان في ضفادةه!

وقد كنت عزمت على أن أسرع في نقد هذا السخيف المتراكم سطرًا سطرًا، ولكن رأيت الأمر قد طال جدًا، وأعتناني أن أراجع كل حرف وكل كلمة، واستقصى دلالاتها التي استخدم فيها أرسطوفان ذكائه ومهارته وقدرته وفته الذي كاد ينفرد به. ولكن بقيت عجبة في آخر هذه الفترة التي نقلتها من مسح هذا الشرلتان لمسرحية الضفادة.

ذلك أن أرسطوفان ذكر على لسان دوبنيزوس شهوة من شهواته العظام وهو بحوار صاحبه هرقل (من رقم 43 إلى 45) ، فسأله هرقل في ترجمة هذا الشرلتان المخمور : « رغبة كبيرة من أي حجم? »، فقال دوبنيزوس : « يعني ... كبيرة بدرجة معقولة ... تقرنيا من حجم الشمام! » وهذا كلام سقيم جدًا من حيث هو كلام مركب، ولا أدرى كيف نطق به الناطقون على المسرح، ولا ماذا كان وقعت في نفوس السامعين؟

ولكن الشيء الذي لا ينتهي منه العجب أنه قال : « في حجم الشمام! » أو تذكر كيف كان ذلك؟ أتذكر مسألة « الضلبان » في شعر أبي العلاء، التي
وضعها مكان «الصلبان»؟ فهذا هذا. فإن أرسلونا أراد أن يسخر أيضًا من ممثلـ
كان على عهدهم ضخم الجثة، فارغ البنان، يقال له: (Molon)، فقرأها
المسيkos وهو في سمادره الطاغية على عقله (Molon)، وهو البطيخ والشمـ
أشباههما، فترجم ما ترى له في هذه السمادرة، دون أن يكشف نفسه عنـا،
وكيف يكلفها الغنت، وهو من هو! فذلك شيء أحق بأن يحمله عنه أرسلونا
المسيkos، والتفرجومن في المسرح، والمزراء من بعدهم! وتناقـ: نكتة» قوةً
واقتدارًا! ما أنقله كتابًا ورئًا وترجمًا، أي ماستا لمحتوي الأدبية!!

وقد كنت أحب أن أتيت جميع الجوانب التي جاء بها هذا المحمور في أثناء
هذه المسحرة، ولكن أتي لي هذا وما من صفعة إلا وفيه بليا أخذة بأخلاق
بليا! ولكنني سأذكر تحفة واحدة أختم بها هذا البناء الذي صلى الله على
أرسلونا، ثم عن. ففي حديث بين خارون وديونيزوس، يقول خارون: «أنا
لا أقد العبد إلا إذا كنت قد أعطته (يعني أكسياتياس) هل اشترك في معركة
السلامي والمرتدل؟! وهي أغبر ترجمة أريثها لشيء، فإنه يعني معركة
أرجينيرا» البحرية، والتي كان من القضاء فيها أن العبد يقاتل فيها فينجو،
بصبر حذرًا وكلف عنه الرضى، فكان يقال للعبد الذي شارك فيها: «يفتقل عن
الحمل»، فظن هذا المسيkos أنها المرة التي كانت تقدم لاين «المجددة
العظيمة»! ما دخل السلامي والمرتدل والبوليفي وسائر السحرة المطودية في هذه
المعركة البحرية؟! لا دخل لها بالطبع! ولكن هذا من شأن السمادرة!!

إن الهزل العجيب الذي انطور على هذه المسحرة المماسحة، والسبب الذي
من أجله مسبخها هذا الأفلاق الفائق، توجب علي أن أوجه كلمة إلى هذه الجماعة
من «حضارات المقرطين»، فأسألهم: كيف استحكم أن يكونوا حرفًا واحدًا عن هذا
الغنم الذي يستدعى الغنان من أقصى الجوف، بلا رعاية لحرمة (الكلمة) التي
كنتها أرسلتوفان ، ولا مراجعة لحرق واحد من أصوله أو تراجعته ! كيف استطاع
استاذى بيري النام أن أساطد جامعى كالدكتور عبد القادر القطر مثلاً ، أن يقوم ويتمد
في أعمدة الأهرام ، مدللاً على هذه البضاعة الكاسدة التي يعرضها مخمور لا يليق !
وكيف غاب عن ( حضارات المقرظين ) من شاذذ العصابات ، أن هذا المسكن
الذي جعل نفسه بمثابة الثور اليوناني ( أجاكس نيل تلامون ) ، إنما خرج في تحت
أتفاق الإلياذة ليدمر ( طرودة الجديدة ) ( أي مصر الإسلامية العربية بعد ثورة سنة
1952 ) ، وليطلب نفس ( الملك ميداس ) الذي أطلق كلمة ( القومية العربية ) ، من
الطائرة بأنفسه كُل ( أجاكس ) كذاب كان يطعن بها لأسباب أخرى في بعض
مقالاته . إن هذا الطبق المفتت من الأسوار ، أراد أن يضع على لسان أرسلتوان في
هذه المسرحية ، معاني من أحقاده ، مستغلما ما أودع فيها أرسلتوان من نقدي لبعض
ساحة عصره ، إذ كان يبعثه من المهرجين الذين لا يهمسون المجد إلا لأنفسهم ،
ولا لوطفهم . فهل يظل هذا المسكن ، وهل يظل شاذذ العصابات التي تفعل له عمل
الأوراق في الزمان ، أن ذلك يضي شبا ، أو بردة عليهم تفعا؟ وهل يظل هو أو أصبحه
أنه لا يوجد من يستطيع أن يكشف عن هذا أعماه يشعر أرسلتوفان وضمنته معاني
فضادة قبيحة بعيدة عن مراده ؟ إن جين هؤلاء المستورين وراء أسمه ، يجب على
أنه ، قضاها على أنه استنفر بالراث الأدبي لرجل من عظامه فوهمه ، ومضلل للشبح
منم لا يعرف لغة هذا الرجل ، حين يقع في أوهامهم أن أرسلتوفان ، معنى أن يقولَ
مثل هذا الغتاب الذي يكرب النفس ما يفوح من رأيته .

ولا أرى كيف ستمخ الدكتور على الراعي ، وهو فيما أظن عليه المشرف على
مثال هذه المسرحيات ، بأن تعرض على الناس مسرحية لأرسلتوفان ، تتخلل شبا
كثيراً من مال الأمة ، قبل أن يعلم عليها ويراجعها ، وهو قادر على ذلك بلا شك ،
وقبل أن يضمن ويفرج هذه الترجمة بحق أثر من الآثار العظم التي يعذبها أهلها من
أعظم أثارهم ؟ كيف يترك مثل هذا نهات للألفاظ والنصحين الذين يتكلمون باسم
الثقافة والفكر ، كما قال محى الدين محمد ؟ إذ إن لكل شيء يف عندها ، فلايدم
من أن يقف هذا اللغث الذي يأتيه هذا الشرلتان في أكثر صحف العرب ، وهي
صحيفة الأهرام ، وفي المسارح ، وفي دور النشر التي تتوالي نشر خيائه على الناس
بلا رقيب ولا حسب. أما خضرات المقوظين، فحسبهم ما قال في أمثالهم الأخطل
النصرائية:
تبقى بلا شئ شنوء محارب وما خلقها كانت تريش ولا تطير ضفادع في طلماه أتيل نجاوت قدل علیها ضوئها حیة البحر.
لا علّم في الْأَبْوَابِ

في الثالث من جمادى الآخرة سنة ١٢٨٥ (١٩٦٥) ،
والحاتمة بِالأسوار، وأظلمت الدنيا، وسبع، ورآيت، وفزعت، وتقزرت ... وكان ما كان.

وعلمت، حتى ما أسئل واحدًا عن علم واجدًا لكي أزداقها
وتشبيه عن كل ما ألفه بقول شيخ المعرفة:

يشوشون الأُمور بغير عقل، فيثقذ أشوهكم وبقال شامنة
فأَفَ من الخبائت وأفَ من زمن رقتشه نحسانة

محمود محمد رشاد
الفهرس
فهرس الأعلام

آدم ( عليه السلام ) 179 ، 170 ، 167 ، 166 ، 342 ، 340 ، 308 ، 174
آل عثمان ( الترك ) 180
آل يعقوب ( بنو إسرائيل ) 13
إبراهيم ( عليه السلام ) 170 ، 171 ، 172 ، 173
أبراهيم 244 ، 245 ، 246 ، 247 ، 248 ، 249 ، 250 ، 251 ، 252 ، 253
أبى بن سلمى بن ربيعة 338
أثاتورك ( مصطفى كمال ) 185
أيوب ( الإله ) 170 ، 171 ، 172 ، 173 ، 238 ، 239 ، 240 ، 241 ، 242 ، 243
أبن الأثير ( علي بن محمد ) 26 ، 63 ، 286 ، 287 ، 288 ، 289
أجناس ( الصغير ) 339 ، 340 ، 341 ، 342 ، 343
أجناس بن تلامون ( الكبير ) 13 ، 339 ، 340 ، 341 ، 342 ، 343
أجناس عوض ( لويس عوض ) 7 ، 8 ، 9 ، 10 ، 11 ، 12 ، 13 ، 14 ، 15 ، 16 ، 17
أجناس الصفا 99 ، 344 ، 345 ، 346 ، 347 ، 348 ، 349 ، 350 ، 351 ، 352 ، 353 ، 354 ، 355 ، 356 ، 357 ، 358 ، 359 ، 360 ، 361 ، 362 ، 363 ، 364 ، 365 ، 366 ، 367 ، 368 ، 369 ، 370 ، 371
أحمد 246 ، 247 ، 248 ، 249 ، 250 ، 251 ، 252 ، 253 ، 254 ، 255 ، 256 ، 257 ، 258 ، 259 ، 260 ، 261 ، 262 ، 263 ، 264 ، 265 ، 266 ، 267 ، 268 ، 269 ، 270 ، 271 ، 272 ، 273 ، 274 ، 275 ، 276 ، 277 ، 278 ، 279 ، 280 ، 281 ، 282 ، 283 ، 284 ، 285 ، 286 ، 287 ، 288 ، 289 ، 290 ، 291 ، 292 ، 293 ، 294 ، 295 ، 296 ، 297 ، 298 ، 299 ، 300 ، 301 ، 302 ، 303 ، 304 ، 305 ، 306 ، 307 ، 308 ، 309 ، 310 ، 311 ، 312 ، 313 ، 314 ، 315 ، 316 ، 317 ، 318 ، 319 ، 320 ، 321 ، 322 ، 323 ، 324 ، 325 ، 326 ، 327 ، 328 ، 329 ، 330 ، 331 ، 332 ، 333 ، 334 ، 335 ، 336 ، 337 ، 338 ، 339 ، 340 ، 341 ، 342 ، 343 ، 344 ، 345 ، 346 ، 347 ، 348 ، 349
471

أبو تمام 373، 384، 394، 301، 340، 363، 380، 390، 396

البيديعي (بروس) 244

براقش 389

برنارد شير 381

بشاره تال 377، 384

ابن بطلان (المختار بن الحسن) 97

ابن بطوطة 95

ابن بكر الصديق 186

بلجاف (ويلي جيفورد) 129، 153، 202

بلعام 245

بلقسي 310

بنيان بكير وجوز 453

بهاء الدولة البيهي 101

البوزو 435

بولسد 134

بوزون 357

البوسريري 272

بياتريس 81

البيروني 102

بيقنطة 354، 114

البيزاطيون 273

بيفن 358، 380

البريز (أبو زكرياء) 43

البرك (آل عثمان) 149، 148، 187، 186

البرك 192

ابن تغري بردى 27، 30

تغين بن عاد (القوين) 310

القوين (تغين بن عاد) 294

تكلي المبشر 202
474

ابن الجوسي، 27، 26، 20، 117
جبيلداين برونو

بنو الحارث بن كعب، 305
حارثة بن بدر الغذائي، 394
حافظ إبراهيم، 271، 211، 207
الحش (الأحباش)، 245، 246، 247

248

حبيب بن مسلمه الفهري، 23
حبيب بن أم سفيان، أم المؤمنين، 237، 203، 30
حبس بن يعث أكبر، 300
الحسائي حسن عبد الله، 424
أبو الحسن الدلفي المتصد، 46، 46، 46
حسن بن علي (الغزالي)، 97، 96، 103
حسن بن محمد بن علي، 242
حسن المصري، 131
الحمان، 22
الحسائيون، 22
المحمدي، 317، 320
حمروزي (قانون)، 321
حمين، 321
الحليمية، 233، 431، 436
أبو الحوراث، 95
أبو حية التميمي، 342

ابن خالويه، 20، 29، 57
الخطيب البغدادي، 26، 27، 47
اننخم، 89، 28، 160
ابن خلكان، 26، 49
خليل مطران، 207
سارة امرأة إبراهيم 243
ساسمي داوود 377، 377، 379، 399، 400، 400، 400
سانت تريزا 77
سيبط ابن السفياني 28
سيبط ابن الحوزي 28
سيبيات (أمي دار الكتب) 134، 129، 133، 137، 137، 141، 142، 146، 146، 155،
165، 165، 165، 165، 165، 165، 165، 165، 165، 165، 165
مريوس 102، 244، 244، 244، 244، 244، 244، 244، 244، 244، 244
ملح (الكاهن) 222
سعد الدولة الحمداني 20
سعد بن سعدة (الأخفش) 308
سفيان بن عبيدة 441
ابن السكبات
سكيف (كروستور سكيف) 8، 12، 12، 12، 12، 12، 12، 12، 12، 12، 12، 12
سلاة موسي 12، 115، 117، 117، 117، 117، 117، 117، 117، 117، 117، 117
سليم بن ربيعة بن زبان الضبي 308، 308، 308، 308، 308، 308، 308، 308، 308
سليم بن أحمد بن سليمان بن داوود 56
سليمان بن فطلمش 24
سليمان بن محمد بن سليمان 57، 57
السمعيجي 26
رافعة الطليطلة 130
رامان 354
روزورا مسيكيا 81، 88، 88، 88، 88، 88
الزوم 14، 14، 14، 14، 14، 14، 14، 14، 14، 14، 14
سالم 87، 87، 87، 87، 87، 87، 87، 87، 87، 87، 87
الروم 461، 461، 461، 461، 461، 461، 461، 461، 461، 461، 461
الزائدة 379
زاهرة يراض 234، 234، 234، 241، 241، 241، 241، 241، 241، 241، 241
الزياء بنت عمرو بن الطراب 305
الزيد بن عبد المطلب 247
أبو زكريا البسري (السري) 63
زورم 20، 20، 20، 20، 20، 20، 20، 20، 20، 20، 20
377
زياد بن أيوب سقين 161
زوس 458، 458، 458، 458، 458، 458، 458، 458، 458، 458، 458
صلاح عبد الصبور 90، 120، 168، 168، 168
الصليبيون 13
صوان (قانون) 371
صبيان (أبابا) 57
أبو طاهر السلمي 3
الطبري (تاريخ التبري) 238، 239، 239، 239
فرقة بن عبد الرحمن 199
الطراح 379
طمس 294، 305، 309
الطبيان 80
CHANGE: حسب 19، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28
379
خالد بن محمد 172
عائشه أم المؤمنين 420
عبلة بن أبي جهل 429
عامة الخالقين 505
العباسي الموسوي 32
عبد الله إسماعيل الهاشمي 102
عبد الله بن ناني 227
عبد الله بن سليمان (والد أبي العلاء) 57
59
عبد الله بن عباس 226
عبد الله بن عبد الرحمن الأصبغ 101
عبد الله بن عبد المطلب 247، 248
عبد الله بن عمرو 247
عبد المجيد عبد الغني 127، 133
عبد الرحيم العباسي 27، 30
58
عبد الصمد بن أحمد 54
عبد العزيز فهمي 131
عبد العظيم أيس // 451
عبد القادر القط // 465
عبد المسيح بن إسحاق الكندي // 244

نبو عبد المطلب // 378
عبد المطلب بن هاشم // 248
عبد الله بن حجش الأسود // 276
عثمان بن عبد الله الكلبي // 97
عثمان بن عفان // 186

العمجم // 430

ابن الأعمد // 26، 56، 58، 62، 62

العرب // 73، 79، 84، 81، 80، 82، 87، 187، 179، 169، 162

عراوي (أحمد عراوي) // 139
عزة (كثير عزة) // 199

عسكر بن إسحاق الحموي (مولى بفتح) // 49
أبو العلاء المري (شيخ المرة) (المري) // 233

ابن العداء الحبيبي // 27، 30
ابن عمار (على بن محمد) // 233

عمر بن الخطاب // 236، 186
عمر سلطان // 208
عمر مكرم // 89

عمر بن أمية الضرمي // 237، 238

عمرو بن الظر // 305

قابيل 277
ابن الراحل 18، 21، 35
أبو القاسم (علي بن سببة)
قراد (قرآن) بن غويبة بن سلمى 238، 241، 242، 243، 244، 245، 246، 247، 248، 249، 250، 251، 252، 253، 254، 255، 256، 257، 258
الفقال 114، 350
الفقال (على بن يوسف بن إبراهيم الشيباني)
22، 23، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 64
412
كثيرة (القديسة) 378
كنتشور 382
ابن كثير 26، 94، 95， 96
كثير عزة 199
كويرمر 137
كرمان 140
كلية 42， 43، 44، 45
كمال الملاح 451
الكدبة (فيلسوف العرب) 99
الكعبان 211
كوشون 377
كوفاديس (قلم) 35
بنو كوث 28
كريستوفر مكفي (مسيف)
لأمنس 90، 324، 326، 327، 328، 329، 330، 331
لانون (واثر سايج) 378
لؤلؤ 60
عمر بن العاص 148
عياش المجاشعي 430
عيسى بن مريم (علي السلام) 168، 238، 431، 432، 433، 434
عيسو (العيس) 225
الغيمر 220، 221
العيني 27، 30
376، 476، 595
الفازن (المعلم الثاني) 99
الفاطميين 26، 27، 28
ابن الفداء 26، 27، 28
 أبو الفرج الزهرجي 114
الفرزدق 110، 271
الفرس 187، 192， 257
فرعون 435
الفرنج 24， 25
فرنس 367
كريتشيس 380، 454، 459
أبو الفضل (ذكرى الممرض) 101
ابن فضل الله العبدي 26، 30، 90
قفلام بن خليفة 379
فهر محمد شاكر 231
أبو فهر 324، 451
أم فهر 10
فوكانس الإرومي (الباسي) 355
كارل 134， 157
<table>
<thead>
<tr>
<th>اسم السُئل</th>
<th>رقم</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>مارتن لوثر</td>
<td>117</td>
</tr>
<tr>
<td>ماسون (لويس)</td>
<td>362</td>
</tr>
<tr>
<td>مالك بن قهم</td>
<td>305</td>
</tr>
<tr>
<td>المأمون</td>
<td>99</td>
</tr>
<tr>
<td>ماهر سماي يوسف</td>
<td>319</td>
</tr>
<tr>
<td>لوسيان</td>
<td>100</td>
</tr>
<tr>
<td>لويس شيخو (شيخو)</td>
<td>390</td>
</tr>
<tr>
<td>لوسي عوض (أجاكش عوض) (الشرلتان)</td>
<td>7</td>
</tr>
<tr>
<td>المبرد</td>
<td>180</td>
</tr>
<tr>
<td>المنتبى</td>
<td>99</td>
</tr>
<tr>
<td>المتنخيل الهذلي</td>
<td>200</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو المندرج (مقلد بن تمر بن متقد)</td>
<td>24</td>
</tr>
<tr>
<td>المجاب</td>
<td>222</td>
</tr>
<tr>
<td>المجوسى</td>
<td>450</td>
</tr>
<tr>
<td>محمد أحمد حلف الله</td>
<td>222</td>
</tr>
<tr>
<td>محمد إبراهيم</td>
<td>228</td>
</tr>
<tr>
<td>محمد بن الحسن بن روح</td>
<td>58</td>
</tr>
<tr>
<td>محمد بن سعد</td>
<td>248</td>
</tr>
<tr>
<td>محمد بن سلام الجمحي</td>
<td>247</td>
</tr>
<tr>
<td>محمد بن سليمان بن أحمد</td>
<td>57</td>
</tr>
<tr>
<td>محمد صفر خفاجة</td>
<td>452</td>
</tr>
<tr>
<td>محمد بن عبد الله بن سعد الحموي</td>
<td>75</td>
</tr>
<tr>
<td>محمد بن عبد الله بن سليمان</td>
<td>57</td>
</tr>
<tr>
<td>محمد بن عبد الرحمن الرجي</td>
<td>58</td>
</tr>
<tr>
<td>محمد بن عبد الله بن قيس بن مخمرة</td>
<td>242</td>
</tr>
<tr>
<td>محمد علي</td>
<td>129</td>
</tr>
<tr>
<td>محمد عمرو</td>
<td>137</td>
</tr>
<tr>
<td>محمد علي بن أبي طالب</td>
<td>148</td>
</tr>
<tr>
<td>محمد عزة</td>
<td>329</td>
</tr>
<tr>
<td>مرسوم محمد</td>
<td>208</td>
</tr>
<tr>
<td>لقمان بن عاد</td>
<td>340</td>
</tr>
<tr>
<td>الدرب الإسحائى</td>
<td>119</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو لبيب</td>
<td>365</td>
</tr>
<tr>
<td>لواحة (المغنية)</td>
<td>274</td>
</tr>
<tr>
<td>لوسيان</td>
<td>103</td>
</tr>
<tr>
<td>لويس شيخو (شيخو)</td>
<td>390</td>
</tr>
<tr>
<td>لوسي عوض (أجاكش عوض) (الشرلتان)</td>
<td>7</td>
</tr>
</tbody>
</table>
محمد بن مساعد النحوي 57

التعليم بعقوم (بعقوم) 89، 10، 12، 14، 16، 18، 19، 21، 22، 24، 26
المغول 183
المفضل بين محمد الوضي 294، 308
مقلد بين تبود بن منفظ (أبو النمرской) 24
الممكن (اسم متنكر) 156

المصدر 308
ابن منفظ (أبوبكر بن منفظ) 24
بن منفظ 23
المهدى 308

موسى ( عليه السلام) 168، 170، 222
326، 334، 342، 343

محمد عبد الغفار 208
محمد بن محمد الحضري 314
نبوي الدين محمد 299، 300، 301، 302
محمود حسن إسماعيل 295

ميخائيل (العفار) 378
مياج (المملكة) 13، 329، 339، 342، 343
ميلاج (المملكة) 13، 329، 339، 342، 343
360، 368، 371، 372، 374، 376، 378، 380، 381، 382

مسيح ابن مريم (عليه السلام) 81، 169
377، 378، 381، 383

مغمرت (القديس) 383
مريم البون (العلة) 81، 82، 83، 84، 85، 86
مسلم (asonic) 430

المصادر (فلم) 35

منصوب 202، 204، 205، 207
نصاري 94، 95، 96، 97، 98، 99، 100، 101
169، 170، 172، 176، 178، 182، 184، 186، 187
412، 431، 434، 437، 438، 439، 441، 444
<table>
<thead>
<tr>
<th>المكان</th>
<th>صفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>باب البحر</td>
<td>481</td>
</tr>
<tr>
<td>باب البقرة (ميدان)</td>
<td>511</td>
</tr>
<tr>
<td>باب الطور</td>
<td>158</td>
</tr>
<tr>
<td>باب شمال</td>
<td>312</td>
</tr>
<tr>
<td>باب الشرقي</td>
<td>717</td>
</tr>
<tr>
<td>بارس</td>
<td>186</td>
</tr>
<tr>
<td>باكستان</td>
<td>221</td>
</tr>
<tr>
<td>بم سبع</td>
<td>233</td>
</tr>
<tr>
<td>البحر المتوسط</td>
<td>265</td>
</tr>
<tr>
<td>إفريقيا</td>
<td>183</td>
</tr>
<tr>
<td>إنجلترا (بريطانيا)</td>
<td>119</td>
</tr>
<tr>
<td>إنجلترا</td>
<td>614</td>
</tr>
<tr>
<td>أمريكية</td>
<td>265</td>
</tr>
<tr>
<td>الأندلس</td>
<td>305</td>
</tr>
<tr>
<td>الأطلس</td>
<td>189</td>
</tr>
<tr>
<td>الأوروجينزيا</td>
<td>424</td>
</tr>
<tr>
<td>المجر (الأجساد)</td>
<td>153</td>
</tr>
<tr>
<td>الأميرة</td>
<td>187</td>
</tr>
<tr>
<td>الأزهار</td>
<td>153</td>
</tr>
<tr>
<td>الأبوه</td>
<td>448</td>
</tr>
<tr>
<td>الألب</td>
<td>200</td>
</tr>
<tr>
<td>البحرين (ال(reinterpretation)</td>
<td>200</td>
</tr>
<tr>
<td>البلد الغربي (المغرب)</td>
<td>187</td>
</tr>
<tr>
<td>البحرين</td>
<td>151</td>
</tr>
<tr>
<td>البيت الحرام</td>
<td>247</td>
</tr>
<tr>
<td>البيت المقدس</td>
<td>378</td>
</tr>
<tr>
<td>بيروت</td>
<td>157</td>
</tr>
<tr>
<td>أوروبا</td>
<td>100</td>
</tr>
<tr>
<td>أورشليم</td>
<td>334</td>
</tr>
<tr>
<td>أوروبوس</td>
<td>211</td>
</tr>
<tr>
<td>الأولمبي</td>
<td>271</td>
</tr>
<tr>
<td>أياكار</td>
<td>195</td>
</tr>
<tr>
<td>إلواك كسرى</td>
<td>53</td>
</tr>
<tr>
<td>جامعة الإسكندرية</td>
<td>125</td>
</tr>
</tbody>
</table>
الجامعة الأمريكية (الكلية السورية الإنجيلية) 189، 327، 326، 414، 326
جامعتي برستون، 338، 328، 167، 338
دار العلم (بيطلس) 344، 326
دار العلم 115، 327
الدانوب 247، 115
دمشق 414، 186، 358، 185
دير التعبل 168، 327، 337، 327، 337، 327، 337
دير سمالوا 244، 357، 367
دير القاهرة 12، 115، 115، 115
دير القاهرة 12، 115، 115
دير القاهرة 12، 115، 115
دير القاهرة 12، 115، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
دير القاهرة 12، 115
ديام 28، 167، 45، 96، 155، 99، 101، 137، 137
الحفرة 305
<table>
<thead>
<tr>
<th>الشارع</th>
<th>عربة</th>
<th>متزلج</th>
<th>دوار</th>
<th>عربة</th>
<th>متزلج</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>شارع خيرت (منزل عرابي)</td>
<td>185</td>
<td>220</td>
<td>267</td>
<td>204</td>
<td>247</td>
</tr>
<tr>
<td>شعب أي طالب (بيكة)</td>
<td>333</td>
<td>245</td>
<td>231</td>
<td>261</td>
<td>222</td>
</tr>
<tr>
<td>شيش</td>
<td>81</td>
<td>350</td>
<td>188</td>
<td>183</td>
<td>193</td>
</tr>
<tr>
<td>ضاحية</td>
<td>204</td>
<td>267</td>
<td>204</td>
<td>247</td>
<td>222</td>
</tr>
<tr>
<td>صنعاء</td>
<td>350</td>
<td>461</td>
<td>343</td>
<td>344</td>
<td>352</td>
</tr>
<tr>
<td>طرابلس (طرادة الحديثة)</td>
<td>343</td>
<td>344</td>
<td>352</td>
<td>343</td>
<td>344</td>
</tr>
<tr>
<td>طرابلس الشام</td>
<td>280</td>
<td>58</td>
<td>50</td>
<td>39</td>
<td>77</td>
</tr>
<tr>
<td>كفر طاب</td>
<td>24</td>
<td>77</td>
<td>50</td>
<td>39</td>
<td>77</td>
</tr>
<tr>
<td>الكفرون</td>
<td>96</td>
<td>91</td>
<td>96</td>
<td>91</td>
<td>96</td>
</tr>
<tr>
<td>الشام</td>
<td>49</td>
<td>101</td>
<td>101</td>
<td>101</td>
<td>101</td>
</tr>
<tr>
<td>اللاذقية</td>
<td>26</td>
<td>32</td>
<td>32</td>
<td>32</td>
<td>32</td>
</tr>
<tr>
<td>المنارة</td>
<td>50</td>
<td>50</td>
<td>50</td>
<td>50</td>
<td>50</td>
</tr>
<tr>
<td>لبنان</td>
<td>264</td>
<td>404</td>
<td>119</td>
<td>119</td>
<td>119</td>
</tr>
<tr>
<td>مارك</td>
<td>294</td>
<td>310</td>
<td>310</td>
<td>310</td>
<td>310</td>
</tr>
<tr>
<td>الممنح</td>
<td>77</td>
<td>77</td>
<td>77</td>
<td>77</td>
<td>77</td>
</tr>
<tr>
<td>مدرسة الحقوق</td>
<td>204</td>
<td>204</td>
<td>204</td>
<td>204</td>
<td>204</td>
</tr>
<tr>
<td>مدرسة الحقوق</td>
<td>204</td>
<td>204</td>
<td>204</td>
<td>204</td>
<td>204</td>
</tr>
<tr>
<td>المدينة (شرفية الله)</td>
<td>437</td>
<td>437</td>
<td>437</td>
<td>437</td>
<td>437</td>
</tr>
<tr>
<td>فارس</td>
<td>128</td>
<td>189</td>
<td>189</td>
<td>189</td>
<td>189</td>
</tr>
<tr>
<td>فرنسا</td>
<td>338</td>
<td>344</td>
<td>344</td>
<td>344</td>
<td>344</td>
</tr>
<tr>
<td>سلطنة عمان</td>
<td>77</td>
<td>77</td>
<td>77</td>
<td>77</td>
<td>77</td>
</tr>
<tr>
<td>مصر</td>
<td>54</td>
<td>185</td>
<td>185</td>
<td>185</td>
<td>185</td>
</tr>
<tr>
<td>الفيليبين</td>
<td>183</td>
<td>183</td>
<td>183</td>
<td>183</td>
<td>183</td>
</tr>
<tr>
<td>المصلحة</td>
<td>عدد</td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>-----------------</td>
<td>----------------</td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>مكة</td>
<td>154</td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>حوطة</td>
<td>153</td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>محيسن</td>
<td>306</td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>ملكسكيور</td>
<td>183</td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الموصل</td>
<td>180</td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>نابلس (شكون)</td>
<td>221</td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>نصيبين</td>
<td>304</td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>المصيبة</td>
<td>40</td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>معرة النعمان</td>
<td>269</td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>حمدان</td>
<td>465</td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الهند</td>
<td>182</td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>البرازилиا اسواق</td>
<td>262</td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>معهد الدراسات الأفريقية</td>
<td>250</td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>المغرب (بلاد المغرب)</td>
<td>187</td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>اليمامة</td>
<td>232</td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>اليمن</td>
<td>248</td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>مكة</td>
<td>30</td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>
# فهرس الكتب

<table>
<thead>
<tr>
<th>كتاب</th>
<th>صفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>تاريخ الحكماء</td>
<td>98</td>
</tr>
<tr>
<td>تاريخ الدعوة إلى اللغة العامية وآثارها في مصر</td>
<td>125</td>
</tr>
<tr>
<td>تاريخ الطبري</td>
<td>277</td>
</tr>
<tr>
<td>تربية تربية الدهر</td>
<td>45</td>
</tr>
<tr>
<td>التعليم الأجنبي في مصر في القرنين التاسع عشر والمعرين</td>
<td>152</td>
</tr>
<tr>
<td>الثورة</td>
<td>191</td>
</tr>
<tr>
<td>انفتاح وأصالح</td>
<td>276</td>
</tr>
<tr>
<td>أخبار التحريج (إنجاب الروأة)</td>
<td>37</td>
</tr>
<tr>
<td>إرشاد الأرباب (معجم الأدباء)</td>
<td>28</td>
</tr>
<tr>
<td>استغر وعصرغر</td>
<td>44</td>
</tr>
<tr>
<td>أسد الغابة</td>
<td>184</td>
</tr>
<tr>
<td>الإسلام في إنيزيا</td>
<td>232</td>
</tr>
<tr>
<td>إصلاح المنطق</td>
<td>278</td>
</tr>
<tr>
<td>إقليد الغابات</td>
<td>94</td>
</tr>
<tr>
<td>الأموال</td>
<td>29</td>
</tr>
<tr>
<td>إنجاب الروأة</td>
<td>27</td>
</tr>
<tr>
<td>الإنجيل (الكتاب المقدس)</td>
<td>90</td>
</tr>
<tr>
<td>الجريدة (صحيفة)</td>
<td>210</td>
</tr>
<tr>
<td>الجمهرة (دارة المعارف)</td>
<td>218</td>
</tr>
<tr>
<td>الأجواء</td>
<td>128</td>
</tr>
<tr>
<td>الكتب المقدسة</td>
<td>117</td>
</tr>
<tr>
<td>الإنصاف والتحريج في دفع الظلم والتجريج</td>
<td>273</td>
</tr>
<tr>
<td>أبى العلاء المجري</td>
<td>24</td>
</tr>
<tr>
<td>أخبار توفيق الجليل، في أخبار مصر وتوفيق بني إسماعيل</td>
<td>130</td>
</tr>
<tr>
<td>أوج التحريج</td>
<td>24</td>
</tr>
<tr>
<td>الحدباق (السنة)</td>
<td>192</td>
</tr>
<tr>
<td>الأندلس</td>
<td>9</td>
</tr>
<tr>
<td>الديوان</td>
<td>96</td>
</tr>
<tr>
<td>بلونولد، وقصائد أخرى</td>
<td>1</td>
</tr>
<tr>
<td>ذكرى أبى العلاء</td>
<td>31</td>
</tr>
<tr>
<td>رسالة الإغريض</td>
<td>23</td>
</tr>
<tr>
<td>رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحاق الكنيدي ورد عليه</td>
<td>102</td>
</tr>
<tr>
<td>رسالة الغافران 9</td>
<td>48</td>
</tr>
<tr>
<td>رسلة غافران 6</td>
<td>18</td>
</tr>
<tr>
<td>رسلة غافران 2</td>
<td>31</td>
</tr>
<tr>
<td>رسلة غافران 0</td>
<td>22</td>
</tr>
<tr>
<td>رسلة غافران 1</td>
<td>41</td>
</tr>
<tr>
<td>رسلة غافران 8</td>
<td>73</td>
</tr>
<tr>
<td>رسلة غافران 7</td>
<td>67</td>
</tr>
<tr>
<td>رسلة غافران 3</td>
<td>56</td>
</tr>
<tr>
<td>رسلة غافران 4</td>
<td>87</td>
</tr>
<tr>
<td>رسلة غافران 5</td>
<td>43</td>
</tr>
<tr>
<td>رسلة غافران 12</td>
<td>20</td>
</tr>
</tbody>
</table>
السادس 33
المحج السلطاني 33
سقط الزبد 1، 44، 44، 59، 63، 65، 78، 81، 82، 83، 94، 95، 112، 114، 117، 126، 140، 440، 441

كبير جسر 233، 236، 247، 258، 268، 275

الكوديودية الإلهية 247

لزوم ما لا يلزم 44، 45، 46، 54، 55

اللهجة العامة الحديثة في مصر 134

الملح السائر 285

مجلة الإذاعة 132

مجلة الأزهر 134، 135

مجلة روز اليوسف 161، 163، 194، 197

مجلة الأدب العربي 194، 197

مجلة الدراسة 295، 398، 495

مجلة الكاتب المصري 115، 344

مجلة المكتبة المصرية 133، 134، 137، 138، 139، 150، 152، 156، 157

264

مجلة الهلال 138، 264

مذكرات طالب بحثة 118

الفروع، الفصول والمقالات 29، 81

العالم والغرب 181

العربية المحلية في مصر 136

على هاش الغرام 17، 127، 304

فتح البلدان 92

القرآن العظيم 38، 122، 123، 129، 133، 139، 143، 145، 146، 147، 148

191، 192

337، 338، 340

65، 78، 81

395

59

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45

45
<table>
<thead>
<tr>
<th>المقالة</th>
<th>المقدمة</th>
<th>المراجع</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>المسالك الأبدار</td>
<td>97</td>
<td>مسند أحمد 237</td>
</tr>
<tr>
<td>مسرحية في 5 فصول</td>
<td>287</td>
<td>معجم الأدباء (إرشاد الأريب) 38</td>
</tr>
<tr>
<td>الوصيلة الأدبية</td>
<td>131</td>
<td>معجم البلدان 37</td>
</tr>
<tr>
<td>اليوم والغد</td>
<td>119</td>
<td>المقطم (صحيفة) 264</td>
</tr>
<tr>
<td>ملحق السنبل</td>
<td>42</td>
<td>الميثاق 298</td>
</tr>
<tr>
<td>الفهرس الشعر</td>
<td>الصفحة</td>
<td>بعد</td>
</tr>
<tr>
<td>-------------</td>
<td>---------</td>
<td>-----</td>
</tr>
<tr>
<td>شاعر</td>
<td>البحر</td>
<td>الكامل</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>بن علي الغزى</td>
<td>97</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>أبو العلاء</td>
<td>163</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>أبو العلاء</td>
<td>17</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>أبو العلاء الدؤلي</td>
<td>48</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>الخفيف</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>على بن الغدير الغنوي</td>
<td>335</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>أبو العلاء</td>
<td>165</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>البسيط</td>
<td>273</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>البسيط</td>
<td>274</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>جذيئة الأورش الواضحا</td>
<td>293</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>الزبير بن عبد المطلب</td>
<td>247</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>كثير</td>
<td>199</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>أبو العلاء</td>
<td>103</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>أبو العلاء</td>
<td>10</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>الوافر</td>
<td>13</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>البسيط</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الاسم المذكور</td>
<td>الصفة المذكورة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>------------------</td>
<td>----------------</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>أبو العلاء</td>
<td>البسيط</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>اليرموح</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>لو</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>نودي</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>بدر النجاشي</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>حارثة بن بدر النجاشي</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>بالسند</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>بالمداد</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>فعد</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>من</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>هدي</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>ين</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>نودي</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>البسيط</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>اختيارة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>قد</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>لعمرى</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>عكّرا</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>ولد</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>أذفرة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>وتكرمتي</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>ولا</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>ضارا</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>تبرى</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>نفق</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>يا</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>بعمر</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>الرجز</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>يا</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>الرجز</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>ين</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>نودي</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>البسيط</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>عكسم</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>نحسن</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>لم</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>المختلس</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>الرمل</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>كشيش</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>لعصر</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>الرجز</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>كان</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>المتهمل الهذلي</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>السياط</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>الوافر</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>المنسرح</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>أسس بن حجر</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>الأعمى</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>سماع</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>بالأولئ</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>أصابع</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>دعا</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>أبو العلاء</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>الطويل</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>أبو العلاء</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>أبو العلاء</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>أبو العلاء</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>أبو العلاء</td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>
491

271 الكامل الفزدق
9 امرؤ القيس الطويل
427 الخفيف المندر بن الأسود
111 طويل جليله
338 طويل يفهم
272 البسيط شوقي
72 الكامل
60 أبو العلاء الوافر

315 الشرف الرضي ما
59 الطويل أبو العلاء
294 مخلع البسيط سلمي بن ربيعة
258 الكامل
84081 الخفيف
8301 الخفيف
255 أبو العلاء المسترح

000